

تفہیم

الاجار

بنوری

الانوار

۲۰

USE

CO

CA

913

L23

v.1

C



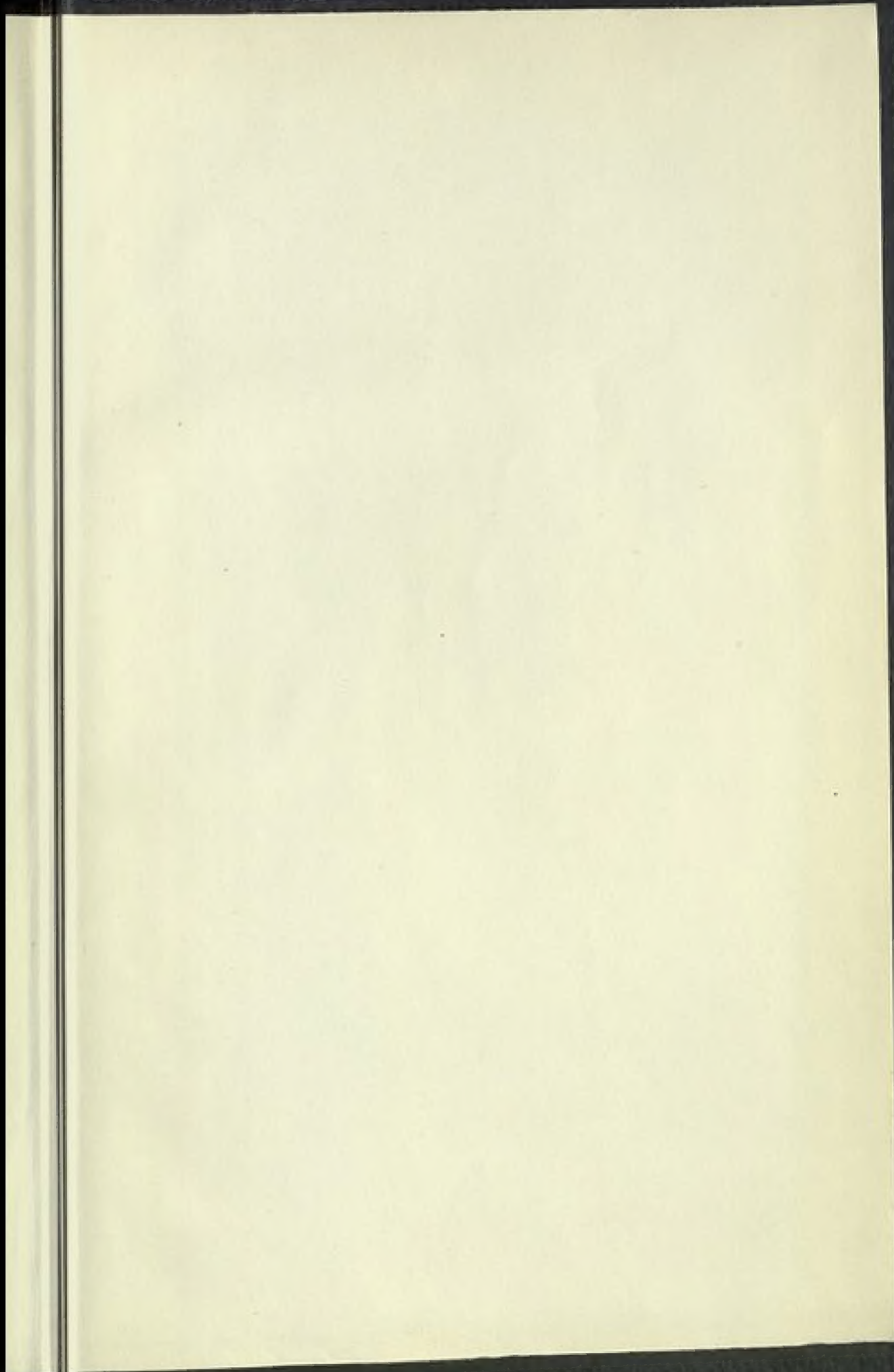
AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
OF BEIRUT

CLOSED AREA

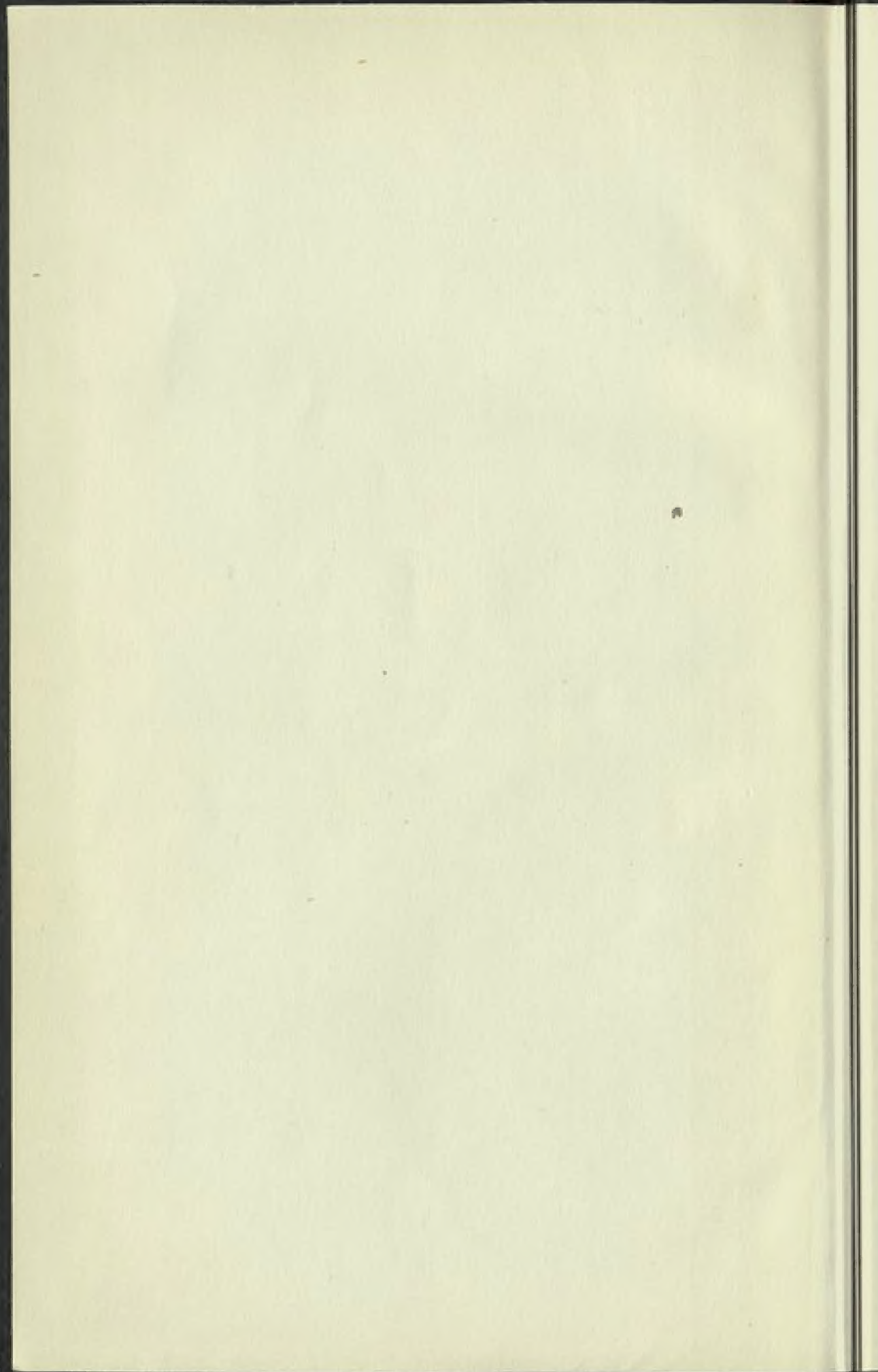
CLOSED AREA

N. MAKHOUL  
BINDERY  
12 MAY 1973  
Tel. 260458











3



تسريح الابصار  
في  
ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

الجزء الأول

في قسم لبنان الشمالي

نقلًا عن مجلة المشرق

( طبعة ثانية )

طبع في بيروت

بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩١٣



3.15.29. Danway - Bill - 2.15.29 -





## تمهيد

هذا الكتاب مجموع مقالات ظهرت في المشرق في السنين الست الأولى منه .  
نشرناه سابقاً على حدة فنفتت نسخة وسألنا كثيرون إعادة طبعه . وكان بود المؤلف  
ان يعيد النظر فيه لكن اشغاله في مدينة رومية حالت دون رغبته فكررنا  
طبع الكتاب دون تغييره الا في اشياء طفيفة



اعلم ان في لبنان عدّة اماكن وقرى تشتمل على آثار قديمة ذات شأن خطير وهي  
مع ذلك مجهولة لا يعرف الاهلون غير اسمها فرأينا ان نحكي ذكرها بهذه المقالات  
والباحث التي وسمنها « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » نودعها  
ما تسنى لنا جمعه من اخبار تزيينية واصاف جغرافية ومآثر عادية وهو مجال لا  
شك رحب الا اننا نأمل ان القراء لا يسأمون ان يحجروا فيه معنا أسواطاً فيجدون  
في كل طلق ما تقر به عينهم ويرتاح اليه جنانهم . كيف لا والمرء مغرئ بمعرفة  
بلاده مولع بشرف مسقط رأسه ومآثر اجداده . وقد حدانا ايضاً الى مباشرة هذا  
المشروع رغبتنا في حفظ تلك الآثار قبل ان تستولي عليها يد الدمار (١) . ولعل ما  
نذكره ينشط ايضاً بعض قرائنا الى البحث والتفتيش فيشدون باكتشافاتهم أزرنا  
ونحن نشكر سلفاً كل من يأتينا بفائدة او يتحفنا بطرفة فيشاركنا على تحقيق الآمال  
التي ابديناها في مقالة سبقت لنا في المشرق (١: ٢٦١) عنوانها : « هياً على درس  
تاريخنا » . وكنا في هذه اللائحة اشرنا الى درس الآثار القديمة وعددناها بين الوسائط  
الكبرى لمعرفة تاريخ بلادنا . وسيكون مفتوح كلامنا على الجهات الواقعة في  
شالي بيروت

(١) قد درس كثير من هذه الرسوم والآثار في مدّة الخمس والعشرين سنة المنصرمة .  
وسنعود الى هذا الموضوع ثانية



## الفصل الأول

## قسم لبنان الواقع في شمالي بيروت

إذا ما خرج المسافر من بيروت سائراً نحو الشرق أول ما يلقاه في طريقه نهر بيروت . وهو مجرى ماء ربما اضحى في الشتاء سيلاً جارفاً . واكثر الكتاب المحدثين يرتأون انه هو النهر الذي دعاهُ يَلِينْيوس الطبيعي نهر ماغوراس وانه كان من انهار الفينيقيين المقدسة دعوته بذلك اشتقاقاً من اسم الاله ماقار وهو اسم زُحل بلغتهم (١) وقد عارض هؤلاء الكتبة غيرهم فانكروا ان نهر بيروت هو نهر ماغوراس المذكور (٢) واحتجوا لذلك بحجج لا يسمنها هنا بسطها

واذا اجتازت النهر وجدت في طريقك اوعلى مقربة من الطريق قرى ومزارع نظمتها حديثه العهد اللهم الأسن الفيل التي ورد ذكرها في تأليف الصليبيين مصفحة بينسيفيل ( Senesfil ) (٣) . ثم تقطع سهلاً مستطيلاً على سيف البحر يؤدي بك الى نهر انطلياس الذي مجواره موقع القرية المدعوة به

واسم انطلياس كما لا يخفى معرب وقد تضاربت في اصله الآراء فمن العلماء من زعم انه نسب الى النبي الياس واهل القرية يعظمون هذا القديس ويكرمونه اي اكرام ويقدمون لكنيسة المشيدة في قريتهم النذور ويأنفون ان يحلفوا باسمه واذا حلفوا كهوا الحنث بايمانهم فليل ان الضيعة دُعيت لذلك باسم هذا النبي . الا ان في هذا التفسير شبهة لانه لا يبين معنى أول لفظة « انطلياس » ولم يحاول بعد احد شرحها . وجاء في تقليد اهل لبنان ان انطلياس دُعيت باسم بعض المشاهير او المعبودات ولم يمكننا تحقيق ذلك

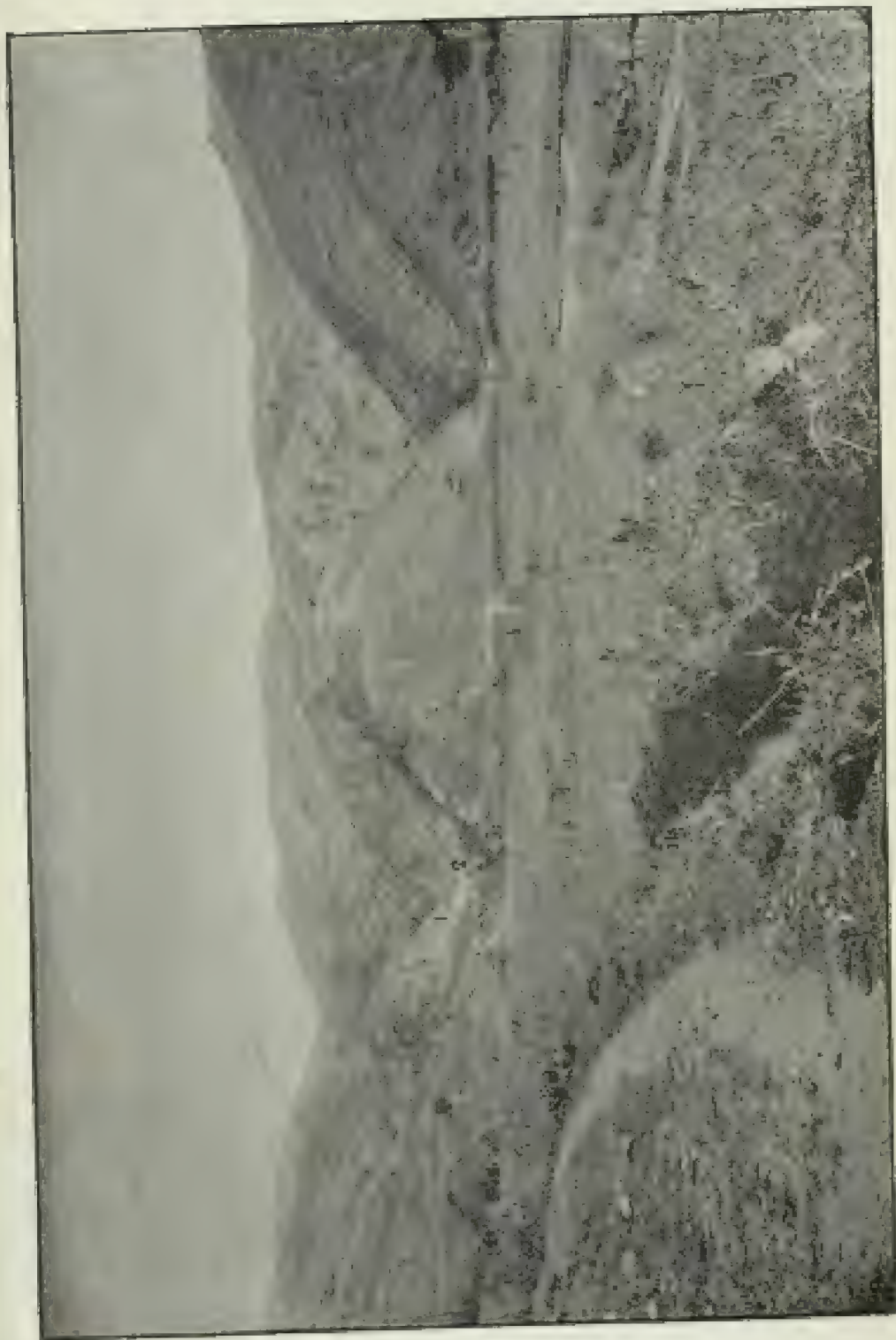
ولعل انطلياس مشتقة من الكلمة اليونانية ( ἀνθράκω ) اي مواز للشمس لان انطلياس تقابل الغرب بينما تواجه بيروت جهة الشمال . وهذا الشرح لا يتجاوز حد

(١) راجع تاريخ الفينيقيين Movers : *Phœnizier*, 1, 262 et 666,

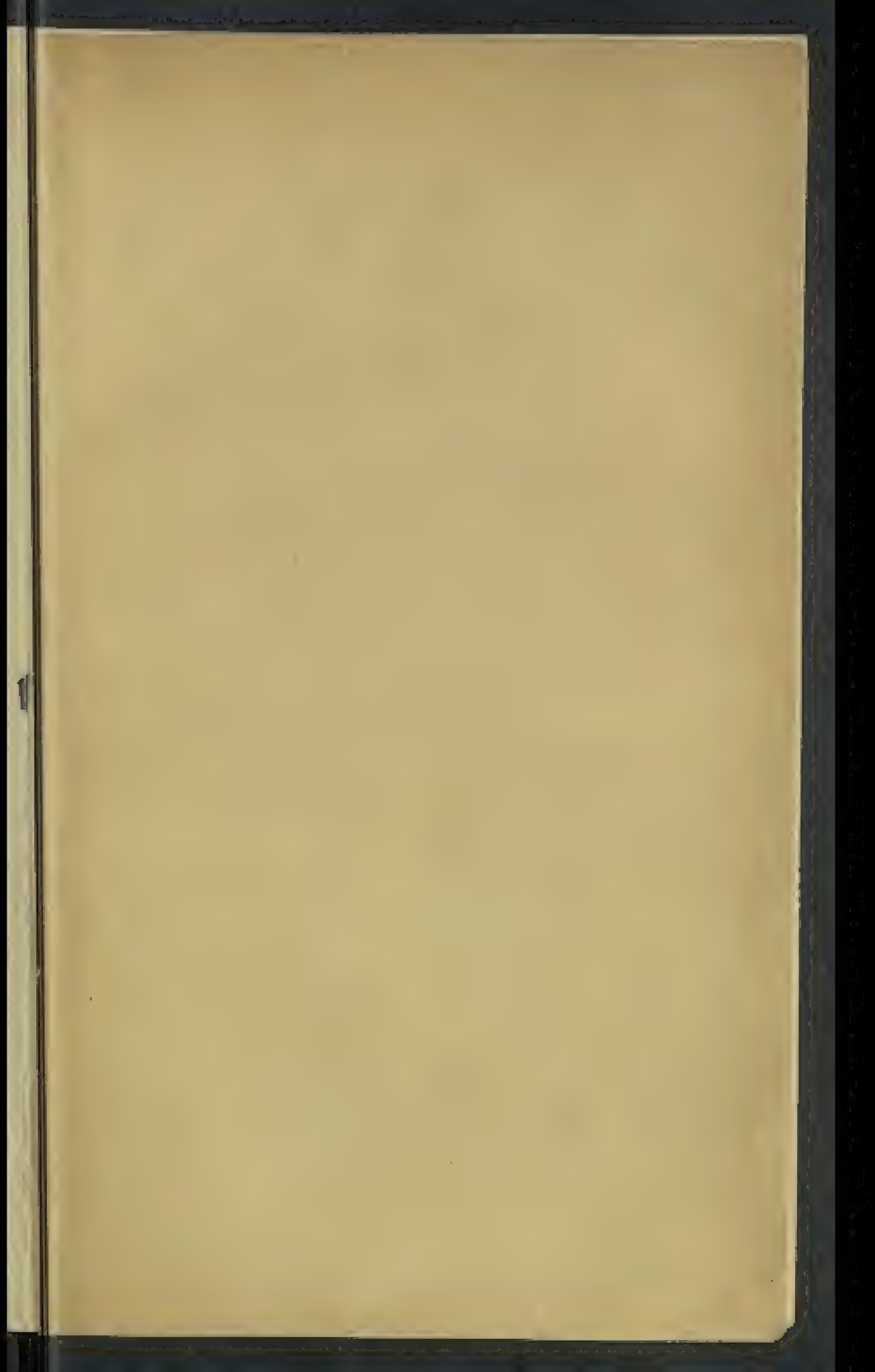
(٢) راجع مجلة العاديات 1, 13, Note 1, *Revue Archéologique*, 1878,

(٣) راجع Rey : *Colonies franques* p. 524,





جوار محطة القطر - المارة والبيع





الحضن والرجحان . وعلى كل حال ان انطلياس قرية قديمة العهد يشهد بقدمها ما وجدته علماء العاديات من الآثار الجليلة كعماميد ذوات حجر واحد من الوُحام الحُجُب ونواويس وبقايا بنايات قديمة . فلا شك ان العهد يدل ان ثبُت كان هيكلا للعبادة كما ان النواويس المكتشفة تشهد بوجود مذبح قديم وبقايا الابنية تبين وجود القرية القديمة سواء تدعى بانطلياس او باسم آخر مفقود

وموقع انطلياس حسن جداً لا بد انهُ استلقت منذ قديم الزمان انظار الالهين فسكنوه وعشروه ولا نطق ان قراءة نسوا ما كتبه في اعداد المشرق (١٠٤:١) حضرة الاب زمرقن بخصوص محطة انطلياس القديمة وما وجد فيها من الآثار التي تقدمت عهد التاريخ . والذي حمل الاقدمين على ايثار انطلياس وقضيلها على ما سواها انما هو نهرها ذو الماء العذب الالال الذي يولي البقعة المجاورة للضيعة نضارة وخصباً

وكانت السكة الرومانية الواصلة بين نهر الكلب وبيروت تجدي سكان انطلياس منافع جنة فسهل لهم نقل كل خيرات المدينة ولا غرو ان الرومان اقاموا هناك نصباً للدلالة على المسافة بين بيروت والقرية التي نحن بصددتها وهي مسافة خمسة اميال اي نحو سبعة كيلومترات ونصف

فهذا جلي ما نعرفه الآن عن انطلياس . وقد زعم البعض ان هذه الضيعة هي مدينة لاونتويوليس القديمة (١) وهو رأي واهن لا يمكن اثباته ببرهان صحيح . والصواب ان لاونتويوليس كانت في جنوبي بيروت على طريق صيدا .

## ٢ صربا وجونية

ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوه الاقدمون ليكوس ومعناه الذئب وتسير مدة فتصل الى ضيعة موقعها شمالي النهر تدعى صربا وهي منتصبه فوق الصخور الشرقية على خور جونية . وهو شرم في البحر يُعبد من احسن خالجان سورية ولو اراد احد ان يحوله الى مرسى لتهيأ له ذلك دون مشقة . وليس في كل ساحل الشام من غرة الى الاسكندرية ميناء طبيعي سواء . وهو في جهته الشمالية

عميق القور فلا بأس على السفن اذا ألقت هناك مراسيها لان هذه الجهة الشمالية آمن من الجهة الجنوبية التي قعرها رمل . وخور جونية بمنزل عن الرياح الخطرة الشديدة المهبوب كريح الشمال وريح الجنوب والصابا . ومع كل هذه الخصائص بقيت جونية قرية لا يُعبأ بها مدة اجيال طويلة ولا علة لذلك سوى صعوبة الوصول اليها وانحصار اطرافها بين جبال عالية تطل عليها شرقاً ومضيقي نهر الكلب والمعاملتين شمالاً وجنوباً . وعليه لم يسكنها ان تنبسط في السهول الجاورة وتوسع نطاق ارباضها كغيرها من المدن مثل بيروت وطرابلس وصور وصيدا .

ورغمًا عن هذه العوائق قد اخذت جونية منذ أمد قريب تحفل بالسكان وتريد اتساعاً . وقد نالت نصيباً كبيراً من الحظ منذ أنشئت السكة الحديدية على ساحل البحر ألا أنها تفتقر ترقى في معارج النجاح الى شينين اعني الى مياه عذبة يجلبها اليها اهلبا من احد الينابيع القريبة والى بعض تحسين سهل في مرفأها بأن يجعل له رصيف لنقل البضائع الى البر ونزول الركاب وتعميق بعض اطراف الخليج . فلو اخرج اهل جونية هذه المشروعات الى حيز العمل لاضحت بالقدرة من ابهج البلاد واشبه شي . مع صغرها برفاً نابولي المحدود من ابداع مثانه الدنيا

هذا ما يختص بخور جونية اما البلدة نفسها فقد اشتق اسمها من خليجها فدُعيت بجونية جونا أو خوراً . ولها ذكر في تواريخ القرون الوسطة . وكانت في الامم ياقوت الرومي من اعمال طرابلس (١) . وقال الادريسي (٢) وهو من كتبة القرن الثالث عشر : " ان جونية حصن على البحر واهله قسارى يعاقبة " . وذكر لها في محل آخر كورة (٣) وذلك بما يشير بنوع جلي الى اهميتها . وقد ورد ايضاً اسم جونية في تأليف الصليبيين وهم يدعونها جوينة (Juine) . اما قدماء الجغرافيين من اليونان والرومان فلم يرووا شيئاً عنها ولا عن صربا التي كانت تُعَد من ارباضها متعلقة بها . ولذلك لم نَرَ نحن ايضاً ان نفضلها عن بعضها

قال بليانيوس الطيبعي : " ان بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس

(١) معجم البلدان (٢ : ١٦٠)

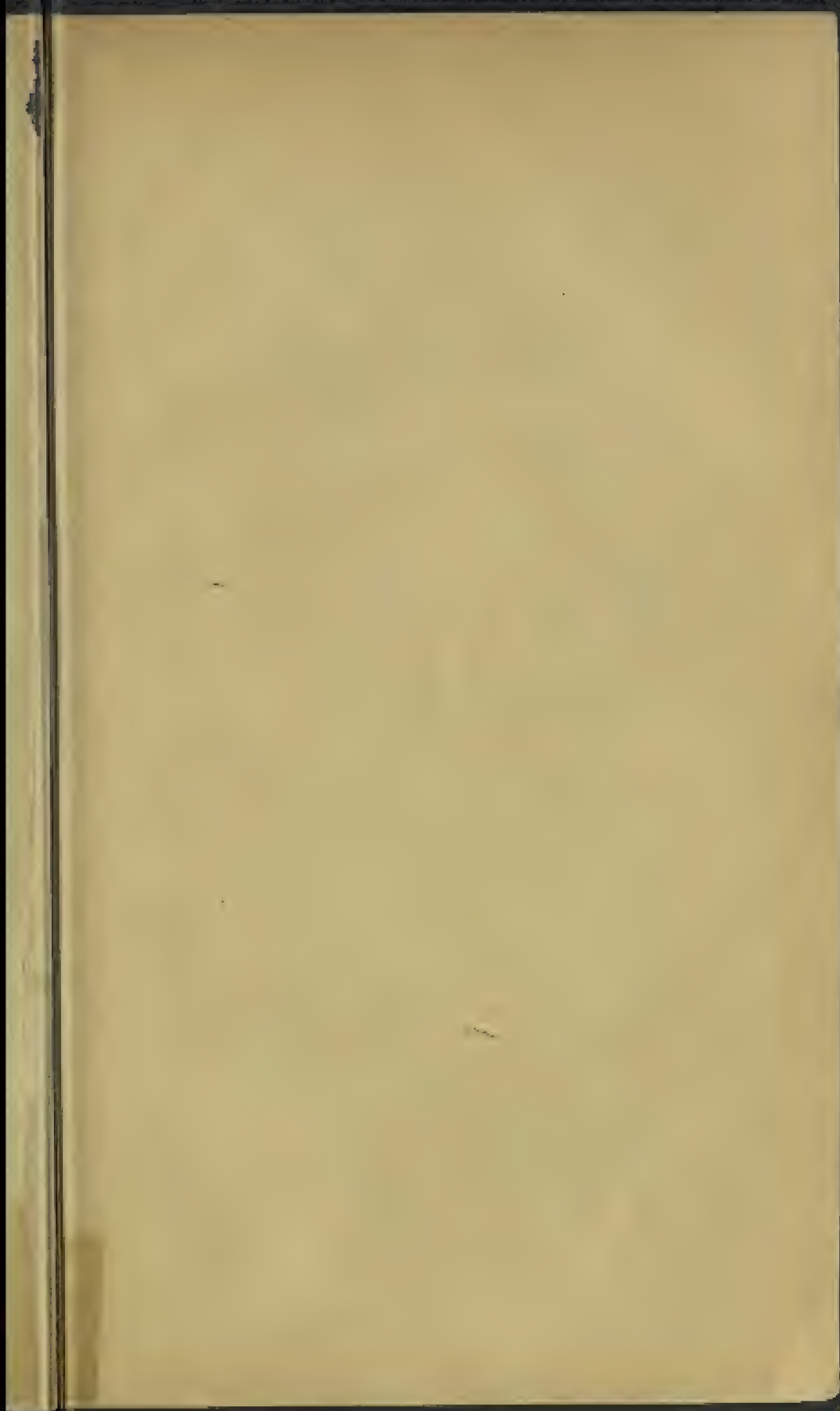
(٢) راجع طبعة غلدستون ص ١٢



مدخل مغارة الطلاس









(نهر ابرهم) مكاناً يُدعى باليبيلوس (Palæbyblos) « . و زاد عليه ايضاً  
اسطرابون الجغرافي قال : « اذا سرت من بيلوس (جبيل) جنوباً تلقى في طريقك  
اولاً نهر ادونيس ثم جبل كليمكس (Κίμικος) ثم بعدها باليبيلوس واخيراً  
نهر ليكوس » . فاذا اعتبرنا كلام اسطرابون لا نجد بين نهري الكلب وابرهيم سوى  
محلين احذا هما في الزمان القديم شهرةً بعدد سكانها وهما « برجا » و « جونية  
صربا » . وما من موقع الاهما يحسن ان يكون مربوطاً للسفن . وتعين المراقى  
كما لا يخفى من شأنه ان يبين موقع المدن الفينيقية القديمة فخذق الفينيقيين بفن  
الملاحة وتفرغهم للتجارة (١)

واول ما يفيدنا اسطرابون ان باليبيلوس هذه في جنوبي جبل كليمكس فاذا  
تحققنا موقع هذا الجبل استدللنا ايضاً على مكان باليبيلوس . ونظن ان الجبل  
الذكور هو الجبل المشرف على البحر في شمالي جونية بقرب المعاملتين وهو عبارة عن  
صخور مرتفعة يمر في وسطها طريق الساحل . وتسمية اسطرابون لها بكليمكس موافق  
جداً لان كليمكس (Κίμικος) باليونانية معناه المرتقى والدرج . وقد آثر بعض  
العلماء (٢) رأياً آخر في تعيين جبل كليمكس فقال انه هو الجبل المشرف على جونية  
الذي تعلوه قريتا حريصة وغسطا . ومما فيه من المراقى الصعبة اشبه شيء بدرج  
السلم فدعي لذلك كليمكس . وكلا الرأيين محتمل فندع اقراننا ان يرجعوا الواحد  
على الآخر وبناء على هذين الرأيين لا بد من القول ان باليبيلوس هي صربا لوقوعها  
في جنوبي جبل كليمكس

ولا غرو ان يكون موقع جونية وصربا استلقت منذ القدم انظار الفينيقيين  
وهم في حاجة الى نقل بضائعهم بحراً . وعلاوة على ذلك اننا نعلم ان اكثر المدن  
الفينيقية كانت مبنية في سالف الزمان على تَشُوز او على رُوزوس تشرف على البحر  
كما ترى في جبيل وصيدا وبيروت وصور وهلم جرا . فلا ريب اذن ان صربا

(١) راجع مجلة المباحث (Études, 1861, p. 524) وفيها مقالة ذات شأن في آثار  
سورية للاب يوركنو اليسوعي . الا اننا لانوافق كاتبها في رأيه عن باليبيلوس . وسأني ذكر  
هذا المبحث في معرض كلامنا عن برجا

(٢) راجع مجلة العاديات 13 et 15, 1878, Revue Archéolog.

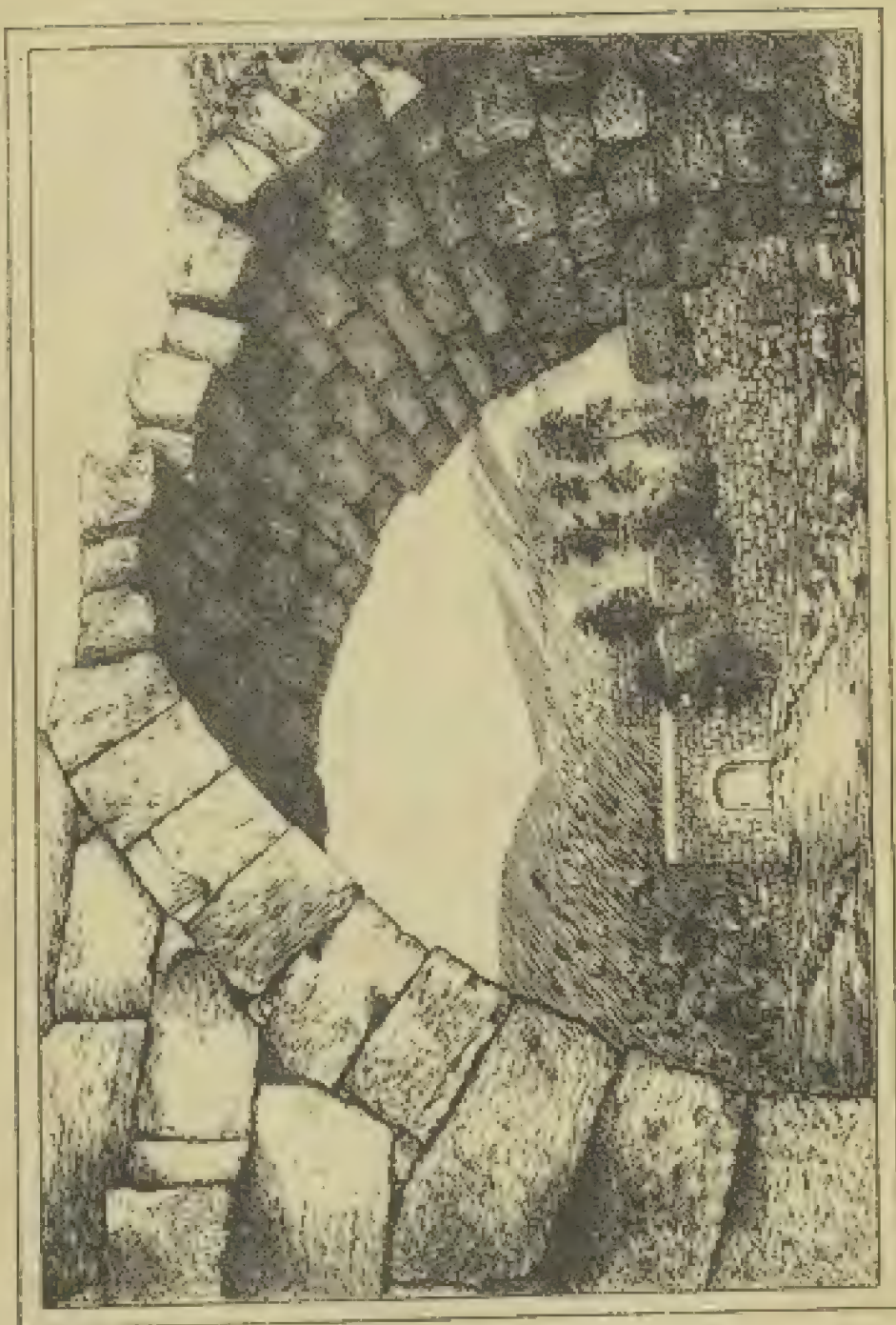
وجونية اضحاً قديماً مقاماً للفيلقيين ومرفأ لسنهم  
وما وجد في هذه السنين الاخرة من الآثار القديمة بصربا يؤيد رأينا . إلا ان  
البنائات الحديثة قد أغنت كثيراً من تلك البقايا الخلية التي وصفها السياح منذ بضع  
عشر سنين . ومن هذه الآثار مغارة يكرم فيها اليوم القديس جرجس ويظهر انها  
كانت سابقاً هيكلًا لعبدة الاصنام . ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو  
مدفن قديم . ومنها ايضاً قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الاثرية الدارسة  
ولكن اعظم هذه الآثار قلعة صربا التي لم يبق منها غير قسمها الاسفل وهو  
عبادة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة . وكان سابقاً بحوار تلك العبادة  
العمدة ورؤوس العمدة وبقايا أخر من هيكل قديم (١) لأن هذه القلعة كانت معبدًا  
لأوثنيين ولعلها كانت مخصصة لعبادة سيرابيس . وقد اثنى الكاتب كولن شكليدي  
( Ceccaldi ) اسم صربا من اسم سيرابيس الى هذا الهيكل . وقد اكتشف ايضاً  
في صربا وجونية على مسكوكات فينيقية وقنايل وكتابات من جملتها كتابة يونانية  
في ركن بعض القنايل كتب فيها ( Ζεύς εὐστροφίης ) اي « المشوي السماوي »  
فيظهر اذن مما تقدم ان جونية وصربا شيدتا في موضع مدينة قديمة يرجح انها  
بالييلوس وكان معظمها فوق الصخور في محل صربا وكانت جونية كرفلاً لها منذ  
ايام الفيلقيين

### ٣ نهر الكلب

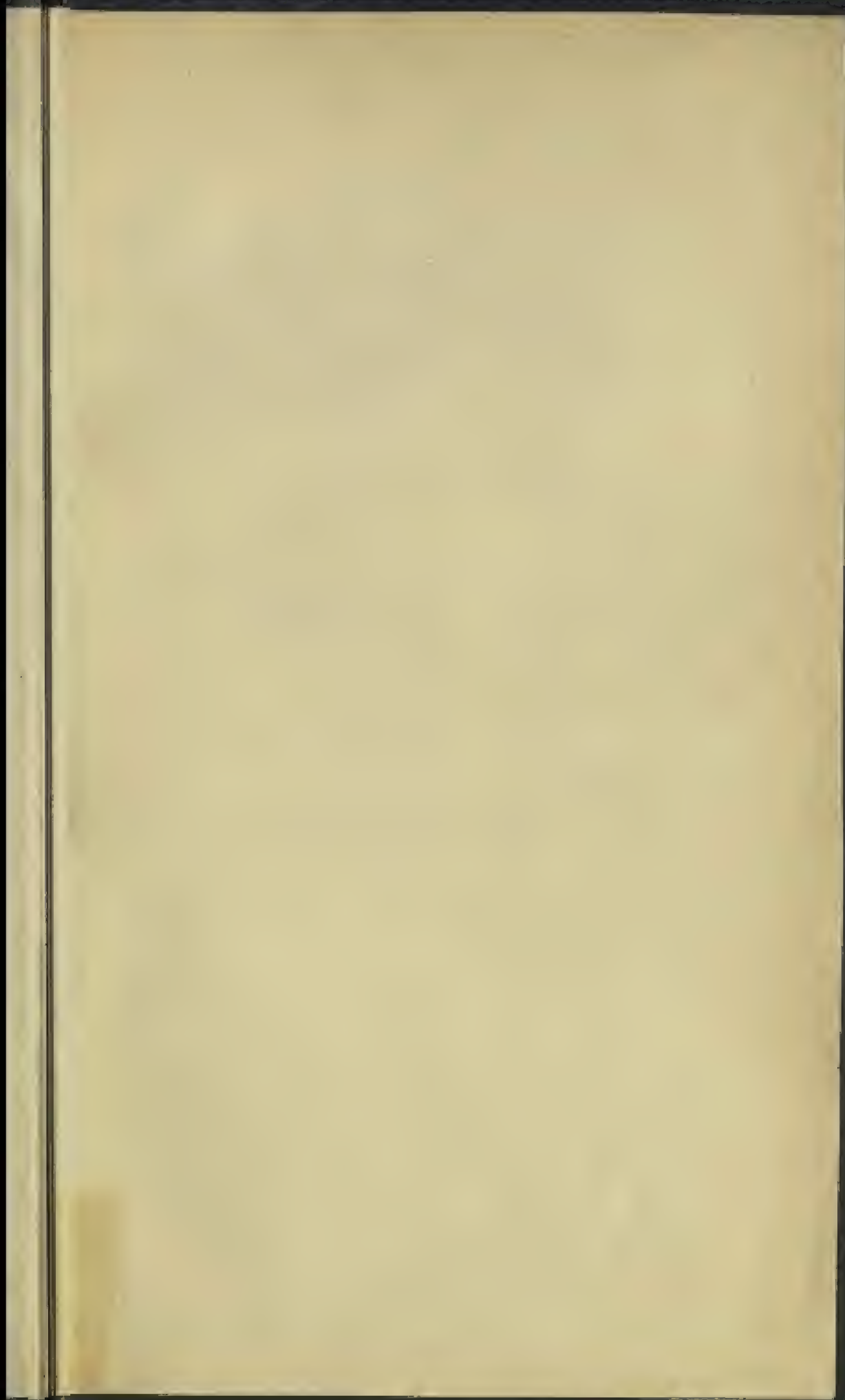
ان طريق جونية كما ذكرنا في مقالاتنا السابقة يقطع نهرًا حاليًا ورد ذكره في تاريخ  
سواحل فينيقية وهو نهر الكلب . وليست خطارة هذا النهر بعمق غور مياهه او  
طول مسافة سيله لأن أصله كما لا يخفى من مغارة في سفح جبل جعيتا تبعد عن  
البحر ستة اميال فقط وتختلط مياهه عند خروجه بالمياه المنحدرة من اعالي لبنان من  
نبعي اللبن والنسل فيجري من ثم مرغياً مزيداً حتى ينتهي الى البحر فيصب فيه .

(١) وقد نقل البشاورون كثيراً من هذه الحجارة فالتدوعا للبنائات المستحدثة كما فعلوا  
في دير القلعة . وهذا امر لا شك يوسف عاين فاذا داوم الاهلون على خرقهم في تحطيم هذه  
الرسوم لم يبقوا عملاً قليل في لبنان شيئاً من الآثار القديمة





جسر العامتين الروماني





وانما لنهر الكلب شأن في تاريخ الفتوحات العظمى القديمة لأن عند مصبه مضيقاً لا بد من قطعه لمن حاول المرور في سواحل سورية ولذلك اذبح هذا المكان في كل الازمنة كالأقرب به اصطلت نيران الحروب بين الماوك الفاتحين وسكان البلد المدافعين عن وطنهم

وقد قدمنا ان اسمة باليونانية « *Κόλλος* » اي ذئب فغرب بنهر الكلب ولكن أتى في هذه التسمية وما سبب هذا اللقب ؟ نجيب ان الاقاصيص الشائعة بين العامة تروي عن اصل هذا الاسم اموراً غريبة منها ان كلباً هائلاً كالقوئل كان يحرس هذا الممر الحرج فلا يدع احداً يجتاز ما لم يحمل له هزراً يعرضه عليه . وهذه الرواية اشبه شيء بحكاية اليونان عن ابي الهول ( *Sphinx* ) الذي كان يقترس من لم يستطيع الى فك احاجيه سيلاً . ومنهم من زعم ان النهر دعي كلباً لأن الوثنيين قديماً نصبوا هناك صنماً على هيئة كاسر يعبدونه ويدعون أنه اذا وافاهم العدو ينسج الكلب فيحذره من هجماته . ويقولون ان بعض الصخور المجاورة للنهر تمثل جسم هذا الصنم بيد ان رأسه قطع فألقي في البحر . ولا نظن ان في هذه الاحاديث شيئاً من الصحة لأن العلماء لم ينفقوا بعد البحث على اثر للتسائل المذكور فضلاً عن ان الكتبة الاقدمين لم يذكروا شيئاً من امره . والرأي الصواب عندنا ان النهر يسمى ذئباً او كلباً لصخابة صوته عند انصبابه في البحر حيث تصطدم مياهه بالامواج المتلاطمة فيسمع له دوي عظيم (١) ويشبه هذه التسمية اسم الليطاني الذي دعاه القدماء نهر الاسد ( *Λέωνος ποταμός* ) فغرب بالليطاني وهو الذي يصب في البحر بين صور وصيدا . ويسمى عند مصبه نهر القاسمية

وبالقرب من النهر آثار الطريق الرومانية التي كُتبت في وسط الصخور المطلة على النهر جنوباً وقيل ان مرقس اوريليوس انطونينوس الملك (٢) بين سنتي ١٦٧ و ١٨٠

(١) راجع Ritter : *Erdkunde*, XVII, 92 ولهذا المؤلف تفسير آخر لا حاجة لذكره هنا

(٢) قد وهم الشيخ شتوس شدياق في اخبار الايمان في جبل لبنان ( من ١٦ ) اذ نسب هذا التشريع الى انطونيوس فيصر في سنة ١٢٧ و الصواب كما ذكرنا . والشاهد على ذلك كتابتان عند مضيق نهر الكلب يذكر في الاولى عبيده للطريق

وتر هذه الطريق ووسمها فدعاها باسم « Via Antoniniana »  
 أما الجسر فكان سبقة الى بنائه انطيوخوس الاول المعروف بسوتير ملك  
 سورية في سنة ٢٥٠ قبل المسيح ثم هدم وأصلح مراراً (١) . والمعبر الذي يُعرف  
 اليوم بالجسر القديم هو الذي أقامه السلطان سليم خان الاول فاتح الشام كما  
 يستدل على ذلك بكتابة عربية رُقست في عهده ثم جدد بناءه امير لبنان الشهير  
 بشير الشهابي الكبير . وقيل ان الجسر الباقى هو جسر ثلث قصبة الامير بشير  
 بقرب الجسر الاول بعد هبوطه (٢)

ومن الاخرى القديمة ما تراعى على الضفة الشمالية من الآثار وهي بقايا قناة عظيمة  
 كان الرومان بنوها لنقل المياه الى السهول الواقعة بين نهر الكلب وجونية وقد  
 اتخذها اصحاب الارزاق في ايماننا جلب الماء الى طرابلس  
 هذا على ان في جوار نهر الكلب آثاراً غير المذكورة آنفاً لها في تزيين فينيقية  
 اعظم شأن . ومن غريب الامور ان كثيرين من الكتبة الى اواسط هذا العصر  
 انكروا وجود هذه العاديات (٣) مع انها مكشوفة العيان يراها كل ابن السيل .  
 وانما يعود الشرف لاثبات وجودها وبيان اهميتها للمرسل الشهير الاب مكسيميليان  
 ريلو اليسوعي (٤) . فنقل رسوماً بكل دقة وبعثها علماء اوربة ليجدوا في شرحها  
 وهذه الكتابات او الآثار القديمة عبارة عن خمسة عشر اثرًا اربعة منها خطوط  
 اشورية بالقلم السامري وجدت سنة ١٨٨٢ تحت القناة الرومانية فوق الخيض باثني  
 عشر مترًا على مقربة الجسر الجديد بميل قليل الى الشرق . لكن هذه الكتابات  
 مضموسة لم يستخلص بعد منها فائدة تذكر

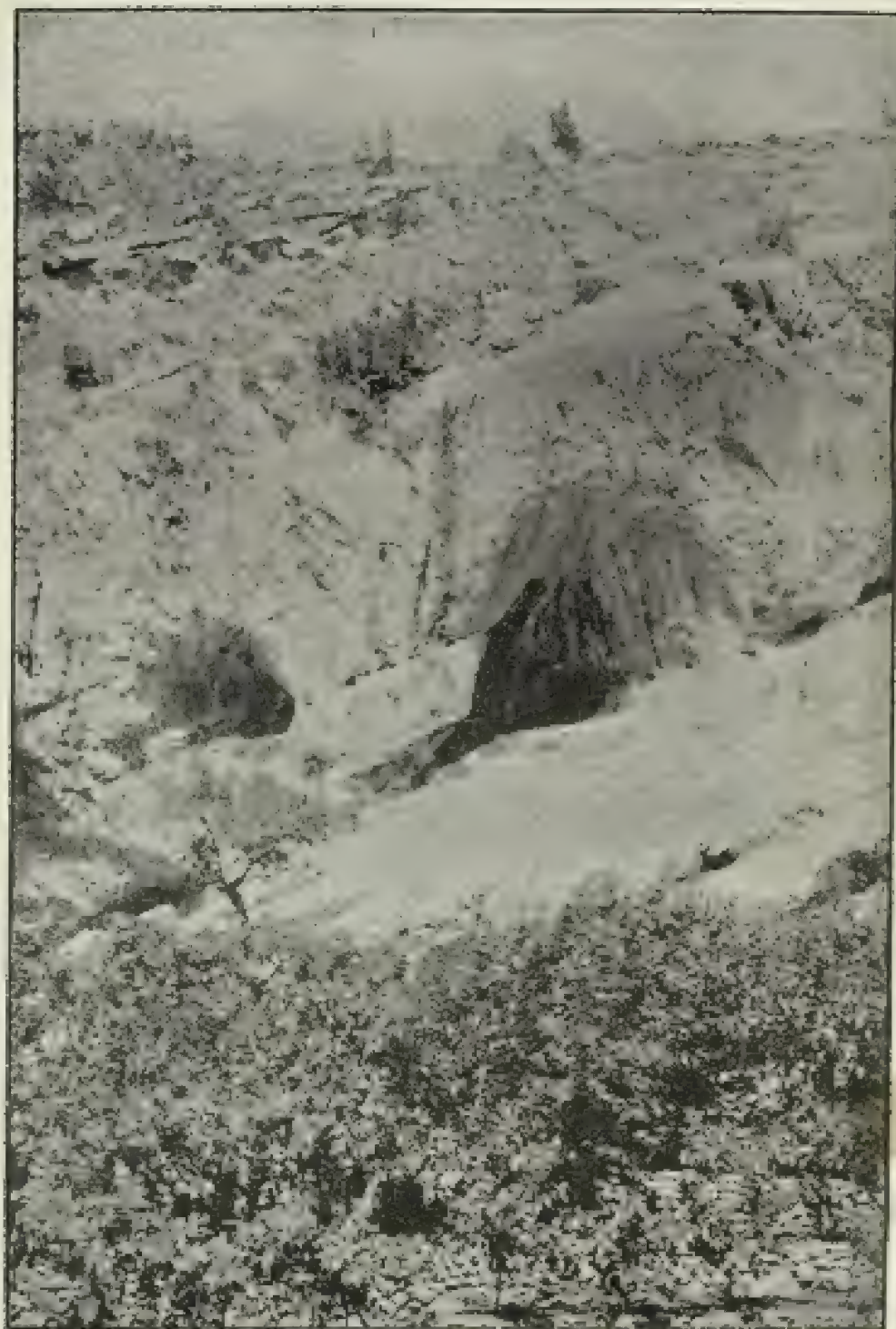
(١) ومن جملة من اصلحوا هذا الجسر سيف الدين ابن الحاج ارطاي النصوري سنة ١٢٩٢

(٢) راجع اخبار الاعيان ص ١٧

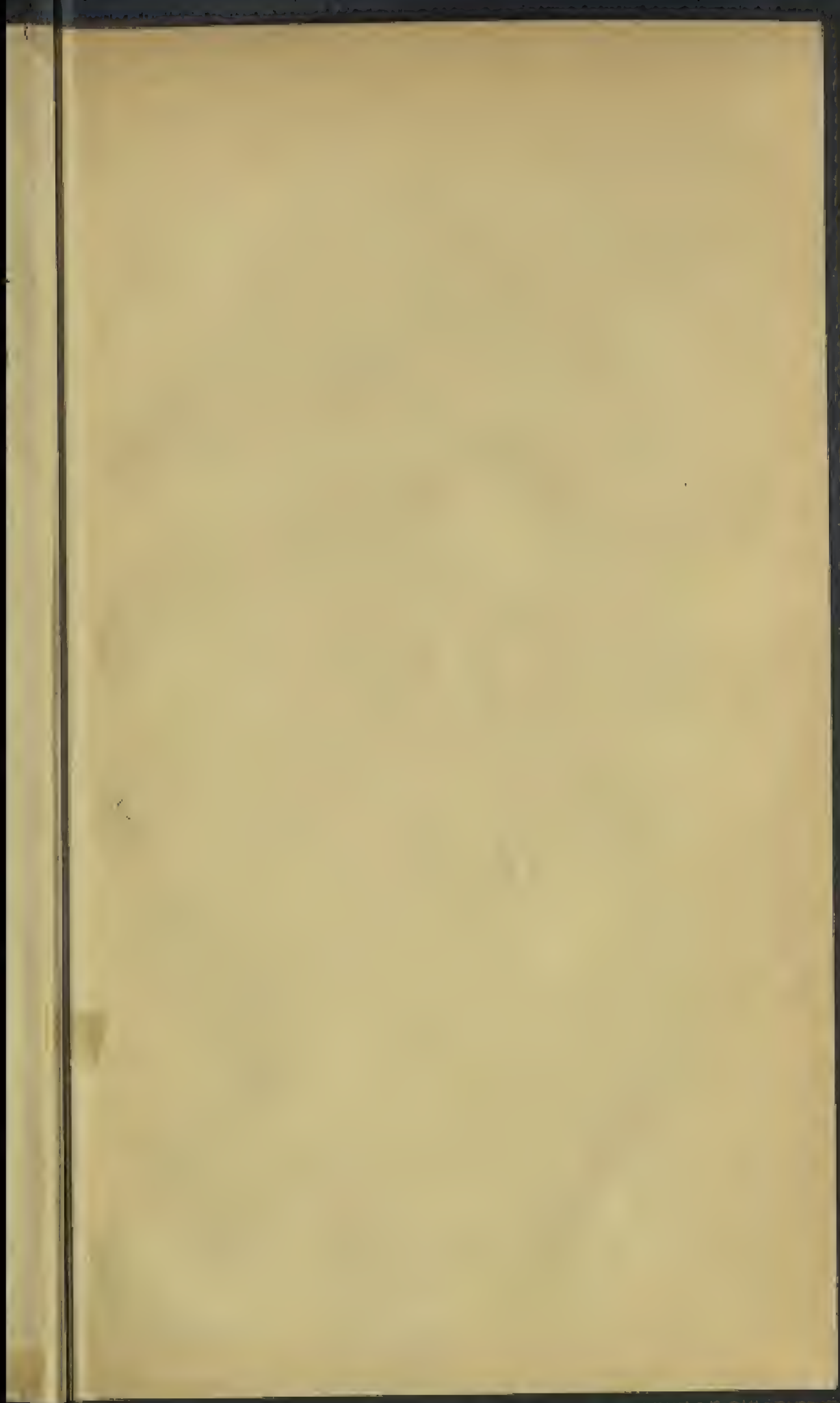
(٣) لو جمعنا كل ما كُتب في هذا الخصوص للمدافعة عن وجود كتابات نهر الكلب  
 او انكار ذلك لحصل من هذا المجموع كتاب ضخم الحجم (راجع مجلة العاديات سنة ١٨٩١  
 ص ١٦٩) وما يزيدنا عجباً ان العلامة د. سوي الكاتب الشهير لم يقتنع بوجودها مدة سنين  
 كثيرة مع انه اجتاز بفرجها في غضون سفره الى الشرق

Ritter, XVII, 534 (٤)





مدخل مغارة جبيتا ومنع غمر الكلب





أما بقية الآثار فوقها على الضفة النهر الجنوبية وهي إحدى عشرة كتابة ما خلا الكتابين اللاتينيين المذكورين سابقاً

١ فأول هذه الكتابات وردت على صفحة قديمة كبيرة بالقلم المصري الهيرغليفى تتضمن مقدمة لاله « فتاح » المصري . وهي الصفحة التي نقش عليها ذكر البعثة الفرنسية التي وردت الشام في سنة ١٨٦٠ وهذا الخط الفرنسي مع حداثة عهده كاد ان يطمس رسنه مع بقاء كتابة مرقس اوريليوس بعد ستة عشر قرناً

٢ والكتابة الثانية بالقلم السامري موقعها بجانب الطريق كالاولى وهي تمثل صورة ملك اشوري رافعاً يده

٣ ويقرب هذه صورة اخرى اشورية توارى معظم رسمها فلا يُرى منها سوى الرأس

٤ واذا صعدت نحو عشرين متراً فوق الطريق القديمة الشرفة على السكة الرومانية تجد صورة اخرى اشورية طامسة الاثر

٥ و ٦ ثم هناك ايضاً كتابتان يونانيتان ذهب الدهر بحروفها فلا يرى منها الا اليسير . وقد زعم دليل بيدىكر (١) ان احدهما لاتينية والصواب كما قلنا

٧ وتليها صورة اخرى اشورية

٨ ثم نُصب مصري يمثل أحد الفراعنة منتصباً يقرب قربانه لاله الشمس « راع »

٩ وفي تلك الجهات ايضاً كتابة اشورية مع صورة مالك وكلاهما قد صير على غابر الدهر

١٠ ثم رقيم مصري فيه صورة بعض الفراعنة والاله غمرون

١١ واخيراً صفحة متقنة الرسم تمثل ملكاً اشورياً ذا حلية طويلة مجعدة لابساً رداءً سابغ الذيل وعلى رأسه تاج ملوك اشور وفي يده اليمنى مقصرة يسندها الى صدره

(١) راجع دليل بيدىكر الطبعة الرابعة ١٩١١ ( Baedeker, p. 331 )

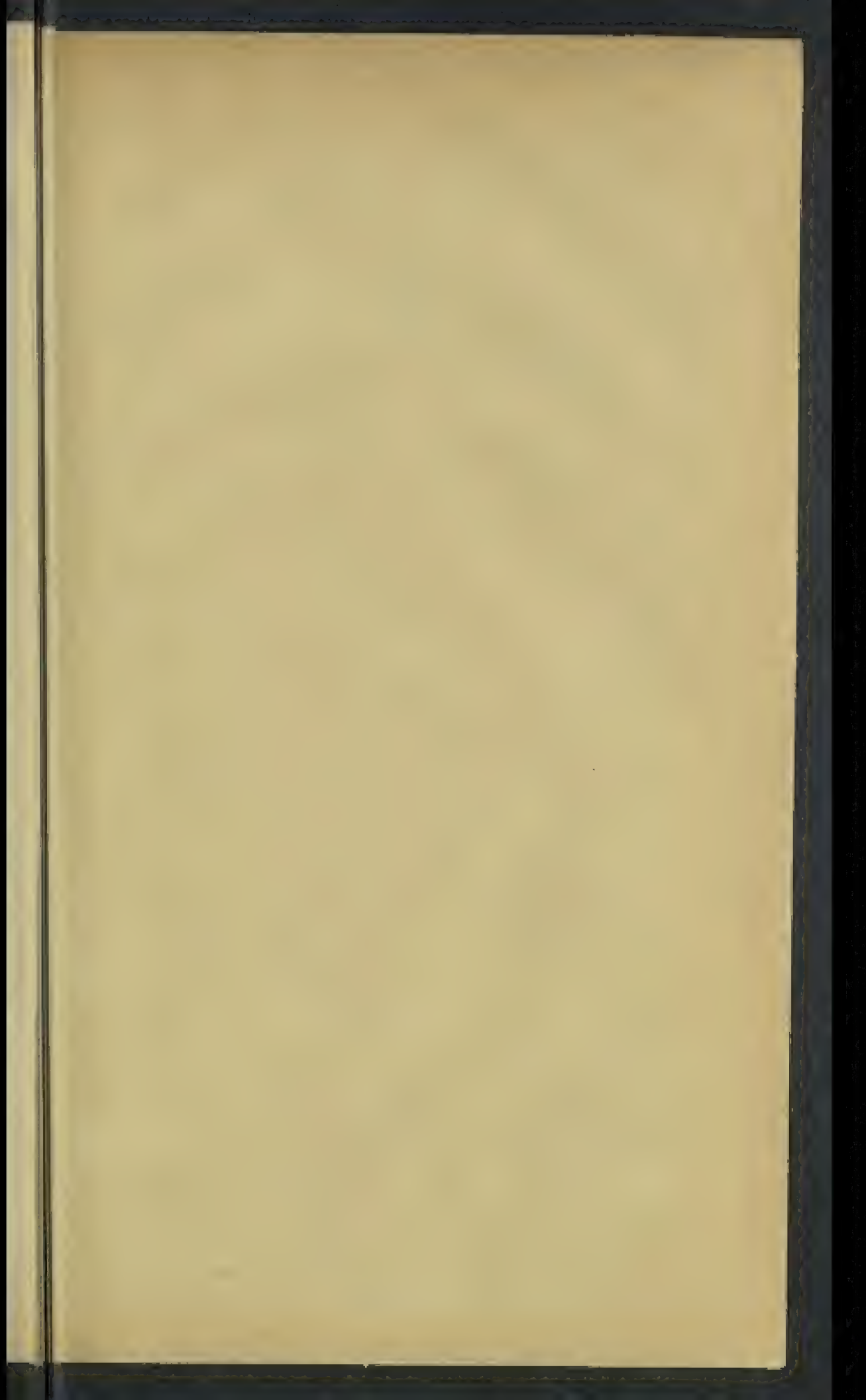
فأقدم هذه الكتابات هي الخطوط المصرية التي أمر برقمها رعمسيس الثاني  
فرعون موسى المعروف عند اليونان بـ سيسوستريس وذلك في آخر القرن الرابع عشر  
قبل المسيح يصف فيها غاراته وفتوحاته العديدة (راجع المشرق ٨٨٨٢١ و ٨٨٩٠)  
أما الكتابات والصور الآشورية فقد اختلف العلماء في تفسيرها قيل إن أحدها  
تقل سنحاريب ملك بابل الذي ذكرت التوراة غزوته وسر منقلبه نحو سنة ٧٠١  
قبل المسيح . والآخر أن بقية الصفائح تتضمن صور الملوك الآشوريين تغلات  
فلاسر الأول و سليمانصر الثاني و اشور بنينبال . وفي كتاباتهم المكتشفة حديثاً في  
بابل قد بالغوا في وصف غزواتهم لا سيما فتوحهم للشام وقهرهم لسواحل فينيقية .  
فتسكون إذا هذه الصفائح دليلاً على مرورهم في هذا المضيق وقد كاد أغلبناهم  
وبقي هذا المضيق في يد عمالك شئ كثيرة إلى أن اجتازهُ الطيوخوس الكبير  
والجأ جيوش البطالسة أن يفرّوا أمامه هاربين . وفي تاريخ الصليبيين تكرر أيضاً  
ذكر مضيق نهر الكلب ولم يكن للفرنج مناص من عبوره في سيرهم على ساحل  
البحر . ومما يجدر أن يلاحظه الأول لما سار من أنطاكية إلى اورشليم ليخلف أخاه  
غندفريد في الملك كاد يذوق في هذا الممر كآس الشدة لولا حذقة وشجاعة فرسانه  
وجاء في معجم البلدان ياقوت (١٧٤٤) أنه كانت قلعة فوق رأس نهر  
الكلب (١) ولا غرو أن ملوك الشام حصنوا هذا المركز النبع لدفع هجمات المعتدين  
ومن غريب ما ذكره الجغرافيون أن أهل الرواد كانوا يقطعون نهر  
الكلب بسفنهم فيصعدون إلى داخل البلد . ولعلنا شبه الأمر على اسطرابون لأن  
هذا النهر كثير الضفاد لا يتخلو من العقبات سوى عند مصبه . وليت شعري ما الفائدة  
من الصعود في نهر قصير المسافة لا ترى على جانبيه ضيعة مأهولة (٢) . ومن المحتمل  
أن هذا النهر كان واسع الأطراف عند مصبه فكانت السفن ترسو عنده كلها في ميناء .

(١) ويقول ياقوت أيضاً أن هذا الحصن يبعد ستة أميال عن المرداسية على مسافة ثمانية  
أميال من بيروت . وكذا ورد في ترجمة المشايخ للدريسي (ص ١٧ ed. Gildemeister)  
فيوضح من قولها أن المرداسية بين بيروت ونهر الكلب بيد أننا نجعل موقع المرداسية هذه .  
وبروي : المرداسية





باطن مغارة جينا ومنبع خر الكلب





فتصونها من الرياح الصخورة المنتصبة في جهتها الجنوبية . ولا يبعد أيضاً القول ان سفن البحارة الاقدمين كانت تنقل من ثم خشب الارز بعد قطعه في قسم الجبال ودفعه على وجه المياه الى هذا المكان (١)

ويصرف على نهر الكلب من جانيه قرية بلونة ودير طاميش والظاهر ان في مركزيهما كان هيكل للاصنام فتكون بلونة تصحيف اسم الاله ابلون (Abalon) وطاميش منقولة عن اسم الاله الطاميس (Tapamis) وهي المعروفة أيضاً باسم ديانة . وقد وجدت أيضاً مدافن قديمة قريباً من عين طودة

## ٤ دير القلعة

ان آثار الاقدمين في مشارف لبنان ليست باقل شأناً منها في سيف البحر فها هنا أيضاً القاري اللبيب قبل تعقب البحث عن غايات الساحل ترقى الاعالي لاستقراء بعض هذه الآثار

وليس في جوار بيروت من هذا القبيل مكان اخلاص شأناً واحسن مقاماً من الابنية المعروفة اليوم بدير القلعة . وهذه الرسوم القديمة موقعها بقرب قرية مشهورة اسمها بيت مري تعلو فوق سطح البحر نحو ٧٣٠ متراً في شرقي بيروت على مسافة ١٨ كيلومتراً منها واليهما يتقاطر اهل المدينة في وقت اشتداد القيظ عند الساحل وليست مري اليوم طريق يوصلها بيروت تجري عليه العربات غير ان من يركبها يكابد عناء عظيماً ويلتحف بشوب من النخلة تشبه قوائم الخيل ودواليب العربات . وما ذاك الا لئلا الاعتناء بتوسيع الطريق ورضها بالحجارة . فتراد من آثارنا مراراً الصعود الى بيت مري مشياً مع علمنا ان في المشي نفعا للصحة ونزهة للابصار فان العين تفر هذه المناظر الجميلة والاذن تراح لصدح الطيور ويتنسم المنشق الريح الطيبة في وسط غابات الصنوبر والشربين

وكان آخر مرة توقفاً الجبل للبحث عن آثار دير القلعة في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٨٩٩ صباح يوم هب نسيمة وصفا اديعة فابلغ بنا المسير الى غايتنا حتى اخذنا نسرح الطرف في بقايا هذه العاديات الخلية

والحق يقال أن من يسير بين تلك الرسوم الدائرة والطلول الدارسة لا يلبث أن يدرك ما كانت عليه أبنيتها القديمة من العظمة والبهاء قبل خرابها ولكن ترى ماذا كانت هذه العمارة القديمة التي تبنى بها هذه الآثار الطامسة المنبثة على مسافة كبيرة . ذلك سؤال لا تحويه كتب القدماء وتآليف المحدثين وإنما تحيينا عليه الحجارة نفسها فإن لها لساناً ناطقاً فصيح المقال . وإن نطقها إلا بالكتابات العديدة التي حُفرت فيها . فإذا أعملنا فيها نظر الفكر وقابلنا بين الافادات المتعلقة من مضمونها وهندسة هذه الآثار القديمة ثم عرضنا ذلك على ما نعرفه من تعبدات الفيزيقيين فلا جرم أننا نحصل على معرفة اصل هذه الابنية وغايتها ونجمل احوالها

ليس من اثر يفيدنا اسم دير القلعة القديم ولعلنا لا نتصل الى معرفته في المستقبل . أما اسمه الحالي فقد اطلقه العرب على آثار أخرى في انحاء سورية فأنهم يدعون بالقلعة كل بناء متسع الارعاء واثق الاركان محكم البنيان . وقد اخبرنا احد فضلاء الرهبان الذين يسكنون الدير المجاور لهذه الاخربة ان اسم هذا المقام « بيروت العتيقة » وجده في صك لمسيح ملكه كُتب في القرن الثامن عشر . فان ثبت على دير القلعة هذا الاسم صح عن بيروت ما اخبره بطليموس الجغرافي عن جبيل اذ قال انه كان لها مقام يُدعى جبيل العتيقة ( Palæbyblos ) وإن موقعه بعيد عن الساحل ( μακρόθεν ) . وهذا قول اوردناه هنا على علته ولا نجهل ان آراء العلماء متضاربة في تعيين مكان بيروت العتيقة بل في وجوده لكن تقليد العامة ربما كان دليلاً يهتدي به العلماء لمعرفة الآثار القديمة

وعلى كل حال لا يسوغ ان نقسب هذه الابنية لعهد سبق زمن ظهور النصرانية فان اقدم كتابة وجدت في هذه الاخربة كسر ها الرحالة سترين (١) ذكر فيها الملك « اغريبا » ترتقي الى نحو القرن الاول بعد المسيح وقد وقفنا الله الى اكتشاف كتابة نُقشت في حجارة هذه المباني ورد فيها اسم القيصر اديان في بدء القرن الثاني للمسيح . وليس مرادنا بذلك ان هذا المقام



كان قبل ذلك خالياً من الآثار . كلاً . فأنشأ على يقين ان الفينيقيين شيدوا فوق هذه المشارف معبدًا كانوا يحججون اليه او على الاقل مذبحاً او فصلاً في غابة كانوا يقضون عنده مناسكهم على مثال المشارف والانصاب التي ذكرها الكتاب الكريم (١) فن شئ نظن ان دير القلعة كان يقوم لبيروت مقام هيكل افنا جليل ومقام هيكل بيتوكيكي (٢) ( Baetocece ) ( حصن سليمان ) لجزيرة ارواد . وكما ان هذين المعبدتين سبقا النصرانية فكذلك تقدمهما معبد دير القلعة . وما يؤيد رأينا اسم الاله الذي عبده الرومان في هذا الهيكل فكانوا يدعونه بعل مرقد Baal ( Marcod وهو بلا شك اسم فينيقي

اما بقايا الهيكل الماثلة الى يومنا هذا فليس فيها ما يدل على مثل هذا القدم كما ان الكتابات لا تفني بذلك . واذا قابلنا هيئة هذه البنايات والمواد المتخذة لها وطريقة بنائها وجدنا انها تدخل في حيز الابنية المعروفة بالجيارية ( cyclopeens ) لضخمتها وكبرها . ولا يخلو هذا الهيكل من آثار عجيبة كأعمدة وحجارة عظيمة تضاهي بعض حجارة بعلبك وسواريتها . لكن اصحاب العاديات يتفقون اليوم على أن قدم الابنية لا يناسب دلتها عظمتها وكبرها بل رب بناء قديم صبر على عمر الزمان بخلاف عمارة اخرى احدث منها ضخمة الحجارة اخني عليها الدهر فطمس محاسنها

واذا اعتبرت هندسة ابنية دير القلعة لا ترى فيها شيئاً اختص به الفينيقيون دون غيرهم . والاخرى نسبتها الى الرومان لان منها تلوح طريقتهم في البناء ويمكن تعدادها بين الآثار الجليلية التي خلفوها لنا في القرن الثاني والثالث للمسيح وزجع كونها سبقت عهد هيكل بعلبك الكبير واذا تفقّدنا المباني المشيدة في قسمة هذه الروبة وقفنا على غايتها الدينية فان

(١) راجع مثلاً سفر الملوك الرابع (١٢ : ١٠) حيث ورد عن بني اسرائيل قوله : « واناموا لهم انصاباً وغابات على كل اكمة عالية ونحت كل شجرة خضراء »  
(٢) قد نفقّدنا آثار هذا الهيكل الذي وصفه العلامة راي ودوشو :

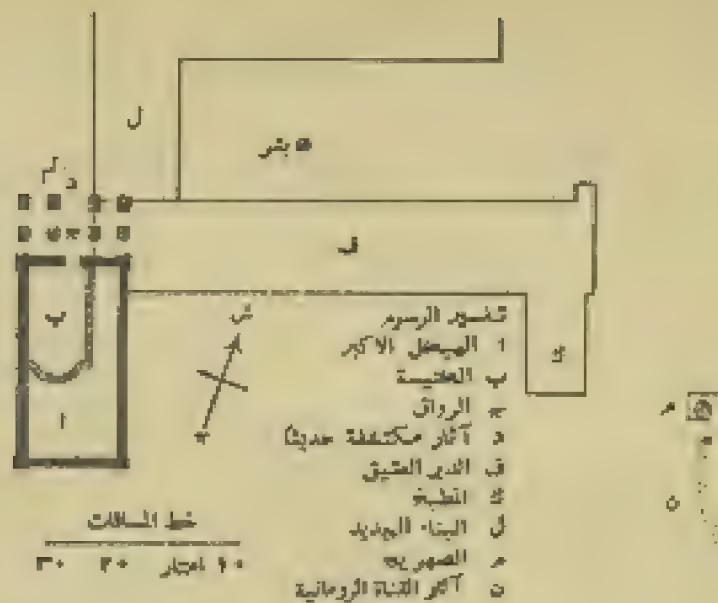
Rey : Archives des Miss. scient. III. 336 ; Dussaud : Voyage en Syrie, p. 15.  
Extrait de la Revue Arch. 1897.

هناك خطوطاً صريحة في هذا المعنى يُستفاد منها أنه بُني تَمَسَّت هيكل على اسم بعل مرقد (١) إله تلك الناحية . وربما دُعي هذا الإله باسم يوفاني ( *Yvany* ) لم يستدل أحد بعد إلى معناه . والعلماء الخطير كازموني غانو يظن أن هذه الكلمة تدل على اسم الإله الشخصي وأن « بعل مرقد » لقب عُرف به في هذا المكان . وألقابه كلها تأتي بعظم شأنه عند الفينيقيين وسموه بين مصاف الألهة الفينيقية . ويؤخذ من إحدى الكتابات المكتشفة هناك أن الها مجهولاً يدعى أرمنيوس ( *Armenios* ) بحث المتعدين له أن ينصبوا المذبح لبعل مرقد

ومعنى اسم هذا الإله وسبب تسميته بمرقد يُستخلص من أصل اسمه باللغة العبرانية وهي فرع من الفينيقية فإن « مرقد » مصدر يشتق من فعل *qaf* أي رقص وعليه يكون بعل مرقد إله الرقص والبسط . ولا يبعد أن هذا الإله هو نفس إله الرقص المعروف عند المصريين باسم « بيس » ( *Bes* ) وأن المصريين اتخذوه من الفينيقين . ومن الألقاب التي دُعي بها في الكتابات أنه ملك المآذب والولائم ( *Kōpave Kōpav* ) ولعل هذا الوصف دليل على أن قدماء الفينيقين كانوا يجتمعون بترب هذا الهيكل للقصص وتوفير أسباب الهناء كما يصنع اليوم في تلك النواحي بعض أصحاب الملاهي يحدون بذلك دون أن يشعروا حذر أجدادهم بيتاً في ما سبق أن الإله المعبود في دير القلعة كان اسمه بعل مرقد . فلما استولى الرومان على الشام أدرجوا هذا الإله الفينيقي في مصف الهتهم بل اعتبروه كأنه هو معبودهم الكبير « المشتري » لا يفرقه عنه إلا اسمه فشيدوا له ذلك الهيكل العظيم الذي حفره السوريون والرومان معاً . والكتابات اللاتينية التي فيها ذكر « المشتري بعل مرقد » كثيرة . وكان أهل بيروت المدعوة في ذلك العصر

(١) والكتابات منها يونانية عن سورة تقدمية ( *Kupio yvany Belpapavōdi* ) أو ( *Ovō Belpapavōdi* ) ومنها لاتينية يدعى فيها هذا الإله « المشتري بعل مرقد » ( *Jovī* ) ( *Balmarcodi* ) أو بالاختصار ( *Jovī Optimo* ) ( *Measimo* ) ( *Balmarcodi* ) - راجع : Waddington : *Inscrip. gr. et lat. de la Syrie*, n° 1856-1857 C. I. I., 133 وكتاب كلزمن غانو في العاديات الشرقية الجزء الأول ص ٩٠ (٢) راجع 1855 Waddington, n°



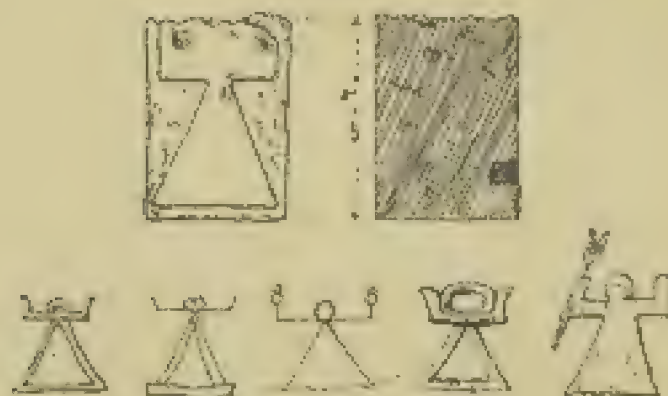


رسم هيكل النحل في دير القلعة

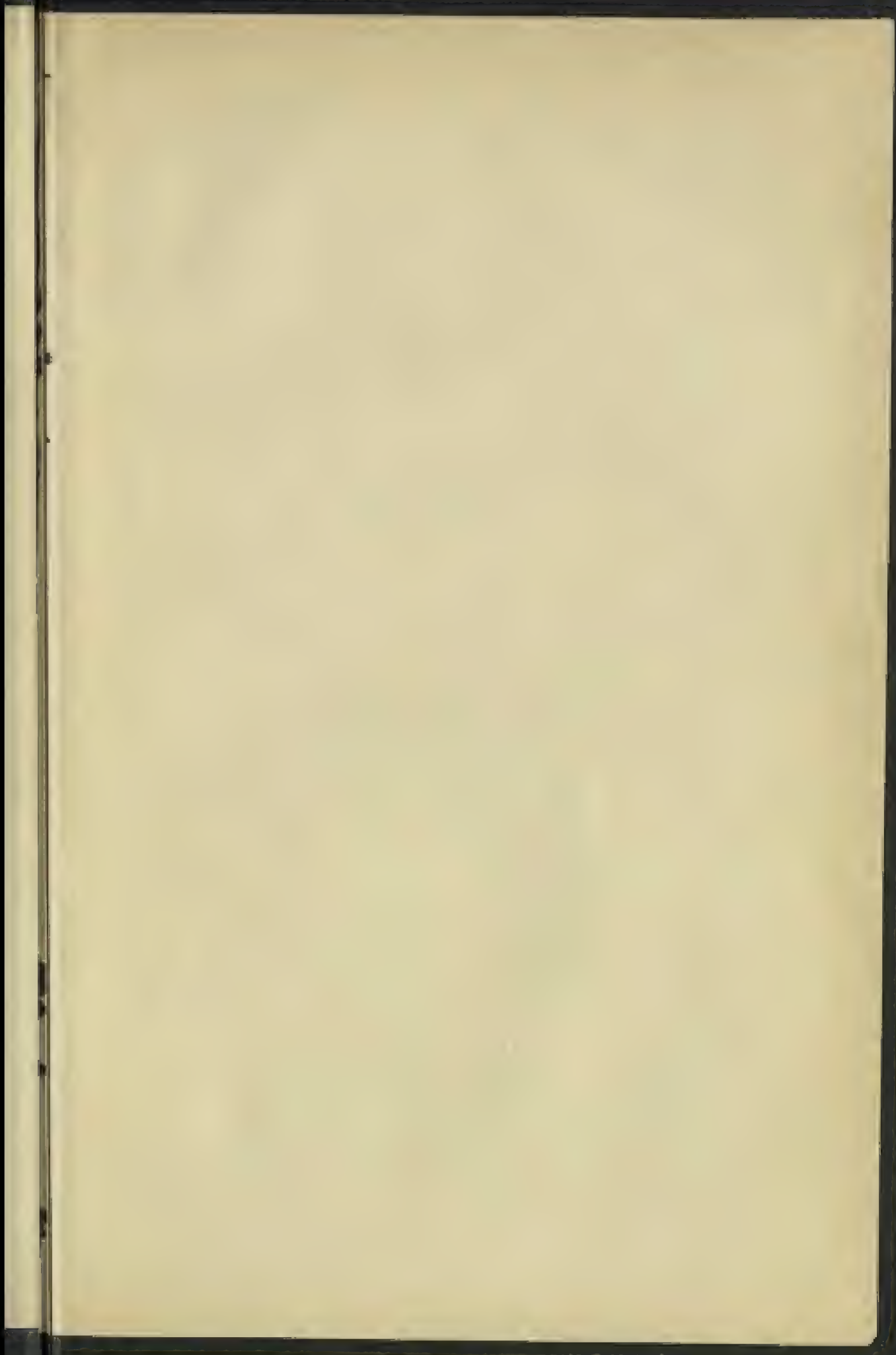


واحد من أعمدة العاديات سنة ١٨٨٦ (مصر ١٩٢١ و ١٩٢٣)

بقايا أعمدة دير القلعة وأشكالها المختلفة



صور المخروطات رمز عشاروت





« المستعمرة يوليا اوغستا السعيدة » يقيمون فيه انصاباً للوك رومية من جملة ذلك نصب للقصر ادريانس استخرج مخطأً من تحت الردم سنة ١٨٩٧ اسعدنا الحظ على قراءة مضمونها كما يأتي (١) :

[Imp.] CAESARI DIVI	[الامبراطور] القصر الالهى
[Tr]AIANI PARTHICI FIL(io)	ولان [امبر] ايانس الفارطى الالهى
DIVI NERV(e nepoti)	وحفيد نرفا الالهى
TRAIANO HADRIANO AV(gusto)	افرايانس ادريانس اوغسطس
PONTIF(ici) MAX(im)o TRIB(unitia)	الخير الاعظم بسلطة معالي الشعب
POT(estate) COS III P(atri) P(atrim)	فصل للمرة الثالثة اب الوطن
COL(onia) IVL(ia) AVG(usta) FEL(ix)	المستعمرة يوليا اوغستا السعيدة
B(e crytus)	بيروت

وانا عدنا الى بيروت فرحين لاكتشافنا هذا وجدنا في مجموع كتابات وادبغتون (عدد ١٨٩١) في جملة آثار بيروت كتابة تشبه كتابتنا المذكورة كل الشبه كأنها هي الا في تشبه الالفاظ المتصورة . فاخذنا من ذلك العجب كيف اتصل وادبغتون وبعده دوناتي واورتي الى هذه الكتابة مع انها حديثة الاكتشاف كما قلنا . ولعل اهل بيروت رسوا منها نسختين في وقت واحد

وكانت المرتبة الاولى في هيكل دير القلعة بعد الشترى بعل مرقد الالهة « جونون الملكة » (٢) وكانت تعد زوجة لاله وشريكته في جلال عزته . وترجع كون جونون هذه هي الالهة السامية بعلة عشقوت وحدها الرومان باهتهم جونون . وكان عبدتها يأتون هيكل دير القلعة ليستشفوا بجايشها ويستفتوا كهنتها كما يستدل على ذلك من بعض الكتابات التي نشرها كلرمون غانو (في كتابه العاديات الشرقية

(١) وقد وضنا بين مكشوف ما يفترض زيادته

(٢) هذه ترجمة اللفظة اللاتينية (regina) ويعوز ترجمتها بالبنطية وقد ورد ذكر هذه الالهة في اسفار الانبياء باسم « ملكة السماء » (ارميا ١٨: ٧ الخ) . وكان للرومان في جبل تريبون هيكل باسم هذه « الالهة السماء المذراء » شاعت عبادتها بعد حرب رومية مع قرطاجنة وكان اهل قرطاجنة يسمونها كالهتهم الفنى . والرومان جعلوا مشعروت هذه وجونون امة واحدة فعبدوا الاولى بصورة الثانية (راجع مجلة Acad. des Inscript., Comptes - rendus, 1898, p. 475)

ص ١٠٧). وفي دير القلعة كتابات عديدة لاتينية تختص تقادم ونشوءاً من قبل  
الاهلين لهذه الالهة . من ذلك ثلاث كتابات نقشها جندي روماني يدعى \* غايوس  
يوليوس مكسيموس \* نشر منها العلامة كارموني غانو اثنتين (ص ١٠٧ و ١١٠)  
ووجدنا الثالثة في جنيحة المرحوم الفنس نقاش في بيت مري . وهي مكتوبة على  
حجر كسرت قطعتين فجواها : \* ان الجندي المذكور يُبرز نُذره للالهة جونون  
بطيب قلب \*

ومن عادة القدماء انهم كانوا يكرمون في الهيكل الواحد عدة آلهة . مثال  
ذلك ان دير القلعة كان إلهها وسيدها الاعظم (١) بعل مرقد ثم الالهة جونون كما  
مر . وترى معها ذكر آلهة آخرين ومما وجدنا في جنيحة المرحوم الفنس نقاش قطعتين  
من كتابة طبع كارموني غانو قسمها الاخير (٢) لما القسم الاول فاستخرج حديثاً  
من الاطلال لم يُنشر بعد بالطبع وهذه الكتابة عبارة عن مقدمة قدمها شخص  
يدعى مرقس سبتيس للمشتري اله بعلبك (I. O. M. Heliopolitanus)

ومما نحب إلفات النظر اليه ان اخرة دير القلعة كثيرة الكتابات اللاتينية .  
وهي كما لا يخفى على من له ادنى إلمام بالعلائق نادرة جداً في ما سواها من الامكنة  
الشامية . والسبب لذلك على ما نظن ان من استعمر بيروت من الجنود الرومانيين  
( وكان منهم في بيروت فنتان الخامسة والثامنة ) اتخذوا هذا المكان كحصيف  
يقضون فيه فصل القيظ كالأثريين من اهل زماننا فتكوا شئت ألا جنة تنبئ  
بسكنائهم وقبدهم لبعل مرقد . ولو حاولنا سرد هذه الآثار لطالت بنا المقالة  
طولاً مفرطاً وأكثرها عبارة عن أعلام ليس في ذكرها كبير امر لقواننا . وترى بين  
هذه الاسماء أعلام قوم من اهل الحرف والصناعات فضلاً عن الجند ولا يخلو منها  
اسماء بعض الاشراف من اعيان الرومان في ذلك العصر

وغاية ما يمكننا قوله انه كان في جوار هيكل البعل عدة منازل لسدنة هذا المعبد  
وكهنته ثم للجند الرومان واهل الثروة وبعض العملة . ولا نرانا نتجاوز الحقيقة لو

(١) ونظن ان اسم القرية اشتق من عبادة هذا الاله فدُعيت لذلك « بيت مري » من  
المر بابنة هذه جهة اي بيت السيد ( البعل )

(٢) في كتاب حادييات الشرفية السابق ذكره



قلنا انه كان حول دير القاعة قرية . يستدل على ذلك بوجود معاصر قديمة ونواويس ضخمة منحوتة في الصخر . وكل ذلك يشهد بان الناس جعلوا سكناهم في تلك الهضاب . أما بيت مري فلم نسمع ان احداً وجد فيها شيئاً من الآثار القديمة مع ان البناء فيها متواصل والحفر في الارض كثير

فمما تقدم يسوغ لنا ان نستعيد بالفكر ونحجي بنظر الفهم حالة دير القلعة في القرن الثاني والثالث للمسيح فنقول ان تلك الرابي كانت تكمالها مهابا غابات وارقة الظل وكانت على منعطف ذلك الجبل اشجار باسقة الاغصان تحجب اشعة الشمس الشدة وترطب بفيئها ذلك المقام البؤى وكان الصنوبر يغلب عليها وقد بقي منه بعض البقايا

وكان لا بُد لهذه الغابات مياه غزيرة تروي تربتها وتشي جذورها كما ان المياه كانت ضرورية لخدمة الهيكل واهل القرية وللمتدين من الحجاج والزوار ولغسل الذبايح . فبدأ لهذه الحاجة الماسة استجلب القدماء المياه من العيون المجاورة لاسيما من عين غرعر وراء بعبدات وكانوا اصطنعوا لذلك قناة محكمة لا تزال بآياها ظاهرة الى يومنا هذا . وكان في ساحة الهيكل احواض واسعة تجري فيها المياه وتنفور الفوارات على هينات بديعة تروق النظر . ويشهد على ذلك كتابة يونانية ورد فيها وصف انبوب قدم للهيكل مصطنع في جزيرة رودس ليحمل فؤارة الماء (١)

ففي وسط هذه البقعة الجميلة المنظر كان هيكلان عظيمان احدهما البعل والاخر ليونون او عشتروت . وكان للأول رواق رحب القناء يستند على عمدة ضخمة من الرخام البلدي (٢) وكان يصعد الى هذا الرواق بدرج يوازيه حسناً وسعة كما اعتاد ذلك الرومان في ابلتتهم . أما هيكل يونون فقد عثت به يد الحدائق

(١) راجع مجلة العاديات سنة ١٨٩٦ ص ٨٠ . وكان اهل رودس يرسلون الى بيروت خُرفاً من صناعتهم تباع فيها (راجع ٢٢) Comptes - rendus de l'Acad. Inscr., 1898, (٢) وقد زعم ريان (Mission de Phénicie, p. 353) ان هذا الرخام هو الرخام المصري الحبيب والصواب ما قلنا . وللمسيو ريان في وصف دير القلعة غلط شئ لا يسما تقيدها

حتى يصعب على علماء العاديات بيان رسمه وصورته بل وموقعه أيضاً  
وكان هيكل البعل في داخله مزيناً بتمثال الإله نُصب في كوةٍ على جانبيها  
العبد من الرُخام تشبه المظلة . وقد ورد في كتابات دير القلعة ذكر نقائيل أخروذي  
لا نعلم أكانت في داخل البناء أو في الرواق (١)

لما طريقة هندسة الهيكل فإن بيان صورتها ليس سهلاً فانك ترى بين البقايا  
والأخرية ما يشعر بالهندسة الكورنثية والايونية معاً كما ترى في الاشكال  
المختلفة المثلة لبعض أعمدة قد رسم نقوش أكتفها حضرة الاب روثال وكان  
رافقتي في هذه الرحلة ودقق البحث عن آثار دير القلعة ألا أنه بقي مرتباً في  
بيان صورة هندام الهيكل القديم . وإنما قدّر بعد فحص الأخرية الباقية الى يومنا  
هذا أن علو البناء كان يبلغ ٢٥ متراً . وذلك بلا مرا، دليل على عظم هذا المعبد  
وجليل قدره

وكانت الأشجار تقيس بافتانها حول هذه البنايات بينما كانت الوف من الطيور  
تصدح فوق رؤوسها وتغرّد طريةً ومن جعلتها الحمام البيض رمز الإلهة عشتاروت  
كانت تخلق في الهواء ثم تحط في أوكلاها ساجدة . وفي وسط الأشجار كانت  
نقائيل عديدة منتصبة على ذلك مرتفعة وهي تمثل اصناماً وأبطالاً وبنينها مذابح  
للضحايا والمحرقات ثم أهرام صغار ومنها حجارة مخروطة الشكل يعلوها شبه رأس  
ويتصل بها شبه ذراعين قد اختلف العلماء في شرح معناها

والمرجح أنها صورة " تانيت " معبودة أهل قرطجنة وهي عشتروت نفسها  
وقد يواد بها صورة بعمل حشون أو اله الشمس وكلها من آلهة القرطاجيين . وقد  
بقي من هذه المخروطات أكثر في دير القلعة الى يومنا هذا والواحد منها منصوب  
امام كنيسة مار ساسين بين دير القلعة وبيت مري والذي صورناه على وجهيه في  
أعلى الشكل السابق

تلك كانت هيئة هذا القام الخاير في القرن الثاني والثالث بعد المسيح فاذا  
زدت على ذلك حركة الزوار المتقاطرين الى هذه المعابد ترى ما كان لدير القلعة من



## الخطابة وعظم الشأن

ولا بد لنا قبل الختام ان نذكر شيئاً عن المدافن التي كانت بقرب دير الناصرة  
لا نجد هناك من القبور العديدة ففي شرقي الدير الحالي على بعد ٥٠٠ متر منه ترى  
خمس نواويس غليظة العمل واذا انحدرت قليلاً وجدت عشرين نواوساً بقي منها  
اغطيها على شكل جملون فوق قواعد تُدعى (acrotères) . واذا نزلت الى  
الجهة الجنوبية يمتد الى الشرق بلفت الى مغارة يدعوها الفلاحون « مغارة الحبس »  
وهو غور طبيعي في الصخر عند حضيضه ليس يتسع الا انه كافٍ لمدفن ثمانية  
اشخاص

اما العبادة الجارية في هذا الهيكل فلا نعلم من امرها شيئاً ولا نخالها كانت  
تختلف عن عبادة الفينيقيين المكروهة يغلب عليها الخلعة والدعارة . وليس يستبعد  
انه قدّمت هناك الضحايا البشرية من الاطفال للبعل كما جرى ذلك في غيره من  
المعابد الشرقية وشهدت عن صفة التواريع الرائجة . ولعل هذه العوائد المنبثقة  
بسو- دين اهل ذلك العصر هي التي حملت مألوف الروم المتفسرين على هدم هذا  
الهيكل كما فعل قسطنطين بيهكل أفقة لا تقرر عن كهنة الوثنيين من الاعمال  
الفاحشة فلم يجد سيلاً الى قطع دابر هذه المنكرات الا يهدم المعبد المذكور

## ٥ آثار الرومانيين في لبنان

اثنى صاحب سفر المكابيين الاول (١: ٨-١٦) الثناء الحسن على الرومانيين  
وامثالهم فقال فيهم : « انهم ذوو اقتدار عظيم ويعزّون كل من ضوى اليهم  
وكل من جاءهم آثروا بتودّتهم ولهم شركة شديدة . . وكل من سمع باسمهم  
خافهم . . ومع ذلك كله لم يلبس احد منهم التاج ولا تودى الارجران مباهاة به . .  
وهم يفرضون سلطانهم وسياسة ارضهم بحملتها كل سنة الى رجل واحد وجميعهم  
يطيعونه وليس فيهم حسد ولا منافسة »

لعمري ان هذا مديحٌ نعماً فاه به الله على لسان الكاتب الشريف وصدق  
في وصف امة تنطلق آثارها الباقية الى يومنا عن جاهها وعلو كعبها . ولم يحرم  
لبنان من شواهد عزّ الرومان وشوكتهم . ولو لم يخلفوا لنا سوى آثار دير القلعة

الذي مرّ وصفه في الفصل السابق لكفى به شاهداً على صدق مقالنا إذ بيّنا أنه  
معبد روماني شيدته مستعمرة بيروت الرومانية . بيد أن الرومان مآثر جمّة في جميع  
أنحاء لبنان غير هذا المعبد فرأينا في ذكرها افادةً للجمهور ليطلعوا على أعمال هذا  
الشعب الذي اضحى اسمه مرادفاً للفخر والعظمة

ولابدّ هنا من مقدّمة موجزة يقف بها القارئ على أحوال سورية في وقت  
تغلب الرومان عليها في سنة ٦٥ قبل المسيح . لما قُتل انطيوخوس الثاني عشر ملك  
سورية ( سنة ٨٥ ق م ) حاربت البلاد في حال من الضعف اطمع فيها دغران ملك  
الارمن فزحف اليها بجياله واستولى عليها غنيمة باردة لم يقو احد على ان  
ينتشلها من محالبه . فبقيت تحت حوزتهم الى ان دارت عليهم الدوائر في سنة ٦٦  
لما غلبه القائد الروماني لوكاؤس في واقعة دغرانوكرت . فانتصر انطيوخوس الثالث  
عشر هذه الفرصة ليستوي على عرش آبائه الا ان ملكه لم يدم سوى اربع سنوات .  
وكانت سورية في تلك الاثناء قد تضعفت قواها وتقهقرت امورها وانتقض  
جباؤها . وكان يحدق بها شعوب قاموا لها بالرصاد يتطالون اليها طامعين في ملكها .  
تخذها جنوباً مملكة اليهود من بني حششاي وهم لا يزالون في قلق متداوم . وكان  
النبطيون يملكون على حدودها الشرقية ويحكمون على دمشق وضواحيها وعلى  
جبل الشيخ . اما قبائل البادية فكانت على ثغورها جماء تراحمها وتشن عليها  
الغارات . ولما صار الامر الى دغران صرف هشة الى عقد اليهود مع زعماء هذه  
القبائل لجعلهم كرواد تجارعتهم مع البلاد المتاخمة واشتبه من جمّة هؤلاء . سراة القبائل  
شيخان ملك احدهما على حمص اسمه سبيغرام او سبيبيكرامس ( ١ ) . اما الثاني  
فيُدعى عزيزاً وكانت دولته على بادية شمالي سورية

ومن الدول العربية التي اشتهرت في ذلك الوقت دولة الايتوريين ملكت  
على لبنان وعلى ساحل فينيقية . وكان هذا الشعب محسكاً في آداب الحرب يحسن  
الرمي بالنبال . وكان اصله من الجبال الصخرية التي موقعا في شرقي دمشق المعروفة  
اليوم بجبل حوران او جبل الدروز واللجأ . فلم يزل امره يعلو ويقوى حتى تعدى



حدود وطنه فاستولى على جبل الشيخ وبقاع الغزير فحرب ثبّت خيامه وأقام له دولة صغرى جعل عين جرة (Chalcis) كعاصمتها . وما عثم ان تسور قم لبنان وحصنها بالقلاع ثم هبط الى سواحل الشام فالتحقه له دولة ايتورية ثانية اضحت طرابلس مركزها . وكان هولاء الغزاة يهبطون كسيل جفاف من مشارف لبنان فيغزون وينهبون دون ان يقوم في وجههم حاجز . واكثر من كانوا ياذونهم بتكروهم اهل جبيل وبيروت فلا يقوون على الذود عن حمى ديارهم ومزروعاتهم وسفنتهم . ولا غرو ان الاسماء العربية المحضة الواردة في كتابات يونانية وجدت في نواحي جبيل وبيروت ترتقي الى عهد دولة الايتوريين هولاء . (١)

فتلك كانت حالة سورية لما ارسل بيبس قواده ليحتلها وما لبث ان سار اليها هو بنفسه سنة ٦٩ فنظمها في سلك املاك الدولة الرومانية وجعلها اقليماً قائماً بذاته . ثم قلم اظفار الثقب وفتح معاقل العضاة ورد قبائل البادية الى مساكنها الاولى واعاد السلم والنظام الى مجاريها . ولما سعى اليه اهل طرابلس متظلمين من ملكهم الايتوري ديونيس امر به فقتل بعد ان ثبت ظلمه ثم واصل بيبس سيره في سواحل سورية طسافراً وتوغل لبنان واخذ عنوة قلعة جيبرتا (Ilyapta) الآتي ذكرها فلأخربها كما انه هدم قلعة وجه الحير (Θεουπόρουπον) وقوَّض ابنية بترون لخلول اصحاب الجذائات في ضواحيها . ولا قدم جبيل مثل بلعها كينيدياس كما فعل بصاحب طرابلس ونفس كربة اهلها وجعل مدينتهم مستقلة تحت حمى الرومان

ثم تحوّل بيبس وشك الشتاء فينهم سهول البقاع ورياض دمشق ليحل جنده في بلادها الرائعة ليشالوا هناك نصيباً من الراحة بعد الاتعاب التي تجشموها . فقطع جبيل لبنان (٢) واقتطع في طريقه قلعتي برومة (Borroma) وسنان (Sinnan) الوارد ذكرهما . فا دخلت السنة ٦٣ ق . م حتى اتم الرومان فتح البلاد السورية واستقر لهم الامر في أنحاء لبنان

(١) راجع Mission de Phénicie, ١٩٩, ٢٠٠

(٢) لعل بيبس تلاقى بجنوده لبنان من جهة جبيل ماراً بالمقورة فاليتونة

ومن شروط المعاهدة التي عقدها الرومانيون مع أهل الشام أن يلتزم سكان البلاد شرائعهم وسنتهم ويحجروا على نظامهم القديم ولا يُغضبون في لسانهم ودينهم وعاداتهم . أما المدن الساحلية فجعل الرومان أمرها شوري يدبر شؤونها نخبة من اشراف البلد وابطلوا بذلك ما كان لملوكها من السلطة المطلقة . ثم ضربوا الجزية على الاهلين يودونها لهم المذكور منذ سنتهم الرابعة عشرة والاثالث منذ الثانية عشرة الى السنة ٦٥ من عمرهم جميعاً (١) وفرضوا عليهم خراجاً جيوه من الاملاك يبلغ في المئة واحداً . ورسوموا ايضاً ضرائب ومكوساً على الواردات والصادرات من السلع ألا ان هذه الرسوم مع ثقلها كانت اخف على عاتق السوريين من المغامر والسخر التي حملتهم اياها ملوكهم سابقاً وكانوا يتقاضونها دون نظام معلوم وفي اي آن شاؤوا

فأمر على سورية الزمن اليسير حتى التأم ضدتها وانجز كسرهما وانتظم شمل السکن فرتموا في بجموحة الأمن . وكان الرومان قد احيوا معالم العدل وامنوا سنن الجور ياخذون للضعيف من المقتدر وينشطون الجميع على الاعمال الشريفة والشروعات القسيده التي تعود عليهم بالنافع العظيمة لاسيما التجارة والبحارة والصنائع والفنون

أما لبنان فأصاب من هذه الاصلاحات نصيبه الحسن . وكان هذا الجيل الشهير لما فتحة الرومان قليل السكان فزاد اهله بعد مدة وخصيت تربته (٢) وعاش اللبنانيون في الرغد والهناء في حمة رومة يشكرون لسياسة ولائهم ويسمون في ظلهم الوارف وهم مع ذلك يحجرون على سنتهم ويتصرفون في تدبير امورهم كيف شاؤوا

ومنذ ذاك الحين اخذت العوائد الرومانية تتغلب على البلاد الشامية وانتشرت اللغة اليونانية في المراكز الكبرى حتى نسي كثير من اللغة الفينيقية واللغة الآرامية لاسيما بين الاشراف واصحاب الثروة . اما اللغة الآرامية فبقيت محصورة في الدوائر

(١) راجع Ulpiani Digesta, Lib. 1, leg. 2, n. 3

(٢) وكذلك جرى في حوران . راجع المجلة الفلسطينية 21, ZDPV, XXI



الحكومية لم يشع منها بين الجمهور غير مفردات تتعلق بالموزونات والمقاييس والتقود والادارات السياسية وامور الحرب كهذه : البريد والسجل والرحل والدينار والاقوية والبرج والاطربون والبوق والقومس والفسطاط والشرطي وما شاكلها. ولعل كثيراً منها وصل الى العرب مجتزأ على ألسنة التكتلمين باليرمانية . وفي بعضها مسحة من اللغة الآرامية (١) . وبما بلغنا من آثار اللغة اللاتينية كتابات قلائل سُطرت على بعض القبور . بيد ان المستعمرات الرومانية في سورية دأبت على التكتلم باللاتينية ومن حملتها مستعمرة بيروت . امّا العامة فلم يزوالوا محافظين على لغتهم الفينيقية او السريانية يؤخذ ذلك من الاسماء الآرامية الواردة في الكتابات القديمة

ولما كانت السنة ٤٧ ق م قدم الشام يوليوس قيصر فترّل في ساحل عكّة مع جنوده ثم سار الى فينيقية ولبنان فتقاطر اليه الشعب واستقبله استقبالاً شائفاً على في قلبه وحمله على افاضة نعمه على الاهلين فخفف من عبء الضرائب ومنح المدن التي ظاف فيها مواهب وأطافاً عديدة وألف القلوب النافرة واعطى مدينة بترون الاستقلال

وساد نسيبة وخلفه اوغسطس قيصر على مناهجه واختص لبنان بنعم سابعة وذهب نجيب أفضالاً عجيبة . فقام اهل بترون وجبيل بفروض الشكر لولي نعمتهما وأرخوا تقودهما بتاريخ (كسبروم ٢) ذكر الانتصار اوغسطس على خصمه انطونيرس (٣١ ق م)

ومن اجل آثار الرومانيين في فينيقية اتخذهم بيروت كمستعمرة رومانية . فلما كانت السنة ١٦ ق م قدم الشام اغريبا صهر اوغسطس قيصر وهو متأكد بالسلطان

(١) راجع ما قلنا من اصل هذه الالفاظ في كتابنا الفروق . اطلب ايضاً المقالة التي حررتها في المشرق ( ١ : ٤٤٨ - ٤٤٠ ) . ونزيد هنا عن اصل كلمة « الشرطي » (١) وجددها في كتابة يونانية مكتوبة بصورة ( Xóptov ) منقولة اليها من اللاتينية ( cohorts ) . وهي قريبة من لفظة « الشرطي »

(٢) ورد هذا التاريخ في كتابة جيبية تُعرف بكتابة البلاط ( Mission de Phénicie, 224 ) . وقد وجد الدكتور جول روجيه تقوداً أخرى تثبت هذا الامر لجبيل والبترون ما

المطابق على كل النحا. سورانية . فكان أول ما صرف إليه نظره ان يقيم مستعمرة  
يحل فيها الجنود المتقاعدين ممن امتازوا في خدمة الوطن . فلم يجد موقعا صالحا  
شائنا وانسب مقاماً من بيروت فجعلها سكنى لفتتين (١) من الجند وهما الخامسة  
والثامنة العروفتين بالفئة القدونية والفئة الاوغسطية . وكانت كلتاها أبليت بلاء  
حسناً في واقعة اكسيوم فأثابها القيصر باقطاعها مدينة بيروت

ولعل الكتابة التي وجدها سيزرين (راجع ص ١٤) بين اطلال دير القلعة  
والوارد فيها اسم اغريبا تشير الى هذا القائد منشي مستعمرة بيروت . ويحتمل ايضاً  
نسبها الى الملك هيرودس اغريبا الاول الذي زين بيروت بعد ذلك بمدة بالابنية  
الفاخرة فتكون هذه الكتابة اثرأ يشهد لاهل المدينة بمعرفة الجليل والشكر

وما لا يختلف في صغته ان صهر اوغسطس اعاد لبيروت زهاءها القديم بعد  
ان عبثت بها ايدي الزمان واخرها الطاغية تريفون . فاوغر الى جندم بان يشيدوا  
فيها المباني الحسنة ويوقروا فيها اسباب الهنا . فباشروا بذلك في السنة ١٥ ق م  
وواصلوا شغلهم بهتة أفقها الرومانيون في كل اعمالهم . وما عشت بيروت ان  
صارت مركزاً خطيراً لادارة شؤون رومة في البحر المتوسط الذي كان غلب عليه  
سابقاً النفوذ اليوناني واصبحت مرقباً يرصدون منه كل من يعادي فتوحاتهم الجديدة  
فيقطعون للحال دابر اصحاب الفن (٢)

وكان الفضل في رفع قدر بيروت لاغريبا المذكور ولعله هو الذي تولى بنفسه  
هذا العمل الاثير والحجزة بوقت قريب (٣) ودُعيت بيروت منذ ذلك الوقت « المستعمرة  
يوليا اوغسطا السعيدة » خضها الملك اوغسطس بهذه الاسماء المشعرة باسم يوليوس  
قيصر وابنته يولية واسم الشخص الذي اضاف الى ذلك لقب « السعيدة » مؤلفاً بحسن  
موقع بيروت وصفاء جوها وكثرة خيراتها . وخربت في بيروت نفود المستعمرات  
تقتل جندياً يفلح الارض

(١) وأرسلت فرقة منها الى بعلبك لتستمرها فاحتلت هذه المدينة الشهيرة

(٢) راجع تاريخ الرومانيين للمؤلف ميسين Mommsen : Rom. Geschichte, V, 459

(٣) راجع ما كتبه في ولاية اغريبا في الشام المؤرخ جريلاخ H. Gerlach : Die röm.

Statthalter in Syrien u. Judaea p. 16



فلم يرض على بيروت إلا زمن قليل حتى امتزج سكانها الاقدمون بالمستعمرين  
الرومان امتزاجاً تاماً. بالراح فكان من يحتل البلدة يحبسها مدينة رومانية تحتل  
عوائد الرومان ولسانهم واسماؤهم عليها. والشاهد على ذلك الكتابات اللاتينية  
العديدة المكتشفة في بيروت. ولا ترى من الخطوط اليونانية إلا اليسير وهي  
احدث عهداً من الكتابات اللاتينية (١). بل ظهر ايضاً في بيروت نفوذ آلهة  
رومة فاخذ النيقينيون شيئاً من شعائرهم الدينية كما اثبتنا ذلك في اثنا. كلامنا عن  
دير القلعة

ولم تكن الاقطاعات الموقوفة على المستعمرة البيروتية منحصرة في ضواحي  
البلدة والبساتين المجاورة بل كانت تشمل الجبال الشرفى على المدينة وتمتد من ثم  
الى ان تبلغ قسماً من البقاع الى جهات منبع نهر العاصي

ونالت بيروت بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانية امتيازات عديدة منها ان  
اهلها لم يدفعوا الجزية ومنها استقلالها عن حكم والي الولاية. فاضحت كأنها دولة  
صغيرة في ضمن الاملاك الرومانية في الشرق تتصرف باحكامها كالعاصمة نفسها.  
وكان لها على مثال رومة حاكمان (duumviri) يرجع اليهما في التدبير يحلان  
ويقرران ويأمران وينهيان كقنصل رومية السنويين ولها دار ندوة يجلس فيه  
للمبحث عن مصالح المدينة مئة من رؤساء الاشرار (décurions). وما ازدانت  
به المدينة من البنايات على شبه رومية ساحة كبرى (forum) يجتمع فيها  
الجمهور وملعب للملاهي العمومية ولها ايضاً نخبة هيكل كهيكل المشتري  
في رومة (Capitole). وكان الاهلون يختارون بنفسهم ولائهم وحكامهم دون  
ان تتدخل العاصمة في شئونهم ما لم يضطرها الى ذلك الشعب واقتراق الكلمة  
بين السكان

فكل هذه الامتيازات التي ظفرت بها بيروت اثرت في اهل المدن المجاورة  
لها الرغبة في نوال رتبة الاستعمار

(١) وقد عثرنا بعد ذلك على كتابين جديدين على مقربة من البلد شرقاً هما

وقد زعم بعض الكتبة أن مدرسة الفقه الروماني التي اشتهرت بها بيروت بعدئذ (١) كان المشاويرها في هذا الزمان . الا أننا نرجح قول الذين ذهبوا الى ان هذه المدرسة اقرب عهداً فأُنشئت في اواسط القرن الثالث للمسيح . وانما كانت بيروت منذ حلول المستعمرين فيها محطاً للطلبة الدارسين وصار منذ ذلك الحين لمدارسها شهرة عظيمة . ومن جملة الفنون التي كان يعكف الاحداث على اتقانها العلوم الادبية بفروعها . وقد اصاب احد اساتذة بيروت اسمه مرقس فاليريوس بروبس قضية السبق بين علماء زمانه في المعارف وفنون الادب (٢) حتى ان بيروت عدت بسببه كحاضرة العلوم في المشرق (٣)

وكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويح النفس يوترونها على ما سواها من المدن الساحلية . وفيها كان ولاية الشام يقيسون الحملات والمحاكم القضائية كما فعلوا في قضية سيلاي ( Scillai ) وهيرودس الكبير فقتلوا على سيلاي وهو وزير ملك البسط عبوداس ان يدفع لهيرودس خمسين وزنة فضة (٤) وان يكبح جماح قبائل البندو من العرب . وفي بيروت ايضاً قضى هيرودس المذكور ظمناً على اسكندر وارسطابولس ابنيه من مريثة المكابية

ومن المدن التي نالت من سجال فضل الرومانيين مدينة جبيل وان كانت حصتها دون حصة بيروت بكثير وآثر الرومانيين في المدينة العادية بينة من جملتها خطوط لاتينية وجدت بين اطلالها الدارسة (٥)

وكذلك ترى في قرية جرنية مع ما يحيط بخوردها من الضياع دلائل تنفي بروز الرومانيين بها فمن ذلك الانصاب التي كانت تقام في جوانب الطرق للدلالة على المسافات ومنها جسر المعاملتين الذي سيأتي ذكره . وفي اسامي القرى دلائل اخرى على الآثار الرومانية واليونانية في لبنان مثل غساليا ( Augusta ) ودقنة ( Dabiq )

(١) Nonnus : *Dionysiaques*, 391-398 راجع

(٢) راجع تاريخ سوتون *Suetonius : De illust. Grammaticis*, XXIV

(٣) راجع المؤرخ مومسن *Mommsen, l. c.* 459

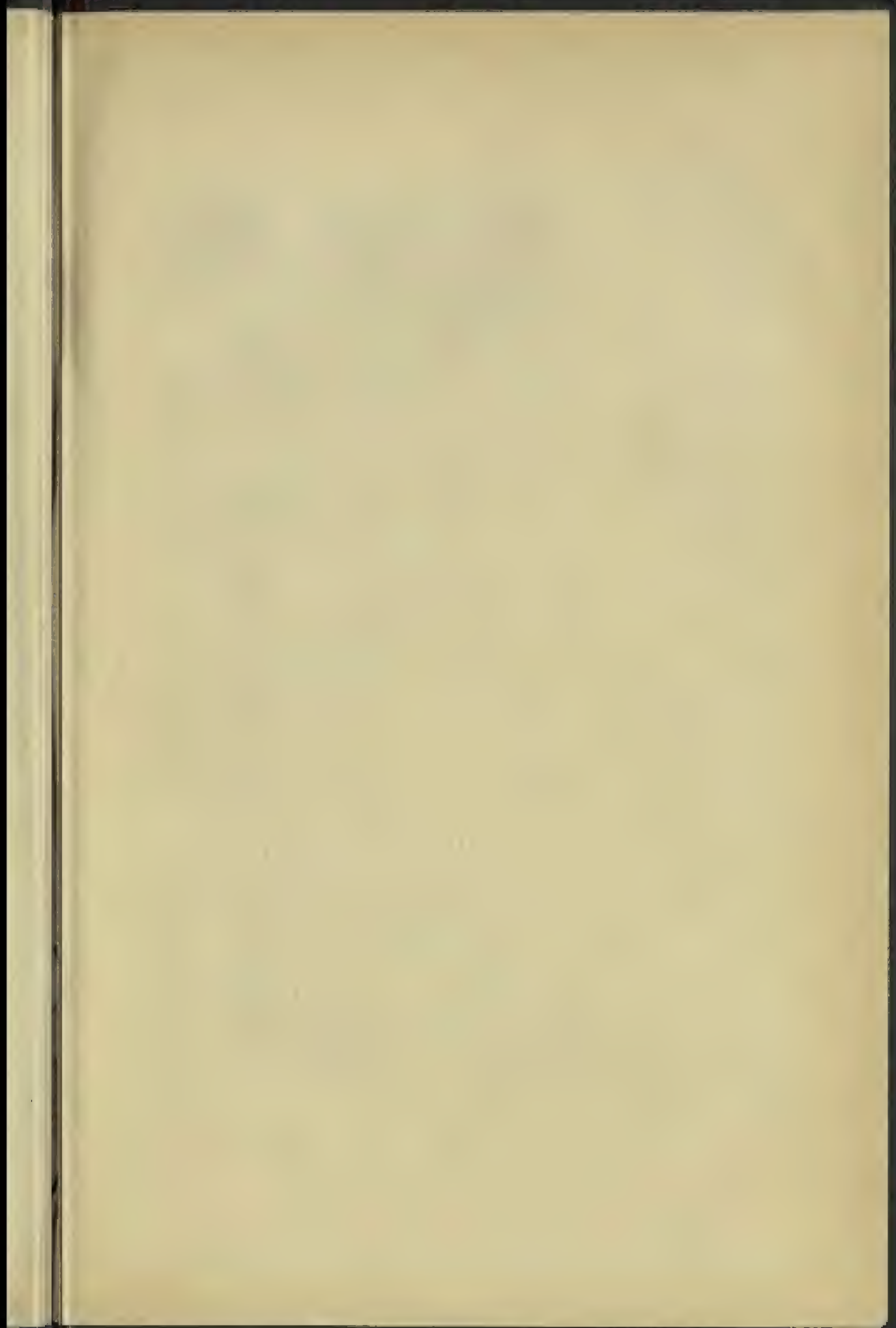
(٤) كانت وزنة الفضة تساوي في ذلك العهد ٦٧٢٠ فرنكاً

(٥) راجع *Mission de Phénicie*, pp. 164, 192, 280



قناة نهر بيروت (قناطر زبدية)







وبأثونة . ومن ذلك أيضاً نواويس عليها كتابات لاتينية تُرى في لبنان . وفي دير بيت خشبر واحد منها (١)

ألا ان الرومانيين لم يكتفوا بتدوين الكتابات الدالة على ملكهم . فلما كان الله يجلبهم على السياسة والعسل لم يحتلوا بلداً دون ان يباشروا فيه اشغالاً خطيرة واعمالاً شاقة لاول كلها لمنفعة رعاياهم كالتجريب بها المياه الى اهل المدن من منابعها البعيدة . وقد سبق لنا ذكر قناة دير القلعة ( ص ١٠ )

وفي لبنان قني غير هذه المذكورة بل هي اعظم منها شأنًا وامتنع بنايلاً . فمن ذلك القناة الضخمة التي كانت تجري بها مياه نهر بيروت وتعرف اليوم بقناطر زبيدة وهي بلا شك من آثار الرومانيين

وقد بنيت هذه القناة بنحيت الحجارة الكبرى وكانت تمر بوادي النهر فوق جسر عظيم ذي ثلاثة صفوف قناطر رابطة بعضها فوق بعض لا يزال منه الى يومنا بقايا حسنة تبعد نحو سبعة كيلومترات عن بيروت في شمالها بيد ان النصف الثالث من القناطر قد تهدم وهبط ايضاً وسط الجسر فلا سبيل الى ان تجري فيه المياه . وكان علو هذا الجسر يبلغ عند قامة خمسين متراً وطوله ٢٩٠

اما زمان بنائه فليس من دليل عليه فانه لم يُكتشف حتى يومنا شيء من الكتابات المترجمة عن احواله . الا ان متانة شغله وهياكله بنائه للحكم تنطق بلسان حافيا عن اصل الروماني . ومما يبين ان هذه القناة بقيت قروناً طويلة تجري المياه الى بيروت ان في مستودعها وجدرانها الداخلية راسباً سميكا من المواد الكلاسيكية التي ابقتها المياه في ممرها . واعلمها خربت في الزلزة التي حدثت في ايام يستيان الملك لما صارت بيروت ردماً تنقع عليها الغريان

وكانت المياه بعد ان اجتازت الجسر المذكور تلج في نفق ( سرب ) ينفذ في انجبل مسافة طويلة وينتهي الى السهل حيث صبرت منه بقايا على الزمان وكانت تجري المياه في منعطف الاشراقية فوق مسير السكة الحديدية الحالية . وكانت القناة تقضي

(١) Ibid., p. 328 . راجع ايضاً في تاريخ مسين ( ص ٩٩٧ ) الفصل الذي يبين

ما كان لاقليم سورية عند الرومانيين من الاعتبار والخطارة

الى المدينة مارة تحت مدرسة الحكمة للموارنة . وقد حسب حضرة الاب جوليان اليسوعي ان هذه القناة كانت تغني البلدة في كل ثانية بمئة مكعب من الماء اعني خمس عشرة مرة ازيد من ادوات الشركة الانكليزية حالاً (١)

وكان الرومان قد ابتنوا في سورية قناة رابعة كانت غايتها اجتلاب المياه من نهر اريهم الى جبيل الا ان آثارها ليست كأثار قناة بيروت

وما يحسن بنا قنوة ان الرومان لم يكونوا يرضوا بالمياه المجلوبة في قنيتهم الا ان تكون صافية نقية من كل الاقدار ولذلك كانوا يباشرون بعملها عند رونس الينابيع وينقرونها بالصخر الاصم او يبنونها بحيث لا يدهسها شيء من الاوساخ فيغطونها بصفائح الحجارة . وفي عملهم هذا عبءة للشركات الحالية لتصون المدن من جراثيم الامراض التي تسببها الاقدار الداخلة في القناة لاسيما بعد لمطار الحريف حين تجرف السيول الى القناة اجساماً غريبة تثبت بانحلالها في المياه كل انواع الجراثيم الفاسدة

فيظهر مما تقدم ظهور الشمس في رابعة النهار ان الرومان مجلبهم المياه من الينابيع النازحة اخصبوا البلاد التي مدوا فوق رواقها حمايتهم . ولعلهم لم يكتفوا بذلك بل اقتسموا المياه في المدن فجعلوا لكل دار قسطاً كما تفعل في زماننا شركات المياه . ولنا شاهد على صحة ذلك بكتابة وجدت في مستعمرة رومانية من اعمال افريقية كانت اصغر شأناً من بيروت وقد ذكر فيها صريحاً هذا تقسيم المياه على بيوت الاهلين (٢) . فلانظن ان بيروت حوت ما لم تحرمه غيرها من المستعمرات وهي اعظم منهن قدراً

ومن افضال الرومانيين التي لا تُذكر السكك والطرق . فانهم ما نشبوا ان احتلوا ربوع الشام حتى سعوا باصطناع السكك فيها . وكانت غايتهم الاولى بذلك ان يهتدوا الطرق لجيوشهم ثم ينشطوا بين رعاياهم التجارة والعاملات . ولم يترعزمهم ما لقوه في لبنان من المسالك الوعرة والصخور المرتفعة فان هتتهم

(١) راجع مجلة الرسائل الكاثوليكية ٤٣٥ ٤٢٥ Missions Cath., 1894, p. 420 وفيها

مقالة حسنة عن قناة بيروت الرومانية

(٢) راجع مجموع الكتابات اللاتينية ( C. I. L., VIII, ٩٤ )



لم تعرف الكتل فوئروا الطرق ومهدوا السبل في جميع أنحاء البلاد التي فتحوها . وكانت السكة المارّة على سواحل فيليقية من عهد قداما المصريين في القرن الخامس عشر قبل المسيح كما تشهد عليه المكتابات المكتشفة حديثاً في تل العمارنة (١) وقد جاء فيها ذكر العجلات الحربية التي لا يمكن ان تسير دون سكك منظمة . بيد ان هذه السكة القديمة لم يبق لها أثر بخلاف سكة الرومان فان بقاياها لا تزال الى يومنا ظاهرة على الساحل . وكذا قل عن جميع السكك التي تولوا صنعها في لبنان

أما الذين كانوا يقومون بهذه المشروعات الجليلة فهم جنود الرومانيين . ومصدق ذلك في كتابة لاتينية نقشت عند معبر نهر الكلب . على ان التاريخ يثبتنا بأن لهولاء الجنود في كل البلاد التي فتحتها رومة اعمالاً تعدّ من اعمال الجسارة . فكلم من قصور وقلاع شيدوا وجسور عظيمة عتروا وخنادق حفروها واسوار ضخمة ابنتوها . وكان يسير في عداد الجنود قوم من المهندسين والصناع يقومون بهذه الاعمال

وبما امتازت به السكك الرومانية الوثاقه والثباته مع توفير اسباب الراحة لبني السابله . فكانوا يجمعون وسط السكة مرقعاً عن الخضيش يفرشونه بصفائح كبرى من الحجارة البركانيّة او ما شاكلها صلابه . وثلاً تنصف بها الارض كانوا يضعون لسندها ثلاث طبقات متوالية اسفلها من الحصاء والرمل ووسطها من دقيق الحجارة المعجونة بالكلس . اما الطبقة العليا فكانت مسكها ١٥ سنتيمتراً تتركب من كسرات الخرف والأجر بينها الملاط الشديد . وكان على جانبي الطريق مسلك للسابله ( Trottoirs ) برفعة قليلة عنها وعلى طرفيه حجارة ضخمة

وكان الرومان يضمنون الامان لسككهم بان يقيسوا من مسافة الى اخرى مراكز لجندهم وخانات السفر ومواقف للخيل ومحطات للبريد

(١) راجع كتاب الاب ديلتر (Delattre) البسوي المعلنون : Le Pays de Chanaan, province de l'empire égyptien, p. 39.

وكانوا ينصبون من وييل الى آخر الانصاب من الحجارة فيها ارقام تدل على مسافات الطريق وبعد المكان عن حواضر المدن . وربما كانوا ينقشون في هذه الانصاب اسم القيصر الذي امر بفتح الطريق او اصلاحها . وهذه الانصاب مكثت اهل البحث والتنقيب من تدفع آثار سكك الرومانيين . وتراها ملقاة على ساحل البحر غائصة في الرمل او مطبورة بين الودم وهي تدل على السكة الساحلية التي مر ذكرها . والحق يقال ان هذه السكة كانت طرفة من عجائب البنايات وتراها الى اليوم منقورة في الصخر بقرب نهر الكلب وجونية . وعند مر السيول والانهار ترى آثار الجسور العظمى التي كانوا اصطنعوها . نخص منها بالذكر جسر العاملتين الذي لم يزل صائراً على آفات الدهر

ومن سككهم الناطقة بفضلهم الطريق التي اصطنعوها من جبيل الى بعليك وهي تمر في اعالي لبنان فوق العاقورة وهناك شعب بين جباين تحرق الطريق فتفذي الى بركة اليشونة ثم تنسع وتمتد فتصبح من احسن السكك الجبلية واتقنها لكن آثارها في معظم لبنان الشرقي دارة . ولعل هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مشاحة فيه ان الرومان تولوا اصلاحها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابة لدوميتيانيس قيصر في آخر القرن الاول للمسيح وجدت عند المكان المسمى بدر أجة مار سمعان

هذا ومهما توغلت في لبنان وجدت للرومانيين مآثر وكتابات ونقوشاً . مثال ذلك الكتابات التي تراها في الوهاد الواقعة بين الصنين وغابة الارز لاسيما في مقاطعات العاقورة ونشورين وقربطية حيث تجد كتابات عديدة خط فيها مراراً اسم ادريانس الملك وحروف هذه الكتابات تبلغ نصف ذراع طولاً وقد اعتبرها بعض اهل تلك النواحي كأرصاد تحتها كنوز دفينه يحشوا عنها بعد نقر الحجارة وتحطيم الكتابات . اما سبب تكرار اسم هذا القيصر الروماني فلكونه قضى في بلاد الشام سنين طويلة وكان يصعب في سفاره عدد غفير من النقاشين وارباب الصناعة والحرف . ومن المرجح أنه مر بمدينة جبيل وزار معابد الزهرة في لبنان

وما يعود فضله الى الرومان فيستوجبون له الشكر العميم عنايتهم بنصب



الاشجار في لبنان . وقد مرّ لنا في الشرق (١: ٧٢٨) كلام في ذلك وبينّا هناك ان لبنان كان في القرون الحثالية مجنّلاً بالغابات تعلو قممهُ ضروبٌ من الاشجار . والبتنا ايضاً ان الحكومة الرومانية كانت احتكرت لها اربعة اصناف منها وهي العرعر والارز والسرر والصنوبر (١) وكلّها من اشجار الجبال المثينة الخشب الوارفة الفلل اختصّها الرومان بانفسهم لنألا يتصرف بها الاهاون فيقطعوها بلا حكمة . وكان الرومان يتخذون منها الخشب لتجهيز سفنهم وابتناء مساكنهم في سورية . ومما يجدر عن بيمبوس القائد الروماني فاتح الشام انه اصطنع له اسطولاً من خشب لبنان فقطع دابر القرصان الذين كانوا يتجولون في بحر الروم متلصقين . واما انتشيت الحرب بين بيمبوس المذكور ويوليوس قيصر تولّى كلسيوس من اصحاب بيمبوس قيادة اسطول الشام وأبحر بها الى صقلية لمحاربة سفن قيصر واحرقها (٢) وكل ذلك دليل على اهتمام الرومانيين بزراعة لبنان وتوفير غاباتها

ومن كل ما سبق يفهم القارئ ما للرومان من المشروعات الطيبة والاعمال الجليلة التي لم نذكر منها سوى بوض من عدد . وفي تثنّة مقالاتنا عن آثار لبنان سيأتي ذكرهم غير مرّة . وفي ما سبق كفاية لتقدير اعمالهم

وخلاصة قوائنا عن الرومان أنهم في ولايتهم كانوا يهتمون بصوالح رعائاهم ويوفرون لهم اسباب النجاح ويوسعونهم أماناً وراحة وقال اهل سورية بهيتهم

(١) وقد ارتأى العلامة الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخ لبنان ان الكتابة التي تدلّ على احتكار الرومان لهذه الاشجار والتي شرحناها في الشرق (١: ٧٢٧) انما كان لها معنى آخر . فظنّ الاب المذكور ان الرومان كانوا خصصوا هذه الاشجار للالهة عشقوت او الزهرة . قال : « وما يؤيد رأيي ان احتكار هذه الاشجار لم نجد له اثرًا سوى في بلاد جبيل حيث كانت عبادة الزهرة منتشرة شائعة . ثم كبراً ما ترى على الحجارة التي وجدت فيها الكتابة المذكورة حروفاً ثلاثة غيرها باللاتينية وهي D F S متاعها على فلت D(ea) F(ecit) S(acrum) « خصصها بالالهة » . اي ان اديران الملك خصص عبادة الزهرة الاربعة الاصناف من الشجر المذكور . قلنا ) وهذا شرح غير ثابت كما بينتُ في حضرة الاب جلابرت ( Mélanges de la Fac. Orientale. IV. 209 seqq ) ومن هذه الحروف

Definitio sylvarum اي تحديد الثابت ( المذكورة )

(٢) راجع تاريخ يوليوس قيصر ( Caesar, Bell. Civil. III )

قسماً وافياً من ذلك الدلام الذي نُسب الى رومة ( pax romana ) متعناً الله بثله  
في ظل دولتنا المليئة آمين

## ٦ الصنّين

قد سبق ان القائد الروماني بيسيوس اُخرب في اثناء محاربة لبنان قلعةً تدعى  
بورومة . ولكن لم نتعرض للبحث عن موقع هذا الموضع . فان من اصحاب  
العاديّات من ظنّ انها سمار جبيل وقيل قلعة الحصن في نواحي دوما وقيل غير ذلك .  
وقد فات هؤلاء الكتبة ان الجغرافي اسطرابون في كلامه عن بورومة جمع بينها  
وبين قلعة اخرى دعاها « سنّان » وسنّان على الرأى الارجح قلعة قربية من جبل  
صنّين فينتج عن ذلك ان قلعة بورومة ليست بعيدة منه ايضاً . واذا طلبنا في جوار  
الصنّين موضعاً في اسمه شبهً بقلعة بورومة لا نجد غير برمانا . ومن المحتمل ان  
الاقدمين لحن موقع هذا المكان كانوا شيّدوا هناك حصناً حريزاً يشرف على  
الوديان المجاورة وعلى سواحل بيروت . على اننا لم نجد في برمانا اثرًا لهذه القلعة  
ولعل بيسيوس قوّض اساسها او اتت على بقاياها مصائب الدهر فابادتها  
اماً قلعة « سنّان » فع كونها على مقربة من جبل صنّين لم تكن في مشارف  
العليا لان البرد هناك قارس والسكنى في الشتاء شاقّة وانما كانت على منعطف  
رّباه . والارجح ان هذه القلعة كانت مبنية فوق احدى السكك في الوديان  
الفاصلة الصنّين عن جبل الكنيسة او الحاجزة بين جبل الباروك وجبل الكنيسة  
اعني بقرب سكة الشام الحالية . وهذه المواقع خطيرة لانها كضيق يفضي الى بطاح  
سورية المهيّوفة

واما اسم قلعة سنّان ( Sinan ) المذكورة في كتاب اسطرابون فانه اسم الصنّين  
بمعنى الكتنة على صورة لفظه القديمة

وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين نقلاً عن تقليد شائع في لبنان ان جبل  
صنّين هو الجبل المدعو « سنير » المذكور في الكتاب الكريم . وقد وهوأ بتشابهة  
الاسماء مع ان سفر تثنية الاشتراع ( ١٠: ٣ ) ينفي صريحاً هذا الرأى ويدعو حرمون  
سنير عند قولهم : « وحرمون يستير الصيدونيون يسريون والاموريون سنير » .



والغا شبه الامر على البعض لوجودهم في سفر نشيد الاناشيد اسم سنير مقرونا باسم لبنان حيث يقول العروس لعروسته السرية (نش ٨: ١٤) "هلني معي من لبنان من رأس امانة من رأس سنير" (١) . وزعم هؤلاء ان امانة اسم الجبل الشرف على حماتا . وكل هذه الاقاويل مزاعم لا سند لها وان لم تكن محالاً . واسم لبنان في التوراة لا يطلق فقط على الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم بل يدل ايضاً على جبل الشيخ الذي بازائه الا اذا زاد الكتاب حقة ما تبين نية الكاتب الكريم كقول مثلاً (يوشع ١٣: ٥) : "لبنان جهة مشرق الشمس"

واما اسم "سنير" فتجده في كثير من كتبة العرب كالسعودي فانه يقول (في كتاب التنبيه ص ١٥٣) في اثناء كلامه عن الموارنة : "ان امرهم مشهور بالشام وغيرها اكثرهم في جبل لبنان وسنير وحمص واعمالها" . وفي كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (ص ١١٩) مدلول سنير على جبل الشيخ او على الجبال الواقعة في شمالي غربي دمشق . وجاء في الصبح الاعشى للقلقشندي (ص ١١٣١) من نسخة مكتبتنا الشرقية) : ثم يتد (لبنان) الى الشمال ويجاور دمشق واذا صار في شمالها سمي جبل سنير . وكذا في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الحمذاني وغيرهم . لكنه يؤخذ من قول ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٢٥) ان سنير تدل ايضاً على قسم من لبنان او على الجبال الواقعة "بين حمص وبعليك" . اما لقطة "صنين" فيظهر انها حديثة العهد لم نجد لها ذكراً في تأليف العرب القديمة

ومن يتسأل قم صنين العليا يجد ثمت آثاراً من بناء مربع مشيد بنحيت الحجارة . وعلى مشارف جبل الكنيسة بنا . آخر مثله . ولا يمكننا ان نحكم على اصل هذه الابنية حكماً قطعياً ولعلها من مآثر الفينيقيين بنوها لبشارة مناسكهم الدينية . والله اعلم

## ٧ ساحل علما

فلنواصل الآن سيرنا الى جهات الشمال بعد ان استطردنا الى ذكر اعالي لبنان واعمال الرومانيين في انحاء . وفي كسروان آثار قديمة وصفنا منها قسماً في الفصول السابقة وهالك ما بقي علينا وصفه

وَمَا يَسْتَلْفِتُ الْإِنْظَارَ فِي اسْفَلِ كَسْرَوَانَ مَتَحَجَّرَاتٌ عَلَى شِبْهِ السَّمَكِ تَجِدُ مِنْهَا شَيْئاً كَثِيراً فِي سَاحِلِ عَلَمَا . وَهَذِهِ الْأَفْئِدَةُ قَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي اسْفَارِ قَدَمَاءِ الرُّحَالِينَ وَقَدْ ذَكَرَهَا السَّافِرُ الشَّيْخُ مَنَكُونِيْسُ ( Monconys ) فِي رَحْلَتِهِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ ( ج ٢ ص ٧١ ) وَكَرَّرَ بَعْدَهُ اصْطَبَابُ الْاسْفَارِ وَصَفَهَا . وَجَاءَ فِي تَرْجُمَةِ الْقُدَيْسِ لُؤَيْسِ التَّاسِعِ مَلِكِ فَرَنْسَا لِلْسَيِّدِ دِي جُوَانْفِيلِ عَنْ اسْمَاكَ مَتَحَجَّرَةٍ جَمَعَهَا قَوْمٌ مِنْ لُبْنَانَ مَا تَعْرِيْبُهُ ( ١ ) : « وَلَا كَانَ الْمَلِكُ فِي صَيْدٍ إِتَى إِلَيْهِ قَوْمٌ بِحَجَرٍ غَرِيبٍ ذِي قَشَرٍ وَفُلُوسٍ . وَكَانَ إِذَا تَوَجَّعَ مِنْهَا قَشْرَةٌ وَجَدَ بَيْنَ كُلِّ حَجَرَيْنِ شِبْهَ سَمَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَتَحَجَّرَةٍ لَا يَنْقُصُهَا شَيْءٌ مِنْ هَيْئَةِ الْاسْمَاكِ وَتَرْكِيْبِهَا وَذَعَانِقِهَا وَحِكَايَاتِهَا وَالْوَالِيَا كَأَنَّهَا اسْمَاكَ حَيَّةٌ . وَقَدْ اعْطَانِي الْمَلِكُ مِنْهَا حَجَرًا فَوَجَدْتُ فِيهِ سَمَكَةً مِنْ نَوْعِ الشُّبُوطِ ثَامَّةُ الْبَنِيَةِ ذَاتُ لَوْنٍ اسْمَرٍ » . وَفِي مَتَحَفٍ عَادِيَّاتٍ مَدْرَسَتَا الْكَلْبِيَّةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْمَتَحَجَّرَاتِ الَّتِي يَرْتَقِي عَهْدُهَا إِلَى الْإِزْمَنَةِ السَّابِقَةِ التَّارِيخِ

هَذَا وَفِي مَا مَرَّ ( رَاجِعِ الصَّفْحَةَ ٥ ) قَدْ أَتَيْنَا بِذِكْرِ قَرْيِ كَسْرَوَانَ الْمَجاوِرَةِ حُورِ جُونِيَّةٍ . فَلَنَذْكُرْ الْآنَ الْقَرْيَةَ الْعُلْيَا مِنْ هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ ، وَأَوَّلُهَا غَزِيرٌ يَوْجَدُ فِي اسْفَلِهَا مَدَافِنٌ وَمَعَاصِرٌ قَدِيمَةٌ . أَمَّا قَصْبَةُ كَسْرَوَانَ فَلَمْ نَرْ لَهَا أَثَرًا يَبْنِي بِوُجُودِهَا قَبْلَ الْقُرُونِ الْتَوَسُّطَةِ . أَلَا أَنَّ اسْمَهَا سَرِيَانِي ( Sarani ) كَأَسْمَاءِ أَغْلَبِ قَرْيِ لُبْنَانَ وَمَعْنَاهُ « الْقَطِيعُ » أَوْ « الْقَطْرُوعُ » ( ٢ )

وَقَدْ وَجَدَ بَعْضُ الرُّحَالَةِ فِي « فَتَا » عَلَى بَعْدِ سَاعَةٍ مِنْ غَزِيرِ شَالَا كِتَابَاتٌ عَدِيدَةٌ

( ١ ) رَاجِعِ Joinville, ob. 118, ed. Maitly, p. 330

( ٢ ) « لا قطيع الغنم » كما زعم ف. إني حلقة في جغرافيتي ( رَاجِعِ المَشْرِقَ ٢ : ٤٧٥ )



يوثقية أحدها من سنة ١١١ للمسيح يُستفاد منها أنه كان هناك هيكل . وهذا دليل على أن قنقا كانت موضعاً معتبراً

### ٨ معراب

معراب مزرعة على عطف الجبل بين دلبتا وعين ورقة تبعد نحو ٥ كيلومتر ونصف من عين ورقة في شرقيتها بحجة ريتون . فيها آثار ماثلة يعرفها أهل تلك الضواحي بقنعة معراب أو يدعونها بطلق اسم القنعة . والأرجح أن هذه الأخرية أحد المعابد العديدة التي أقامها الرباب الذين أقدم على مشارف لبنان تعزيراً لديانتهم . وهو نعم الموقع يتدنى منة البصر جنوباً إلى بيروت وبحرها اللازوردي وشمالاً إلى جبيل وبطائحها الخضراء . والآثار الباقية عبارة عن جدران ضخمة الحجارة طولها ٢٥ مترًا في ١٠ أمتار عرضاً و ٦ أمتار علواً . وقد بقيت بعض الحجارة فإذا طولها



آثار قنعة معراب

يبلغ خمسة امتار بلقيس في عرض مسترين . وفي البناية حجارة مشعة محفورة في الصخر ذات حافة يندف فيها سقاية لمائها لجعلت قديماً لتجري فيها دماء الذبائح وألصق التقاديم . وهذه غاية ما نعلمه عن هذه البناية التي أعلن أولاً امرها اليسوعيون في غزير فأرشدوا إليها ريثان أيام سياحته في لبنان فذكرها في كتابه "بعثة فينيقية" (١) ولم يصفها (راجع تزيين الموانئ للدويهي ١٦ و ١٢٦)

### ٩ غينة

ناذا المحدثنا الآن من مزرعة معراب وعجرا وادي غزير ثم اتجهنا الى ناحية كفور (٢) حيث تنتصب قمة مستديرة الشكل تُعرف برأس الكنيسة وجدنا على مسافة نحو كيلومترين منها بحوار قرية غينة صخرة منفردة يبلغ علوها بضعة امتار وللصخرة المذكورة وجهان الشمالي والشرقي قد نحتها القدماء . فنقشوا في كل منهما ثلاث تصاوير ثالثة طمس الدهر قسماً منها وحطمت منها قسم عديداً . وأول من وقف من العلماء على هذه النقوش القريية الايوان اليسوعيان بوركنو (Bourquenoud) وروز (Roze) في سنة ١٨٥٢ وربما صورها في مجلة الابحاث (٣)

فالجهة الشرقية وهي الكبرى تحمل بطلاً يحمل الذراعين شديد الجسم في يده رمح مُشرع كأنه متحفر للقتال وقد صوب بسنانه الى صدر حيوان ضار هجم عليه وسند إحدى قوائمه الى كتفه كأنه يحاول اقتلاسه . والشخص النوء به لابس ثوباً خفيفاً وهو شمار يكاد يبلغ ركبته تضئته حبكة عند وسطه . اما هيئة الحيوان فهي اقرب الى الدب منها الى الاسد . وقياس القسم المنحوت من الصخر يبلغ متراً و ٩٦ سنتيمتراً علواً ومترين و ٨٨ سم . عرضاً . وبقرّب الصورة الموصوفة آنفاً نقش آخر اصغر منه يمثل امرأة رشيقة القد جالسة

(١) Mission de Phénicie, p. 328 راجع

(٢) راجع ما ورد عن كفور في الكتاب السابق ذكره (ص ٣٢٧)

(٣) Etudes Religieuses, 1861 راجع

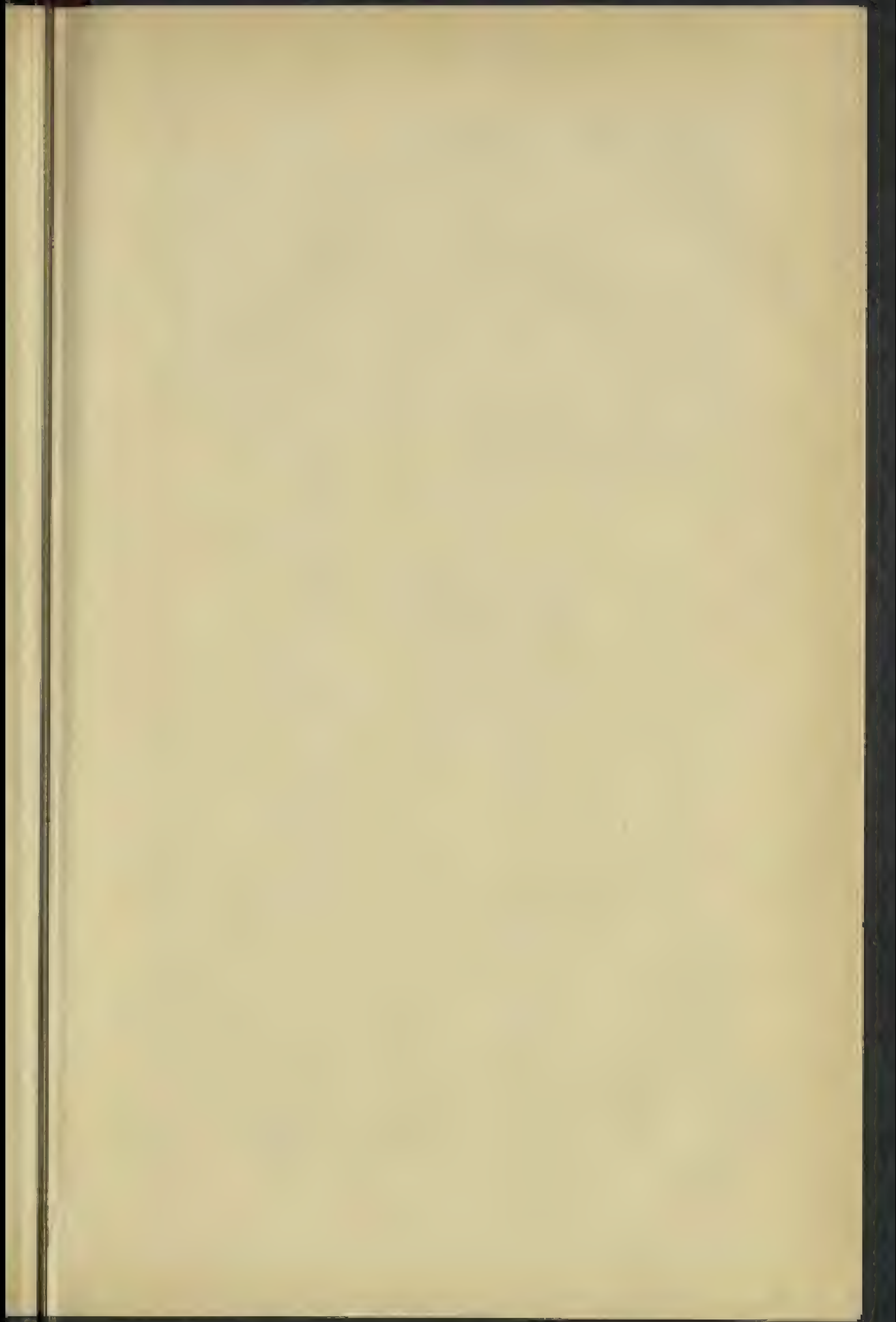




آثار غنية



آثار المشقة





على مقعد تراها كسيطة البال كنيبة رافعة يمينها الى وجهها وبصرها مائل الى صورة  
البطل المقاتل . وعلى رأسها منديل يبلغ طرفاه الى وسطها . اما رجليها فتستندهما  
الى مسند نقوشه على مثال المقعد التي هي جالسة عليه

وفي الجهة الثانية من الصخر على شمال هذه التصوير رسوم اخرى يسند اثنا  
دائرة مطسوسة . وبما يظهر منها جلياً صورة شخص منتصب يشكئ الى شبه سهم  
او صولجان تلوح على وجهه امارات السكينة والوقار . اما بقية التصوير فلا سبيل  
الى وصفها او اثبات رسومها لاندثارها وما لا شك فيه ان ثم صورة حيوان ولعلها  
وحشان . وللاب العلامة بوركنو (١) مزاعم في شرح تصوير هذا النصب الثاني  
لا يوافقه عليها العلماء

وما من شأنه ان يكشف عن سر معنى هذه النقوش ان تحت رسوم الجهة  
الشرقية مغارة انحوت في الصخر

ولا ريب ان هذه البقايا تنبئ بآثار تعبد اهل فيزيقية لادونيس او تموز (٢)  
ولعل الاحاديث الشائعة بين القوم كانت تشير الى قرية غينة وتروي عن موت هذا  
الاله انه قُتل في هذا المكان فاحتمت عليه امه الزهرة او عشتاروت . اما المدفن  
فالمرجح انه تحت تحليداً لهذه القصة لا لتمثيل قبر حقيقي

وما يحسن ذكره هنا ما ورد عن ماتم تموز في سفر حزقيال اذ رأى هذا النبي  
رجساً في الهيكل فوصفه بقوله (حز ١٤: ١٨) : " واتى بي الى مدخل بيت الرب . . .  
فاذا هناك نساء جالسات يبكين على تموز "

على ان هذه الرسوم الدينية لا يوضح معناها تماماً الا بمقابلتها بآثار اخرى وجدت  
على الايام عند قرية المشتقة

## ١٠ المشتقة

موقع مآثرها الجلية في وادي نهر ابراهيم على ربوة ذات قطع عمودي مشرفة

(١) راجع مجلة الاممات ١٨٦١، p. ٩٤٥ Etudes,

(٢) ومدنول كلا الاسمين واحد

على النهر وتلك الضواحي منظر يجمع بين الحسن والقراية . أما الآثار التي تستلفت  
الخطار في المنطقة فاربعة :

( الأولى ) عبارة عن سور او حى مربع مستطيل تكسره ٩٥ متراً طولاً في  
٥٠ عرضاً . وباب البناء من جهة الشرق . والظاهر ان هذا التربيع كان يحد سابقاً  
المعبد والابنية اللاحقة به كما ترى في قلعة فقرا وفي حصن سليمان في بلاد النصيرية  
وغيرها . وحائط السور قليل السمك بسيط البناء يستند في جهته الشمالية الى  
صخر . وفي داخل السور في الجهة للقبلة للباب بقايا اساس مربع بُنيت فوقه  
عواميد لم يبق منها غير حجارها السفلية . وقد اتخذ جانب من أخربة هذا البناء  
لعبرة حديثة

واذا احضنا في البحث عن اصل هذه الاطلال وجدنا انها كانت هيكلًا يتوسط  
السور الذي ذكرناه . وكان لهذا الهيكل اعمدة من الطراز الهندسي القورنثي يعطوه  
شبه هرم مخروط الشكل بقي منه حجران منقوشان نقشاً بديعاً

والآثار ( الثانية ) على شمال السور الموصوف تبعد عنه ١٢٠ متراً . فهناك  
مجاز قد نُحِت في الصخر ونُقش على جانبيه رسوم قديمة . وفوق هذا الصخر  
نواويس ضخمة مثقورة في الحجر على شكل أجران مستطيلة لها اعطية مخروطة  
الجوانب . أما النقوش فهي باثرة وهي سبعة عدداً ففي مدخل المجاز المذكور  
صورتان عظيمتان متقابلتان من كل جانب وهما منقوشتان في ضمن إطار او كوى  
من صنف الهندسة الايونية ويلاصق هاتين الصورتين من جانبيهما صورتان اخريان  
اصغر منهما ولكل منها إطار منقوش كما ترى في الصور التي رسمناها . والصورة  
السابعة وهي متوسطة في الكبر نُقِشت في الصخر منفردة عن بقية التصاوير من  
جهة الشرق

واحدى الصورتين الكبيرتين التي عن يمين العابر في الصخر تمثل بطلاً لبنة  
كالشخص الذي وصفناه في نصب غينة . ولعل الصورة الموازية والداسة لقدمها  
تمثل امرأة تنوح . وأما اشخاص الصور الصغرى التي على طرفي الصورتين الكبيرتين  
فمن تبعة الشخصين المتوسطين تراهم يمدحونها بالنظر ويتأثرون بحركاتها  
ومعنى هذه التصاوير اذا قبولت بتصاوير لجنة يتضح جلياً وانما تمثل نبذة

من ترجمة قموز اعني موته ومناحة الزهرة عليه . قال مكروب المؤرخ اللاتيني (١) :  
« الزهرة مصورة في لبنان مقنعة الرأس كنيية الوجه تسند رأسها الى شملها المحتجة  
برداؤها » (٢)

والاثر (الثالث) من آثار المشفقة على مسافة عشر دقائق شرقاً من باب السور  
فهناك ساحة بُني فيها في القرون الفائرة معبد صغير اخربهُ بعض طلاب الكتوز منذ  
سنتين قليلة . وبين الرّدم نُصب أُقيم ذكرًا للبل وفي رأس النصب اكسيل وعلى  
طرفيه نقوش تجل الصاعقة (٣)

أما الاثر (الرابع) فهو في شمالي غربي السور الاعظم فهناك ابنية من ضيعة  
سكنها قديماً النصارى والدليل على ذلك ان من جهة الاخرية كنيية على هيئة  
الكنائس البوزنطية . ولعل النصارى احتلّوها الى ايام الفتح الاسلامي

هذا وقد بحثنا عن اسم المشفقة القديم فلم نجده وكذا قل عن اسمي غينة  
ودير القلعة فان التواريخ القديمة لم تُفدنا من امرها شيئاً . وما لاشبهه فيه ان هذه  
المعابد التي وصفناها اقيست لآكرام قموز إله الجيلييين وكان ذكره شائعاً في تلك  
الانحاء . وكثرت الهياكل على اسمه . يستدل على ذلك من اسم نهر ابراهيم عند القدما .  
وكانوا يدعونه ادونيس (Adonis) وهو قموز . أما عهد هذه الابنية فمجهول  
ايضاً لكنه على الاصح لا يسبق زمن تلك الرومان على سورية ولبنان

## ١١ الديانة الفينيقية في لبنان

قد اشرنا في الفصول السابقة الى دين اهل لبنان ومناسكهم وهياكل آلهتهم  
المشيذة في مشارف الجبل كدير القلعة وغينة والمشفقة . وعددنا ارباء آلهتهم كالبلع  
وعشتاروت وقموز . الا اننا احببنا ان نفرّد هنا فصلاً خصوصياً لهذا البحث الهام  
ونلخص كل ما ثبت لدى العلماء من هذا القبيل فان هذا النظر العام من شأنه ان

(١) راجع كتابه Saturnales I, 21

(٢) وقد رسمنا صورها الموصوفة هنا

(٣) راجع بشة فينيقية Mission de Phénicie, Pl. XXXII



يوضح كثير من احوال لبنان ويكشف ما استغلقت فيه من امور اهل الاقدمين وقد شاء الله ان يكون الفينيقيون قوماً وسطاً بين الشعوب الشرقية القديمة والامم الغربية التي خلفتها، ولا تخرج ديانتهم عن هذا الحكم بل تراها بعد الفحص المدقق أنها تشبه في كثير من امورها ديانة مصر وآشور وان آلهة الفينيقيين هي آلهة بممالك النيل والفرات استعارها منهم بعدد اليونان فكساها شعراؤهم بضروب من المحسنات الخيالية وزدقوها بمسحة من الرونق والجلال

ومن خواص ديانة الفينيقيين أنهم كانوا يتعبدون لآلهتهم دون ان يجهدوا فكرهم في تنظيم آلهتهم وبيان العلاقات التي تربط آلهة بالآخر كما ترى في ديانة الاشوريين وامنام اليونان فان بين آلهة هؤلاء الشعوب بعض النظام بحيث يتسلسل صغيرهم من كبيرهم وينتمي بعضهم الى بعض بخلاف آلهة الفينيقيين فان في معبوداتهم تشويشاً ما ولعل هذا الاختلاط ينجم عن حالة اهل فينيقية السياسية واستقلال مدنها . وربما وجدت العبود الواحد مثقفاً في مدينة بصفات لم يعرف بها في مدينة اخرى قريبة منها

وما لا مشاحة فيه ان عبادة البعل كانت تعم كل النحاء فينيقية . ومعنى اسمه في اللغات السامية الرب والسيد وإن ذلك الأصفة عامة لجميع آلهة الفينيقية كانوا ينعتون بها معبوداتهم الخاصة في كل مدينة فيقولون " بعل صيدون وبعل برث وبعل طرسوس وبعل لبنان وبعل حرمون " وهلم جرا . واسم الجميع بعليم وردت غير مرة في اسفار العهد القديم . غير ان مدلول هذه المستيات في الغالب آله واحد كانوا يحتضرونه في كل مدينة بعبادة محلية تبين بعض صفاته . ثم أخذ القوم بهذه الصفات الخاصة فجعلوها آلهة ثانوية قائمة بذاتها دعواها البعليم وكلها منبتة من الاله الاعظم الاصلي فتشرك بقسم من كمالاته وقواه . وامسى الاله الواحد منقسماً الى آلهة متعددة

الآن تقسم الذات الالهية كثيراً ما كان يتبع تخطيط البلدان فيني مثلاً اهل مدينة عيكلاً للاله العظيم فلا يلبثون ان يعتبروا ذلك المقام كسكن لبعض قوى الاله ثم يتخذونه كمعبود مستقل . وعلى هذه الصورة تعددت البعليم في صور وصيدا ولبنان وحرمون وصارت لاحقة بالمبدأ الاول والبعل الاعظم

أما إذا استقصينا البحث عن هذا البعل الأول المذكور فيظهر جلياً أن المعنى به ألماً هي الطبيعة الحيوانية بكل قواها تبعد وتفتي . وتخلق وتلاشي . وتحيي وتميت . وكانوا يعرفون هذا الإله باسم مخصوصة في كل حالة من حالاته فأدّت بهم أساؤه إلى أن اعتبروه كآلهة شتى

وكانوا إذا حسبه كآلهة الموجودات ومولد الكائنات يدعونه بعل تموز أو أدون ومنه اشتق اليونان اسم ادونيس ( Adonis ) . ومن المحتمل أن يكون ادون هذا هو المعروف أيضاً باسم بعل لبنان . أما تكتيته بعل سائم أو بعل السماوات فكان يراد به إله النور وجرم الشمس . وكان لكل البعل علاقة مع بعض النجوم السيارة إلا أن الإله « تموز ادونيس » معبود مدينة جبيل كانت علاقته مع الأجرام الفلكية أعظم من غيره . وكان الفينيقيون في زمن الدولة اليونانية يزعمون أن ادونيس المشار إليه ألماً كان شاباً يتصيد في الشام وأنه كان ابناً لعشורת ففي بعض الأيام خرج سائحاً إلى جبال لبنان ليتصيد في غاباتها الشرقية على جبل إذ وثب عليه خنزير برّي فقتله

الآن هذه الخرافة على زعمهم كانت رمزاً عن الشمس وتقلباتها من حالة النور إلى الظلام في بعض فصول السنة . فكانوا إذا قدم الخريف يحتفلون بأعياد يدعونها جنازة ادونيس ( Adonies ) ففي تلك الأيام كنت ترى نساءهم يلبسن الحداد ويرذهن إلى نهر ابراهيم الخصص لذكر ادونيس فيجلسن على ضفتيه باكيات معولات يرثين موت الإله ومحاسن الطبيعة التي يعبد عنها ( ٢ ) . وكان البعض مشين يُسبّحن ذيوهن ويسدن شعورهن ويسرن في شوارع جبيل مغبرات شعاً يلفطن وجوههن ويولدن على تموز ويغنين الأغانى الشجية البكية

أما إذا انتهى فصل الشتاء وزهت الدنيا بقدم الربيع وانقشاع القيوم عن الشمس فكانوا يقيسون لذلك مواسم تنبي بفرط سرورهم وعظم افراحهم

( ١ ) ولعل هذه الصيغة هي صيغة المنادى بدلاً من « ادوني » أي سيدي . وكانوا إذا ابتلوا شفاعته البعل يدعونه بهذا الاسم

( ٢ ) راجع آية حزقيال النبي وما ذكرناه في التفسيرين السابقين عن تقوى غيرة والشفقة

ومن تعبدهم للأجرام الفلكية المسيرة فتبعت عبادتهم للنار وكان الفينيقيون يعظمونها كماحدى أركان الطبيعة ويقدمون لها الذبائح فيحرقونها وربما اتخذوا أحرقاتهم أطفالاً صغاراً لا يرثون خلهم .  
ومما يشعر بتعبدهم للأفلاك عبادتهم للبعل حامون أي المحرق وكان اسمه شائعاً عند القرطبيين والبعل رصف ( Reseph ) وهو اله الصاعقة ونار السماء .  
وكذا كان أهل صور يعبدون بعل ملكوت الههم الأعظم على صورة حجر منيرة .  
ومن ذلك أيضاً تعبدهم للرجوم أو الحجارة الواقعة من السماء .

وزد على ما سبق أن عبادة الحجارة كانت من خواص دين الفينيقيين فكانوا يقيمون أنصاباً ينحتونها ويدعونها بيت إيل ( ١ ) أي بيت الله يزعمون أن الذات الإلهية تجل فيها وتسكنها . وأكثر ما كانوا يجتازون لعبادتهم حجارة الأجرام لاسيما تلك التي رأوها ساقطة من الهواء على شكل شهب نارية فيعدونها لذلك هيئة سالوية . واذ كانت هذه الرجوم مركبة من مواد بركانية ذات لون اسود وتوفر عددها في لبنان فذلك شاعت عبادتها في الحانة . ومما كان يزيد في اعتبارها عند القوم أن يروها على شكل مخروط لا يجدون في هذا الشكل من الرموز الدينية كما اثبتنا ذلك في بعض فصولنا السابقة ( ٢ )

وكان البعل أو الطبيعة الإله معتبراً عند الفينيقيين كذي مبدئين متمازين أحدهما مبدأ الخليفة الفاعل والآخر مبدأ المفعول . ومن المبدأ المفعول نتجت الإلهات الإناث وليست الأنثى عندهم سوى إعلان لقوة الإله الذكر تظهر خواصه وتقابله .  
وكما أن البعل كان الإله العظيم كذلك كانت عشاروت الإلهة الكبرى وهي تنقسم أقساماً عديدة على مثال البعل فترى لكل بعل خاص يعبد في بعض المدن بعل من جنسه . وحيثما كان البعل ممثلاً الشمس كانت البعلة تمثل القمر . ولبعل الديانيم إلهة توازيه يدعونها ملكة هالديانيم . ومن الأزواج المذكورة في الكتابات الفينيقية بعل

( ١ ) ومنها اشقي اليونان لفظهم Βασιλεύς - راجع قاموس التوراة لفيفور

( ٢ ) راجع المشرق ( ٢ : ١٢٧ ) ومثالتنا السابقة في دير القلعة





تمثال الزمعة المصودة في لبنان



صيدون وعشاروت في صيدا، وجموذ وبعله جبل (١) في جبيل . وكثيراً ما يطلق على بعله جبل اسم البعل بلا اضافة وكان هيكلها من أشهر الهياكل تفتح اليه الزوار من كل صوب

وكانت عشاروت والبعل وملكرت كصنف من التثليث الالهى في صور . وكان لهذا الثلاث مربة عليا بين الآلهة يذعن له بقية المعبودات الثانوية . واتخذت صيدون لها ثالثاً آخر يركب من عشاروت والبعل واشمون . أما الجليليون فكانوا ثلوثهم ايل وجموذ وبعله . وبعله هذه هي التي يدعوها المؤرخون في زمن الدولتين اليونانية والرومانية زهرة لبنان اشتهرت عبادتها في أفقة كاسياقي . وكان للفيلقيين ما خلا هذه الاصنام آلهة أخرى من الطبقة الثانية وردت اسماؤهم في المخطوط القديمة

وخلاصة الكلام ان دين الفيلقيين كان مرجعة الى تأليه قوى الطبيعة وتعزيزها . اما مناسكهم الدينية الظاهرة فتغلبت عليها الفطائع والاداس حتى أنهم كانوا يعدون اعمال العبادة والقبور كافعال تقوية يتقربون بها الى آلهتهم النجسة ولم يأنف كهنتهم من المجاهرة بالفضش فانهم كانوا يتخذون لكل هيكل نساء من المومسات يدعونهن عالمات (عوازم) او قدسات يعرضون بهن لكل ضروب الفحشاء

ومن قبائحهم ان كهنة البعل وعشاروت في بعض المواقع كانوا يتخذون فيلبسوا لباس النساء . ويطلقون وجوههم بالعمرة ويعرفون اعضاءهم ويسمرون في المدينة جموعاً منهم من يشهر السيف والفأس ومنهم من يضرب الصنوج والطبول ويؤمر بالزمارة وكلهم يولولون ويرقصون كرقص الدراويش في ايامنا فتارةً يخلفون بين ارجلهم وثدة يحنون صدورهم وحيناً يقفزون قفزاً وطوراً يرحلون على الحضيض وهم يسحبون على الارض شعورهم المتشعبة . ثم كانوا يعمدون الى المدى والسكاكين والحرايب والسيوف فيخذشون وجوههم ويشرحون ابدانهم ويقطعون

(١) وبعله جبل هذه ذكر في مراسلات من العجيزة المكتشفة حديثاً التي برتقي عهدنا الى القرن الخامس عشر قبل المسيح



قطعا من لحومهم ويطعمون بطونهم فاذن سالت دماؤهم واصطبغت اجسامهم  
قدّموا ذلك ضحية لطلوعيتهم . وقد ورد في سفر الملوك الثالث (الفصل ١٨ الآيات  
١٦ - ٣٠) ذكر كثير من هذه الامور وفيه وصف ضحية كهنة البعل على جبل  
الكرمل في عهد الياش النبي الحبي

ومن فظائهم التي أُلعا الى ذكرها في معرض كلامنا عن دير القلعة المتفاد  
البشرية التي كانوا يضخونها لاصنامهم وكانت هذه الضحايا احسن موقعا عند الهتهم  
يأنسون اليها ويتنسسون منها رائحة الرضى . وكانوا يوثقون لهذه المذابيح الفظيعة  
الاولاد الابكار لاسيا الاطفال الصغار بعد ولادتهم يزعمون ان هذه البواكير  
تستجلب بركات الالهة على اصحابها

تلك كانت اعمال الدين الباطل التي لم تزل سائدة معززة رغما عن اقوال الانبياء  
وغيرة اولياء الله في العهد القديم حتى ظهر ابن الله وضاعت اقوال النصرانية في العالم  
فاقشمت هذه الظلمات المظلمة وخذلت عبادة الاصنام واخرت هياكل الشرك على  
يد ملوكها العظمين كقسطنطين وثيودوسيوس

## ١٢ اليمونة

اليثونة قرية على عطف جبل منيطرة من جهة الشرفة على سهل البقاع بينها  
وبين افقة بعض الشبه . واسم اليثونة مشتق من السريانية (مقعدا) معناها البحيرة  
دُعيت بذلك لان بقربها حوضا تجتمع فيه مياه تلك النواحي يدعوها الاهلون بركة  
اليثونة . اما قول السيوريشان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٠٧) ان البحيرة  
اشتهت اسمها من اسم القرية فهو خلاف الواقع كما ترى

والبحيرة المذكورة في غور عميق تكثف الجبال العالية من كل صوب ما خلا  
الجهة الشمالية الشرقية . فان في هذه الجهة ربوة صغيرة تقوم في وجه المياه وتصدّها عن  
السيلان . اما وطأ الارض الذي تمتد فيه البحيرة فقريبة مرصوة من الحواري  
الشديدة البياض فاذا دخل فصل الصيف نضبت مياه البركة وريس غورها البالغ  
طوله نيفا وkilometers في عرض نحو الف متر . فيسير السائر في تلك البطحاء على

هو أنه لا تزل به الرجل ولا تقوص في وحل وكل ذلك دليل على أن المياه وقت اجتماعها لا تنصفي في ذلك الوطأ وإنما تغور في الأرض كما سذكر  
وفي شمال البحيرة عند سفح الجبل المنصب عليها ترى نبوعاً عديدة تنفجر في الأرض ماؤها زلال عذب اصفى من الدمة . يتجمع في ميل عرضه بين مئتين وثلاثة أمتار فيجري عند طرف البركة الشرقي ثم يحتاذ البحيرة في عرضها إلى أن يبلغ حوضاً قليل السعة كأنه بركة في بركة كبرى . وهذا الحوض الصغير غير منتظم الجوانب لا يتجاوز ٤٠ متراً في أوسع امكانه . أما عمقه فيبلغ في شهر ايلول خمسة أمتار ثم يأخذ بالنقصان إلا أن هبوطه لا تكاد العين تلاحظه لكثرة ما يجري إليه من المياه

وما لا ريب فيه أن المياه المتجمعة في الحوض الصغير تسيل من منفذ خفي يدعوها الاهلون بالوعاء وهو محجوب عن العيان تخفيه الحجارة وركام من الحصى والرمل . فتسيل المياه من هذه الشقوق إلى سرب تحت الأرض  
وأول من عرف الأوروبيين بهذه البحيرة السائح الفرنسي بولس لوقاس ( Paul Lucas ) زارها في أثناء القرن السابع عشر وهو يزعم في رحلته أن هذه البحيرة حديثة العهد . وهو زعم مردود يشهد على بطلانه اسم اليثونة السرياني وهو أقدم من ذلك العصر بكثير

ثم تردد كثيرون من السياح إلى لبنان وزاروا البحيرة المذكورة وبعضهم صنعوا اسمها ببحيرة ليمون ( Laimoun ) ( ١ )

ومما يجدر بالذكر أن سطح مياه بركة اليثونة مع صعوده وهبوطه سنوياً لم يبلغ إلى نضوب البحيرة تماماً حتى سنة ١٨٧٠ . فلما دخلت السنة المذكورة ساخت الأرض بطبقة الوحل والرمل التي كانت في قعر البالوع فالتصمت فوهة النفذ الداخلي وانحطت مياه البحيرة على حين غفلة وجرت من هذه النافذة . وكانت سابقاً تنضف في الأرض نضيفاً

هذا ثم تعود مياه البحيرة عند الاعتدال الربيعي فيرتفع سطحها وتتدفق جوانبها

( ١ ) راجع كتاب ريتز ( Ritter : Erdkunde, XVII, 301 )

الى ان تبلغ معظم ارتفاعها بعد شهر من الزمن وذلك ان المياه تتبجس من مغارة قريبة في منعطف الجبل فتسيل الى البحيرة وتغمرها . وهي لا تزال تجري من تلك المغارة بقوة شديدة الى انقلاب الشمس الصيفي وهو منتهى ذوبان الثلوج على رؤوس الجبال فتقطع المياه اذ ذاك بغتة وتأخذ البحيرة بالتضروب شيئاً فشيئاً للسبب السابق ذكره حتى لا يظهر من البحيرة الا قعرها . على ان هذه اليوسه الناجمة اليوم عن نفوذ المياه في قعر البالوع كانت سنة ١٨٧٠ جزئية لان الارض المنخفضة في ذلك العام مع كونها نخرة كانت من ذي قبل غمسك قسماً من المياه حتى في اوان حرارة القيظ

ولعل القارى يسأل وماذا يحدث بالمياه المتوارية من بحيرة اليثونة والى اين مجراها ؟ اجبتا ان هذه المياه تنفذ في قلب الجبل فتجري الى جهة الغرب وتخرج من مغارة أفقة وعند قرية العاقورة منحدره نحو ١٥٠ متراً عن سطح بحيرة اليثونة ومن هذه المياه يتكون نهر ادونيس المعروف اليوم بنهر ابراهيم . وهذا الامر قد ثبت الآن عند العلماء لا يرتلون في صحته لان مياه اليثونة لا اثر لها في منعطف الجبل الشرقي من جهة البقاع وزد على ذلك ان الجبل الفاصل بين وادي نهر ابراهيم وبطنجاء اليثونة قليل الاتساع في باطنه مغاور عديدة يسهل نفوذ المياه اليها

وان سرت بضعة اميال الى جنوبي بحيرة اليثونة على منعطف الجبل الشرقي وجدت وادياً كثير الاشجار في وسطه بحيرة صغرى جميلة المنظر تدعى بركة الزينية طولها نحو كيلومتر في عرض ٥٠٠ متر مياها صافية كالزالال وليس في هذه البركة من السك شي وانما تسبح في مياها الضفادع والحيات المائية بخلاف بركة اليثونة التي يتوفر فيها السك

وبحيرة الزينية تحف بها التلال المرتفعة وتسيل اليها المياه المتجمعة من الثلوج الذائبة وتنصب فيها جداول عديدة تجري في تلك الاصقاع . وقعر المياه من المواد الكلسية النخرة الكثيرة التفتت الشائعة في اعالي لبنان فتتخذ منه المياه وتغور كما تنضب مياه بركة اليثونة فتجعل الارض وتيس بالتمام وعلو هذه البحيرة الصغيرة عن سطح البحر نحو ١٨٠٠ متر كأنها في حداثا احدى بحيرات جبل الالب (راجع الشرق ١ : ١٢٦)



ومن الآثار القديمة التي تروى في اليثونة ذكوة مربعة من الحجارة المنحوتة بُنيت على طرف البحيرة في وسط النبع المتفجرة التي تُحْدَقُ بها . وهناك بقايا من أسوار وأعمدة وأفاريز وصفائح ضخمة من الحجارة تدلُّ على أنَّ ثمَّ كان هيكل رومانيُّ أبادهُ الدهر . ولا أثر هناك لكتابات قديمة

وقد حاول بعض المحدثين أن يشبِّهوا أنَّ هيكل أفقا الذي ذكرهُ القدماء كان في جوار بحيرة اليثونة . ألا أنَّ هذا الزعم لا سند له كما بيَّن الأمرينان في بعثة فينيقية (١) والصواب أن القدماء اتخذوا لهم هيكلين أحدهما على مقربة من بحيرة اليثونة والآخر عند منبع مغارة افقة وكان بين الهيكلين تناسب يعدُّهما القوم كمعبدَي إله واحد لما بينهما من الشبه في خروجها من حوض واحد . ولعلَّ هذا الوفاق بين الهيكلين حمل المؤرخ اليوناني زوزيمس (٢) على ذكر بحيرة بقرب هيكل الزهرة عند افقة . وإنَّا قال ذلك توسعاً لا يريد بلفظة « ἀνάτολη » اليونانية « المجاور القريب » بل مطلق الاقتراب فقط . ومن الممكن أيضاً أنَّ هذا المؤرخ لم يتكبَّت الأمر بنفسه بل أورده عن سيمع (٣)

هذا ثمَّ إنَّ الطريق المؤدية إلى بركة اليثونة إلى بعلبك كثيرة الآثار فيها كتابات عديدة ألا أنَّ أكثر هذه الخطوط دراسة مطبوسة لا حاجة إلى ذكرها في هذه الخلاصة

### ١٣ أفقا

كردنا مراراً اسم افقة (ويقال أفقا) في فصولنا السابقة على أنَّا لم نخصها بعد بالذكر . فرأينا أن نفرد لها باباً خاصاً نثفيد قراءنا ما بلغنا من أمرها قلنا إن وادي نهر ابراهيم كان يُعدُّ في القرون الخالية كارض مقدسة تعبد فيها الفينيقيون لشمس ( ادونيس ) فقاموا له الترات والابلية الدينية يحجُّون اليها ويتهركون بها . وقد امتاز بين هذه المعابد هيكل افقا الشهير جعلوه عند رأس نهر ابراهيم في موقع يفوق بحسته جميع مناظر لبنان ويأخذ بالابصار لحسنه القنَّان هكذا

(١) Renan : *Mission de Phénicie*, 308

(٢) Zozime : *Hist.* 309 seqq.

(٣) راجع في هذا الصدد مقالة حسنة شرطا مير شربل غلاردو بك في مجلة مصر ومولانا العلامة السير يئش هذا عنوانها ( *Les eaux d'Adonis au mont Liban*, p. 12, seqq. )

وصفه رينان في كتابه الرسوم بيعة فينيقية وبيته في مقاتلتا عن جبال الالب ولبنان  
(الشرق ١ : ٧٢٢)

يشق العلماء اسم أفقا من السريانية أفقا اصلها أفعفا او نفعفا معناها « المخرج »  
يريدون بذلك « مخرج المياه » او ينبوع . فنه دُعي المبد الذي نحن في صدره وكان  
مبلياً لأكرام « زهرة أفقا » يتقاطر اليه الحجاج من كل نواحي الشام . وكان اهل  
تدمر يقصدونه في كل سنة لئلا يسكنهم . لكنه لم يبق من هذا الهيكل القديم غير  
بقايا ضخمة تنبئ بعظم شأنه . وهذه الاخربة منتشرة فوق سطح بُني على ركنين  
متدرجة بازا . العين ممتدة الى الجنوب ومن يتأمل هذا البناء يجد بينه وبين هيكل  
فقراتشاه في بعض اقسامه . ومن جملة الآثار الباقية الى يومنا عمود من الصوان  
وكثير من الحجارة الكبرى المنحوتة

وقد خرب هذا الهيكل مرتين . هُدم مرة اولى بايعاز قسطنطين الكبير بعد  
تنصرو لاسباب ذكرها اوسابيوس القيصري في تاريخ هذا الملك حيث قال (١) :

« لا استوى قسطنطين على منحة الملك رقب من سمو عرشه ما نصبة ابليس  
من الاشراك في فينيقية لصيد النفوس . فوجد من ذلك على هضاب لبنان في موضع  
فقر لا تفرقه السابلة معبداً تحرق به غيضة . وكان المبد المذكور اقيم لبعض الاصنام  
الذنسية يدعى الزهرة . يتوارد اليه البقايا واهل الفجور فاضحى بذلك شبه باخور  
منه بمبد ديني . ومع ما كان يجري في ذلك المكان من الآثام الفظيعة والارجاس  
الشنيعة كان الامر باقياً محجوباً عن عيان ارباب السلطة لانه لم يتجاسر احد من اهل  
الفضل ان يدخل المبد ليتحقق صحة ما تناقته الالسن . بيد ان قسطنطين وقف  
على حقيقة الامر فرأى من أخص واجباته ان يقوض اركان ذلك الزون الشجي .  
فتقدم الى عماله بان يهدموا ذلك المقام ويكسروا اصابته ويتلفوا ما تحمل اليه من  
الهدايا النفيسة . فأرسلت الى أفقا فئة من الجنود وتمسوا اوامر الملك فلم يبقوا ولم  
يبدروا » . وكان ذلك سنة ٣٢٥ للمسيح أما سكان افقا فأمرؤا بان يبارحوا  
سكناتهم فتوطنوا بعلبك

(١) راجع الجزء الثالث من ترجمة قسطنطين لاسابيوس الفصل ٥٥ وتاريخ سوزومان  
في مجسوع الاباء اليونان ( بين ٩٧ من ٩٤٨ )

ولكن بعد وفاة قسطنطين عاد سدنة هيكل الزهرة وحاولوا بناء الهيكل ثانية . ولعلهم حققوا امانهم على عهد يليانوس المعروف بالجاحد فبقيت عبادة الزهرة مدة من الزمان الى عهد ثلودوسيوس الكبير . ونظن ان هذا الملك شدد الاوامر فرد الفينيقيين عن هذه العبادة النجسة كما أبطل عبادة الاوثان في انحاء كثيرة من مملكته . والارجح ان الاخرى الباقية الى يومنا هي بقايا الهيكل الثاني المنوء بذكره وخرابه بسبب احدى الزلازل التي دهمت سواحل الشام كما وصفنا ذلك في الشرق (١: ٣٠٣، ٣٠٤ و ٢: ١٧٠) . وما يؤيد ظننا ان بعض الجدران سقطت دفعة واحدة مع بقائها على نظامها الاول . وقد وجدت الزلازل مساعداً لفعل الخراب بما كان يجري من المياه تحت الهيكل . فانهيار البناء لذلك عند حدوث الزلازل والله اعلم

#### ١٤ مجاري المياه في لبنان

لا يتم وصفنا السابق لنباح أفقة وبحيرة البشونة إلم نخطط قرأونا علماً بحالة لبنان من حيث مسابيل المياه في جهاته المختلفة وذلك فن يلحق بفن الجغرافية يدعو الفرض الهندوغرافية اي رسم المياه وفي تعريف مجاري المياه في لبنان فرائد مرتبطة بتاريخنا ارتباطاً لا تنقسم اوراقه . وقد ادرك الاقدمون ما في هذا الامر من الشأن الخطير حتى انهم اعتبروا بعض عيون لبنان ومياهه المتفجرة كآفة حية اكرموا اكرامهم لمبوداتهم المختلفة . وقد أتينا بشواهد على ذلك في ذكر عين أفقة ونهر ابراهيم المخصصين لاكرام الزهرة وقود

ومن العلوم ان لا خصب للتربة في الشرق اذا ما انقطعت عنها المياه او قلت كثيبتها بحيث لا تنفي بحاجة الزراعة . وما بلغ لبنان من العمران ما بلغ الا لزيادة مياهه وكثرة مسابله

ومن لطف الخالق ان طبقات لبنان العليا تتدكّب من عناصر كلسية كثيرة التفشت نخرة ينساب الماء فيها دون عائق ويتسلسل في منافذ ضيقة ثم يتجمع في مغاور تحت الجبال كأنها خزائن الماء يفيض منها الى اسفل البلاد . ومن السواعد التي تمخّذ الى تلك الاحواض الطبيعية المياه المتكوّنة من الثلوج الذائبة في قمم



لبنان ومادتها لا تكاد تنقطع عنها ابداً فان جبل صنين مثلاً ووادي الارز والنهر  
الحيطة بها عبارة عن احواض من الثلج يبلغ عمقها من ٣٠ الى ٧٠ متراً وطولها  
من ٢٠ الى ٣٠٠ متراً عرضاً فلا يزال مددها متواصلاً يجري الى المغاور والاشال  
التي منها تحصل الجداول والانهار والبحيرات الموجودة في باطن الجبل

وقد اخبر المهندسون الانكليزيون الذين عهد اليهم سنة ١٨٧٣ فحص مياه  
نهر الكلب انهم ركبوا قارباً وتتبعوا مجاري هذا النهر في اعماق الارض . فلما  
قطعوا ١٢٠٠ متر وصلوا الى بحيرة واسعة غزيرة المياه يبلغ عمقها بضع مئات من  
الامتار وكان ماؤها زلالاً شديد الصفاء والبرودة . وكان يتدلى من سقف المغارة  
عُمد لطيفة من الماء المتحجر ( stalactites ) وكانت عُمد أخرى ( stalagmites )  
تعلو عن حضيض الارض وجوانب البحيرة فتتصب مرتفعة كشُج . فحاولوا  
ان يقطعوا تلك البحيرة ويتقدموا في اسراب الجبل فلم يقووا على ذلك فانفتلوا  
راجعين

واجتهد غير هؤلاء الانكليز من ادباب الهندسة ان يزوروا مغاور أفقة فتقدموا  
في منافذها المتعددة ووجدوا جداول واحواضاً من الماء لكنهم لم يبلغوا الى نهايتها  
وهذا مما يؤيد رأي من قال ان بين افقة وبركة السيونة وصلة تجمع بينهما  
وهذه المياه الوفيرة المخزونة في اعالي الجبال واوشالها الباطنة تنصب شيئاً  
فشيئاً الى الأهوية والبطاح على حسب اعطاف الجبل واسرايع باختلافه . وربما  
وصلت المياه الى سفح الجبال بشدة غريبة فتتغير وتنفور صاعدة في الجو ثم تجري  
من نبعها كانه النهر في كثرة مياهه . ترى ذلك في نبع نهر بيروت وانطلياس  
وجعيتا وخصوصاً في نبع نهر العاصي عند خروجه من مغارة مار سارون بقرب  
الهرمل . وليس في الشام كهذا النبع يتغير بقوة عجيبة من بين الصخور كأنه  
مدفوع بمضخة ( طلبا ) قوية ثم يتد في ميل عرضه ١٥ متراً الى ١٧ م

ومن خواص عيون لبنان انقطاعها في بعض فصول السنة . وقد ذكرنا هذا في  
غضون كلامنا عن بحيرة السيونة . وقد لحظ الاهلون مثل ذلك في نبع نهر بيروت  
المعروف بالديشونية كما ورد في المشرق ( ٢٣٧ : ١ ) حيث علل اسباب هذا الانقطاع  
حضرة الالب ساحاني . ولعلنا يوجد سبب آخر لوقوف مياه هذا النهر وذلك اذا

انهار شي . من الردم والصخور فحال مدّة دون مجرى المياه . ففي غرة سنة ١٨٣٧ لما اصاب مدينة صفد زلزال هائل نقض ابنيها وهدم بيوتها انقطعت بغتة مياه نهر بيروت ولم تعد الى مسيرها الا بعد مدّة وكان لونها ضارباً الى الحمرة ففهم الناس ان قسماً من الجبل تهوّر في المياه الداخليّة وحجز دونها . وقد ذكرنا في البشير (في تاريخ ٢٣ ت ١ سنة ١٨٩٩) ان بعض القباب والصخور انهارت من سقف المغارة التي يخرج منها نهر الكلب فتناقصت المياه من جراء ذلك مدة ساعتين الى ان دفعت المياه الحاجز من طريقها وعادت كما لو ف عادت . هذا وفي تقسّم المياه على جوانب لبنان فائدة كبرى تجدي نفعا لكل بلاد الشام فضلاً عن الجبل وعده . فكما ان اثيل يحوي البلاد المصريّة كلها كذلك لولا لبنان لأصبحت بلاد الشام كصحراء غامرة لا خير فيها كصحاري جزيرة العرب . فان لبنان يتّصّ فوق ربه نداوة البحر ويجذب الانجزة المتصاعدة الى الجوف فتسكاثف وتزل على قمة امطاراً وثلوجاً تتوزّع من ثم على جميع انحاء الشام على هيئة ينابيع وجداول وبحيرات . فلو توارى لبنان من اكون لضرب نهر العاصي والليطاني بل ليست كل مسايل سواحل فينيقية . وما كنت لتجد شيئاً من حداث طرابلس ورياض بيروت وبساتين صيدا وبطاح البقاع المخصبة بل كنت ترى مغازات مقفرة تمتدّ مدى البصر وهي جرداء صلعاء ليس في ارمالها ديار ولا نافخ نار . فحيا الله لبنان وبنائه ونفعنا بفضلله وجدواه

## ١٥ قلعة فقرا

ان سرت صاعداً من مزرعة كفر ديبان ميّماً شمالها الشرقي على مسافة ساعة ونصف منها وجدت في منتصف الطريق الوادية الى ميروبا على جنوبها ريمة قريبة من جسر الحجر ورأس نبع اللبن يبلغ علوها فوق سطح البحر ١٦٠٠ متر . وعلى هذه الريمة اخوة تفوق يسعتها كل آثار لبنان لا ياتلها بامتدادها الا اخوة عين عقرم المعروفة بالناووس في مقاطعة الكورة على ان عين عقرم مع سعتها دون قلعة فقرا . هذا واننا لا نرى حاجة الى تعداد ودوم هذه القلعة كلها وانما نكتفي بأهمّها وهي اربعة :

١ البيكل . هو من الآثار الجليّة . ومن خواصه ان نباته نحتوا باديّ بدء



في نفس الصخر مساحة كبرى جعلوها كالساحل الهيكل واتخذوا الحجارة المنحوتة في الصخر كمواضع لبنانهم فاقصدوا بذلك في نفقة نقل الحجارة ولعلمهم قصدوا غير ذلك . وما لا ريب فيه ان الفيلقيين اتخذوا هذه الطريقة ديدناً وجروا عليها في ابلتيم المختلفة . وقد بلغ الفيلقيون في تحت الحجارة مبلغاً بعيد الشاؤ حتى انحال السعير ان صلاب الصخور صارت طوع ايديهم يقطعونها كما ارادوا



قمة فقرا

هذا ولم يتخذوا كجدار الهيكل ما تمثل من الصخور لان الجدران لا تلاصق الصخر لأن بيضا وبينه دهليزاً يفصلهما . والهيكل طوله ٣٤ متراً في عرض ١١ متراً . وحجارة البناء متوسطة الكبر غير ان الفريز الهيكل والمراقي التي بها كان يصعد الزوار والسواري المائلة في مدخل المبد كانت فائحة عظيمة الشان يعمل منظرها في عين الجمهور . وبقيت هذه الاخرى تاتي بضخامتها فان هناك اركاناً وقطعاً من المعد منحوتة في قباب الصخر لكتنها متراكمة فوق بعضها بغير نظام وعلى اسوار حال



وأمام الهيكل ساحة رحية الجوانب طولها ٣٨ متراً في عرض ٣٠ يحدد بقسم منها الصخر المنتصب فوقها عمودياً . وكان سابقاً في مقدمة هذه الساحة رواق يستند الى عمد والشاهد على ذلك ما ترى هناك من الاعمدة المحطمة . وكانت عادة الفينيقيين ان يبنوا هياكلهم في وسط باحة رحية كما يظهر الامر في هيكل بعلبك وهيكل حصن سايان في بلاد النصيرية . غير ان موقع فقرا لم يسمح بذلك لما يحيط بالمكان من الصخور العالية فجعلوا بأحشهم بازاء الهيكل

وما يقضي بالعجب عند مرأى هذا الهيكل العظيم انه بُني على قمة الجبال حيث لا ترى اثراً للقرى فان اقرب الضياع المسكونة اليوم هي اسفل من هذا المكان بنيف وثمانية متر

٢ البرج . وفي شمالي الهيكل برج عظيم مربع الشكل والمزيج انه كان ينتمي سابقاً بناً مخروط على هيئة الاهرام . ومن جبال في داخله وجد عدة دهاليز واسراب ودرجاً يصعد منه الى اعلى البرج المذكور (١) . وعلى جرائبه كتابتان يونانيتان يأتي ذكرهما . اما الثانية من تشييد هذا البناء فهمة ولا نعلم أهر مرقب لرصد الاعداء في وقت الحرب وبمجرد خلع البناء لا يستدل على شيء من ذلك . ولعلنا نرى لبعض الملوك لأن الخاصة لم يتأثقوا عادة هذا التأثق في بناء قبورهم . على ان الكتابتين اللتين ألغنا اليها تنفيان هذا الافتراض لان الواجهة تذكر التيمر الروماني كلاوديوس وتعلمنا الثانية ان مشيد هذا الاثر هو احد سدنة الهيكل ابتاه « على نفقة خزانة الاله العظيم » وعلى ظننا انه مشهد اقيم كقبر تموز اله الفينيقيين ولا يعتاض علينا في تقرير هذا الامر غير الدهاليز المجاورة له . ولكن من المحتمل ان هذه الاسراب اُخفرت لغاية دينية او بالاحرى ليست فيها ارباب تلك الديانة في بعض حفلاتهم الدنسة كما مر بك في ذكر هيكل أفقة . وكانت هذه الفواحش تجري غالباً بجوار المعابد الدينية المخصصة لذكر تموز

(١) وقد وصف هذا البرج وصفاً مطولاً هنري غويس (Guys) في كتابه الفرنسي المسمى (Relation d'un séjour à Beyrouth et dans le Liban, II, 8) والسائح سترن (Stern) في كتاب سفره المكتوب في بدء عصرنا هذا (Reisen I, 240)

٣ البنية المربعة . وبأذا . الهيكل الموصوف بقايا حسنة من بنية مربعة يظهر من شكلها أنها كانت مشهداً أو قديراً وهذه البنية محكمة العمل وحجارتها ضخمة

٤ البناء المستطيل . وعلى مسافة نحو مائة قدم من الهيكل من جهة الجنوب اثر آخر لا نعلم من غاية بنائه شيئاً وهو على شكل مستطيل ذي جوانب متوازية وتواؤه منقسم الى قسمين كبيرين او ردهتين لها باب يصل بينهما من داخلها . سيكون هذا البناء هيكلاً او كنيسة كما زعم رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٣٧) ذلك امر لا يمكن الجزم به فان هندسة هذا الاثر تخالف هيئة الهيكل القديمة والكنائس المسيحية . وزد على ذلك ان باب الكنائس كان يوجه في القرون الماضية الى الغرب بخلاف باب هذا البناء . وقد استولى الخراب على آثاره فطمس محاسنه وذهب برويقه فقلده في حال اسوأ من بقية الاخرى المجاورة له هذا وقد سبق القول ان على مشارف فترا غير هذه الاثر . فمن ذلك اطلال بيوت دراسة ومعاصر وقبور منحوتة في الصخر وهلم جرا . وكل هذه الباني تشهد على ان هذا الموضع كان عامراً في الاعصار الحالية وان قوماً من السكان كانوا يقطعون بحوار الهيكل محدقين به

ولسائل ان يسأل الى اي عهد يرتقي تدريخ هذا الهيكل . جوابنا : ان الامر مهم اذ لم يجد احد من العلماء كتابية تنبئ بقدم هذا البناء . الا ان البرج الذي مر وصفه مزدان بكتابيتين الاولى على خلاف الباب والثانية على احدى زوايا البرج . والكتابة الاولى مظلومة لا يكاد يقرأ منها سوى سطرها الاول يستفاد منها ان البرج شيد اجمالاً للقيصر كلاوديوس الذي جلس على منحة الملك من سنة ٤١ الى ٤٥ بعد المسيح . اما الثانية فيؤخذ منها ان تدريخ البناء وقع سنة ٣٥٥ لليونان (١ اعني ١٣ سنة بعد المسيح وانه بُني " على نفقة الاله العظيم "

(١) ان هذا التاريخ مكتوب بالحروف الالهية E N T وقد رسم فوقها خطيطة دلالة على انها اسفار عديدة لا حروف عادية . وكان السامع سيقن لاحظ ذلك في غضون زيارته لهذا الاثر وقد تحققنا نحن ايضاً الامر بنفسنا في خريف سنة ١٨٩٨ لما تفقدنا هذه الآثار . بيد اننا وجدنا اللون اللاتيني (N) هيئة غريبة تقرأ الى اليمين M

(ἐκ τῶν τοῦ μεγίστου Θεοῦ) فُتِرى من هو الاله المذكور ؟ على رأينا انه تموز بنفسه وقد ورد اسمه في كتابات جبيل مصحوباً بلقب العظيم (μέγιστος) ولقب الاكبر (ἐκπυστος) ومن ثم يجوز القول ان هيككل فقرا كان احد المعابد المشيدة لأكرامه . ويستتبع من لقبه بالكبير او الاكبر ان الفينيقيين كانوا يعظمون في جملة آلهتهم إلهاً سما عزاً وفاق فضلاً على سواه ولعله كان في اول الامر معبودهم الوحيد ففسدت ديانتهم بعدئذ وتعددت آلهتهم

فما تقدم يظهر ان بناء البرج حدث في السنة ١٣ للمسيح . اما تاريخ الهيكل فاننا لا نعلم شيئاً من امره . نعم ان رينان جزم بان هندسته تشبه هندسة البرج فاستنتج من ذلك انها بُنيت في زمن واحد . لكننا نحن لا نرى في قول رينان برهاناً كافياً لتقرير هذا الامر كما أننا لم نجد في هندستها شيئاً ظاهراً . اما الآثار الباقية الموجودة في فقرا فلي رأينا انها من احيال متباينة والله اعلم

## ١٦ الساحل بين جونية وجبيل

( برجا وعين ماحوز ونهر ابراهيم )

قد حان لنا بعد ذكر الآثار القديمة الموجودة في مشارف كسروان ان نعود الى الساحل فنواصل سيرنا من جسر العاملتين شمالي خور جونية الى جبيل . ومن سلك هذه الطريق وجد عدة ابراج ينسبها العامة الى القديسة هيلانة للeskة . وهي في الحقيقة اقرب منا عهداً قد ابتناها اصحابها بعد عهد الفرنج المعروفين بالصليبيين لمراقبة الساحل

ومما يستلفت انظار ايناء السيل مرسى صغير يُدعى برجا او بالاحرى طبرجا مشتق من لفظة يونانية (τοπαρχία) يُراد بها قصبة المعاملة او المديرية . وكان لبرجا في سابق الزمان اسم آخر فينيقيّ لَمَات كانت تنسب اليه القصبة فيقال « طبرجا النجل الفلاني » (τοπαρχία Ν) كما نقول مديرية كذا . فلم يبق اليوم سوى الاسم الدال على رتبة البلدة ومقامها . وهذا الامر يصح ايضاً عن قرية أخرى تُدعى باسم برجا ( او طبرجا ) موقعها جنوبي بيروت عند خان النبي يونس



ويُستدل من اسم برج المذكور على أنها كانت على عهد ملوك القسطنطينية . بل لنا دلائل على أنها وجدت قبلهم بزمان . ألا وهي المغاور والاسراب والمدافن العديدة التي يشاهدها القوم على مقربة من مرساها الصغير فوق الوُبي المحدقة بالقرية على جانبيها . وهذه المدافن القديمة تشغل مكاناً متسعاً قليلاً تجد مثله سعة في غيرها . ولا شطط ان وكُدفنا في القول انه كان ثلث للفينيقيين مدينة صغرى

ومرسى برجا حرج قليل الاتساع وهو شبه جون تراه في الغالب بأمن من سورة الرياح . ولا بدع في ان السفن الفينيقيّة كانت تأوي اليه في الانواء . ومما يلني بشأن برجا في السنين الغابرة بقايا قناتها التي بها كانت تجري المياه منحدرة اليها من الاودية الشرفة على غزير

وان سرت من برجا بعيداً عنها وجدت بشراً او عيناً يدعوها اهل تلك النواحي عين ماحوز . وقد ذكرت في التواريخ الصليبيّة مصفحة بتوس ( Maus ) (١) . ولعلّ اصلها يرتقي الى أيام الفينيقيين . وهذه العين من الاعمال القديمة الخطيرة يُنزل اليها بدرج محكم الاتقان نقر في الصخر . وكان بقرب هذه البئر في القرون المتوسطة حصن كما يشهد على ذلك الشريف الادريسي (٢)

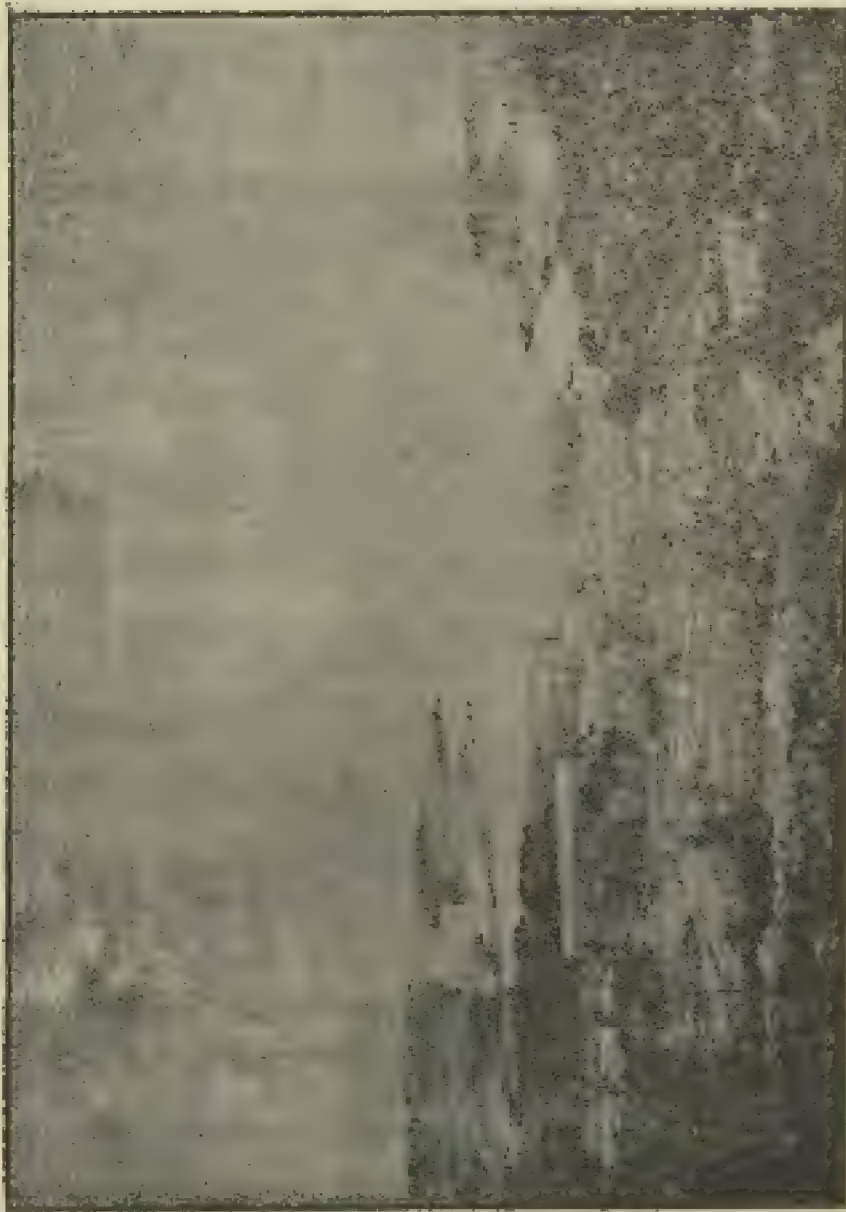
وفي شمالي عين ماحوز بقرب قرينتي بوار وصفوة مدافن متسعة منقورة في الصخر . لها مدخل عديدة في جوانب تلك الوديان . وهذه القبور تدل على وجود قرية قديمة هناك ما لم يُقل ان بلدة برجا كانت تمتد الى تلك النواحي وتشمل بها وان تلبعت المسير بلغت نهر ابراهيم . وهنا مُشكل في تعريف اصل هذا الاسم الذي ورد ذكره أولاً في جغرافيتي الادريسي والدمشقي (٣) . والتقاليد المحلية تزعم ان ابراهيم الذي نسب اليه النهر كان اميراً على المرّدة . وما لا شبهة فيه ان الاسم القديم كان ادونيس (تموز) . وقد مرّ لنا في الصفحة ٤٣ انه اسم

(١) راجع فيلموس الصوري ك ٢٢ ف ٢٢

(٢) وصف الشام ( ص ١٧ ed. Gildmeister ) . واعلم ان الادريسي يذكر بين جونية وماحوز مكاناً يدعو « عطفة سلام » يقول عنه انه « جون كبير يبعد عن جونية عشرة اميال »

(٣) طبعة بطرسبرج ( ص ١٠٢ )

احد آلهة الفينيقيين يقيم الذكور اهل جبيل عيداً سنوياً يدعونه ادوني (Adonies)  
ومصعب هذا النهر جميل المنظر 'يدرك من رآه' كلّف الفينيقيين باختلاق الخرافات  
المتعلقة به . وفي فصل الشتاء بعد الامطار كانت المياه تطفو فيضحي لونها  
كمداً ضارباً الى الحمرة فكان الاهل يزعمون ان ذلك هو دم قور السفوك  
فينوحون عليه.



صورة برجا

## ١٧ جبيل

ليس من شأننا ان نسرّد هنا اخبار هذه المدينة الشهيرة او نلخص تاريخ احوالها فان ذلك يقتضي كلاماً مطوّلاً يخرج بنا عن الحدود التي افترضناها على نفسنا في مقالنا (١) وانما نكتفي بان نذكر فقط آثارها الجبلية التي صجرت على مرّ الزمان

كانت جبيل مدينة الفينيقيين المقدّسة يحجّون اليها كما يحجّ الى المزارات الشهيرة. اما موقع المدينة القديمة فان جمهور العلماء لا يرونه مختلفاً عن مكان البلدة الحديثة . وقد ورد ذكر جبيل منذ القرن السادس عشر قبل المسيح في الرسائل التي اكتشفت حديثاً في تلّ العرانة . ومما جاء هناك من الاقادات التاريخية انها كانت على سيف البحر ولها عمارة بحرية وان اهلها كانوا من حذاق الملاحين . وفي نبوة حزقيال (ف ٢٧) وتواريخ الاقدمين ما يؤيد تقرير هذه الكتابات الجبلية الشأن كما اوضحه الدكتور جول روفيه (٢) . وكل هذه الشواهد تنطبق على موقع المدينة الحديثة

بيد ان جبيل القديمة كانت رجة الجوانب واسعة الادراج . تمتد اكثر من المدينة الحالية امتداداً بالغاً . ولنا على ذلك البينات الواضحة منها قطع عديدة من العواميد وبقايا ابنية ضخمة تراها في خارج سور جبيل الحديثة . ثم ان السور الحالي ليس بقديم ولا يتجاوز عهد الصليبيين بل هو من اعمالهم . فوجود الآثار القديمة في خارجه لا يدل على انها في الاعمار السالفة لم تكن متصلة بالبلدة . ولما استولى الفرنج على المدن الساحلية في القرون المتوسطة وجدوا جبيل في حالة من الخراب يروى لها . فاخذوا في ترميمها واستعانوا لتشييد المدينة وتحصينها بمواد اخوية

(١) ومن اراد الوقوف على تاريخ جبيل فليطالع بالملامحة التي صنّفها الدكتور جول روفيه فقرأها على مسامع نخبة من اهل بيروت في حقلة عقدت في مرسح كئيّتها ثم نشرها بالطبع في المجلة الكتابية (Revue biblique, VIII, 553) بهذا العنوان :

Géhal-Byblos, son histoire dans l'antiquité et sa nécropole phénicienne.

(٢) راجع المقالة المذكورة (ص ٢)



البنائات القديمة التي وجدوها قريبة دانية . ولعل فطرة وجود الآثار القديمة في جيبيل مبنية من اتخاذها للابنية المستحدثة . وفي عصرنا هذا قلف كثير منها في ابنية قرية عمشيت فكان اهلها ينقلون من جيبيل كل ما يصلح لبنا . ماكنهم . وهذا العمري مما يوجب الاسف لان بقايا ترقى الاقدمين وتعدنهم يلاشيها التمدن الحديث فيصبح لها بمثابة نواكب الحدائق ومضائب الزمان بل اوخم عاقبة منها كما بين ذلك الدكتور جول روقيه

واذا زدنا على هذه عوامل الخراب الزلازل التي تلاعبت بكثير من آثار جيبيل (١) فهنا كيف ان هذه المدينة ام المستعمرات الفينيقيّة لم تبق للخلف من مآثرها السابقة الا النذر القليل

واول ما يستلفت النظر من آثار جيبيل برجها فان بقاياها الضخمة لم تعمل فيها صروف الزمان . وهو لا يزال منتصباً يلبي بعظم شأن بناته وموقع البرج المذكور في جنوبي شرقي المدينة له منظر خطير يأخذ بمجامع ابناظره . وهو مبني بحجارة كبيرة ولعل ذلك الذي حمل أغلب الكتبة على ان ينسبوه الى الفينيقيين زعمهم الباطل ان قدم الابنية يُعرف بعظم حجارتها وضخم موادها . وكثرت يزيدون على هذا تأييداً لانهم ان على البرج المذكور مسحة من العتاقة تشهد بقدومه

بيد ان ذوي الخبرة من المهندسين واصحاب الماديّات أبطلوا هذا الزعم بعد الفحص الدقيق وبيّنوا ببراھين مقنعة ان هذا البرج من عمل الصليبيين في القرون المتوسطة . وسندهم في ذلك الى ما يحدق بالبرج الكبير من الابنية الثانوية وهي عبارة عن بروج صغرى لا سبيل الى نسبتها الى الفينيقيين لما يدخل في تركيبها من المواد المأخوذة عن ابنية اقدم عهداً شادها اليونان والرومان كالعديدة من الصوان اُدرجت في جدران هذه البروج . وهذا الامر شائع في ابنية الصليبيين بخلاف الامم السابقة لهدمهم . اعني انهم كانوا اذا دخلوا بلداً انتفخوا بخرائب آثارهم القديمة كاهيا كل والقصور فيسخذون موادها لابنيتهم الجديدة ويستغنون بذلك عن

نقلها من المقاطع . فاذا ثبت ان هذه البروج الصغرى هي للصليبيين يصح القول ان البرج الكبير هو ايضا من آثارهم لا بينة وبينها من الشبه في هيئة الحجارة وطريقة النحت فان الحجارة كليهما تتواءمتان متشابهات وهيئة عتاقة واحدة (١) مع ما ترى بين حجارتها من الاختلاف في الكبير . وهناك ايضا عدة تفاصيل هندسية تعرف بها الصليبيون دون غيرهم منها شعار البثانين وعلاماتهم وقطع كتابية يونانية ورومانية أقصت في البناء بلا نظام

هذا وانما لا ننكر ان الحجارة الكبيرة التي ترى في البرج الكبير هي من نحت الاقدمين وقد بينا غير مرة لاسيا في خلال كلامنا عن دير القلعة انهم كانوا يحبون اتخاذ مواد ضخمة لبنائاتهم . لكن الصليبيين نقلوا هذه الحجارة التي وجدوها فالتخذوها لشؤونهم الخاصة

امّا آثار قدماء الجليليين فقليلة جداً . منها عدد كبير من العواميد تراها في كل انحاء البلدة حتى يسوغ ان ندعو مدينة جبيل مدينة العواميد . وقعر مينائها الصغير مفروش كله بهذه العواميد . وهي من الصوان الصلب قد نقلت من بلاد مصر بحراً . ولا نشك في انها كانت داخلة في الهياكل والمعابد العديدة التي كان يتباهى بها اهل جبيل لان مدينتهم كما سبق لنا القول كانت مركز الديانة النيبية يحج اليها اهل البلاد ليقبضوا بزارها . وكان للبلد ايضا اروقة واسعة قائمة على مثل هذه العمود في صدر الشوارع الكبرى كما كان شأن المدن الرومانية في ذلك العهد

ومما يستحق الذكر ايضا بعض قوائم ومساند كانوا يضعون فوقها التائيل . ومنها ايضا مذابح صغيرة وحجارة عليها كتابات لا يسعنا هنا تعدادها ووصفها واكثرها قد كسر بالطبع في اوربة . وقد اسعدنا الحظ على وجود بعض منها كتبت باليونانية لم تسع لنا الفرصة حتى الآن بنشرها

(١) وهذه العتاقة ليست بدليل قاطع على قدم هذه الابنية وانما هي لاحتمال يصنف الحجارة الزمنية التي تستعمل في الساحل . فان انجرة البحر والرطوبة تعملان فيها عملاً سيئاً فيظن من يراها انها عريقة في القدم مع انها حديثة . وترى مثل ذلك في بعض بنايات بيروت التي لا يتجاوز هذا ٣٠٠ سنة

فهذه غاية ما نرى الى ذكره سبيلاً عن عاديّات جيبيل الباقية في ضمن سورها . وهي لعمرى ترة بالنسبة الى شأن هذه المدينة وخطرها . ولا غرو ان تحت ردمها آثاراً جليلة وكثوراً عليّة سوف يطلعون عليها المستقبل اذا ما تيسر للعلماء ان يحفروا حيث شاونوا . وما يزيدنا ثقة بهذه الاكتشافات ان اهل جيبيل كثيراً ما يجدون في املاكهم امتعة شئ غالية الثمن يبيعونها خفية للاجانب كالتايل والنقود والقطع المعدنية الى غير ذلك مما لا يمكن ضبطه وتدوينه في كتب آثار بلادنا

ومن ابنية القرونج في جيبيل كنيسة مار يوحنا المارونيّة . وهي كانت سابقاً ارحب منها اليوم ولعلها كانت مزينة برواق في صدرها . وهندستها كهندسة كنائس الصليبيين ذات ثلاثة اقسام مقببة تنتهي بجسالا . ونقوش اكلّة عتيدها في قسمها الكبير تجمع بين الطرز بين الهندسين الغربي والكنورني

وبقرب الكنيسة جرن للعماد غاية في اللطف والدقة وهو عبارة عن قبة كصنف كرة تستند الى اربع اقواس على شكل بيضي وترى فوق ثلاث اقواس منها اشغالا هندسيّة وزينا حسنة . اما القوس الرابعة فلا ترى لانها مستندة الى جدار الكنيسة (١)

واذا ما خرجنا من سور البلدة لقينا كما في داخلها كمية وافرة من عواميد صوّان متكسرة . ومما اكتشف حديثاً في ارض تخصّ عبد الواحد افندي اساس بناء فخم يشبه هيكل . والاساس المذكور بالغ العمق يدخل منه الى اسراب غريبة الشكل لا تعرف غايتها . وفي المكان عينه وجدت قطع تايل ونقوش من الرخام الابيض

### مدافن جيبيل

ومن آثار جيبيل الغربية قبورها القديمة ومدافنها وكان موقعها خارج البلدة ليس بعيداً عن اسوارها . الا ان هذه المدافن المعروفة اليوم ليست مدافن الفينيقيين وانما هي احدث عهداً كما ارتأى ذلك الدكتور روفيه في بحثه السابق الذكر ولعلنا نسمع

(١) راجع De Vogüé : Les Eglises de la Terre S<sup>te</sup> , p. 375



عما قليل بشرى اكتشاف نواويس جبيل الفينيقية فينتفع بها العلماء كلما انتفعوا  
بأكتشاف نواويس صيدا.

واليوم يصعب علينا أن نقدر سعة مدافن جبيل وشكلها بعد ما حلّ البلدة  
من التقلبات المتوارة وامتداد الرمل على قسم كبير منها . والارجح أن مكانها  
المخصوص بها كان في شرقي البلدة وجنوبها

وفي هذه المدافن لم يُكتشف الى يومنا هذا شيء من الآثار التي كان الفينيقيون  
يوترونها لغير موتاهم كما ترى في صيدا . وغيرها من المدن الساحلية . على أن عدم  
اكتشافها ليس بسبب كافٍ للحزم بعدم وجودها كما زعم السيوريان ( بعثة  
فينيقية ص ٢٠٦ ) . وإنما زجح مع السيوريوس وجود مثل هذه الآثار ولو لم  
يتوصل أحد بعد الى اكتشافها . لكن جبيل لا تحلوا من المغاور المخصوصة  
بدفن الوقي الاقدمين . وقد وجدوا أيضاً حفراً منقورة في الصخر ونواويس هذه  
الغاية نفسها

أما المغاور فعلى ضربين منها طبيعية وجدها الانسان فاستخدمها لدفن امواته .  
ومنها صناعية حفرها بيده لهذه الغاية . وبين المغاور الطبيعية ما كان عهداً قديماً  
جداً يشبه الكهوف السابقة لزمان التاريخ التي وصفها حضرة الاب زمون في  
الشرق ( ١ : ٩٧ و ٣٥٣ ) احدها المغارة التي كثر على مسيل ماء في حطب ضيقة  
قصيرة على مسافة نصف ساعة من شرقي جبيل . وهي قريبة الشبه بمغارة انطلياس  
( الشرق ١ : ١٠٢ ) المرتقية الى طور الفطران . وقد نُقِر في جوانبها الداخلية  
مخادع كانت تجعل فيها الوقي . وفوق احدها نقش يمثل محاراً من الصدف اللاتوي  
لعلّه من عهد الرومان

ومداخل هذه المدافن تفتتح عمودياً او ببعض الخفاف في وجه الصخور . ومنها  
كثير في الوديان الجاورة لجبيل وفي الصخور التي تطل على البحر . وفي بعض  
الآونة ترى لهذه المدافن نقشاً قليلاً ويدخل اليها على سواء الرجل وربما وجدت لها  
حجرة او أكثر كانت تشتمل سابقاً على نواويس انتهك حرمتها قوم من طائفي الحاييا  
وبانمي العاديات لم يبقوا منها الا قطعاً محطمة . وفي الغالب لا تجد في هذه المدافن  
الا حفراً كالافران منقورة في الصخر

وتاريخ هذه المدافن لا يمكن تعيينه بالضبط لاسيما بعد ان نزع منها اجهزة الدفن وُسِّلت امتعته حكما سبق ولو بقيت لاستطاع العلماء ان يستدلوا بها على عهدها . اما الكتابات فلا يرى منها الا القدر القليل وهي كلها يونانية ورومانية . وعليه فلا يتفق علماء الآثار العادية على تعريف عهد هذه المدافن . ومنهم من زعم انها سبقت فتح الرومان للشام . وقد ارتأى رينان ان بعضها يرتقي الى ايام الكنعانيين

اما الدكتور روثيه فان رأيه ان هذه الكهوف كلها من عهد الرومان . وقد دعم قوله بمجيع حصة ترجيح رأيه دون ان تزيل كل الشبهات . ومن براهينه ان ما وجد من العاديات في هذه المدافن منذ ٥٠ سنة لا تصح نسبتها الى غير الرومان فيستنتج من ذلك ان الاكتشافات السابقة لهذا التاريخ كانت ايضا رومانية . (نقول) ان هذا الدليل لا يخلو من القوة لكنه ليس بجازم لان كثيرا من هذه العاديات لا تزال مخفية لدى فاتحي هذه المقابر . وكذا نقول عن البرهان الثاني حيث بين الدكتور ان النواويس والتقود التي وجدت في هذه الكهوف كلها من عهد ملوك الرومان . فالتنازل لجانبه بقوة هذه البينة لكننا لا نجسر ان نحكم في ذلك حكما فصلا ريثا يتم البحث الدقيق في مستودعات هذه الكهوف . كما انه لا يجوز ان نبنى على هذه الاكتشافات الجزئية احكاما عمومية عن عادات الجيبيليين في دفن موتاهم

هذا واننا نوافق السيد روثيه الموافقة التامة في نسبه بعض المدافن الى الطور اليوناني الروماني وهي : ١ المدافن ذات الطبقيتين الواقعة في الزمة التي ترى جنوبي الطريق المؤدية من جيبيل الى بديوت . ولكل قبور هذه المدافن منافذ على شكل أقواس . ٢ المغارة الواقعة على مقربة من المدافن السابق ذكرها اتخذها ايضا القدماء كمقبرة وحضيضها مبلط بالسيفسا . ٣ بعض كهوف اخرى طليت بالطلاء ومنها ما هو مزين بالتحاويز . فهذه بلا شك ليست من اعمال الفينيقيين ولكن من المحتمل ان تكون سبقت تاريخ الميلاد بقرن واحد او ازيد على مثال صفائح القبور التي وجدت في صيدا . قبل سنين قليلة وقد نشرنا كتاباتها في مجلة

العاديات (١) . بعض مدافن مقبية . ومن المعلوم ان الفينيقيين الاقدمين لم يستعملوا القباب

### نواويس جبيل

نواويس جبيل كنواويس غيرها من المدافن الفينيقية . لكنهم لم يجدوا حتى الان فيها الا نواويساً واحداً يمثل هيئة الجسم البشري ( Sarcophage anthropoide ) وهو اليوم في متحف اللوفر . والنواويس الخشبية لا اثر لها في جبيل مع كثرتها في غيرها من المدن الساحلية . اما النواويس من الرصاص والآجر والحجارة والرخام البلدي مع اطباقها المعدبة فهي اشبه شي بنواويس بلاد فينيقية من حيث هيئتها ونقوشها

وقبل ختام هذا الباب لا بد ان نشير هنا قولاً لرينان بخصوص القباب وشقوق مختلفة الشكل وفي الغالب مستديرة ترى في قعر النوافذ الداخلة في قلب الارض . فظن السيور رينان ان العتلة الذين كانوا يحفرون هذه القابر كانوا يسجون متانة الصخر بادواتهم قبل حفرة ليعلموا ما سيلقون في شغلهم من المشقة وقد رد الدكتور روفيه على زعم رينان بما لا ينقص من الحجج في ان هذه القباب ليست بصناعية وانما هي صدوع طبيعية كثيراً ما تحدث في الحجارة الرملية كما يستدل على ذلك حيث شامت هذه الحجارة وقد رأينا ككل هذه الشقوق في جبيل نفسها خارجاً عن المدافن

فهذا نظراً عمومي لنعرض فيه ما يعرف عن جبيل وآثارها . فعادياتها كما ترى قليلة ولكن لا يجوز للعلماء ان يياسوا من وجود آثار غيرها . ولقد اساء رينان لما قال عن جبيل انه لا يؤمن باكتشاف شي جديد فيها . وكان دأب هذا الرجل ان يبحث دون تروء كافر عن العاديات ولما لم يعثر في جبيل على ما كان ينتظره جزم بان هذه المدينة خلوة من الآثار القديمة

اما نحن فنؤثر رأي الدكتور روفيه حيث قال في خانة مقالته عن جبيل :



« اثنا نعتد جيبيل ومدافنها الفينيقية كأنها مجهزة تماماً . ونظن أن آبارها المتخذة لدفن الموتى قد سُدَّتْ أفواهها مع صنائع قبورها بالرمل والتراب النقول الى هذه المدافن من التلال المجاورة فالتحذت تلك التلال كهجائن وبساتين وصارت المدافن مطمورة في قعر الارض . ولكن كما الامل الوثيق ان سيتوصل عمَّا قليل اصحاب الفئة الى هذه القبور المكتونة في اعماق الارض . ولنا ضمير لتحقيق آمالنا في ما شاهدناه في مدافن صيدا التي فيها وجد قبر الملك تبنيث وعبدته من نفائس الآثار تحلب عقول الزوار في متحف الاستانة العلية . والفضل في اكتشافها عائد الى سر مهندس ولاية بيروت السابق بشاره افندي

« ولعل سعة حدود هذه المدافن البالغة في العمق كسعة المدافن التي التحذت بعدئذ بدلاً منها . لَمَّا مركزها فالارجع انه على مسافة ١٠٠٠ او ١٥٠٠ متر من المدينة على منحطف الرُّبى المجاورة . هذا ما يظهر لنا بالحدس والتخمين وهو سبيل تنهجه لمن يأتي بعدنا باحثاً في عاديّات جيبيل (١) »

## ١٨ بلاد جيبيل

بلاد جيبيل شأن خليل في التاريخ وعلم العاديّات . وذلك لأن قاعدة تلك الانحوا كانت اصبحت في عهد الرومان مركزاً لعبادة تموز فصارت الضواحي التابعة لها كهوتم لا يجوز انتهاكها . وكانت الجاهليّة تحج الى هذا القطر لتكرم الاماكن التي تحيلتها كوقع للأثر تموز واعماله المختلفة . ولذلك لم تسكد رهوة من الرُّبى التي تجاور مدينة جيبيل تحاو من معبد تقني آثاره الباقية بعظم شأنه

ومما كان يزيد هذه الضواحي حسناً وبهجة أن لبنان كان في ذلك العهد مجالاً بابهي حلال الطبيعة تزيّنة القبايات الكثيفة وتظللة الاشجار الباسقة فكان اشبه بجبال الالب التي هي اليوم فخر سويسرة ومصدر ثروتها ( راجع مقالتنا في جبال الالب ولبنان . المشرق ٧٢١ : ٧٢١ ) . فكانت ترى لكل معبد غيضة تحديق به وتمتد

(١) وفي الواقع قد وُعدت في جيبيل بعد كتابتنا لهذه النصول آثار أخرى قد وُصفت في

المشرق ١٩٠٣ ( ١ : ٢٢٢ ) و ١٩٠٤ ( ٧ : ٢٢٨ )

فوقه افتانها الوارفة كما ترى اليوم في بلاد النصيرية المزارات والمقامات على آكام  
تكتنفها ضروب الاشجار كأنها قلاند الزمرد

أما الآثار الباقية فنما هو مطسور في الارض ومنها ما اتخذته الخلق لبنايات  
مستحدثة كالكنائس والبيع يدل عليها كتابات قديمة طس بعضها او نقوش  
متتة الصنع تراها في الجدران او صناديق محطمة ألقي حطامها في زوايا الكنيسة  
او انصاب مخروطة وعتبات مستطيلة الى غير ذلك بل وجدنا مذابيح بعض  
الكنائس مبنية بحجارة المذبح القديم نفسه . واذا طُفت حول هذه الكنائس  
رأيت آباراً او صهاريج او احواضاً او قبوراً منقورة في الصخر كلها شاهد على  
الازمنة الحالية

### ب. بلاط

موقع هذه القرية على مقربة من قصوبة في جنوبيا . كنيسة على اسم النبي  
العظيم مار الياس وهي مبنية بحجارة هيكل قديم كان هنالك . وفي جدرانها بعض  
قطع من قاشيل رومانية مشحمة وفي داخلها اربع كتابات يونانية يستفاد منها ان  
الهيكل القديم الذي قامت الكنيسة مقامه كان على اسم الاله العظيم (ὁ μέγας θεός)  
وهو البعل كبير آلهة الفينيقيين او تموز قرينه ونانية في بعض الامكنة (راجع الشرق  
٢ : ٦٢) وهذه الكتابات تليخ يقضي باعتبارها كاتدم الكتابات اليونانية في  
لبنان فانها ترقى الى السنة ١٩ قبل المسيح

وبلاط مدافن قديمة وقبور منقورة في الصخر أحكمها صنعا ما يرى غربي  
المدينة . وهي عبارة عن ستة اجوان متلاصقة متجانسة الشكل غاية في الاحكام  
نُقرت في الصخر بعد قطعه وتسويته واهل بلاط يجدون عدداً وافراً من  
العاديات في قريتهم وضواحيها . ولو باشر العلماء ثم حفريات منظمة لوجدوا فيها  
ما يسرهم ١)

### آده

هي في شمالي جبوب وشرقي شمالي جبيل . من آثارها القديمة مواد كنيسة

(١) راجع كتاب بشة فينيقية لـ لبنان ص ٢٢٣ ورحلة دوسر الى سورية سنة ١٨٩٥ ص ٥

القامة على ذكر القديس جاورجيوس . فإن هذه المواد قد استخرجت كلها من ابنية  
عادية . ومن اعتبر جدرانها وجد في خلالها قطعاً شتى من العمد والحجارة المطقة .  
وقد ائتمن المسيو رينان عتبة الكنيسة وارسلها الى متحف اللوفر في باريس . وعليها  
يرى نقش من الرموز الشائعة في الدين النسطوري وهو يمثل كوة ملقحة حولها حبات  
تجتمع اذناها من فوق . والكوة المذكورة بين جناحين منتشرين على جانبيها .  
وكان لبيت العماد الذي قرب كنيسة جيبيل حجر فيع مثل هذه النقوش إلا انه  
احدث عهداً من العتبة السابق ذكرها (راجع ص ٦٣) . وهذا الحجر نقله أيضاً  
رينان الى باريس

وفي نواحي اذه معابد كثيرة كانت في سابق الدهر هياكل للاصنام ومنها  
ما هو مزدوج . وسنعود ان شاء الله الى ذكرها عند كلامنا عن كنائس لبنان المارونية  
القديمة

### عمشيت

عمشيت قرية جديدة بالنسبة الى غيرها من القرى المجاورة . وليس فيها من  
اثر ثبت يوردي بالقول الى وجودها في الطور اليوناني الروماني وهي اليوم بلدة  
معتبرة اخلت في النمو منذ اوائل القرن الحالي . اما الكتابات العديدة التي يجدها  
الناس في عمشيت فكلها منقولة اليها من جيبيل او ضواحيها (١)

### عبادات

فاذا رقبنا الان الى مشارف لبنان وجدنا في طريقنا كنيسة شامات المزدوجة  
التي فيها آثار هيكل من الطرز الايوني (ionique) ترى عمدتها من داخل  
الكنيسة . وفوق شامات على مسافة نصف ساعة منها عبادات او عبيدات ترى في  
جدران كنيسها عند بابها الخارجي كتابة يونانية كتبت في ايام انطونيوس (٢)

(١) راجع بقعة فيليقية ص ٢٤١ ورحلة دوسو ص ٦

(٢) هذا الاسم مشترك بين انطونيوس المعروف بالبشار ومرفس اورديوس انطونينوس



قيصر وهي ذات شأن تاريخ الديانات في لبنان . والكتابة على اسم « المشتري السماوي الأعظم السارثاني » (Σαρθανός) المشفع ، وقد اختلف في شرح الصفة « سارثاني » والارجح انه نسبة لاسم هذه الضيعة القديم فدُعي به البعل المعبود فيها وفي تراكم هذه النعوت والصفات اشارة الى معبود اعظم متفرد بالجلال هو الرب سبحانه وتعالى الذي لا إله غيره كان القدماء اشركوا به معبودات ثنوية فتأهوا في بيدها الشرك

### بجديدات

في بجديدات ايضاً آثار قديمة متعددة . سيأتي الكلام عن كنيستها ونقوش جدرانها . اما مذبحها الحالي فهو المذبح القديم نفسه الذي كان الوثنيون يقدمون عليه تقادهم . ومثل هذا المذبح في كنيسة مار اما بجوار اذه . ولا تخلو بجديدات من الكتابات القديمة اليونانية لكن اكثرها مطبوس لا يسعنا هنا ان نذكر ما ورد في شرحها من الآراء الثبائية بلا فائدة للقراء

### جربتا

في جربتا وهي قرية قريبة من بجديدات اهل نقش حفرة القدماء في لبنان على وجه الصخر . وهذا النقش عبارة عن نُقْرة مستديرة ترى في اعلاها شاو بعض الآلهة وتحت التمثال المذكور مذبح وعلى الجانبين شخصان رجل وامرأة واقفين في هيئة السجود وترى شخصين آخرين يسوقان الضحية ويحملان كل لوازم الذبيحة . وهذه الصورة قد حُوت على عمر الدهر الا ان رأس الاله قد حُطم فيها عمداً . ورسما حسن يشهد لصورها بالحدق ودقة الصناعة فانه اجاد كل الاجادة بتمثيل حركات الاشخاص ولبسهم وهيئاتهم المختلفة . ومن فوائد هذا الاثر انه يدفنا على لبس قدماء الفيلقنيين فضلاً عن تعريفه لديانتهم . وعلى مسافة قريبة من هذه الصورة كهوف ومساكن منها اشتمت جربتا على الاصح اسمها اليوناني ( Κρύπτη ) اي مغارة

فيجوز ان نسب الكتابة لكل منها فيكون تاريخها اما سنة ١٥٤ - ١٥٥ او ١٧٧ - ١٧٨ بعد المسيح

## معاد

لا ريب أن معاد كانت في سائر الاعصار ضيقة مهمة ومركزاً خطيراً .  
وفي القرون المتوسطة بُني لها قلعة . وكنيستها نعدّها طريقة من طرف الأيام  
نذكرها في جملة الكنائس القديمة المعتبرة . ومما اكتُشف فيها كتابة يونانية للاله  
ستراپ تاريخها السنة الثامنة قبل المسيح ارسلها رينان الى باريس . ومن خواصها  
كمية اغلاطها . مما يدل على ان حافر الكتابة كان يرسم الرسم دون ان يفهم  
مضمونه . وهذا كثير في الخطوط اليونانية القديمة المكتشفة في لبنان كما ترى مثلاً  
في كتابة دوما . وهو من البراهين التي تنبئ بان الفينيقيين لم يتقنوا التكلم  
باللغة اليونانية

وان سأل سائل ترى من هو هذا الاله ستراپ . اجبت ان الستراپ عند  
اليونان كالرهبان عند العرب وكلاهما يدل على رئيس الفرس وسيدهم المثولي  
امورهم بالنيابة عن الملك . فيكون الاله المذكور في كتابة معاد دعي بذلك ليأمر  
دولة الفرس في فينيقية . فسوّه ستراپ اي سيّداً كما سوّوا غيره من الآلهة « بعلًا  
وملوخًا » وكلاهما بمعنى يراد بها السيد والملك . وان اعتراض المعترض بقوله ان  
الرهبان دون الملك مقاماً فكيف دعي به الاله العظيم . قلنا ان الرهبان كان في  
عين الشعب كالوالي والحاكم الاكبر الذي يعودون اليه في كل امورهم بعد الملك  
الاعظم عندهم . فاعتادوا اكرام الوالي المذكور حتى صار لديهم بقوّة الملك عينه . ثم  
نسبوا اليه قسماً من الصفات الالهية كما كانوا ينسبونها للملوك . وكذلك ترى كثيراً  
من الصفات الالهية كانت في بادئ الامر تدل على رتبة مقصودة ثم نقلها العامة شيئاً  
شيئاً للدلالة على السلطان المطلق والاله الاعظم كما ترى في غير ذلك من اسما  
اللاهوت كالبعل وأدون وملوخ وكلها انتقلت عند الفينيقيين بالجاز من معناها  
الاصلي الى معنى الاله الكبير المتعالي

مما كان من امر هذا اللقب فانه من المقرر ان اسم الاله ستراپ لم يُر  
ذكره في غير هذه الكتابة الحجرية . على ان يوزانيس المؤرخ كان ذكره في كتابه

السادس ( ف ٢٥ و ٢٦ ) فجاء اكتشاف هذه الكتابة مؤيداً لقوله ( ١ ) وتري من ثم ما في درس الآثار القديمة من الفوائد لمعرفة التاريخ . ولا يقول قائل ان هذه الاشياء زهيدة ليس تحتها كبير امر . أجيبنا ان العلم في الغالب متوقف على مثال هذه الدقائق فاذا جمع شتاتها نجم عنها فوائد لم تكن في الحسبان فكانت اشعة النور تبيد اذا ضم بعضها الى بعض سلطان الظلام وتقرر اسى الخفايا وأجلها

.....

## ١٩ احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح

وفقاً لما ورد في مراسلات تل العمارنة

كثيراً ما اشرنا في سياق كلامنا عن آثار لبنان الى مراسلات تل العمارنة . فأجبنا ان نستطرد الى وصفها لما يتبع من معرفتها من الفوائد الجيدة العربية عن احوال بلادنا قبل تاريخ الميلاد بأربعة عشر قرناً . فان هذا لعمرى عهد قديم ما كنا لتخرج قبل عشرين سنة ان نقف على شيء من اخباره . فألقى هذا الاكتشاف في حين لم تهجر فيه الضائز ولم يخطر على بال . لأمّا الفوائد التي نستخلص من المكاتبات فقد ألقناها بأثر بلاد نبيل لكثرة ورود اسم هذه الناحية فيها فنقول :

ان تل العمارنة مزرعة صغيرة مجاورة لواحد موقعه جنوبي مدينة النيا في الصعيد على مسافة ٨٠ كيلومتراً منها عند ضفة النيل الشرقية . والوادي المذكور تحيط به الصخور وهو يدعى باسم المزرعة الثومة عنها . وفي هذا الوادي بقعة واسعة تمتد مباشرة من قرية " شيخ قنديل " وكان على وجهها أطلال وأخربة قديمة . اما الصخور المجاورة فكانت قد نُقرت فيها مدافن ترينها النقوش والمكاتبات الهيروغليفية استنتج منها العلماء ان ثمت ازهرت مدينة " خوت اتن " او " خوت

(١) راجع مبحثاً بها ورد في المجلة الاسيوية الفرنسية عن الاله ستراب المذكور  
( J. A., 1877 p. 157 )



ناتق (١) كومي ملك فرعون مصر المدعو امينوفيس الرابع وكان هذا الملك بنى تلك المدينة نحو سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد وبقيت مدة الى ان خربت بعد وفاته ولما كانت بعض شهور سنة ١٨٨٨ بينا كان قوم من الفلاحين يحفرون بحوار هذه الاخربة اذ عثروا على صناديق خشب مملوءة من قطع الاجر كلها مكتوبة على وجهها باسطر متلاصقة ناعمة . فسّر الفلاحون بهذا الاكتشاف واعلموا من بيعه رجاء طائلاً . وحملهم طمعهم الى ان كسروا اكبر هذه اللواح فجمعوها قطعاً ليزيد بذلك عددها ورجعهم معاً . ولعل جهلهم كان اودى بهذه الكنوز الدفينة لولا ان الخبر بلغ مسامع اولى الامر فبادروا حالاً الى تلافي الضرر وضبطوا ما وجدوه من الاجر ومنعوا كسره وتشتيت قطعه . وقد نال المتحف البريطاني النصيب الاوفر من هذه الكتابات فان منها هنالك ٨٠ آجرة كبرى حسنة . اما المتحف المصري فاحص منها ثلثاً وستين قطعة . وفي دار غاديات برلين منها ١٨٠ قطعة دون القطع السابقة كبراً وكذلك تمكن بعض الخواص لخصوا على قطع صغرى ابتاعوها ثمن نفوسهم

وما عثم العلماء ان عرفوا ان الكتابات للرقومسة على الاجر هي الكتابات الممارية البابلية وانها تشتمل على سجلات الدولة في ايام امينوفيس الرابع وابيه امينوفيس الثالث فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى المستشرقين وان سأل سائل كيف دخلت اللغة البابلية في سجلات ملوك مصر ؟ اجبتا ان الامر لا يخلو من بعض الشبهة . وقد ذهب قوم من العلماء الى ان اللغة البابلية كانت في ذلك العهد اللغة الرسمية بين الدول الشرقية كما ترى اللغة الفرنسية في ايامنا . وذهب غيرهم كالاب ديلاتر اليسوعي الشهير (٢) الى ان اهل الولايات الشامية في زمن مكتابات تل العمارنة كانوا يتكلمون باللغة البابلية وهو عندنا الرأي الازجج . على اننا بقولنا هذا لا ننفي وجود لسان غير اللسان الاشوري اخذ منذ ذلك الحين

(١) لم يتفق العلماء على كتابة الاعلام الواردة في رسائل تل العمارنة فاتبعنا ما رأيناه اقرب الى الصواب

(٢) راجع كتابه في بلاد كنعان على عهد الدولة المصرية :

Le pays de Chanaan, province de l'ancien empire égyptien, (p. 26 - 30)

يقترح بلغة بابل نريد بذلك اللغة الكنعانية التي يظهر منها بعض الآثار في رسائل تل العمارنة . وهذه اللغة الكنعانية هي التي تطلبت بعدئذ في أنحاء الشام وطبست (بفرعيها العبرانية والفينيقية) آثار لغة آشور . وهذا يطابق ما نعرفه من الأحوال بلادنا فإن أهلها كانوا قبل عهد المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل سامية من البابليين ثم لم يزل يهاجر إلى سورية جيل من الناس كُسبوا إلى الكنعانيين حتى غلب هذا العنصر الكنعاني العنصر البابلي وقام مقامه (١)

وعليه أن أول فائدة تستفاد من مكاتبات تل العمارنة أنها هي شيوخ اللغة البابلية في لبثان مع ابتداء انتشار الفينيقية . وترى التراكيب الفينيقية في رسائل أهل الساحل لآسيا جليل ويروت أكثر منها في غيرها . فيؤخذ من ذلك أن سورية كانت وقتئذ كضمار يتجاري فيه شعبان كيران : البابلي وهو المتولي على الأرض المالك عليها تحت سيطرة فراعنة مصر . والكنعاني الذي ينمو ويزداد يوماً فيوماً إلى أن ثبتت دعاؤه وامتدت إطلابه واستولى على السيادة بدلاً من خصمه المدهور وغلب ألقته على لفته .

✱

ومن بعد هذه المقدمة يترتب علينا أن نبهت عن مضمون مكاتبات تل العمارنة فنقول أن هذه الرسائل تُقسم إلى قسمين : الأول يشتمل على الرسائل التي بعث بها إلى فراعنة مصر أقبال آسية وملوكها غير الخاضعين لدولة المصريين كالحثيين وملوك العراق وبابل وآشور . أما القسم الثاني فإنه يتضمن رسائل اتفدها إلى ملوك مصر أو وذرانها ولاية وأمراء عديدون من سورية وفلسطين . وكانت بلادنا في ذلك العهد تحت حكم مصر فيستشف من مطاوي كلام الكتابة التذلل والتواضع كما يكتب العتال إلى سادتهم بل العبيد إلى أولياء أمرهم وفي مقدمة هذه الرسائل اسم الكاتب على هذه الطريقة : « عبدك فلان » أو « فلان عبدك من مدينة كذا » أو أيضاً « فلان كلب الملك » . ولا ترى أحداً من هؤلاء الكتابة يلقب نفسه بملك أو أمير بل يكتبني باسم « خزانو » وهو

(١) راجع كتاب الملوك فنكسر H. Winckler: Die Völker Vorderasiens

الحاكم أو الوالي . وقد ورد في رسالة حاكم جبيل " ريب أدّي " أو " ريب أدّي " قوله للفرعون : " لاي سبب جعلني الملك خزانو " فاستدل المستشرقون من هذا الكلام ومن غيره أن رتبة " الخزانو " كان ملك مصر يقلدها بنفسه الولاة فيخلفهم فيها اولادهم من بعدهم . ويستدل من هذه المكاتبات ان النساء كنّ ينلن رتبة الخزانو كالرجال وهو امر غريب لم نجد له شيئاً في تاريخ الشام سوى ما ورد عن زينب في تاريخ تدمر (١)

وتحتوي الفاتحة ما عدا اسم الكاتب ذكر الفرعون والقبالة على هذا المثال :  
 " الى الملك سيدي والهي ونوري وشمس السماء فلان . . . عبدك وتراب قدميك وسانس خيلك . اني اتر على اقدام سيدي سبع دفعات وأنطرح سبعا على صدري وظهري " وفي بعض الرسائل يبالغ الكاتب في التذلل والخشوع الى ان يجعل نفسه " كلباً اهلاً بان يطأه سيده تحت اقدامه " ثم يلي هذه المقدمة فحوى الكتاب

أما رسائل الملوك فقد ماتها تشعير برتبة اصحابها مثال ذلك ما كتبه " دوسرتا ملك ميتاني " اي بلاد ما بين النهرين وكانت اخته زوجة لأمينوفيس الثالث وابنته لابنه امينوفيس الرابع :

" الى الملك العظيم ملك بلاد مصر اخي وصبري ( وفي الاثورية عتي ) الذي يحبني واما احبته كتبت هذا لافيدك . انا دوسرتا الملك العظيم سهرك الذي يحبك ملك ميتاني اخوك اني على احسن حال . واقرأ عليك السلام وعلى آل بيتك وعلى اخلك وحريك وعلى اولادك وعلى عجلانك وخيلك ووزرائك وبلادك وكل مالك . سلام للجميع يكون اطيب سلام

وفي مكاتبات تلّ العمارنة اعلام مدن كثيرة نكتفي بذكر ما لاه بعض العلاقة مع اخبار لبنان وهي : عكا ( كما تكتب اليوم ) وصور ( صور ) وصيدونا ( صيدا ) وبيروتا او بيروت ( بيروت ) وجبلة ( جبيل ) وسوراً او سموري ( وهي بلدة تری اترتها على مسافة كيلومترين من مصب نهر الكبير شمالاً )

(١) وقد اخبر السيد دوسو في رحلة حديثه الى جبال القسريّة انه وجد امرأة كانت متولية رتبة الخزانو في ضيعتها



واروادا (جزيرة ارواد) - ومن المدن الداخلية المذكورة في هذه الوسائل . دمسقا  
او دمسقي (١) دمشق) وقطنا في جوار دمشق (ولعلها قرية قطننة)  
ولا ترى في مكاتبات تل العمارنة ذكراً لجبل لبنان لاسيما جهاته الداخلية إلا  
نادراً . وقد زعم الكولونل الانكليزي كندر (Conder) أنه وجد فيها اسماء  
البحرون وجونية وشكة وشثورة ومسكة في البقاع (٢) بيسد ان العلماء الاثبات لم  
يوافقوه على رأيه حتى الآن

ومن الاعلام المذكورة اسم مدينة أميا ذهب الاب ديلاثر اليسوعي الى ان  
موقعها ورا. لبنان او في جهته الشمالية . وقد زعم كندر ان أميا هذه هي اميون  
الحالية في معاملة الكورة . فان صح قوله تكون اميون أقدم بلدة تعرفها في  
داخل لبنان . والرسالة التي ورد فيها هذا الاسم كانتها احد العقال المصريين يطلب  
من صاحب أميا ان يسلم اليه عدداً من العبيد مع ابنة الشيخ ويرسل له فضة  
وعجلات وخيلاً ثم يختم قوله بما نقه : « اعلم ان الملك على احسن حال كالشمس  
في السماء وان جيشه وعجلاته على ما يرام من الصلاح »

وقد جاء أيضاً مراراً في هذه الوسائل اسم بلدة تدعى « نخاسه » يظن العلامة  
نيبور (٣) انها كانت في شمالي شرقي لبنان . أما الاب ديلاثر (٤) فيجعلها قريبة من  
حمص . ففي اقوال العلماء كما ترى تباين ظاهر

ولكن ان كانت افادات وسائل تل العمارنة قليلة عن احوال لبنان الداخلية  
فانها كثيرة التفاصيل عن المدن الساحلية خصوصاً جبيل . ولوالها « ريب ادنى »  
وحده نحو خمسين رسالة في مجموع رسائل تل العمارنة

والاول ما يستلفت انظار مطالع هذه الوسائل ان مدن ساحل الشام كانت  
فائزة بنصيب من العمارة والتقدم فكانت التجارة البحرية فيها على قدم . وكثيراً  
ما ورد ذكر سفن جبيل وبيروت وحيداء التي كانت تمخر عساب البحر المتوسط

(١) راجع مقالاتنا في اسماء دمشق ( المشرق ٣ : ٦٥٨ )

(٢) راجع كتابه The Tell Amarna Tablets, 2<sup>nd</sup> ed. London, 1894

(٣) راجع C. Niebuhr : Die Amarna-Zeit, p. 26

(٤) راجع كتابه السابق ذكره ص ٤٧

وتنقل محصولات البلاد الى اماكن شتى . وما هو اعجب من هذا ان المدن المذكورة كانت قد اتخذت ما يوارج حربيّة . والدليل على ذلك ما ورد في رسائل « ريب ادى » الى فرعون قال : « ان اهل ارواد عندك الان فاضبط سفنهم التي هي في مصر » . وقال في رسالة اخرى عن سفن بيروت وصيدا : « أليست هاتان الديلتان تحت ولايتك قولاً عليهما رجلاً يمكنه ان يجهز سفناً لبلاد اموري (١) » . وزاد في رسالة ثالثة ان سفن صيدا وبيروت بلغت ساحل بلاد اموري وقبضت على احدى مراكبها ثم اردف هذا الخبر بقوله : « وهذه السفن قادمة الان لتسولي على بعض سفني »

\*

ولا عجب من هذا الخصام الواقع بين مدن مجاورة فان رسائل تل العمارنة تثبتنا بان امر بلادنا كان وقتئذ فوضى لا تجمع اهلها كلمة . وفي ما يأتي أدلة على ذلك

اما تجارة الفينيقيين البرية فكانت تبلغ الى تخوم مملكة آشور وكانت قوافلهم تعرف حتى العرفة كل الشعوب التي تملك على الاقطار المتوسطة بين بلادهم وبلاد بابل . وقد ورد ذكر هذه الممالك في رسائل تل العمارنة . وكان البابليون واليتانيون يزاولون صناعة المعادن وخصوصاً صيغة الجواهر الكريمة ثم يبيعونها للفينيقيين والفينيقيون ينقلونها الى الامصار البعيدة . وكان تجار فينيقية يعاملون ايضاً الحثيين في آسية الصغرى ويحولون الى عيلام اي بلاد فارس . ولا غرو فانه يستدل من الكتابات الاشورية التي سبقت عهد رسائل تل العمارنة ان العيلاميين غزوا بلاد فينيقية فتكون الصلات بين الاُمَمِين نشأت منذ ذلك الحين

اما الجهات الجنوبية فكان الفينيقيون اعلم بها من غيرها فكانوا يسحرون بلا انقطاع الى القطر المصري ثمة ليدفعوا الجزية للفرعون وأخرى لمصالحهم الخاصة فيبيعون سلعهم ويستبدلونها بذهب مصر الشهير الذي ورد عنه في رسائل تل العمارنة « انه صكّراب الارض كثرة » . والمفنون ان المصريين كانوا جلبوا هذا

(١) ذكر هذه البلاد وارد في ما يأتي والآراء متضاربة في تعيينها

الذهب من بلاد النوبة التي غزوها واستولوا على معادنها  
ثم ان تربيغ الازمنة التابعة يشهد على ان سليمان الحكيم وفراعنة مصر  
في عهده كانوا يستخدمون الفينيقيين لتاجراتهم وعندنا ان الامر كان كذلك في  
القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل المسيح . وان الفينيقيين لم يجهلوا جنوبي  
جزيرة الهند

واما اسفار الفينيقيين الى شمالي غربي البحر المتوسط فلا ذكر لها في مكاتبات  
تل العمارنة . وانما ورد فيها اسم بلاد «الآسيا» والرجح انها توافق بلاد قروانية  
الحالية او احد الاقطار الواقعة في شمالي سورية . ومن اوصافها انها كانت من  
البلاد الساحلية . وما لامراء فيه ان الفينيقيين كانوا يعرفون من ذلك العهد  
جزائر الارخبيل وسواحل آسية الصغرى وكانت قفولهم البرية تتردد الى هذا  
القطر للمتاجرة

✱

فما تقدم يلوح للقرآن . ان فيليقية كانت بلغت في القرن الرابع عشر قبل  
المسيح مقاماً عالياً من حيث تجارتها الواسعة وثروتها الوفرة . وكانت المعادن  
الثينة كالذهب والفضة تصاع في جبل فتجديها ارباحاً كثيرة يدل على ذلك  
كتاب حره واليهما ريب ادى السابق ذكره . وكذلك كانت الزراعة والفلاحة  
في حال زاهر رافع . وكان الزيت والخمر من جملة ما يقدمه الفينيقيون للوك مصر  
لاداء الجزية . ولعل الخمر اللبناني اشتهر من ذلك الحين قبل ما يذكره هوشع النبي في  
سفر نبوته ٨: ١١ . وقد ذكرت ايضاً رسالتنا «الاشجار الكبيرة» التي وهبها لزيرو  
احد امراء الشام ولما كان هذا يملك على قسم من شمالي لبنان فعلى ظننا ان  
الاشجار الكبيرة المذكورة لما المراد بها شجر الارز . وهذا يصح ايضاً عن جبال  
بيروت وجبل التي منها قطعت الخشب هيكل اورشليم في زمن حيرام وسليمان  
ومما يدل على عمران بلادنا في ذلك العهد ذكر العجالات الحربية . لان وجود  
العجالات ينفي بوجود طرق موثورة وفي توشير الطرق ما لا يخفى من الرقي لان ذلك  
لا يخلو من الصعوبة في جبال كجبال لبنان (١)

(١) راجع ما كتبناه في هذا الصدد في البناء كلامنا عن السكك الرومانية في لبنان



وقد جاء في رسالة لاهد ولاية بيروت اسمه أمونيا ما تعريبه : « لما ورد امر سيدي وشعبي علي انا عبده و تراب قدميه . قائلًا لي اذهب الى مساعدة انصار سيدك الملك الحال اطعت امره وهما هذا لاهق باصحاب سيدي الملك مع خلي وعجلاتي وكل مالي » . ولهذا الكاتب رسالة اخرى يذكر فيها عجالاته الحربية وما بينه وبين ريب ادّي من الصلات الرودية (١)

هذا ولا تكاد رسائل ريب ادّي العديدة تخلو من ذكر الحرب التي اصلاها عليه « عبد الشري وابنة ازيرو صاحب امور الشديدان » ويؤخذ من سياق كلامه ان سلطته كانت تمتد على ساحل جبيل الى طرابلس او مصب نهر الكبير شمالا والى نهر الكلب جنوبا مع ما يجاور هذا الساحل من لبنان . اما والي بيروت أمونيا فكان نهر الكلب يحد ولايته شمالا

ومن تصفح رسائل ريب ادّي ادرك انه كان قليل البخت لم تسعه الايام . ومن المبكيات المضحكات ما كتبه اليه احد عمال مصر بسبب قطع من الحمبر كان الفرعون عهد اليه بحراسته بقرب مصب نهر الكبير في بلدة سميرة :

« . . . هم الطاعون بلدة سترى فامات الرجال واعلت الحمبر . . . وبلا لك من كان يناظر الحمبر ان انت لم غتم بها . . . تقول ان الحمبر وحراسها قد اصبوا بالطاعون وان مواشي سيدي الملك قد هلكت فاذن يقتل علبك ان تطلب غيرها لئلا . . . »

فهذه الرسالة تفيدنا بان قراغة مصر كانوا اتخذوا لهم وسطا . من جلدتهم يناظرون ولاية المدن وامراء البلاد ويوقعون الملك على احوالهم وكان هؤلاء المناظرون يبالغون مروسيهم اوامر الفرعون . وربما لاموهم عن اعمالهم كما رأيت او دافعوا عنهم في وقت الحاجة او اصلحوا ما حدث من الخصام بين اصحاب مدينة وجاراتها

ودونك كتابا آخر من ريب ادّي لبعض المناظرين المصريين اسمه امانيا يعرض له فيه شكياته من اخصامه :

الى امانيا ابني الصغير من ولد ريب ادّي . اني انطرح على اقدام ابني الصغير . ثم أسأله

(١) الا ان هذه الملائق الرودية لم تدوم زمنا طويلا كما سترى وقد مر ان سفن بيروت استولت على سفن جبيل

ثانية: ألا تستطيع ان تنقذني من ايدي عبد الثرى... لا يبالي يامري احده من ولاة المدن ولعلهم جميعاً مشغولون معه ولذلك قد استعمل امره. اما انت فاجبتني: أرسل في صحيفي ساعياً الى بلاط الملك فان رضي الملك امدته اليك مع الجنود ليدافعوا عن حيانتك. فكان جوابي: اني لا اتأخر عن ارسال الساعي ولكن ليبق ذلك سرّاً لا يعلم به عبد الثرى لان يتهايمون (وهو ناظر آخر كان ملك مصر) قد ارتضى. فأجبت: أرسل سفيته الى ياريسنا فبأنيك منه فضة وحلل... وبلاه من يخلصني فبالا لم نخرج الجنود الى نجاني سترك المدينة وانجو بنفسي»

وفي رسائل اخرى يطلب حيناً اربعة رجال وعشرين عجة وحيناً اربعين جندياً (١...٠) وثلاثة منتين من المشاة وقنة من الخيالة. ألا ان المناظر المصري لم يجب الى طلبية ريب ادى ولم يبالي بامره وعليه فلم يزل عدوه يغزو الالة وتتوهم شوكتة حتى ضبط كل التواحي المجاورة لبلاذ جبيل ولم يترك لصاحبها غير مدينته. والعدو المذكور هو ازيرو وكان مالكاً على البلاد الواقعة شمالي دمشق وعلى قسم من وادي العاصي اي البلاد المتوسطة بين بعلبك وبحيرة حمص فطامع في املاك جاره صاحب جبيل واخذ منه ما اخذ في بقعة طرابلس وجبل عكار ولبنان ثم تقاعص الامر حتى بلغ مسمع ملك مصر. وفي رسائل تل العمارنة ما يشعر بغضب الملك على ازيرو لتعديسه حدود ولايته. الا ان ازيرو المذكور كتب الى الفرعون ليذكي نفسه ويلقي تبعه الامر على صاحب جبيل. وكتابه غريب في بابيه احببنا ان نكتبه هنا:

«الى الملك العظيم سيدي والهي وشسي من ازيرو عبده اني اقبل الارض امامك سبع مرات... اعلم سيدي اني انا عبدك متعز في القراب امامك ملكي ومولاي. ثم اني اتجاسر واقول لعزتك لا تعز سمك الى الاعداء الذين رموني عندك بالزور والبهتان فاني عبدك الخاضع الى الابد»

لكن الفرعون لم يرض بقول ازيرو واستدعاه الى مجلسه ليدافع امام الملك عن نفسه. والظاهر انه سُجن في مصر ومات في حبسه.

اما ريب ادى فلا تعلم عن وفاته شيئاً. وغاية ما يُستفاد عنه من رسائل تل العمارنة انه عثر زمناً طويلاً وأنه تولى على جبيل في أيام امينوفيس الثالث وابنه

(١) وفي الاصل يطلب الكاتب ان يكون عشرون منهم مصريين وعشرون من بلاد «بلوخا» وبلوخا هذه مقاطعة واقعة عند تخوم مصر والشام

امينوفيس الرابع - وفي رسائله دلائل على انه كان يطلب خير رعيته وانه كان متبعداً لعشوروت « بطة جبيل » (١) يذكر اسمها في مقدمة أكثر رسائله . ويلوح ايضاً من كتاباته هذه ان أسرته كانت مالكة على جبيل وضواحيها منذ قديم الزمان لانه يشكو الى فرعون مصر امره ويقابل حالة السينة بحسن حال اجداده فيقول : « ان الملك كان سابقاً يرسل الى اجدادي دراهم وغير ذلك بما كانوا يحتاجون اليه وكان يسير بهم جنوداً اما انا فارسلت الى سيدي الملك ساعياً ليعايدني ببعثة من الجند فلم يرسل اليّ احداً »

فما سبق يتضح لقرائنا ما تتضمنه مكاتبات قل العارنة من اخبار لبنان وسواحل الشام . لكن اهميتها الكبرى مبنيّة على قدمها لانها كتبت قبل موسى الكليم وقبل سفر التوراة وفيها عدة تفاصيل تثبت صحة اقوال الكتاب . ومنها ايضاً يتبين ما في درس اللغتين المصرية والبابلية من الجدوى للعلوم التاريخية . وفي ما اكتشفه المستشرقون منها حتى الآن ضمن عن فوائد اكتشافات المستقبل ان شاء الله (٢)

## ٢٠ كنائس لبنان القديمة

نحال قرأنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكنائس القديمة في لبنان بعد ما كررنا ذكرها في فصولنا السابقة . وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لاننا لسر الحظ لم نتمكن من زيارة كل كنائس لبنان القديمة . ثم ان كثيراً من هذه البيع قد خربت في مدة هذه السنين الاخيرة او ذهب عنها رونقها القديم وذلك لعزقة محمودة في اهل لبنان حملتهم على تجديد بنا كنائسهم او ترميمها لولا انهم حرمونا من بعض الآثار الجليطة الناطقة عن احوال سلفانهم الافاضل وعليه فقد

(١) راجع فصلنا السابق عن الديانة الفيثية في لبنان

(٢) ان اردت كلاماً مطولاً عن مراسلات قل العارنة فراجع مقالات مسربة كتبها الاب ديلتر . ومن جهتها نبذة فرنسية دعاها : « اكتشاف قل العارنة » . ثم اردفها بمقالة اخرى وسماها « بكتابات قل العارنة » . وللمستشرق الشهير هالفي ( J. Halévy ) مقالات في الموضوع نفسه في المجلة الاسيوية الفرنسية ( J. A. 8<sup>e</sup> série, XVI-XX )



اسرعنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتد يد الخراب الى الكنائس الاخرى  
المهميدة . وغايتنا من هذه النبة ان نبين للقراء اجمالاً ما اتصفت به هذه البنايات  
المقدسة وما هي خواصها التي تفردت بها في لبنان

لا مشاحة في ان لبنان يتفاخر على غيره من الاصقاع بوفرة كنائسه . فانك  
لا تكاد تدخل قرية منه بل مزرعة من مزارعه دون ان تلقى لها كنيسة لها ولعلك  
تجد في القرية الواحدة اللهم اذا كانت متوسطة في الكبر ككيسين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق المئتي سنة تراها في هندستها  
اشبه بيوت القرى لا تختلف عنها الا بسعتها . فانها على هيئة مكعب مستطيل  
مبنية بالحجارة والملاط لها على جوانبها ابواب وفوافذ . وفوقها سطح توى على  
احدى حافته قبة للجرس لا تظهر بيته وبين الكنيسة علاقة هندسية . وقد  
استبدل السطح منذ عهد قريب بسقف مغطى بالآجر الاحمر فزادت بذلك  
الكنائس بعداً عن هيئة العابد الدينية . وان سألت هل لهذه الابنية طراز هندسي  
اجتأنا نحن نجهل ذلك ولعل بنائهم انفسهم لم يدروا اي طريقة هندسية جروا عليها  
في هذه العمارات

لكن الامر لم يكن كذلك في سالف الاعصار . ولو بحثنا لوجدنا لاهل لبنان  
في القرون الغابرة طريقة هندسية في بناء كنائسهم كما نود لو يحبسها المهندسون  
المحدثون في المعابد التي يشرعون بتشييدها او يستجدون بناؤها

فترى اين نجد امثلة لهذه الابنية العتيقة ؟ افي جنوبي لبنان او مقاطعة الن ؟  
كلا لان الموارنة لم يدخلوا هذه الاصقاع منذ زمن بعيد . وتريد على ذلك ان  
دخولهم في نفس كسروان ليس بقديم كما يبتنا الامر سابقاً في الشرق في نبذتنا عن  
نوا غريغون (الشرق ٥٦: ١) ثم في ردنا على مقالة « لاحد العلماء » ادرجت في  
الروضة . وعندنا ان الموارنة لم يتوطنوا كسروان قبل القرن السادس عشر وهو قول  
يمكن تأييده بأدلة عديدة اعلنا نذكرها في مطاوي مباحثنا هذه عن آثار لبنان .  
وحسبنا اليوم ان نقول انه لا يوجد بين اديرة كسروان العديدة دير واحد يسبق  
عهد القرن السابع عشر (١) وكذلك لم نطلع في تواريخ الموارنة على ذكر رجل من

(١) راجع كتاب الخوري معور طوس الخوري في المقاطعة الكسروانية ص ٢٨ .

مشاهيرهم أصله من كسروان قبل القرن السادس عشر . وإذا جاء ذكر الموارنة في تأليف الصليبيين فلا نراهم يذكرهم إلا في البلاد الواقعة بين طرابلس وجبيل أما جنوبي نهر ابراهيم فلا نرى لهم فيه أثراً . وكذا قل عن اديرتهم القديمة وكنائسهم فانها كلها في شمالي نهر ابراهيم كما ان أصل قدماء بطاركتهم واساقفتهم من البلاد نفسها

فيتضح من هذه الحقيقة امران : الاول ان لا أثر كسروان اليونانية الرومانية شأنًا اعظم من آثار المارونية . والثاني ان من يطلب امثلة تطلعه على هندسة الموارنة القديمة لكنائسهم الاجدر به ان يطلبها خارجاً عن كسروان وفي واقع الحال اذا اجتازنا نهر ابراهيم وتوغلنا في بلاد جبيل وجدنا عدداً وافراً من هذه الكنائس وهذا العدد يزيد على قدر مسيرتنا الى الشمال . ولا غرو لان هذه الاصقاع هي مهد الامة المارونية وموطنها الاول درجت منه فامتدت في الحما لبنان لجنت سوربة فأقطار الشرق حتى بلغ ابناؤها في عهدنا بلاد القرب ودخلوا العالم الجديد . فان وجد شيء من آثار ابقيتها الدينية القديمة فهي عند مركزها الاول وفي محل عزها

قد اجمع علماء العاديات ان هندسة الكنائس المسيحية منذ بدء التصرانية خواص مشتركة تشمل كل البلاد ان غربية وإن شرقية مع ما يُرى فيها من الاختلافات الطارئة عليها بسبب تقلب الاحوال ودواعي الظروف . ومن هذه الخواص تقسيم الكنائس المسيحية سالفاً الى ثلاثة اقسام الحنية او المحراب ( abside ) ثم السوق ( nef ) ثم الرواق او الدهليز ( portique ) . ويبلغ الموارنة القديمة لا تشد في ذلك عن غيرها من معابد المسيحيين العهدة

فاذا اعتبرنا أولاً هيئة الحنية وجدناها شبيهة بالخنايا اليونانية اي انها مجوفة في الداخل قائمة في الخارج على شكل مستدير كما تروى في كنائس اهدن وكفرحي ومار نهرا وسيدة سمير جبيل ومار ضومط في تولا ومار الياس ( كنيسة واقعة بين

تولا وعبدله ( ومسرح وبجديدات واده ( في بلاد البترون ) واده ( في بلاد جبيل )  
وفي جوار اده هذه عدة معابد وبيع بُنيت على هذا المثال

هذا ولم ننظم داعل في سلك القري المذكورة مع ان كنيسة المتهدمة ذات  
حنية ظاهرة الى عهدنا . لانتنا نظن ان هذه الكنيسة كانت في الاصل هيكلًا  
للانعام ثم حولها الاهلون الى معبد مسيحي على اسم القديس تادروس الشهيد .  
وبين ردمها جدران مائة حصة البناء فيها آثار خطوط كوفية مطبوسة . وترى  
مثل هذه الخطوط في حلتا في كنيسة السيدة القديمة . وكنيسة داعل المذكورة  
يزورها المتأولة ويكرمونها ولهم عند اطلالها سديانة كبرى لا يسها احد

ولو أردنا ان نسردها كل الكنائس القديمة المارونية التي جعل لها حنية  
مستديرة اطلال بنا الكلام . ولعل الشكاة التي يجعلها الموارنة وراء المذبح  
الكبير مثال صغير لهذه الحنايا القديمة اتخذوها كذكر لها . ولا ريب ان الموارنة  
اهملوا بناء الحنايا في كنائسهم يوم اخذوا يتقربون في مناسكهم وطقوسهم من  
الكنيسة اللاتينية (١) ويقتدون بها في شئون كثيرة . كما لحظ ذلك مراراً  
مؤرخو الموارنة انفسهم (٢)

هذا وقد اسفنا على ان البناء الذي سعى في ترميم بعض الكنائس القديمة هدموا  
الحنايا السابقة او غيروا صورتها ما لم يكن . فتري مثلاً الحنايا الثلاث التي كانت في  
كنيسة مار دانيال في حدث الحبة قد باد اثرها تماماً  
ومن خواص البيع المارونية القديمة قبها . وبما استحسنه من هذا القبيل قبة  
كنيسة مار الياس بين عبدله وتولا وهي تشبه قبة كنيسة جبيل . بيد ان هذه  
الكنيسة مهمة يتنازع ملكها اهل القريتين

والكثير من الكنائس دهليز او رواق مقبب الشكل كما ترى في كنيسة  
كفرحي وفي كنيسة مجديدات اعني مار فيقولا ومار تادروس وفي كنائس مار  
يوحنا المعمدان في اده ( جبيل ) ورشكيدا ومسرح

(١) ومن ذلك العهد أيضاً ترك الموارنة بعض العادات الجارية عند اليونان وباقى الطوائف  
الشرقية . ولعلهم تحيلوا ان بناء الحنايا من الابنية المخصوصة بالروم

(٢) راجع مقدمة كتاب الدويهي المصنوع بناية الاقداس ( ص ٧ )



هذه الديات الثلاث اي الحنية والقبة والرواق هي التي تعم كنائس الموارنة  
قديماً اللهم إلا الدهليز فاننا لم نجده في قسم منها

\*

علمت نعتبر الان ما اختصت به بعض هذه الكنائس دون غيرها . فمن ذلك  
ان بعضها كان ذا ثلاثة اسواق ككيسة جبيل وان اعترض علينا احد بان هذه  
الكنيسة من بناء الصليبيين فلا علاقة لها مع كنائس الموارنة أعتناهُ الى مثل  
كنائس أخرى بُنيت في وسط المقاطعات المارونية ككيسة معاد ورشكيدا ومار  
برجس في اهدن

فكنيسة معاد من اجمل كنائس لبنان بناء وهندسة لولا ان مُرتميتها لم يعرفوا  
قدر الآثار القديمة فانهم لم يحسنوا اصلاحها وطسروا كثيراً من محاسنها واذالوا  
حنيتها ومحووا نقوشها البديعة وكان هذه الكنيسة ثلاثة اسواق غير انها اقصر من  
كنيسة جبيل ودونها في الطول . ولعمدتها رزوس اكثَر من الطرزين الهندسيين  
الاقدمين اي الطرز الايوني ( ionien ) والدوري ( dorique ) . اصلها من بقايا  
هيكل قديم مع آثار أخرى راجع ما كتبناه عن معاد ( ص ٧١ ) . وفي  
الكنيسة المذكورة قبور ترتقي الى متوسط القرون . وبازاء معاد قرية تسمى  
صغار لها كنيسة ذات سوقين في اعلاهما حنيتان

اما كنيسة رشكيدا فتستحق ذكراً خصوصياً لقلة شهرتها . والحق يقال ان  
الدهش اخذ منا مأخذه لا صادفتنا هذا العبد الجميل في مزرعة حخرة مجهولة  
يسكنها المتأولة على مسافة عشر دقائق من عيرون

فلكنيسة رشكيدا رواق واسع كانت سقته في سالف العهد اعظم منها  
اليوم . والكان باسم القديس جاورجيوس الشهيد له ثلاثة اسواق مثل كنيسة  
معاد والسوق الاوسط ينتهي بجنية ورائها قبة كبيرة او بالاحرى ثلاث حنايا  
يندهش لمرآها الناظر . فطلبنا لهذه الصورة الهندسية الغريبة شرحاً يكشف ثنا  
سرّها المكنون فقلب قلنا ان الكنيسة كانت سابقاً اكبر منها اليوم فرمها البناء  
واقصروا منها على هذا القسم الباقي . ولاشبات هذا الفن أدلة تتبادر الى ذهن

ذاثرها ولولا خوف الاطالة لعرضناها هنا . ونكتفي اليوم بأننا عرفنا القراء بوجود هذه التحفة الهندسية وسنلمح اليها في مطاوي الكلام غير مرة (١)  
ومن الكتابات القديمة الجديدة بالاعتبار كنيست حدوتون كان بقي منها بعض الاخيرة قبل سنين قليلة . فلما بُليت البيعة الجديدة تضرعت تلك البقايا دون ان يمكننا انقلد زيارتها . ولربنا ان في وصفها فقرة موجزة اثبتنا في بعثه القليلية (ص ٢٥٥) فزاد بمطالعها أسفنا على فقد هذا الاثر البهيج . وكان في هذه الكنيسة عمودان يرتبطان الكتابات القديمة التي رسمها ريتان رسماً لا يكاد يستخلص منه معنى . وكل هذه الآثار من عمد وجدان قد طُمست وقت البناية الجديدة

وقد تفضل حضرة الحوري نعمة الله نصار فارسل الينا كتاباً ضئله عدة افادات عن هذه الكنيسة الجنية فقال في وصفها « انها كانت ذات أسواق وفيها سبعة ابواب ثلاثة لجهة الغرب ضمن دهليز متقن وباب لجهة الجنوب وله ايضاً دهليز خاص وباب للشمال ضمن دهليز طبيعي منقود في الصخر وبابان على جانبي الحنية وهي كانت غاية في الحسن تقوم على ذاتها ووراءها المرفه (الكرستيا) فتح له نافذة جنوبية . وكان لهذه الكنيسة اربع قناطر رفيعة اثنتان للجانب الايمن واثنان للايسر يتعلق طرف الواحد بجانب الحنية وطرف الاخرى بالحناطر الغربي »

فهذه التفاصيل تبيننا بأن كنيسة حدوتون لم تشبه غيرها من الكتابات السابق ذكرها وهي كلها مبنية ذات باب واحد ليس الا . لما العواميد التي كانت في داخلها فترجع ان اصلها من بناية قديمة كهيكل وشني او غير ذلك  
وكان حضرة الاب نعمة الله سألنا في كتاباته مراراً ان ندله على اسم اي قدس شيدت هذه الكنيسة لأنه نحى في السؤال عن الامر لدى العامة وبجث عن تقليد الشيخ فلم يقر بالمرام

(١) زعم ريتان في بيته فيبقية ان في جدار هذه الكنيسة كتابة قديمة استدل عليها . وعندنا ان لا وجود لهذا الاثر لان الاعلىين يهلونه مطلقاً

قلنا اننا نحن ايضا بحثنا عن هذا في ما تيسر لنا من التأليف فلم نحظ بالمقصود . ولعل ذلك يمكن استخلاصه من كتابة يونانية دلتنا عليها اهل حدوتون . وهذه الكتابة كانت مكتوبة على طوق من النحاس كانت تُنَاط به ثوباً او ما شاكلها . ومضمون الكتابة ما تعريبه : « في عهد حنا كاهن مار الياس » يريد كنيسة مار الياس . فيترجع من هذا ان الكنيسة المذكورة كانت على اسم القديس الياس النبي لان حدوتون كنيسة أخرى قديمة مخصصة بالعدراء الطاهرة وهي باقية الى اليوم

\*

هذا وان سياق كلامنا عن رشكيدا ومعاد وحدوتون قد بلغ بنا الى ان نبسط المقال عن النقوش التي كانت الكنائس المارونية مزينة بها . ولا مراء ان تصاوير كنيسة معاد كانت بديعة جداً كما ينبغي على ذلك ما بقي منها على جدرانها وقد ذهب اكثرها بترميم محراب الكنيسة . ونما افادني شيوخ القرية انهم لو ازالوا الردم الذي هناك لوجدوا امثالا لتصويرية حسنة من جملتها صورة مار يوحنا مارون وفي تزيخ الموارنة للدويهي ما يزيد زعمهم قال (في حاشية الصفحة ٣٦٨) : « وفي حنايها ( يريد كنيسة معاد وبجديدات ) مكتوب « ان الله صباوت » ومصور على حيطانها مار مارون ومار قيريان بالتيجان على رؤوسها والدروع على اكتافها » فيا ليت اصحاب الامر يتولون هذا العمل ويتقنعون التصاوير من تحت الردم ولنا الامل انهم يلقون مع التصاوير كتابات قديمة بالخط الاسطرنجي تفيدهم علماً عن اخبار قديسي الكنيسة المارونية . اما تصاوير كنيسة رشكيدا فقد باد اكثرها الا ما يراه الناظر في جهة المحراب وهي روزوس متقنة التصوير تدل على ما كان ثقت من النقوش الجميلة

ومن الكنائس المزخرفة بالتصاوير كنيسة تان على اسم مار جرجس في اهدن وعبدله وكنيسة مار تادروس في بجديدات قد صبرت على عوارض الزمان ولو اراد السكان لامكنهم ان يجددوها بعد ازالة الملاط الذي يحجب قسماً منها مع صيانتها عن الرطوبة . ونما يرى في جدران مار تادروس صور الكروبيم يحملون بين ايديهم تسبحة القديس ( Trisagion ) مكتوبة بحروف اسطرنجية ولبقية



تصاوير هذه الكنيسة كتابات سريرية تُعرف موضوعها واسماء الاشخاص  
الصورين فيها . فلا يتخلو البحث عنها من الفائدة

وصكت ارفع كثيراً في زيارة كنيسة مار سركيس المجاورة لشبطين لاني  
كنت قرأت في بعثة فينيقية لريشان (ص ٢٥١) ان هذه البيعة مجتلة بتصاوير  
بديعة ظن انها ترتقي الى القرن السابع او الثامن فثقل على زعمه السيد المسيح ورسلة  
الابرار وأردف ان وراء الهيكل قد بقي منها صور رؤوس جميلة . فزرت الكنيسة  
الآن لم اجد لهذه التصاوير اثر البتة

وفي كفر شبلان معبد صغير غريب الشكل نُقِر في الصخر يدعى سيدة ثانياً (١)  
وقد تبين لنا من فحصها انها كانت سابقاً مدفناً ثم جعلت معبداً (٢) . استدل لنا  
على ذلك بصغر المعبد وهيبته وارتفاعه فوق الحضيض بعدة اذرع . وترى في سقف  
هذا المعبد فوق مذبحه وعلى جناحي الهيكل نقوش وتصاوير اسود قسم منها بساج  
السرّاج وهبوة البخور الذي يوقد امام صورة العذراء . هنالك . وفي الزاوية القريبة  
من الباب صليب في تربيعة كتابة يونانية مؤداها : « قد انتصر يسوع المسيح » .  
وعلى شمال الصليب صورة راس بالقموس . وعلى يمينه وحش غريب لعلمهم ارادوا  
به الشيطان الرجيم فيكون المصور اشار بذلك الى انتصار المسيح على قوات  
الجحيم بصليبه

وقد ذكر الدويهي في تربيعة كنائس آخرتينها التصاوير القديمة لم يبق اليوم  
منها شيء . وما يزيدنا اسفاً على فقدتها ان نقوش بعضها كانت مؤرخة كبيعة مار نهرا  
في اده من بلاد البترون فان تربيعتها كان يرتقي الى سنة ١٥٧٥ لليونان اي ١٢٦٣  
للمسيح ( راجع الدويهي ص ١١٢ )

وان سأل سائل من اي طرز كانت النقوش والتصاوير التي سبق ذكرها اجبت  
انها كانت كلها من الشكل البوزنطلي فان من يقابل بينهما وبين النقوش

(١) لعل هذه اللفظة يونانية الاحمل « vax » اي جديدة فيكون المعنى « السيدة  
الجديدة »

(٢) وبقراب السراية المنيّة حديثاً في قرية اميون كنيسة مثل كنيسة كفر شبلان على  
اسم القديسة مارينا كانت ايضاً مدفناً ثم حوّلت الى معبد

البوزنطية من حيث طريقة التصوير والالوان وهيئات الاشخاص لا يرى بين الطرزين اختلافاً يذكر فيحكم بلا شك ان مصوري هذه التصوير اخذوا الفن عن البوزنطيين كما تلمح الى ذلك الكتابة اليونانية التي في معبد كهرشليان . اما اصل هؤلاء المصورين فنظن انهم كانوا من الشام كفى دليلاً على ذلك الخطوط السريانية المحدقة بالصور

وقد بقيت عادة الموارنة على نقش كنائسهم في لبنان زمناً طويلاً . اخبر الدويهي ( ص ١٨١ ) في تاريخ سنة ١٥٨٧ ان الخوري انطون من بيت الجليل بني كنيسة مار عبدا في قرية بكفياً وصورها على يد الشدياق الياس الحصري واتفق عليها الف قبرسي مسا عدا اكلاف اهل بكفياً وغيرهم من المحسنين . ولا بدع ان هذه التصوير كانت محكمة الصنع لعظم المبلغ الذي صرفه بالي الكنيسة

كذلك زين الحبر الجليل اسطفان الدويهي كنيسة قنوبين بالتصوير والنقوش . بقيت منها الى اليوم صورة العذراء ام الله ترى عند اقدامها بظاوة الموارنة جاثين امامها . بيد ان هذا التصوير ليس بمنقش لكنه يلوح من خلاله ان صاحبه يحاول تقليد المصورين الفرنج

ويلحق بهذا الباب نقوش أخرى كان الموارنة يحبون ان يزینوا بها كنائسهم اعني الفسيفساء . فهذه العادة وان كانت شائعة في بلاد كثيرة كانت في بلاد الشام اشيع وأعم حسناً ذكر الفسيفساء المكتشفة قبل ١٥ سنة في مادبا في متصرفية الكرك وقطر الموابين القديم قد نقش فيها رسم بلاد فلسطين

وكذلك كان صحن كنائس كثيرة للموارنة مجتلاً بالفسيفساء . وقد وقعت على صخرة هذا الامر بنفسي في كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح فان آثار هذه النقوش باقية حتى الان . وكان ايضاً لكنيسة كور التي هدمت منذ قريب ترصيع من الفسيفساء . افادنا الامر حضرة الابوين المرحوم الخوري بطرس ارسانيوس رئيس مدرسة مار يوحنا مارون والخوري بولس طعمه ومولد كليهما في هذه القرية اما كنيسة حدقون فقد افادنا عن فينسائها حضرة الاب نعمة الله بما يلي قال : وكانت الكنيسة مبعدة بصغار الحجارة النقوشة وكان اجل هذه النقوش

في الكرسية ملونة بالوان عديدة كالاحمر والاخضر والازرق والاصفر  
والساجوني الخ والحجر فيها لا يكبر قطعاً عن السنتيمتر المكعب . ويستدل على  
حسن رسومها واحكام صنعها من ذات تركيب الحصى . أما ارض الكنيسة  
فكانت مبلطة بهذه الفسيفساء . لأنها اقل اتقانا . منها ايضاً دهليز الخارج فان  
حجره يكبر سنتيمترين «

هذا بعض ما تسمى لنا جمعة عن فيفاء الكنائس في لبنان ولا شك ان  
بيعاً أخرى قديمة كانت مزينة بها

\*

وَمَا قد اذهلنا في قرى عديدة من لبنان أنا وجدنا في جانب كنائسها كنيسة  
أخرى لاصقة بها او قريبة منها بحيث تُضحي الكنيسة كبنية واحدة . مثال ذلك  
كنيسة مار يوحنا وكنيسة مار تادروس في اذه ( جبيل ) . ومثلها كنيسة شامات  
وتولا الخ

ولكثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج (١) ونوافذ ضيقة مستطيلة في  
جدرانها بقرب مدخلها كما في تولا واذه ( البترون ) . وترى في صغار في دار الحواجا  
انطون جرجس التي كانت كنيسة قديمة صهريجاً في داخلها ومرامي في جدرانها  
ويستدل بهذه الآثار الهندسية على ان الاهلين كانوا في سالف الاعصار يتحصنون  
في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قلعة لكثافة جدرانها ومثانة بنيانها فيشربون  
من مائها ويرمون القذائف من نوافذها

وفي هذه الكنائس أثر آخر يرتقي الى القرون المتوسطة وهو انهم كانوا  
يخطون في جدرانها قطعاً من العواميد ظناً منهم ان البليان يزيد بها شدة . ونرى

(١) وفي أماكن عديدة نرى الصهاريج خارج الكنيسة عند الدهليز مثلاً . ويحتل أيضاً  
تكون حفر لتختل بها قبل مباشرة الاسرار . قال الدويهي في منارة الاقداس (ص ٥٧) :  
« منذ انتشرت النصرانية اخذ ابناء الايمان يبنون الكنائس ويجرون امامها منابع الماء او يحفرون  
الابار ليستحم بها الداخلون . . . فقد رُسم على الكهنة في بدء النافور وآخرون ان يغسلوا انفسهم  
طلباً للظاهرة وتوقيراً للاسرار »



مثل هذه العادة جارية عند العرب في ابنتهم القديمة لنا شواهد على ذلك في بعض انحاء قلعة جبيل . وتعلقت عليهم هذه العادة حتى انهم كانوا اذا لم يجدوا عموداً يدخلونه في بنائهم ينحتون دائرة ناتئة في حجر كبير يمثلون بذلك صورة رأس عمود . كما ترى في قلعة حلب وفي الباب الشرقي في دمشق الخ (١) . وقد جرى مهندسو الكنائس المارونية على هذه العادة فان كنيسة مار ضومط في تولا ولار جرجس في عبدة وكنيسة السيدة في سر جبيل وكنيسة رشيدا مثل هذه العواميد المتداخلة في بنائها

\*

ليست قبة الجرس في الكنائس الشرقية كما ترى في الغرب . فان الغربيين جعلوا هذه القبة كقبة معتبر من ابنتهم الدينية قراها مدمجة بالبنان متصلة به اتصالاً غير منفصم بخلاف الشرقيين فان قبة الجرس عندهم من العوارض ليس بينها وبين كنائسهم رباط هندسي ولو خلت هذه الكنائس منها لبقيت هندستها الاصلية بحسبها وهندامها . والبيع المارونية القديمة لا تشذ عن هذه القاعدة العمومية . فان من يحدق بنظره اليها ير لوقت ان قبة الجرس من الملحقات التي زيدت على هذه الكنائس بعد بنائها . وادراك علّة ذلك سهل وهو ان الاجراس المعدنية حديثة العهد بين الموارنة لم يأقروا قرعها الا بعد مجيء الفرنج الى بلاد الشام (٢) . قال العلامة الدويهي في تاريخ طائفتهم (ص ١٠٣) : « وفي سنة ١١١٢ اخذ الموارنة في الجبل يدقون النواقيس من النحاس بدل الخشب للصلاة »

ومن خواص لبنان كثرة كهوفه واغواره التي ترى في اكنافه . وقد اتخذ اهل لبنان الاوتون هذه المغاور كمساكن لهم احتلوها فعاشوا فيها في قديم الزمن (٣) ثم ابنتى اللبنانيون لهم القرى وشادوا البيوت فبقيت هذه الكهوف خالية خاوية حتى

(١) راجع بنة فينيقية زريان ص ١٥٩ و ٥٤٧ الا ان هذا الكاتب قد اساء بسببه ذلك الى الصليبيين

(٢) راجع المشرق (١: ٥٨)

(٣) راجع مقالة الاب زنون في الطور الحجري في فينيقية (المشرق ١: ٩٧)

انتشرت في هذه البلاد انوار النصرانية فلجأ اليها قوم من النساك انقطعوا فيها الى العبادة والتأله وعاشوا تحت عيشة اشبه بعيشة الملائكة وجعلوا بتأدي الأيام غير أنهم كثائس كان يقضي فيها السكّان الجاورون لهم فرائضهم الدينية . فن ذلك الكهوف الواقعة في وادي قزحيا وفي سيده القطّين التي تُعرف اليوم باسم سيده الغراز . وهي لا تبعد عن قرية صغار في وادي مُقفر فأن هناك ديراً صغيراً اذا طبقات متعدّدة ملتصقة كلها في الجبل والدير سورٌ حصين فيه منافذ ضيقة كان النساك القدماء يصدون منها حركات العدو فيطردونه اذا ما فاجأهم . ولبعد هذا الدير حنيّتان عاديّتان وكان العبّاد اذا جعلوا سكناهم في هذه الأغوار يتخذون اكبرها لمناسكهم فيجعلونها بيعة كسيده قثروبين وسيده القطّين وقزحيا الخ وما يلحق بهذه الكنائس معبد كفر شليان المنقور في الصخر وقد مرّ ذكره . ومثله معبد مار سر كيس للآباء الكرمليين في بئر اي . وكذا كنيسة مار بطرس في العاقورة فأنها كلّها منحوتة في الصخر (١) ولعلّها كانت مدقناً للموقى في الايام الغائرة (٢)

\*

وقد حان لنا الان بعدما ذكرناه اجمالاً عن كنائس لبنان القديمة من حيث هندستها المعمارية وهيئتها الخارجية ان نبعث عن داخلها فتقف على صورته واحواله . ولنا في كتاب منارة الاقداس للبحر الفضال والكاتب البارع البطريرك اسطفان الدويهي دليل يرشدنا الى المقصود قال (راجع المنارة ١: ١٠٣) : « قسم الآباء القديسون المياكل الكبيرة الى ثلاثة اقسام اي قدس الاقداس وبيت القدس والدار وفقاً لعدد الاقانيم الثلاثة كما يتبين ذلك من كنائسنا القديمة مثل كنيسة القديس ماما في اهدن التي بُنيت في سنة ٧٤٩ وكنيسة القديس سابا في بئر اي سنة ١١١٢ وكنيسة القديس دوميّط في تولا من بلاد البقرون وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من بلاد جبيل وغيرها » . فلهذه الافادات شأن خطير لاسيما ان المؤلف ذكر تاريخ بعض

(١) راجع الدويهي (ص ٢١٩)

(٢) راجع سنة فينيقية (ص ١٢٠-١٢١)

هذه العابد . وإجبداً لو زاد في تعداد الكنائس القديمة التي لم يك بعد استولى عليها الخراب في عهد الدويهي

ولتقدم على تفاصيل كل قسم من اقسام الكنيسة . فالحنية كما سبق القول كانت مجلدة بأنواع النقوش والتصاویر التي افادنا الدويهي موضوعها ( ص ١٠٤ ) قال : « وكان الآباء الاطهار يصورون الله الصباور في حنايا الكنائس جالسا على عرش العظمة . ويثقلون وجوه الحيوانات الاربعية حول العرش مع الملائكة وقوفاً يقدمون له البخور والمصابيح المتلألئة حوله وذلك لكي يرفع الكاهن نظره اليه جلّ جلاله عندما يقدم الطلبات في سرّ القداس الالهي »

وكان للموارنة في كنائسهم القديمة تنظييات اخرى احببنا ذكرها لثمة الفائدة منها توجيه الحنية الى الشرق . وزاد الدويهي في المشارة ( ١ : ١٠٧ ) : « وأن يكون فوق الحنية طاقة الى جهة الشرق لان الله ابو النور » لكن بعض الكنائس التي زرتها خلوا منها . ثم اردف البطريرك المذكور : « وأن يكون تحت الطاقة داخل الحنية كرسي عال في كنائس الاساقفة اشارة الى عرش عظمتهم . . . . . ويُنصب الكرسي في مكان مرتفع لاجل تعليم حقائق الايمان . . . . . ويجعل درج تحت كرسي الاسقف وتقام حوله مجالس ومسابح متفاوتة لاجل جلوس الخوارة والبرادطة ( ١ ) والقسوس . . . . . ومثلاً اوجب الآباء ان تُبنى المذابح من الحجر للدلالة على استمرار النبيعة ودوامها اوجبوا ان تُبنى الكرسي في الحنية من الحجر ايضاً ( ٢ ) »

ومن الكنائس التي ترى فيها كل هذه الشروط مستوفاة كنيسة مار جرجس في اهدن فانها كانت كنيسة اسقفية ( ٣ ) . هذا وان نُصب كرسي الاسقف في الحنية عادة تفرّدت بها البيعة السريانية دون البيعتين اللاتينية ( ٤ ) واليونانية كما اشار

( ١ ) جمع البردوط وهو زائر الكنائس . راجع الشرق ( ٢ : ٦٤٦ )

( ٢ ) راجع مشارة الانداس ( ١ : ١٠٩ - ١١٤ )

( ٣ ) المارة ( ١ : ٢٩٨ )

( ٤ ) اما في الاجيال الاولى فكانت الكنيسة اللاتينية توافق السريانية في نصبها كرسي الاسقف في صدر الحنية ( راجع مارتنقي قاموس العاديات المسيحية ص ١٢٧ )



## الى ذلك العلامة الدويهي

وفي قدس الاقداس ما عدا كرسي الاسقف والكهنة بيت القربان او تليوت الاسرار كما دعاه العلامة الدويهي وهذا نص كلامه (ص ١٠١) : « ويحوي تليوت الاسرار اربعة امور اي جسد الرب والميرون المقدس وزيت العماد وما الدنبح »

وهذه افادات أخر عن المذبح المنسوب بازا الاسقف ننقلها عنه ايضاً (ص ١١٣) : « أمر الآباء المتقدمون كما يتبين في كنيسة مار سابا بمدينة بشاري وفي كنيسة السيدة بمدينة حلب وغيرهما أن يُنصب فوق المذبح في الفياكل الكبيرة قبة جميلة المنظر على اربعة اعمدة بأربع ستائر وفوق الزوايا الأربع اربعة قنايل تشخص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرّ الكلام عليها ويُجعل فوق القبة قفاحة وفوق القفاحة صليب »

ولا بد أن يكون المذبح من الحجر مربع الشكل « لأنه ماندة ويتقد في الطول بين الجنوب والشمال أكثر من امتداده في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القدس وحقة البخور والتوافير وغيرها »

ويحكم بأن يجعل امام المذبح درجة او أكثر لكي يرتفع عن الخوض (الدويهي ١ : ١١٤ و ١٤٤) وينبغي ألا يكون « لاصقاً بالجائط قائماً بمنزل عنه » (١) على عكس ما نراه اليوم في كثير من الكنائس المارونية . ومن العنوم ايضاً « ان يجعل المذبح مجوفاً لاجل رفع الفضلات القدسة (ص ١٤٤) وتفتح كوة من جهة الشرق لاجل وضع الدخائر ورفعها عند الاقتضاء . وقد تُنصب اخيراً مطهرة من جهة الجنوب بجانب بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسي اهدن ليقل بها الكهنة والروسا ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١١٥)

وكان امام المذبح درزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان له

(١) وجاء في كتاب التكريات الذي عني بشره سابقاً الكاتب المرحوم رشيد الشرتوني (ص ١٩) : « يجب دائماً ان يكون المذبح الكبير قائماً بذاته وحوله قصير الارتفاع والرتب المرسومة من الآباء ولجل ذلك اعدوا باقامة الحنية حوله من جهة الشرق حتى لا يضايقه الجائط بتقدّمه »

مثلة ثلاثة ابواب بيد انه كان يختلف عنه بامور . قال الدويهي امام المؤرخين الموارنة : « اوجب آباؤنا الاظهار ان تكون ابواب الدريزين مفتوحة وجدراؤه غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكن الجميع من مشاهدة الاسرار . ولكنهم امروا الشماسة ان يسيلوا الاستار في اوقات معلومة لجلالاً للاسرار (ص ١٣٥) »

فكان اذاً الايقونستاس عند الموارنة شبه بمشبك ليس بناء مصمتاً كما في كنائس الروم . ولعله كان « كالشعريّة » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان الا انه كان متقن الصنع . وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدوتون قطعة من هذا الدريزين القديم . ولا علم لنا أبقى منه في بعض الكنائس ام لا . اما في عهد الدويهي فكانت هذه الدريزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

بقي علينا ان نذكر القسم الثالث من الكنائس المارونية اعني دار الكنيسة او صحنها . فكانت هذه الدار خالية في دأورها من الكرسي التي تروى في الكنائس اليونانية . وقد بين الدويهي سبب ذلك قال (راجع منارة الاقداس ١ : ١٢١) : « آباؤنا اصحاب الكرسي الانطاكي اهلوا نصب الكرسي ووجبوا على نفوسهم ان يصلوا وهم قيام كقول الرب : اذا قمتم للصلاة قولوا ابانا الذي في السموات . . . وقد اخبرتنا التواريخ عن تلاميذ ابينا المكرم القديس مارون أنهم قضوا كل حياتهم منتصبين على اقدامهم ليلاً ونهاراً (١) وانقسموا جوقين امام الباب الموكي . . . اما الكهنة والشماسة فيستندون الى المكائات لمساعدة الجسد الضعيف ما خلا الرؤساء فانهم يجلسون على الكرسي للدرجة التي ارتفعوا اليها » وكان المؤمنون خصوصاً الضعفاء منهم يتخذون ايضاً المكائات كما روى ذلك الدويهي في محل آخر من

(١) ورد في التاريخ ان حناً من الساك غرضوا على نفوسهم تنقياً ان يبشوا طول حياتهم قياماً فدعوا لذلك الرهبان المنتصبين (Stationnaires) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكي (١ : ١١٤٠) . اشهرهم ثلاثة مار مارون . (راجع تاودور بطرس : تاريخ الرهبان PP. GG. T. LXXXII, 1419, 1431 ومن هؤلاء الساك من جعل له عموداً قصداً عليه كالقديس سمعان العمودي وغيره

## كتاب النارة (١ : ٦٠، ٦١)

وكانت الدار المذكورة تشتتل على " القراءات والناير وازران العمودية وازران الماء المبارك والمراتي وبيض النعام والنواقيس وما شا كل ذلك " اما ترتيب كل هذه الاشياء فكان على هذا النمط : تُقام أولاً قراءتان امام الدرازين من هنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلاً ونهاراً وعليهما تُتلى الكتب المقدسة وميامر الاباء وسنكسارات الشهداء . ( ثانياً ) اما المنابر التي تُنصب في الدار فيعصمهم يقسمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدرازين لتقرأ عليها الرسائل والانجيل والوعظ وزيارح البعوث والشهداء وامثالها . . . ( ثالثاً ) يوضع في الدار جرن العمودية . وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة الا من كان ابن النور . الا أنهم ادخلوه الى الحُرانة لانه هناك يُحفظ ثبوت الرايات ( اي الاسرار ) كما ترى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بشاري (١) . ويُعلّق فوق الجرن قتال حملة دلالة على استقرار الروح القدس . ويُتخذ الجرن من الحجر . ( رابعاً ) توضع في الدار ايزان لاجل الماء الذي نباركه في الغطاس وفي تقديس البيعة وغيرها . ( خامساً ) تعلّق في ائدار المراني المدوّرة وبيض النعام . وهنا للدويهي بعض تفاسير رمزية تُحيل القراء الى مطالعتها في كتابه . ثم قال : " ( سادساً ) توضع النواقيس في الدار تنبيهاً للمؤمنين للاجتماع للصلاة "

يظهر مما سلف ان الشعب لم يجلس في الكنيسة على الكرسي وانه كان يحضر الاسرار منتصباً . لكن ذلك لم يصد المؤمنين عن الركوع . وللبطريرك العلامة الدويهي فصل مطوّل (ص ٦١) يبحث فيه عن انواع السجود والركوع . على ان الجثو على الركب كان معتبراً كضرب من التعب والامانة واما الانتصاب هو هيئة المصلين الرسمية في الرتب الطقسية

وقصاري القول ان الكنائس المارونية كانت تتفق مع الكنائس اليونانية ( او

(١) وجاء في كتاب التكريسات (ص ٢٣) انه يُفتح جبيل باب خارجي " حتى تدخل النساء وتخرج بالسفرة "



بالأخرى مع اليونانية واللاتينية معاً) في الخواص العمومية ولها مع ذلك فوارز تفصلها عما سواها بحيث يحكم صاحب الخبرة إذا رأى ما سبق لنا وصفه من طرائق بناء البيع والنواع هندستها الخارجية وتنظيم أقسامها ونقوشها أن الموارفة في سائر الزمان هندسة كنسية خاصة بهم . وكنا وددنا لو لم نجد بناء الكنائس الحديثة لاسيما منذ مائتي سنة عن تقليد آباءهم القديم . وغاية ما نتمناه أن نحفظ الآثار الباقية منها لئلا يستولي عليها الخراب . وهذا ما حملنا على كتابته هذا الفصل في كنائس لبنان القديمة ١١

وان سأل السائل في أي عهد شاعت في لبنان هذه الطريقة الهندسية القديمة . أجبنا أن الأمر لا يخلو من الغموض والشبهة . وما يمكننا قوله أن أكثر هذه البيع شيدت قبل القرن الثالث عشر . وكان بنا . بعضها في أيام الصليبيين على مثال كنيسة أجيل . وهذا رأينا في كنيسة مار شربل في معاد وغيرها أيضاً من الكنائس كما رواه المؤرخ المدقق الدويهي حيث قال ( ص ١٠٣ ) : « وفي سنة ١١١٢ شرع بعض أهل البر يبنون كنائس . . . وكان للخوري باسيل البشري في ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرون العفة وانفق جميع ما يملككن على بناء الكنائس . اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار يوحنا ومار دومط . وفي بشنين من ارض الزاوية كنيسة ابي ابراهيم على اسم القديس لوبا الرسول ( ٢ ) والثانية على اسم القديس سرقيس الشهيد ثم رقيست بالرب سنة ١١١٣ . اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية بشرأي . وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الخلدث »

وربما بقي بعض الكنائس اللبنانية الى عهد اسبق منها ما بُني في القرن التاسع او الثامن ايضاً كبيعة كفر شلمان التي نعدّها من أقدم كنائس لبنان . ومثلها كنيسة مار منّا في اهدن ( راجع قول الدويهي فيها المندرج اعلاه ص ٩٢ ) . وليس قولنا

( ١ ) وهنا نكره طلبنا الى قرّائنا بأن يبدؤوا علماً عن الكنائس التي لم نذكرها في هذه المقالة ولا بأس ان يشاركونا علماً في ما يرونه خطأ لتصحيحه

( ٢ ) القديس لوبا او ابائوس ويدعى تدائوس ممدود بين تلاميذ المسيح الاثني عشر

هذا الأجمالاً . ولو أطلع أحد الهندسين الحيرين على هذه الأبنية لاستمكن أن يزيد  
أيضاً في تعيين زمن بنائها

✱

هذا وننتهز هنا الفرصة شكراً ما أتيته في السنة الأولى من الشرق  
(ص ٢٦١) في مقالة نُشرت تحت عنوان : « هيا بنا على درس تاريخنا » .  
فكان من جملة البنود التي اقترحتها على جمعية طلبنا انشاءها في كل طائفة  
(ص ٢٨٣) « ان تعني بالصور القديمة في الكنائس . . . وتهم بحفظ هذه الكنائس  
نفسها »

فلم نر حتى الآن تشكيل لجنة تقوم بهذا المشروع ولعل لم يفكر احد  
في تأليف هذه الشركات الطائفية لتبرز الى حيز الوجود قسماً من هذه المقترحات .  
أما العلماء الاوربيون فانهم تلتوا أفكارنا في تنظيم مثل هذه الجمعيات بما لا مزيد  
عليه من الرعاية والاتفات وهذا الامر بأحد كبار المستشرقين الالمانيين وهو الدكتور  
ج . كينغز الذي ذكرناه غير مرة في مجلتنا الى ان كتب فضلاً في « نشرة الاداب  
الشرقية » (١) يستلقت فيه الاظفار الى مقالاتنا بل زاد على ذلك انه نقل الى الالمانية  
هذه النبعة وألحقها بملاحظات نورد منها شيئاً ليرى اهل بلادنا ما يبني الاوربيون من  
الآمال على تأليف جمعية كهذه . قال الدكتور ما تعريفة :

« لا حاجة ان نبين لقرائنا ما ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعية  
تاريخية في سورية كما وصفها الاب لاماس . بل يأخذنا العجب من عدم انشاؤها  
حتى الآن لا سيما ان بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيها الآثار التاريخية الدفينة  
التي يتوق الى كشفها العلماء . فمن نوافق كاتب هذه المقالة في ما اقترحه من انشاء  
مكتبة مركزية في سورية لدرس تاريخ البلد وهذه المكتبة لا بُدَّ ان تجعل فيها  
كل الكتب الادبية واللغوية والجغرافية التي تشمل على احوال بلاد الشام وان  
يلحق بها متحف للآثار الى غير ذلك من التنظيمات التي عدّها صاحب مقالة الشرق

ولا نشك في ان الذين يبحثون عن شرفون البلاد الشامية يتهللون فرحاً اذا ما تحققت امامي حضرة الكاتب

"ونحن الاورثيون نبني آمالاً طيبة على تنظيم جمعية تاريخية يكون اعضاؤها شرقيين . لان ابناء الوطن يحسنهم ان ينالوا يؤمن قليل ما لم يناله الغرباء بعد الجهد الجليل واذا تشكلت هذه الجمعية الوطنية بادرت الجمعيات الاوربية الى مكاتبها فتتقوى بذلك على اقام مشروعات علمية ذات شأن خطير "

هذه شهادة اثباتها نرى القراء ما للعلماء الاجانب من الكلف بامور الشرق .

وباليتنا لا نتأخر عن تلبية دعوتهم فلا نجيب آمالهم فينا

وفي ختامنا هذه المقالة التي خصصناها بذكر الكنائس القديمة في لبنان كنا وددنا لو امكننا ان نومي هذه الجمعيات التي نطلب انشاءها منذ سنتين بالمحافظة على هذه المعابد القديمة قبل ان يستولي عليها الخراب . وعلى كل حال اننا نوجه دعوتنا الى ذوي الامر طاب ان يهتم ان يصوروا هذه الآثار ولا يدعوا يدا اليه تصليها باذى . واذا امت الحاجة الى ترميمها فليصلحوا منها ما خرب مع مراعاة هندستها القديمة . فان هذه كانت وصية الثأت الرحمت البطريك بولس مسعد الذي كان حريصاً على حفظ تلك الآثار الناطقة بماخر ملته في غابر الازمان . على اننا نقر بكل سذاجة ان معظم خوفنا من البناء المحدثين الذين يتحسسون ان هذه الابنية لا طائل تحتها فيضربونها لاتخاذ مرادها او تجديدها كما يزعمون وهذه الطامة الكبرى

فيا جيداً لو امكننا بما سطرناه في هذه المقالة عن كنائس لبنان ان نكشف يد الدهار عن بقايا الزمن القديم فان اصبتا المرام لا نتأسف على الاتعاب التي تجشمناها لهذه الغاية الثريفة



## ٢١ دخول النصرانية في لبنان

لهذا البحث علاقة طبيعية مع بحثنا السابق عن كنائس لبنان القديمة فلا يسعنا إلا الخوض فيه هنا

روى ريتان في كتاب بعثة فينيقية عن الوارثة انهم يدعون كون الوثنية لم تشع في وطنهم مطلقاً وهذا افتراء في حق اهل لبنان الذين لم يذهبوا الى مثل هذا القول الباطل . وكيف يا ترى يزعم اللبنانيون بذلك وكل النحاء جياهم تنطق بشروع عبادة الاصنام في القرون الفائرة وفيه من آثار التوثن ما سبق وصفه في مقالاتنا وما لا مرية فيه ان لبنان كبلاد الشام جميعاً كان يدين بالشرك بل بقي لغزلة موقعه بنوء تحت عبء الوثنية مدة بعد ان ارسلت النصرانية اشعتها على سوريّة اجمالاً وعلى فينيقية خصوصاً وكانت مدنها الساحلية على طريق دعاة الدين المسيحي فقالوا من انواره حفظاً واثماً قبل سواهم

## ١ لبنان واول مبشريه

ارتأى بعض الكتبة ان المسيح وطئ ارض لبنان واستندوا في تأييد رأيهم على آيتي متى (٢١: ١٥) ومرقس (٢١: ٧) حيث ورد عن الرب لذكر السجود انه ذهب الى تخوم صور وصيدا . غير ان هذا الموضع لا يصرح بذكر الطريق التي سلكها المسيح وقد زاد القديس مرقس في النص ذاته ايضاً اذ قال (٣١: ٧) : « انه خرج من تخوم صور ومر في صيدا وجاء قيا بين المدن العشر الى بحر الجليل . » فان الطريق التي تؤدي توما من صيدا الى المدن العشر تمر في منطف لبنان جنوبي شرقي صيدا فتبلغ النبطية او جوارها عابرة على نهر الديطاني عند الجسر المعروف اليوم بالنعقاعية فتنتهي الى جنوبي شرقي بلاد بشارة . وهذه الطريق تسير عليها السابلة الى يومنا والطبيعة نفسها ترشد اليها . فلهذا الرأي كما ترى سند ولا حرج على من يقول به (١)

وللكتبة المحدثين قول آخر او تقليد محلي يزعمون بموجبه ان السيد المسيح لم

(١) راجع المشرق (١٩١١: ١١-١٢) مقالة الاب القرد دوران في رحلة المسيح الى فينيقية

يدخل فقط صيدا، بل بلغ أيضاً حتى ثغر بيروت . والتقليد المذكور أثبت في القرن الخامس عشر الزوار الألفين يدي برناباخ ( راجع المشرق ١٩١٤ ) . ثم أورد كولاومبوس في كتاب وصف الاراضي المقدسة (١) وذكره أحد ادباء الالمان في مقالة طبعها سنة ١٦٩٢ عن بيروت وآثارها . واهل هذين الاخيرين نقلوا ما قاله برناباخ . وهذا التقليد على ما نطق به ليس يثبت ولا نرى وجهاً لتوفيته مع ما رواه الانجيليون

لكن الله منج بيروت فمرة أخرى يحق لاهلها ان يتفخروا بها يزيد احتلال القديس بطرس عامة الرسل في ربعا . وهو امر يقبله العقل ويؤيده النقل . اما النقل فلأن بطرس الصفا انتقل غير مرة من اورشليم الى انطاكية فترتب عليه ان يجتاز في بيروت وهي اذ ذاك من اعظام مدن فينيقية شأنًا . اما النقل فلما منه شهادة قديمة تنزي الى تلميذ بطرس الرسول وخلفه في كرسيه البابوي القديس انجيليس وحدث في كتاب الانبات والميامر (٢) . وهو تأليف قد اختلف العلماء في كاتبه الا انهم يتفقون على كونه سبق لاول القرن الثالث

وفي الكتاب الرما الى فوائد أخر عديدة عن تاريخ النصرانية في فينيقية والامم المجاورة لمدنها الساحلية لكثرت لا تنقل عنه غير ما نراه راجعاً متقرباً توافقاً الشواهد القديمة (٣) ومن ذلك ما جاء عن جبيل (٤) ان الرسول العامة اقام لها اسقفاً حنا مرقس أحد تلامذته وكان المذكور ولد في اورشليم وهو نسيب للقديس برنابا (٥) وفي يثيه نقل بطرس الرسول لما اقدم الرب من ايدي هيرودس (٦) . فسقفة على جبيل كما تشهد على ذلك السكسارات الشرقية البوالية والسريانية المارونية فضلاً عن الكلندار

(١) راجع كتاب: *Elucidatio Terrae Sanctae*

(٢) طابع بمصر آباء اليونان بين الجزء الاول والثاني

(٣) وقد عدلنا عن ايراد هذه الامور ليس فقط لان موافق كتاب الانبات مثبته قديم

بل لاسباب اخرى يراعي بنا ذكرها الى الامتالة

(٤) وقد ذكر عن بيروت ان القديس بطرس سام لها اسقفاً يدعى كولاومبوس

(٥) راجع رسالة القديس بولس الى اهل كولاومبوس (١٠ : ٤)

(٦) اعمال الرسل (٢ : ١٢)



الروماني الذي ذكر عيده في ٢٧ ايلول . والمؤرخون الاقدمون يوافقون في ذلك الآثار  
الطاسية

فمن ثم تكون اسقفية مرقس المذكور الاثر الاول لدخول النصرانية في لبنان لان  
جبيل كما اشرنا الى ذلك سابقاً ( ص ٦٠ و ٦٧ ) كانت مرتبطة بلبنان ارتباطاً غير  
منفصم بل كانت معدودة منه داخلة فيه كما ترى في عهدنا . وبما انها كانت محاطة  
بمئة هياكل مقدسة تشرف عليها من الآكام والرؤى المجاورة لاسيا هيكل افنا  
والمشقة ( ص ٣٩-٤١ و ٤٩-٥١ ) فكان الفيذقيون يعدونها مثل كعبة دينهم  
يمجرون اليها من اقطار بعيدة فيتمنون فيها مناسكهم الدينية التي يمشروها في هياكل  
لبنان ويكرمون بزيارتها ادونيس والزهرة

هذا ولا نعلم ما ناله اول اساقفة جبيل من النجاح في تسمية رسائله المقدسة .  
الاغرو انه بقي في دعوة عوانتي شتي حاث دون دغانه الخلاصية . وبما لا ينكر  
ون في ذلك الوقت حينه ان برغت شمس النصرانية في اقطار الشريعة صار للدين  
الوثني نهضة جديدة في لبنان فان تاريخ بناء بعض هياكل الاصنام فيه يرتقي الى  
ذلك العهد كهيكل فقرا ( ص ٥٣ ) وغيره . ولم تزل الوثنية في عز وترف في مطادي  
القرن الثاني للمسيح وفي اوائل القرن الثالث

واشتد ازد الدين الوثني في لبنان تلك الامبراطور الروماني اديان الذي زار لبنان  
في بدء القرن الثاني وسكن مدة جبيل . وكان هذا القيصر من عبدة الزهرة يظهر  
لها التجلية والاکرام وقد بنى لها في رومة معبداً كبيراً وادخل عبادتها في بيت لحم  
لما كسب النصرانية . ومن آثاره الباقية في لبنان الكتابات العديدة التي وصفها اصحاب  
الماديات وذكرناها في مقالاتنا المرة بعد المرة . ولا نشك انه حج الى معابد الزهرة  
وادونيس خصوصاً في افنا ودير القامة (١) كما انه شيد بعض الهياكل ورسم غيرها لاسيا  
في جبيل وكانت تعد في ايامه كاحدى حواضر المدن وامهاتها

وجرى خلفاء اديان على سنته فعزّزوا في لبنان الشرك والوثن كيف لا وبعضهم

(١) وأصل النصب الذي وصفناه في المشرق ( ٢ : ٤٢٢ ) قد اقيم حقاوة بولس زار

هذا المعبد



كانوا ولدوا في لبنان أو المدن الملاصقة له تخص منهم بالذبح اسكندر ساويرس الذي كان مولده في هيكل الزهرة في عرقا . ولذلك ترى كثيراً من الآثار الدينية النخبة التي تزين لبنان حتى يومنا هذا قد شيدت في ذلك العهد . منها هيكل بعلبك وحسن سليمان في جبل النصيرية اللذان تشهد على أصالتها كتب المؤرخين . وفي لبنان مباني أخرى غيرها يُجهل تاريخها والأرجح أنها بُنيت في الوقت عينه لا فيها من الشبه مع ابنة ذلك العصر كحصن صافيري في الطليّة ونابلس قرب كسبا وبيروا في النكورة وغير ذلك مما ستورد ذكره في مقالاتنا

وهذه الغيرة التي تراها في عبدة الأوثان في أوائل النصرانية تدلّ دلالة واضحة على أن المشركين في لبنان أبوا إلا أن يدافعوا عن آلهتهم ثللاً لحظهم ديانة المسيح عن مقامهم الرفيع الذي بلغوا إليه سابقاً

ولكن دعنا نستوفي أخبار النصرانية في لبنان في أواخر القرن الأول . افادتنا التأليف المنسوبة إلى القديس اقليبيس أن القديس بطرس احتل طرابلس وأقام عليها اسقفاً يدعى مارون . وهذا الأمر ذو شأن لا زى في صغته التاريخية مشكلاً وإن كان مدون هذا الخبر زاد فيه من الأوصاف الوهمية مما لا يتبناه العلم الصادق . وبسراً إن زى في ذلك العهد اسقفاً جليلاً يقيس قراوتاً المواتنة باسمه وقد اشتهر في مدينة تطلّ عليها تلك الجبال التي صارت بعدئذ مهد طائفتهم العزيزة

ومن الآثار النصرانية التي ترتقي إلى القرن الأول استشهاد القديس تادأوس الذي روى عنه الرواة الأقدمون أنه دُجِم في بيروت لأجل الأيمان وفي تعريف الشهيد المذكور رأيان مختلفان فزعم البعض أنه أحد تلامذة الرب السبعين وذهب غيرهم إلى أنه هو الرسول يهوذا أو تداكوس أخو يعقوب البسار . وضعيب علينا جزم الأمر لقلة الأدلة . ونفساً جاء في تاريخ البطاركة ساويرس (راجع المشرق ١: ١٠٠ - ١٠١) أن بيروت كانت تحتوي كنيسة باسم القديس يهوذا التي يعقوب البار في القرن السادس (١) وهذا اعتراف أثر حسن يشهد بقدم التقليد عن القديس يهوذا المذكور

## ٢ نزاع النصرانية والوثنية

يُحْضَل من فصلنا السابق ان لبنان لم يُحرَم من نعمة النصرانية منذ القرن الاول من تاريخها . ولا جرم ان الدين المسيحي غا في القرنين التاليين . الا ان الآثار القديمة لا تكاد تفيدنا عن شؤونه شيئاً فظن ان غوراً كان جليلاً لما تصدّى له من العوائق من قبل المشرّكين الذين كانوا اتخذوا هذا الجبل كمعقل لديّهم فبنوا فيه الهياكل العديدة وشيّدوا الآثار الدينية فلقوا في اخلاق الجليليين وطباعهم الغفلة ما قوى روح التمسب بينهم . وعلاوة على ذلك نرى الشيع اوثنية ليس في الشام فقط بل في كل أنحاء المعمور قد التجأت الى مشارف الجبال بعد ان دحرقتها النصرانية في المدن العامرة وسفوح البلاد ولما على ذلك شاهد في جبل برجياوس المعروف في يومنا بجبل النصيرية فان سكّانه اصرّوا على وثنيّتهم الى القرن السادس مع ان هذا الجبل دون لبنان في علوه واسهل منه مرتقى

وهذه الملاحظات العمومية عما لقيته النصرانية في طريقها من العثرات يؤيدها التاريخ القديم الذي لم يذكر الدين المسيحي في لبنان الا نادراً . وكذلك الآثار الكتابية فان الوثنية منها كثيرة امّا النصرانية فهي قليلة جداً . فكل ذلك دليل واضح على ما نال ديانتنا القدّسة من المقاومات والدافعات قبل ان ترسخ مبادئها القويمة في ارض لبنان حتى صارت في توالي الاعصار قصعة للدين لاسيما بعد ان توطنت هذا الجبل الطائفة المارونية المعروفة بحماسة الدينية

وفي عهد الملك نورمان القيصر الروماني ( ٢٨٣-٢٨٩ ) تشرف لبنان بوفاة احد ابنائه شهيداً وهو الطبيب طليدوس ( لعله لمكشخا اي مظلل ومحمي ) وكان استشهاده في قديسيسة وما ورد في ترجمة حياته انه قال للحاكم لما طالب منه نسبة : " اني ادعى طليدوس ومولدي في لبنان واسم اني بريكوكيوس ( لعله حاتم اي مبارك ) وهو نصراني واحد ضابط الجيوش . وتدعى امي روميليانا واخي يوحنا هو شماس ( ٢١ ) . فحكم الوالي على طليدوس بقطع الرأس بعد ان مثّل به وافاقه مرّ النكال الا ان



الله عز وجل أشهر قداسة عبدو بنا اجترحة من المعجزات الباهرة على قبره حتى ذاع  
اسمه في اقاصي الشرق

ومن النص السابق يصح أن نستنتج أن النصرانية كانت اتخذت في الامتداد  
في لبنان منذ اوائل القرن الثالث لاننا نرى المشار فضلاً عن الافراد يدينون بدين  
المسيح . وكذلك وجود شماس في أسرة لبنانية يدأنا على وجود الرتب الكنسية  
وكل ذلك لا يقوم الا بكنائس منتظمة . ثم ان أسماء المذكورين الا واحداً منها  
آرامية الاصل فذلك يثبت على ان لغة اللبنانيين لم تتبل بعد آرامية اي سريانية

ولا بد هنا من ملاحظة على موقع لبنان الذي ذكره الشهيد طابليوس فنقول  
انه لا يدل ضرورة على لبنانية الحالي لان اسمه كان في ذلك العهد يشمل الجبال  
الواقعة في شمالي نهر الكبير والتم تجسد في معرض قول الكتبة الاقدمين ما يؤيد  
الشبهة يصعب علينا ان نستدل على جوهرة النوبة

وفي سنة ٢١١ للمسيح زان الله باكبل الادلة شهادة عامة ذات من عذارى جبيل  
تدعى اكويلينا فاضها المتصبون كغصن رطيب وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة .  
وقد اخبر البولنديون ( في اعمال القديسين اليوم ١٣ من حزيران ) ان عذارى المدينة  
جمعوا ذخائرهم المقدسة فدفنوها بزيد الاكرم ثم تمذدت المجانب على قبرها . الا ان  
عبادتها اليوم قد اندثرت فلم يبق لها ذكر بين مواطنيها وهو امر غريب لولا ان  
التاريخ يثبتنا بنقل جثمانها الطاهر الى القسطنطينية في القرون التابعة فاصابت هناك  
من تعبد الالهين ما قدس في وطنها

وقد ارتأى الاب مرقشوس السوعي في تاريخه المخطوط عن لبنان ( ص ٢١٣ ) ان  
ذكر الشهيدة اكويلينا قد اخرج في كرا الاعصار باسم قديسة أخرى تعرف بسرثينا التي  
يكرمها اهل جبيل اكراماً عظيماً وفي جوار بلدتهم معبد شيدوه على اسمها يحججون  
اليه من كل اوب والودار يأخذون من ترابه شيئاً فيجبركون به . واكثر ما يأتيه  
الزعمون في ايام قطف دود القز

وتشرقت ايضاً طرابلس في ذلك العصر بشهادتها منهم الشهيدان مغداليتيس  
( راجع البولنديين في ١٢ حزيران ) ولوسيان او لوسيرس ( راجع السنكسار الروماني  
في ٢٤ كانون الاول ) . ولا نعرف من امر لوسيرس المذكور الا اسمه كما صرح بذلك



العلماء البولنديون - وعندما ان لوسيوس المذكور هو القديس الذي يكرمهُ اهل لبنان منذ زمن قديم باسم القديس نوهرا او نهرا . وليس نوهرا (نوهرا اي نور) سوى ترجمة اسمه اللاتيني في السريانية وفي السنكسار الماروني في تاريخ ٢٢ تموز ما معناه : « في هذا اليوم تحتفل بجهد الشهيد لوجيوس » (هههههههه) وكان اصله من منهور (كذا) من بلاد المعجم فطاف البلاد وبشر بالان في المسيح حتى بلغ مدينة البترون في بلاد فيليقية فمات فيها شهيداً . وهو شفيع المصابين بالوجاع العيون ولذلك دعاه السريان بلغتهم نوهرا وهذا معنى اسمه لوجيوس .

وليس في هذه النبذة ما يناقض قول الاقدمين بان لوسيوس استشهد في طرابلس وطرابلس كما لا يخفى تعدُّ من اعمال فيليقية واهل قرب موقع البترون وطرابلس جعل البعض يذكر وفاته في احداهما دون الاخرى ثم لا نرى التقيد المحلي على رأي ثابت في ذلك لان اهل سمار جبيل يزعمون بان استشهد القديس نوهرا كان في قريتهم ولهم بئر يزعمون انه اُلقي فيه فغرق . ويؤيدون زعمهم بكتابة سريانية في جدار كنيستهم . ولكن غاية ما يستفاد من هذه الكتابة ان احد افاضل الكهنة مدفون في هذا المكان ولم يبقَ لاسم هذا الكاهن اثر . وسنورد ان شاء الله الى وصف هذه الكتابة عند ذكرنا سمار جبيل

ولوّل ناسك ورد ذكره في لبنان عاش في عهد القيصر ديوقلسيان واسمه ايرنيس وكان مواده في انطاكية العظمى وسُقف على مدينة لم يُعرف اسمها . فلما امتحن ديوقلسيان المسيحيين بالاضطهاد ترك ايرنيس كرسية الاسقف وتوكل في لبنان وتعبد لله في احدى مغاوره وبقي على ذلك سبع سنين حتى اُلمه الله ان يعود الى انطاكية لثبت المؤمنين في الايمان فعمل واستشهد اخيراً في ايطالية (١)

وكانت مدارس بيروت في تلك الاثناء تنير بتعاليمها العالم الروماني . وكان كثير من النصارى يزعمون في معاهدها ليأخذوا العلم عن انتمها . اشتهر في جملتهم القديس غريغوريوس صاحب العجائب والقديس اثنودورس في الصف الاول من القرن الثالث . وسنن اشار اليهم النصارى في عهد ديوقلسيان شهيداً في مقبيل

(١) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٢ جز ١١

المعروف يدعى انيان أو أميان كان اصله من ليقية ودرس في بيروت ثم استشهد سنة ٣٠٥ في قيسارية فلسطين وله من العمر ٢٠ سنة فقط (١). وفي ايامه مات في سيل الايان في الطاكية الكاهن زينوبيوس وكان اصله من صيدا. وقد روى اوسابيوس في تاريخه (ك ٨ ع ٣) انه كان طبيباً وانه اتقن الطب حتى برز فيه واخذت النصرانية بعدئذ تقوى وتنتشر في مدن فيليقية الساحلية حتى ان الأسر الشريفة نفسها صارت تدين بدين المسيح. وقد اتيها التاريخ بذكر شطب بروقي كريمة المجدد اسمها ينفيل كان درس على اشتهر اساتذة وطنه حتى اضحى نسيج وعده في العلوم الدنيوية لكنه آثر عليها درس الاسفار المقدسة فانتقل الى قيسارية حيث رقي الى درجة الكهنوت وأنشأ له مكتبة حافلة بالتأليف القديمة. وكان موته استشهاده سنة ٣١٠ (٢).

وفي ذلك العهد ايضاً ألح التساريخ الى بعض النصارى الذين حكم عليهم المعتصرون بتعدين معادن لبنان. والمرجح انهم ارادوا بهذه المعادن منتجات الحديد التي اشتهرت في بعض المعاملات لاسيا البترون وكسروان والمسقى الى اواخر القرون المتوسطة. وفي ذكرها بين اعمال الشهداء ما يوفقنا على تاريخ المعادن في لبنان على ان النصرانية لم تثبت بعد هذه الحقبة ان تنحصر على اعدائها فخرجت ظافرة متجدة على يد قسطنطين الكبير ودخلت في طور جديد ولم تزل منذ ذلك في ترقى متداوم بينما كانت الوثنية تتقهقر وتهبط حتى انتشع ظلامها ودرست آثارها لكن عبادة الاصنام اُبت ان تنكص على الاعقاب دون الدافعة والقزاع. فان الشرك بقي زمناً طويلاً حتى بعد فتح قسطنطين ورجا سعى في رد غارات دين المسيح. وكان كثير من عبدة الاوثان لم يزولوا يرددون الى هياكل الالهة الباطلة. وكان سدنتها يعرفون علانية باسم كهنة الاصنام تلى على ذلك كتابة وجدت في دوما جاء فيها ذكر كاهن يدعى كاستور يقب نفسه بكاهن اله الطب اسكولاب واهة الضخمة

(١) راجع اوسابيوس في تاريخه شهادته كسطين واعمال البولنديين في ٣ نيسان

(٢) راجع التاريخ الكنسي لـ اوسابيوس (ك ٨ ع ١٦) واعمال القديسين البولنديين في

١٦ شباط و ١ حزيران وكتاب القديس يريوس في الشايعر (العدد ٢٥)



وقد اثبتنا في مقالة سابقة عن افكسا ان قسطنطين الملك دثر هبكل الزهرة فيها . والظاهر ان الوثنيين انتهزوا الفرصة في عهد يليان الجاحد ليجددوا بناء هذا المعبد فانما نرى عبدة الاصنام في القرن الخامس للمسيح يخرجون اليه لاقامة مناسكهم الدينية (١)

وان قدبنا التقاليد الشائعة في بلاد الشام وجدنا من الآثار ما يعزوه اللبنانيون الى القديسة هيلانة ام قسطنطين كعوض البروج البنية على ساحل البحر يزعمون انها اقامتها لتبلغ ابنها لخبار الاراضي المقدسة واكتشاف الصليب . الا اننا يئسنا ان هذه التقاليد لا صحة لها (راجع الصفحة ٥٧) وان هذه البروج شيدت بعد ايام الصليبيين لمراقبة الساحل ورد غزوات الفرنج . ولم تكن هيلانة تحتاج الى مثل هذه البروج لمخاطبة ابنها مع ما كان لديها من البريد يرا على السكك الرومانية ومن السفن بحراً وهي تستطيع ما شئت ان ترسل ابنها في وقت وجيز . ثم ان التاريخ يفيدنا عن ام قسطنطين انها قدمت فلسطين بحراً وآبت راجعة كذلك دون ان تتلبث في مدن فينيقية وتزور لبنان

وبما لا شبهة فيه ان الدين النصراني كان فاز السهم العلوى في الساحل الفينيقي في اواسط القرن الرابع مع ما تخالف فيه من بقايا الوثنية فضلاً عن جماعة من اليهود كان اكثر سكانهم في بيروت وصيدا . وقد روينا في مقالنا عن الزلازل في بيروت (المشرق ١٩٧١: ٢) ان عدداً كثيراً من المشركين طلبوا العاد بعد زلزال ٣٦١ لكن ارتدادهم كان علة الخوف فسادوا بعد زلزال الخطر الى ضلالهم وابتدعوا شيعه خاطوا فيها الدين المسيحي والوثني وابتدعوا لهم معبداً اقاموا فيه دتبعهم المستهجنة

ولم يضر على ذلك زمن يسير حتى اقام الله الكنيسة نصراً اجتذبوا اهل الضلال الى النصرانية باسلافهم اكثر منهم بكلامهم . وان هولاء الا السالك والحبساء الذين اودوا الى مناوئ ثم الى اذيرة اخضعت بهشتم كمنائر سطع منها ضياء الدين المسيحي فبددت ظلام الوثنية تماماً



## في مبادئ العيشة الرهبانية في لبنان

قال القديس ايرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (ع ١٤) : « لم يعرف احد من اهل الشام تاسكاً قبل هيلاريون » فمن ثم يظهر ان اؤسس الذي سبق لنا ذكره مات ولم يقتد به سوا احد الى عهد القديسين الطوفينوس الكبير وهيلاريون رئيس هذان التاسكان هما اللذان انشأ العيشة النسكية في لبنان كما يروي تقليد بعض اللبنانيين خلافاً للتاريخ الصادق . وزد على ذلك ان القديس انطونيوس لم يخرج قط من القطر المصري والصواب ان نساها حمل نصارى الشام على التشبه بها

ولا غرو انه يوشر منذ ذلك العهد بانشاء العائس في لبنان بيسد ان التاريخ لم يذكر من امرها شيئاً لآلة اعتبارها . وانما روى لخبار منسك أخرى تدعى مندرة ( *monastère* ) ومعناها حظيرة الغنم كان العباد يجتمعون فيها تحت رئاسة بعض اكابرهم يدعون له لذلك ارشيمندريتا اي رئيس المندرة . وربما كانوا يدعون ايضاً هذه التاسك لورا ( *laur* ) او قينوبيون ( *cenobium* ) ومعناها التمدى والمجتمع . وكان اسم المندرة شائعاً في مصر وجنوبي فلسطين اما الاسمان الاخران فاشتهدا في سورية . ولعل مندرة اسدى مزروع البتاع بجوار تعاليل لشتت اسمها هذا من دير كان سابقاً بقربها (١)

لو قنصنا آثار الكتب التاريخية لوجدنا ذكر بعض هذه الاديرة القديمة الواقعة الى اواخر القرن الرابع واولئ الخامس . منها عدلون بين صيدا وصور ليس بعيداً من صرْفند . فان فيها عند البحر صخراً عالياً حفر فيه نحو ٢٠٠ كهف . ولعل هذه المغاور كانت في بادى الامر مدافن للموتى ولكن لدينا من الادلة ما يجعلنا على القول ان الرهبان اتخذوها لهم كمساكن اولاً اليها . من ذلك ما ترى فيها من شارات النصرانية

(١) وكذا دُعيت بعض المدن في اوربا باسماء الاديرة المجاورة لها مثل مونتيار او مونتيار  
Moutier او Mouzier في فرنسا ومونستر Munster في اقلية النج وكلها مشتقة من  
monasterium اي دير

وفيها صهاريج محكمة الصنع ومراقى متينة يُصعد منها إلى طبقات المغاور العليا وتجمع بين القلالي . ومن اعتبر هذه المساكن القويبة لا يشك في أنَّ الرهبان وحدهم أمكنتهم الإقامة فيها ويؤيد ذلك ما درجته الوثائق في تراجع بعض الآباء انهم كانوا يعيشون في المقابر . وهذه المقابر كانت عبارة عن مغاور مختلفة الكبر اتخذها الأقدمون لوثقتهم . والمرجح بشدة أن عدلون من هذا القبيل . فمسي أن يجد العلماء نصاً تاريخياً يزيل عن كل شبهة في الأمر

وإس يستبعد أيضاً أن الاغوار المنقورة في الصخر في وادي مطل على بلاد البتاع بقرب قرية فرنل شمالي زحلة كانت مأوى للسياح . يستدل على ذلك بدلائل عديدة . وهذه الكهوف تشبه في ترتيبها مغاور عدلون والاهلون يدعون موضعها الجبليس ويؤمنون استناداً إلى تقاليد قديمة أن سياح القرون الفائرة سكنوها وفي سفح هذه المغاور جدول ماء صافٍ يذرق سائحاً

ومن جملة الأماكن التي يُشار إليها بالشارهد المنقورة أنها كانت في سالف الزمان كمعاهد الرهبان مغارة عند قرية هرمل على مقربة من اكبر دؤوس نهر العاصي . ولهذا التقليد أثر في كتبة القرون المتوسطة كالتي الفداء والتفشتدي وغيرهما وهم يدعون هذا المكان باسم مغارة الراهب . والمرارة يدعونها « دير مار مارون » . ولا يزال الجبل المطل عليها مع الاملاك المجاورة لها خاصة وحيان لإنسان الانطونيانيين ويسكن البعض منهم هذا المكان في عهدنا الحاضر مع أن سكان هذه الالة كلهم من المتأولة . وهؤلاء يعرفون هذه المغاور باسم القصور وما لا ريب في أن الناس تحضروا فيها سابقاً يستدل على ذلك بما أقاموه من الابنية في مدخلها للمداومة عندها فزادوها منة على حصانها الطبيعية

ومغارة الراهب تفوق مغاور عدلون وفرزل بمحاسنها . وكانت في الاصل طبيعية سكنتها كما يظهر قبائل عادية في الاعصار السابقة التاريخ واصل هذه القبائل فضلها على سواها لحسن موقعها قرب نهر كبر . إلا أن الخلف حسنوا عمل الطبيعة وأضافوا اليه منبتات تروها في الصخر على احسن هندام مع قبة ذات حنية مقوَّسة ودبرج داخلي يصعد منه إلى الطبقات العليا وبشر عميق القور يبلغ إلى مياه النهر . وكل ذلك منحوت في الصخر الاصم



ومن المنازل التي احتلتها في العهد القديم فسلك لبنان وادي قزحيا والقاديشا .  
وبقايا العيشة الرهبانية فيها ظاهرة حتى الآن صيرت على الايام وتقلبات الدهر . وكان  
بعض الرهبان يعيشون فيها عيشة عمومية فيجتمعون للصلاة والشفق في كهوف واسعة  
منقورة في الصخر ترى واحداً منها اكبر من سواه في وسط الوادي . وبعضهم كانوا  
يفضلون العزلة التامة فيعيشون منفردين في مساكن متفرقة في جانبي الوادي منحوتة  
في صخور تجري منها ينابيع صافية ويحيط بها الثبات . وكلها غاية ما يرام لعيشة العباد  
وفي بيرة وادي قاديشا دير قنوين تعريب ( *Qanwin* ) يعزو التقليد المحلي بناءه  
الى الملك ثودوسيوس الكبير . والامر ممكن الا ان النصوص التاريخية لا تفيدنا في  
ذلك علماً . وعلى رأينا ان ثودوسيوس منشي هذا الدير ليس هو القيصر الشهير بهذا  
الاسم بل احد كبار آباء الطريقة النسيكية . وقد عرف بهذا الاسم في ذلك العهد  
رجلان عظيمي تكريمهما الكنيسة بين اولياء الله . احدهما ثودوسيوس الانطاكي انشأ  
في قيايقية ديراً كبيراً والآخر اصله من قبادوقية اشتهر في فلسطين وابقي ديراً واسماً  
تقاطر اليه الرهبان من كل فج وأوب كان بينهم يوثان وارمن وصقالبسة . ولا جرم  
بان السوريين والبنانيين تملأوا انة ايضاً . وكان ثودوسيوس المذكور قسمهم قسماً  
على حسب اصلهم ليسبحوا الله في لغاتهم المختلفة وسلسهم الى ان توفي في اوانسل  
القرن السادس وله من العمر ١٠٥ سنين . ومن اطلع على ترجمة هذا القديس لا يرى  
فيها صريحاً انه قدم لبنان ولعله زار هذا الجبل في رحلته الى مقام سمعان العمودي (١) .  
ولكننا نعلم من تاريخه ان تلامذته انشأوا اديرة عديدة في النجاة شتى . فلا نؤا  
تتجاوز حدود الحق ان قلنا عن ادهم انه احتل قنوين فانس فيها ديراً نسبة الناس  
بعده الى القديس ثودوسيوس استاذهم ثم انتقله الاسم على الحلق فقلنا ان المنشي هو  
ثودوسيوس الكبير الذي اشتهر بتقواه وتذكره الكنيسة اليونانية في عداد قديسيها .  
وما يؤيد هذا الرأي اتنا نرى الطائفة المارونية تكرم ثودوسيوس ابا الرهبان اكراماً  
خصوصياً وتعدّه بين مشاهير النساك (٢) . وهذا لعسري شاهد واضح على ان اسمه  
كان ذاتاً في لبنان

(١) راجع اعمال البولنديين في تاريخ ١٦ كانون الثاني ( ص ٦٨٠ )

(٢) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدوبي ( ص ٩٢ )



## ترقي النصرانية في القرن الرابع

حان ان نعود الى تاريخ انتشار النصرانية في لبنان بعد استطرادنا الى ذكر مبادئ العيشة الرهبانية فيه

لما تبوأ قسطنطين الكبير منحة الملك اخذت قدم النصرانية ترسخ في لبنان واعلمها كانت طمست آثار الوثنية لولا بدعة آريوس التي بذرت في قلوب المؤمنين وخصوصاً بين الاساقفة بذر الشقاق والنفور فجعل الآريوسيون يفرغون كنانة الجهد في مطاردة الرعاة الاورثوذكسين ومعاكستهم لا يهتفهم شيء من امر الوثنيين وانارتهم بضياء الايمان . بل كان المشركون يزيدون تباعداً عن الكنيسة لما يرون في احبارها من تفرق الكلمة في اكبر عقائد النصرانية اعني لاهوت المسيح ومساواته لابيه في الجوهر

ثم تلك جليان الجاعد فأولى الوثنية انتصاراً لم يكن في حساب اعلمها . فاستأنف المشركون فتح الهياكل المغلقة ورموا ما تهدم من المعابد . والرجح ان هيكلك الزهرة في اقفا جدد بناؤه في ذلك العهد كما اُصلح قسم من معبد لشتقة (١) وعاد الوثنيون فاحتفلوا باسرار ادونيس اي تموز بلبسة عظيمة كانوا يعبدهم سابقاً . وقال يبروت نفسها اضطهاد عبدة الاصنام فان الكنت مغنوس قدم هذه المدينة ومعه فريق من الجدد واليهود فاخربوا كنيستها الكبرى ولا غرو ان كنائس لبنان اصابها ما اصاب كنيسة يبروت من حريق ودمار

ولكن الله اللطيف يعاده جازى وشيكاً جليان على كفره وأقام خلفاً له يثيان وكان رجلاً تقياً مبغضاً للمشرك فامر الكنت مغنوس بان يشيد كنيسة يبروت على تقته ولولا حلم الملك لقطع رأسه واصاب الجزاء مما بنت يده من الآثام العديدة ومن اشتهروا في ذلك العهد ناسك لا يزال ذكره مكرماً في لبنان وهو القديس موسى الحبشي الذي اختارته ماوية ملكة العرب اسقفاً لقومها وسامه

القديس اثنا سيوس الاسكندري فتولى رعاية العرب القيسيين في شبه جزيرة سينا وفي جنوبي فلسطين

ولما صار زمام الملك الى يد ثاودوسيوس الكبير أصيبت الوثنية في سواد قلبها فان هذا العامل الشهير امر كبير قواده سنة ٣٨٤ بان يُقتل هياكل الاصنام ليس فقط في لبنان بل في الشرق بأسره . وفي سنة ٣٩٢ في العشر الاول من تشرين الثاني من شريعة ثاوية كان مؤداهما ان تبطل عبادة الاوثان فلم يتجاسر الوثنيون على مقاومة السلطة . لكن بعضاً منهم ثبثوا على عاداتهم ومارسوا دينهم خفية في القرى المنفردة والجبال القاصية . وكان القياصرة مع ذلك لم يهدوا هياكل الاصنام بل اكتفوا بان يبطلوا فيها المناسك الدينية . والدليل على قولنا ان الدستور المعروف باسم ثاودوسيوس يتضمن عدة شرائع سنّها الملك النصارى تنفي بمعاينة الذين يسمعون في خراب الهياكل الوثنية وكانت غايتهم بذلك ان يحافظوا على آثار الاقدمين لمن هندستها (١) وكانوا في الغالب يخصصون هذه الابنية لخدمة الدين الحقيقي فيجعلونها كنائس مسيحية (٢) . الا ان ذوي الامر اضطروا في بعض المواطن الى استعمال القوة الجبرية وتقويض المعابد الوثنية خصوصاً في بلاد فينيقية ولبنان . فن جملة الابنية التي ابناءهم الاحوال على نفسها دون الزهرة في افق لان مدنته كانوا اتخذوها كاخوز يجتمعون فيه الفعشاء . واقطع الارجاس باسم دينهم الباطل

ومن بدء القرن الخامس للمسيح لما استوى القديس يوحنا فم الذهب على كرسي القسطنطينية (٣٩٨ - ٤٠٧) اراد ان يستأصل من لبنان شأفة الشرك فارسل قوماً من دعاة الدين ليرشدوا اهل لبنان الى طريق الهدى (٣) وقد لاقى هؤلاء

(١) راجع P. Allard : *L'art païen sous les empereurs chrétiens*

(٢) راجع كتابات سورية وحواران لواندنتون (ع ٢٩٩٨) . ومن اهل كل التي جعلها النصارى كنائس هيكل بعلبك المعروف باسم تريبليتون (Trilithon) وكنيسة مار يوحنا في دمشق المعروفة اليوم بالجامع الاموي

(٣) راجع تاريخ ثاودوسيوس (ك ٥ ع ٣٩) ورسائل القديس يوحنا فم الذهب (ع ١٢٣، ١٢٦) الا ان هذه الرسائل مع ذكرها لبنان لا توضح حلياً أمر دخول النصرانية الى لبنان  
المالي ان جبال النسيبة واهل التصود منها هذه الاسيرة

الرسولون في تنفيذ دعوتهم مشاكل عديدة فطرد الاهلون بعضاً منهم وقتلوا آخرين .  
على ان هذه المعاملة السيئة لم تكن لتثني عزائهم فواصلوا الانتذار والتبشير وبالغوا  
في ملاطفة السكان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقي . واما اتخذوا من  
الوسائل لا يبطال الوثنية انهم جعلوا لاهل لبنان الاعياد واقاموا المواسم احتفاء  
باسرار الدين النصراني الطاهرة فعدلوا بهم عن الحفلات الوثنية الى العبادات والمناسك  
اخلاصية

### تنظيم الكنائس في لبنان

وفي مطاوي هذا القرون الخامس جعلت كنائس لبنان على نظام قاتوني فقسمت  
الى قسمين كنائس فينيقية الساحلية وكنائس فينيقية لبنان وفقاً للتقسيم الذي  
جرى عليه اولاً ديوقلسيان (راجع الشرق ٣ : ١١٠٣) . وقد ذكرنا هنا هذا التنظيم  
إزالة للالتباس لان الكرامى الاسقفية اصحابها بذلك بعض التغيرات وعدت من اياها  
غير التي كانت معدودة منها سابقاً . وما يستلزم نحن في مقالتنا عن آثار لبنان انما هي  
فينيقية الساحلية اما فينيقية لبنان فانها كانت تشمل الجبل الشرقي ومنعطف لبنان  
من جهة الشرق وعليه فانها لا تدخل في حيز مباحثنا

وجعلت صور رأس ولاية فينيقية الساحلية واضحي كرسيتها لهذا السبب  
متقدماً على بقية كنائس الولاية فدعى لذلك بالكرسي الاول ( *apostolikos* ) في  
بطريركية انطاكية وجعلت تحت حكمه كرسي اسقفيات عديدة نذكر من جعلتها  
ما لا علاقة مع لبنان الحالي وهي : ١ صيدا . ٢ بعلبك . ٣  
الوافقة لقسم التي يونس وتدعى ايضاً برجا موقعها بين بيروت وصيدا . ١  
٣ جبيل او بيلوس . ٤ البقون او بقريس . ٥ غيغرة . ٦  
٦ تريارس ( *Trierès* ) وهي المسماة اليوم أخته ( ٣ ) . ٧ طرابلس .

١ . وسنعود الى ذكر آثارها

٢ . أما موقع هذه المدينة فسنبحث ان شاء الله

٣ . هذا السواب وليس كما ورد في المصادر ص ١١٤ من السنة ١٩٠٠ ، انما هو حصن

ساحلي شاطئ طرابلس ربما القديسات .»



٨ عوقا (١) . ٩ اورثوسياس (٢) . اما بيروت فمع كونها واقعة في ولاية صور الكنسية كانت مستقلة عنها . ورتقي اسقفها الى رتبة مطران ولكن لم يكن له اساقفة تحت حكمه (٣)

هذا ولا شك في ان بعض قري لبنان الكبرى كاهن وبشرأي وامبون ( في الكورة ) كان لها رؤساء . وحيون من درجة الخورفسقوس . وكانت هذه الرتبة شائعة في ذلك العصر . ولنا شاهد في ما ذكر عن القديس باسيليوس اسقف قيصرية انه كان تحت امره خمسون خورفسقوفاً الا ان هذا المنصب الكنسي اجذل لكثرة شيوخه فامتزج بدرجة رعاة القري . وما اسم « الخوري » الا اشتقاق من اسم الخورفسقوس

وفي هذا العهد ايضاً اتخضت الطقوس الكنسية المهمة الى ان صارت بعد زمن على هيئتها التي نالها اليوم . ومن ساعدوا على تنسيق هذه الطقوس بعض القديسين الاجلاء . كالقديس يوحنا قم الذهب والقديس باسيليوس الكبير الا ان هذه الطقوس لم تنس ما كان سبق اليه القدماء من الرتب الدينية كالطقوس الرسولية والرتب التقليدية منها البيتورجيا الشريفة المنسوبة الى القديس يعقوب وغير ذلك

اما اللغات الكنسية فكانت محصورة في اللغتين اليونانية والسريانية ولم تشع اللاتينية كلغة طقسية وانما كانت لغة الدولة الرسمية فقط . وقد استعمالها اهل بيروت مدة ثم انحصرت في ضمن مدارسها الفقهية الشهيرة . الا انها اهتمت شيئاً فشيئاً حتى اُبطل استعمالها وكانت كنائس المدن الساحلية تؤثر في طقوسها اللغة اليونانية اما كنائس الجبل فكانت السريانية هي الغالبة على السنة كهنتها (راجع المشرق ٢ : ٢٦٢) . وزادت السريانية انتشاراً في لبنان لما صارت السيطرة فيه للطائفة المارونية

(١) واخبرتها تعرف الى اليوم بهذا الاسم

(٢) تدعى اليوم اورثودي بجوار حمر البارد

(٣) خلافاً لما جاء في رسالة المسار السابق ذكرها ص ١١٦ . وهذه المقالة تستند على عدة اصلاحات . فنقول ذلك رعاية للحق مع ما نعرفه من فضل كتابها الذي اجريته لهذا الموضوع

## انتصار النصرانية نهائياً على الوثنية في لبنان

بعد وفاة القديس يوحنا فم الذهب قدم لبنان من مدينة الرها احد النساك فتوطئة  
وجعل يسمى في هداية اهل الوثنيين . ذكر ذلك البولنديون في تاريخ ١٤ شباط .  
ولعل المراد بلبنان في ترجمة الناسك المذكور اما هو جبل عكار لان النص الوارد فيه  
اسم هذا العابد يشير الى مدينة حمص وهي كما لا يخفى مجاورة لجبل عكار  
وكذلك تكرر ذكر لبنان في ترجمة حياة القديس سمعان العمودي فان رواية  
اخباره يقول عنه انه اتجز هداية اهل لبنان فرجعهم الى الدين القويم با اصطفاة من  
المعجزات الباهرة . لكننا هنا ايضا لا يمكننا القطع بان المراد بلبنان الجبل المعروف  
اليوم بهذا الاسم . ونحن نعلم ان هذا القديس اشتهر في ولاية حلب في الجبل المسئي  
اليوم بجبل سمعان . على ان الذي يمين النظر في اقوال مؤرخيه لا يرى ما ينفي لبنانا  
الحالي لان الزوار كانوا يتقاطرون الى عامود القديس من بلاد بعيدة فكان العرب  
يأتونه من اقاصي البادية لستمعوا تعاليمه . ثم ان اوصاف لبنان في تواريخ هؤلاء  
الكتبة توافق جبلنا منها ذكر الغابات والوحوش الضارية ومعابد الاصنام وتعلق الاهلين  
بعبادتها بحيث لا يردلون خدمتها الا بعد نظر المعانين التي تجري على يد القديس  
سمعان . فكل هذه الاوصاف تصدق عن جبل لبنان الحالي . غير ان اسم لبنان  
وحده ليس بكافٍ لنجزم بهذا الامر وقد قلنا سابقاً ان هذه التسمية كانت تشمل  
في القرنين الخامس والسادس جبلاً آخرى

وان قال قائل ان المراد بلبنان اما هو لبنان الحالي لانه ورد في اثناء ذكر لبنان  
اسم احدى قرأه وهي قرية انداريس ( Andaris ) الموافقة لقرية عين دارا في معاملة  
العربوب الشمالي . اجبتا ان هذه الموافقة بين الاسمين ليست مقرونة ثم انه لمحمّل ان  
ضبعة تدعى عين دارا اشتهرت سابقاً في جبال غير لبنان الحالي مما كان يعرف ايضاً  
باسم لبنان كجبل النصيرية وجبل الشيخ . فترى من ثم ان هذه الافادات ليست  
بكافية لتدوين هذه الاخبار في تاريخ النصرانية في لبنان

ولا ظهرت يدعة نسطور وجدت في بعض اساقفة لبنان صدى لتعاليمها الفاسدة  
فان افراداً منهم انحازوا الى النسطورية . وفي بيروت التأم المجمع الذي حكم



على ايباس اسقف الرها امد انصار نسطور . وكان ذلك حسب منطوق اعمال  
الجمع » في بيروت المدينة الفاتحة الجبال في دار اسقفها الحديثة بجموار الكنيسة  
الجديدة المقدسة »

اما بدعة اوطيخا فكان لها في لبنان عاقبة اروعهم من النسطورية فثارت فيها في  
بلاد الشام وألحقت باهلها مدة زمن مديد اضرارا لا يسبر لها غور . وكان اوستات  
اسقف بيروت تشيخ جهارا لأوطاخي . فجازاه ملك الروم بان اصدر برائة ورد فيها  
انه » يقول مدينة بيروت المزدانة بالفضائل اسم حاضرة ( métropole ) مع  
الامتيازات التي تعطى لأساقفة المدن » . فكان اوستات ان رقيم القيصصر كافر ليسد  
سلطنة الروحية على اساقفة جبيل والبتون وطرابلس وغيرها من الاسقفيات الواقعة  
في شمالي فينيقية الساحلية . ألا ان مطامعة رذات بعد زمن قليل في عهد  
مرقيان الملك

وقد تظفر لبنان بفضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس المسيح نخص  
منهم بالذكر القديسة مطرونا ولدت في آسيا الصغرى ثم اقامت ديرا في حمص وانتقلت  
اخيرا الى بيروت فانارت جفا غفيرا من النساء الوثنيات بانوار الايمان

ومنهم القديس ديولا السيساطي قدم بيروت في ايام الملك زينون ثم تبعه في  
جبال لبنان المعزلة . وجاء في تاريخ قديم ( راجع اعمال القديسين للبولنديين ص ١٥  
شباط ص ١٢٦ ) » ان ديولا المذكور شيد بمساعدة زينون القيصصر ويوحنا حاكم بيروت  
ديرا صغيرا في وسط الجبل . وكان يعيش مع رهبانه بين الجبلين وهم وقتئذ  
متسكنون بظلمة الوثنية فعرض عليهم اسرار الديانة ورد حجاجهم واجتذبهم الى  
الدين القويم الا نغرا قليلا منهم » . فيؤخذ من هذا الكلام ان عبادة الاصنام لم  
تطمس بعد آثارها في لبنان نحو مئة سنة بعد دوديوس الكبير

ولعل القاري يسأل وما هو الدير الذي عثره ديولا الراهب ؟ قال الارب مرقينوس  
اليسوعي في تاريخ لبنان ( ص ٢٣٨٩ من تاريخه المخطوط ) : » ان الدير الموما اليه  
هو دير القصر » . لكننا لا نرى على اي حجة بنى الارب مرقينوس زعمه هذا .  
وغاية ما نعرف عن دير القصر ان ذكرها ورد في تاريخ الصليبيين ولكن هذا ليس  
بديوان مقنع . لاسيما اننا نرى في لبنان قرى غيرها دخل في تركيب اسمها اسم الدير



فيصيح فيها قول الكاتب المتوهم بعضها ليس بعيداً عن بيروت لأن النص يشير الى دير قريب منها

وزادت بدعة اوطيخا انتشاراً في سورية لما ظهر ساويرس الاطباكي . وكان المذكور قضى سنين عديدة من عمره في بيروت حيث درس الفقه ثم تعمّد في طرابلس (١) وصار بطريركاً دخيلاً على اطاكية وتناهى في نشر الشيعة الاوطاخية . فكان الله اقام لدينه الحقّ محامين يدافعون عنه لاسيما في عداد الرهبان . والكثيستان الشرقية والغربية تحتفلان في ٣١ تموز بعيد ٣٥٠ راهباً قُتلوا في سبيل الايمان سنة ١١٢٠ . كان المتدعون اكثروا لهم يوماً وهم سافرون الى كنيسة القديس سمعان العمودي التي موقعها في جبل بركات شمالي غربي حلب . وقد ذكرناهم هنا لان اللبنانيين يقيسون لهم عيداً حافلاً ولو كان استشهادهم قد جرى خارجاً عن لبنان وعن فينيقية . وانما اصلهم كان من ولاية سورية الثانية التي حاضرتها اقامية ( قلعة المضيق ) وموقعها شمالي ايلة فينيقية لبنان . اما فينيقية لبنان هذه فقد سبق ان حاضرتها كانت مدينة حمص وانها تشمل قسماً من لبنان الشرقي على ان معظم جبل لبنان داخل في فينيقية الساحلية

وكان هؤلاء الشهداء يتسولون الى دير مار مارون . وكان هذا الدير مبنيّاً في جوار اقامية في وادي نهر العاصي (٢) . قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراق ( ص ١٦٣ ) يعرف موقعه الله : « شرقي حماة وشيّر ذو بنيان عظيم حوله اصغر من ثلاثانة صومعة فيها الرهبان وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شي . عظيم فغرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن . . . وهو بقرب من نهر الارط نهر حمص واطناكية » . ولدينا العريضة البيزنطية التي ارسلها رهبان هذا الدير للبابا هرمزداس بخرونة باستشهاد اخوانهم وقموا عليها بما نصه : « نحن الحقراء الارشيمندريت و رهبان سوريا الثانية » . امّا رئيسهم فقد وقع الرقيم كاتباً : « انا ارشيمندريت مار مارون » . فما سبق ترى ما كان لهذا الدير من الخطورة والشأن

(١) راجع المشرق ٣ : ١٠٠٢ وكتاب الاب نو Opuscules maronites II, 49 seqq.

(٢) راجع كتاب الاب نو ( l'abbé Nau ) السابق ذكره ( ج ٢ ص ٢٢ )

وعدد الرهبان . أما الاسباب التي حملت الموارنة على اكرام هؤلاء الشهداء فهي ثلاثة ذكرها صاحب مروج الاخياد : « أولاً لان أكبر اديار هؤلاء الشهداء الطوباريين كان معروفاً باسم القديس مارون وارثي مندريت هذا الدير كان اسمه اسكندر وهو اول من امضى الرسالة التي رفعت الى البابا هرمزاس القديس . ثانياً لان كثيرين من هؤلاء القديسين كانوا يقشجعون على الثبات في الايمان والاستشهاد امام ذخيرة هامة القديس مارون الثبينة التي كانت بهذا الدير . وثالثاً بما ان هؤلاء الرهبان القديسين كانوا اشجع المناظرين عن الايمان الكاثوليكي الذي يفارقه الموارنة فغير لانهم كانوا خاضعين اتم الخضوع لكرسي هامة الرسل . والطائفة المارونية تتفخر بانها تقتفي آثارهم في ذلك »

وقبل ذلك بزمان قليل ( سنة ٥١١ ) كان الملك انتاس طرد من القسطنطينية عدداً كثيراً من الرهبان المستقيمين الايمان فقصده لبنان وانجذبه لمن سكتا وحطرت يعرف فضائلهم . وفي اختيارهم لبنان للعزلة دليل على ان اهله كانوا يوذون الشيعة الاوطيخية

والارجح ان كنيسة دير برفيريون ( اليوم برج او النبي يونس ) بُنيت في ذلك القرن السادس . وكذلك كنيسة القديس فوقا على مشارف الجبل ( ١٦ ) وقد ورد ذكر هاتين الكنيستين في تاريخ الالبية للمؤرخ بروكوب . وصكان بانيهما الملك يوستيان الذي اشتهر بغيرته على بناء الكنائس . وليس بمستبعد ان اقدم كنائس لبنان المعروفة اليوم تشيدت في عهده او على يد المهندسين الذين جروا على طريقة بنائه . مثال ذلك كنيسة اهدن وكفر شليان اللتان تشبهان كل الشبه الكنائس البيزنطية المنسوبة الى هذا الملك . ولعل كنيسة حدوتون الهدومة التي ذكرناها في الفصل السابق ( ص ٨٦ و ٨٩ ) هي ايضا من هذا القبيل فيكون بناؤها سبق دخول الموارنة في لبنان . لنا في تأييد قولنا بعض الحجج منها وجود كتابتين يونانيتين الواحدة احصتسهما رينان واكثر حروفها مطبوسة والاخرى وقف عليها الفقير كاتب هذه

(١) راجع بروكوب ( ك ٤٩ ) على ان بروكوب يقول « مشارف الجبل » لم يذكر لبنان وانما يؤخذ ذلك من قرينة كلامه لانه ذكر الجبل بعد ذكر برفيريون والساحل السينقي



والنقود التي ضربها أهلها أيام استقلالهم فترى لها تاريخاً خاصاً بها كبقية مدن الساحل .  
وقد بين ذلك الدكتور جول روفيه في مقالته عن تاريخ مسكوكات البترون (راجع  
المشرق ٢ : ١٧٦ )

والشائع عن أصل هذه المدينة أن بانيها أتوبعل مالك صور في القرن العاشر قبل  
المسيح كذا روى المؤرخ اليوناني ميناندر وحادث عليه يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهيد  
ومن آثار السيفيين في هذه البلدة سور متين تحته في الصخر الأصم من جهة  
البحر وقد بقي منه بقايا إلى يومنا مع الخمال أخرى تنطبق على ما نعرف من حداثتهم  
في قطع الحجارة . ومنها أيضاً بعض قبور ونواويس قديمة كما ترى في غيرها من المدن  
الساحلية

ولا غرو أن الرومان بعد فتح سورية شيدوا في البترون الابنية وجعلوها من القلاع  
الحرية وازدهرت في أيامهم إلى أن خربت في زلزال سنة ٥٥٠ م  
وقد بقي من عهد الرومان نقوش وقطع وكتابات رأى منها رينان طرفاً كما أثبت  
ذلك في بعثة فينيقية ( ص ٢١٩ ) يقول أنه وجدها في انقاض حصنها وقد بحثها عنها  
فلم يشاهدها

أما الحصن المذكور فقد شيده اصحابه في القرون المتوسطة واتخذوا لبنانه ما  
عزوا عليه من الابنية السابقة . وقد ذكر العرب هذا الحصن منهم ياقوت الحموي في  
معجم البلدان ( ١ : ٤٩٣ ) قال : « بَترُون (١) بالتحريك والراء حصن بين جبيل  
وأفنة على ساحل بحر الشام » وقال الإدريسي ( طبعة غلدمستر ص ١٧ ) : « ومن  
مدينة جبيل على البحر إلى حصن بَترُون عشرة أميال وهو حصن حسن »  
وعلى مقربة من البترون في المكان المسمى مراح الشيخ ملعب قديم من بناء  
الرومانيين له مقاعد على شكل درج مستدير منحوتة في الصخر وكل ذلك ظاهر  
حتى يومنا . وحول هذا الملعب قطع من الرخام وحجارة منقوشة تراها مبثوثة في  
الأرض يتخذها الأهليون للتكليس

١ كذا ضبطها ياقوت والإدريسي . وسُمت في تواريخ الصليبيين « Le Bouteron »  
أما اليونان فكانوا يسمونها بوتريس ( Botrys ) وكان يتم فيها احتف (راجع الشرق المسيحي  
بلوكيان »



وان سرت من البقرون ليس بعيداً عنها الى شمالي نهر الجوز ترى كنيسة قديمة تدعى كنيسة مار يعقوب بُنيت بالقباض هيكل قديم . وعلى بعض جدرانها كتابة يوفانية طمس اكثرها فلم يبق منها الا حروف قليلة (١)

وعلى مسافة بضعة امتار من هذه الكنيسة من جهة الشمال الغربي كنيسة اخرى منتصبة فوق اكمة تعرف باسم « سان سابور » وهي لا تزال على حال مرضية تجد في بنائها ما يذكّر جارية الصليبيين في الهندسة . وهذه الكنيسة عيد يفيحة اهل البقرون في اليوم الـ ٦ من آب وهو يوم عيد التجلي . وعلى رأينا ان اسمها مصنف عن كلمتين فرنسيتين معناهما الطور المقدس ( Saint-Thabor ) . اما سبب اطلاق هذا الاسم على الكنيسة المذكورة فهو لانها كانت لاحقة بالدير الذي شيده الصليبيون على جبل الطور . وكان لهذا الدير اوقاف عديدة واملاك واسعة منها في الكورة وقرب طرابلس (٢) . نعم ان هذا المثل لم يذكر في قائمة تلك الاملاك بيد ان اسم الكنيسة الاعجمي وشكل هندستها وارتفاع عيدها في يوم التجلي كل ذلك يويد رأينا . ومهما كان من امر هذه الكنيسة لا شك انها تستحق الذكر لانها مثال حسن عن طريقة اهل لبنان في الهندسة الكنسية

### ٢٣ سمر جبيل

هي من اقدم قرى بلاد لبنان واعظمها شأنًا من حيث آثارها . موقعها شمالي جبيل وكانت في القرون المتوسطة احد مراكز الملة المارونية استوطنتها فتحصنوا فيها لرد هجمات اعدائهم وفيها كنائس عتيقة ذكرناها سابقاً . الكبرى منها مشيدة على اسم القديس نورا وهي حصة البليان يصلي فيها القوم حتى يومنا . وعلى جدرانها اخارجي كتابة سريانية ذهب الدهر بقسم منها فنادها ان كاهناً قبر هناك . اما اسم الدفين وتاريخ وفاته فقد طمس . وكان : بان نقل هذه الكتابة سنة ١٨٦٠ ( ص ٢١٦ ) وقد أخذنا مؤخرًا رسمها الشمسي فلم نكد نجد منها الا القاطن قليلة . وللسمر جبيل كنيسة اخرى قديمة لم يبق منها غير ردمها

(١) راجع ينة فينيقية ( ص ١٤٨ )

(٢) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية ( ZDPV, X, 235 )

وأول ما يستدعي إليه نظر الداخل في سر جيبيل قصرها المبني فوق الصخرة .  
 وجدران هذا البناء الجليل المائلة ترتقي إلى الأجيال المتوسطة فقط لكن أركانها  
 السفلى وأساس بروج وخنادق المنحوتة في الصخر تدل على قدم عهده وعظم أثره  
 وترى لدخله عتبة ذات درجتين منقورة في الصخر . ولا يبعد أن الفينيقيين قاموا  
 بهذه الأعمال فانهم كانوا مولعين بنحت الصخور كأن عزمهم أشد صلابتها منها وكانوا  
 مع ذلك يحملون الصخر كمنقلع يتخذون منه حجارة أبقيتهم كالقلاع وغيرها . وفي  
 داخل هذا القصر وعلى مقربة منه آثار وصهاريج عجيبية الصنع محكمة التجهيز بميدة  
 النور كلها في الصخر الأصم لا نظن أن الرومان مع جلدتهم وأعمالهم الجبرية تولوا  
 قهرها بأنفسهم

ومما يرتقي أيضاً في هذا القصر إلى عهد قديم النقوش التي يراها الزائر عند جهته  
 الشمالية في أسفل الصخر الذي أقيم فوقه البناء . غير أن هذه النقوش دائرة يصعب  
 تعيين زمنها ورسم صورتها

وفي سر جيبيل آثار أخرى من العاديات منها المدافن الواقعة في شرقي القصر .  
 وقد كتبت باليونانية فوق بعض قبورها أن امرأة عمرها ١١٠ سنوات دفنت مع ابنها  
 في قبر واحد وتاريخ هذه الكتابة في القرن الثالث للمسيح وهو حسن الرسم  
 لا إشكال في قراءته . وفيه دليل على أن طاعة قل ما يبذلها الشيوخ المعتبرون .  
 أما بالقرن من الثاني إلى التسعين فعدددهم ليس بقليل في لبنان تشهد على ذلك  
 الكتابات منها كتابة لاتينية محفوظة في كنيسة بيت خشب يستفاد منها أن بعض  
 الشيوخ توفي وله من العمر ٨٧ سنة ( راجع أيضاً بقعة فيليقية ص ٣٨٥ و ٣٨٦ )

فهذه الآثار التي وصفناها تأتي بقدم سر جيبيل وخطورتها لكننا لا نعرف شيئاً  
 من تاريخها السابق ولعلها إحدى القلاع التي خربها بيموس عند فتحه بلاد الشام  
 ( ص ٣٤ ) والله أعلم . ومما أثبتته الدويهي في تاريخ الوارسة ( ص ٢٠٢ ) ما  
 حرقه « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس والعشرين من تشرين الثاني نهار الأحد  
 حدثت زلزلة مريعة . وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سر جيبيل وهدمت  
 البرج الأوسط من جوانبه الأربعة وخربت جميع ما كان في القبو التحفاتي المركب  
 على البئر »

هذا وفي بلاد البترون عدة امكنة تستحق الذكر لآثارها فان الباحث يجد فيها من النواويس والنقوش ونحيت الحجارة ما هو دليل على اصلها القديم اخصها كفتحنا ومسرح وشبطين وكفر شايان التي تكرر ذكرها غير مرة في اثناء مقالتنا عن كنائس لبنان والحق يقال ان العتلة الاقدمين قد احسنوا في هذه القرية فقر صخورها . من ذلك ثلاث حُجَر مَردوها في الصخر على احسن هندام وآثار آلات النحت فيها مع قدمها بينة كأنها نُقِرت منذ زمن حديث

ومما عايناه في مسرح نقوش محفورة في الصخر اكثرها دارس مطبوس بقي منها صورة ثور وبقرة مسنمة وموقع هذه النقوش فوق اقية عتيقة . وقد شاهدنا ايضاً مثال شخص يُرجح كونه امرأة وهي لايبة ثوباً رافلاً وفي يدها اليسرى رمانة وعقود عسبر

#### ٢٤ قلعة الحصن

اذا ملت عن الساحل سائراً من البترون لتتوغل في لبنان من جهة دوما رأيت بعد قليل صخرة عالية مكشوفة للنظر كأنها السارية الشجونة نحتاً عمودياً وفوقها قلعة قديمة الآثار تدعى قلعة الحصن موقعها بين دير الموارثة المعروف بدير مار يعقوب وقرية إشعلي (١) . ومن رقي فوق هذا الرقب تتبع بنظر غاية في البهجة والرواق فان العين تبصر غرباً البحر وسواحله وترى شرقاً القرى الممتدة الى جهات ارض لبنان . اما جهتا الشمال والجنوب فلا حاجز يحول دون مرأى سهلها . وليس لهذا المنام مجاز آخر ألا من جهة بشعلي وهي الجهة التي عني القدماء بتحصينها لتكون القلعة حريضة منيعة لا يقوى على فتحها العدو من كل انحاءها

اما القلعة فان بقاياها ليست من العظمة والبهاء على شيء . بخلاف ما يظن المسافر اذا ابصرها عن بعد . فان موادها ونحوتها لا تختلف عن غيرها ولا تنبئ بما اعتادوه الفينيقيون والرومان من الابنية الجارية . وعندنا ان هذه الاطلال صرح بني في الاجيال المتوسطة فوق جدران اقدم عهد بقي منها بعض آثارها



ومما يري داخل هذا القصر آثار بيوت كان يسكنها السكن سابقاً ، وفي أسفل القاعة نواريس عديدة ومدافن نُحِتَتْ في الصخر الإصم وجد فيها الإهلون تقوداً ومصكوكات نادرة

ومن غريب ما شاهدناه في أعلى هذه القلعة حجر كبير وسطه مثقوب وهو منفصل عن الصخر الذي تحته وفيه جدول للماء لا تظهر وجهة جريه . وقد عملت الفكر لأعرف ما الغاية من نصب هذا الحجر فلم يثبت لي الأمر

وان استطاعنا طلع التاريخ لنستدل على الخار قلعة الحصن وجدناه ساحتها لا أبعدنا عن أحواله قتيلاً . لكن موقع هذا البناء يناسب أي مناسبة للأعمال الحربية كيف لا وهو يطل على قسم من الخصب معاطف لبنان فلا يبعد أن القدماء اتخذوا هذا المقام للدفاع عن مواطنهم . ولعله كان هنا قلعة قديمة ابتناها الفينيقيون فأخربها بيسوس القائد الروماني عند فتح بلاد الشام كما ذكر آتفا

أما « بشعل » التي هي بقرب قلعة الحصن فلا تريد في وصفها شيئاً على ما كتبناه سابقاً في المشرق في مقالنا المعنونة « سياحة في بلاد البترون » ( ٢ : ٨٧٠ ) . وفي بشعل رأس عمود على أربع جهاته كتابة يونانية خشنة ذهب أكثرها فلم يبق منها سوى بعض حروف لا يظهر لها معنى شافراً (١) ولما وجدناها هناك دليل على أن القرية سبقت عهد العرب . وقد جاء ذكر بشعل في آثار الصليبيين وهم يدعونها « Betzaal » وكانت داخلة في حكمهم أمير حبل (٢)

ومما رأينا في « ترنج » عند زاوية كنيسة صليبية من الحجارة طولها متر ونصف وعرضها سبعون سنتيمتراً وهي داخلة في الحائط عليها صورة لآلة تحمل حيواناً تهشم رأسه ولم يبق سوى ذنبه الذي لم تثبت أي حيوان هو

(١) ولعل هذه الكتابة من الآثار التي لم يدها رباتن بعد ان بحث عنها في بشعل كما أخبر بذلك في كتاب بعثته الى فيديقية ( من ٢٥٧ )

(٢) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV) الجزء الصادر من ٢٥٦

## ٢٥ دوما

لا نرى داعياً لتكرار ما كتبناه سابقاً عن حسن موقع هذه البلدة وعظم شأنها حالياً (راجع المشرق ٢: ٨٦٩).

لها عادات دوما فهي نواويس ومدافن قديمة ثم كتابتان يونانستان الواحدة منها محفورة في التساورس الذي قرب عين القوية وهو اليوم حوض ماء يُستقى منه قمي وسطه دائرة كان فيها نقش الخفي عليه الزمان . والكتابة المعلقة عليه كثيرة الحشونة كان النقاش الذي تحتها لم يدرك معناها ولم يُحسن قناتها بل ترك منها الفاظاً فصار معناها مُعاقلاً . فاذا تداركنا هذا الحقل واصلحنا ما يجب اصلاحه وجدنا ان تاريخ الكتابة سنة ٣١٧ للمسيح يُستفاد منها ان هناك دُفن كلستور وكان كاهناً وثنياً لإله الطب إسكولاب وإلهة الصحة (Hygieia) . وفي آخر الكتابة تهديد لمن يهتكون حرمة هذا المدفن فان فعلوا وجب عليهم اداء ٢٠٠٠٠٠ دينار لبنت المال.

فهذه الكتابة اليونانية من اجداث ما نعرف من آثار الوثنية في لبنان . اما ما جاء فيها من الوعيد ضد تافضي حرمة القبور فثمة كثير في الكتابات الطريجية القديمة (١) . وليس البالغ المذكور في الكتابة هو من البالغ الناحشة لان الدينار كان وقتئذ قليل الثمن . وهذه الكتابة مهمة لتاريخ دوما القديم لان منها يُستفاد ان هذه البلدة كانت اقامت هيكلًا معتبراً لإلهي الصحة وان سدة الهيكل كانوا من الذوات كما يظهر ذلك من التاويرس الذي دُفن فيه هذا الكاهن . وهو جميل حسن النقش . ولعمري قد اصاب الاقدمون لما جعلوا هذه القرية مقاماً لعبد الصحة لان علوها نحو ٦١٠ متر فوق سطح البحر وهواءها الطيب ومناظرها البهجة الطالعة على سهول كفرحلا والمغصبة توافق الصحة وتنعمش القوى.

اما الكتابة الثانية فهي على حجر داخل في جدار كنيسة الروم الاورثوذكس (المشرق ٢: ٨٧٠) (قد اخذت رسمها بعد فراغ الجهد الجهد ألا ان هذه الكتابة

مطلوبة لا يفهم منها سوى كونها ضريحاً لعدة اشخاص ذهبت اديارهم الا واحداً منهم . وقد درس ايضاً تاريخ الكتابة فلم يُعُد لها شأن كبير

ومن قرى بلاد البترون التي تشتمل على بعض الآثار قرية « بقسية » ، فانما نقدر انها كانت مزدانة بهيكل وثني في سالف الأعصار والكنيسة الحالية مبينة بمواد ذلك البناء . قرى حجارها كبيرة حسنة النحت . وابواب الكنيسة اكثرها من ذلك المعبد القديم لها العتبات النقوشة وجوانبها قطعة واحدة . وان دخلت الكنيسة وجدت آثاراً غير السابقة كالنقوش المعطمة المعرّضة في وسط البناء . ولو بحث الاعاوين او نزحوا هذه البقايا لوجدوا بلا شك كتابات قديمة ترشدنا الى تاريخ القرية بيد انهم حتى الان لم يقدموا على ذلك وما رأيناه عتبة معبد السيدة اللاصق للكنيسة فانها تبرز للعيان بقايا كتابة لم يمكن قراءتها

وبقسية من القرى التي احتلها الروم اللكبيون زمناً طويلاً كما سنبين ذلك في مقالنا الآتية عن دير مار يوحنا مارون . والروم لم يسكنوا فقط جهات الكورة حيث كان عددهم وافراً بل احتلوا ايضاً قسماً من بلاد البترون التي تُعد كعهد الأمة المارونية . ولما في كل ذلك تفاصيل نعرضها ان شاء الله عند سماع الفرصة

## ٢٦ كفرحي ومدرسة مار يوحنا مارون

كفرحي مزرعة صغيرة موقعها فوق رابية جنوبي نهر الجوز على مسافة ثلاث ساعات من البترون في شرقيها . وكان لكفرحي شأن اعظم في ما سلف من الاعصار كما يُستدل على ذلك من الآثار القديمة وشواهد الكنيسة من المزارنة وفوق المزرعة كنيسة مار سابا الذي سبق ذكرها . وفي ظننا انها شيدت في مكان معبد وثني قديم . وعند مدخل الكنيسة قطعة نصب نُقش في الوجه اسفل الآلة خلو من الكتابة واذا دخلت البيعة رأيت ضبيعة عليها صكتابة ذهب قسم منها وهي ترتقي الى سنة ٢٧٠ للمسيح . ومضمون الكتابة ان رجلاً يدعى ادماس موبسوس ( Mopsos ) والآخري نيداس ( Nidas ) اقاما هذا المذبح لاحد الآلهة لم يبق من اسمه الا حروفه الاولى الثلاثة ( M. APA. )



واسم مونيوس نفسه اسم إله كان يُعبد له خصوصاً أهل الرها يشركونه بمعبود آخر يدعى عزيزاً (Ἐξίριος). إلا أن عبادة ذلك الإله لم تكن محصورة في الرها ترى ذكره في الكتابات المكتشفة في حوران. وقد وجدنا اسمه مدوناً في عدة آثار وقفنا عليها في حصص ثم غنينا بنشرها. وما اسم مونيوس على رأينا سوى تصحيف لاسم آرامي يوافق في العربية «منعم» من الاسماء الحسنى عندهم كما يستدل على ذلك بتقديم العبد فيقولون «عبد المنعم» وهو اسم بعض المتقدمين في بشرى في القرن الخامس عشر (١). ومما يؤيد رأينا بل يزيل عنه كل شبهة أن العلامة ريشه دونو (R. Dussaud) وجد اسم «منعم» (ܡܢܥܡ) بين اعلام كتابات الصفا (٢) وكانوا يريدون به الإله الكريم الوهاب. ويمثل هذه الصفات وصفه الكتيبة اليونان والرومان عند ذكرهم هذا الإله ورفيقه عزيزاً

أما مدرسة مار يوحنا مارون فلا تبعد عن كفرحي أكثر من ربع الساعة مقامها شرقي القرية. والتقليد المحلي مُجمع على أن هذه المدرسة بُنيت في مكان الدير الذي بناه القديس المذكور في نهاية القرن السابع. قيل أن هذا البطريك زين كنيسته دبره بذخيرة ثينة وهي هامة القديس مارون الناسك الشهير أبي الطائفة المارونية وأن الدير دُعي مدةً من جراً. ذلك دير رأس مارون (رأس غنم). وبقيت الذخيرة هذه في مكانها إلى سنة ١١٣٠ فنقلها أحد الرهبان البنديكيتين إلى مدينة فولينير من أعمال إيطاليا

ولا يخفى على من له الملم بتاريخ الطائفة المارونية كم هي نادرة التفاصيل الراهنة عن أصل هذه الأمانة الجليلة وأحوالها في الأعصار الأولى بعد ظهورها. وغاية ما نعرفه من هذا القيل قد بلغنا بالأحاديث الشفاهية التي لم تدون إلا منذ عهد قريب فلا بدّ إذاً من شواهد كتابية قديمة لتؤيد هذه الأخبار المتقولة (٣). على أننا لا

(١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدوبي (ص ١٤١) وروايتا المنونة «حبيب بيرة قدس»

(٢) راجع كتاب Voyage archéolog. au Safa, N° 78, 83, 413

(٣) فليراجع الكتاب الذي نشره حديثاً سيادة المطران يوسف دريان المنون «لبنان إبراهيمين الجليلة عن حقيقة أمر الطائفة المارونية»

نيأس من اكتشاف مثل هذه الآثار الصادقة في زمن توفرت فيه الوسائل وانفتحت الخزائن الادبية وظهر للعيان ما لم يكن قبلاً في الحسبان . واملنا اوطد في اهل هذه البلاد فانهم اذا بحثوا لدى الخاصة وفي الاديرة القديمة وفي خزائن الدار البطريركية نو الكراسي الاسقفية القديمة لا تشك ان ماضيهم تتكامل بالنجاح فيجدون في الزوايا خبائاً ١٦

واذا عدنا الى تاريخ دير مار يوحنا مارون لا نجد لذكره اثرأ قديماً . وفقاً يروي الرواة ان مناشئة عاش ودُفن فيه وقد عُني مراراً اصحاب الهمة بالحفر فيه لعلمهم يقعون على قبره . لكن هذه الابحاث لم تأتِ حتى الان بشرة مع ما وجد هناك من المدافن

وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ( المشرق ١ : ٢٥١ ) ان خلفاء مار يوحنا مارون سكنوا هذا الدير وفيه قُسم كثيرون منهم . ولهذا المقام ذكر في تاريخ الصليبيين ( ٢ ) بدعوة مار مارون كفرجي ( S. Maron de Caphrai ) ثم نقل الكرمسي الطريكي الى دير سيدة باتوح وبقي فيه الى عهد البطاركة دانيال الشاماتي فاعيد الى كفرجي . ثم جرى بمذلل على هذا الدير ما جرى من حروب ونكبات وبلايا كادت تذهب بآثاره

قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٩ ( ص ١٢٧ ) : وبسبب كثرة الحُكُام والاعراض كثر الظلم وكافوا الرعايا بدل المال ماكين وقبضوا على الرساء في القرى . . . وكان القس يوحنا الاجيبي مة نساً على دير القديس مارون في قرية كفرجي فوشى واهل بقسمة الى ابن سيفا حتى قبض عليه واعانة وسامة ما هو فوق طاقته فتلك الدير من ثم وارتحل ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت بقسمة التي كانت لطائفة اللكية ١٧

وبقي ذلك الدير خراباً صفصفاً الى ان جدد الطرك يوسف اسطفان بناء ما كان متهدماً فيه في اواخر الحبل الثامن عشر واسكن فيه بعض رهبان . وكان ذلك بعد

( ١ ) ومما نُشر مؤخراً في هذا الصدد كتاب الخوري نو الافرنسي ( Opuscules maronites ) وكذلك مرأ في المشرق ( ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ١٤٥١ ) بعض مقالات في هذا الصدد

( ٢ ) راجع Colonies franques. p. 359 Rey



رجوع البطرك المذكور من الكرمل وعند زيارته الرعيّة فلما مرّ على الدير المذكور لم يجد سوى آثار دارة وأطلال طامسة فعزّكته الغيرة الدينيّة على إرجاعه إلى رونقه القديم فوجّه إليه القس يوسف الحدّاد والقس الياس من ريفون ليعتبرا بتجديده

وفي أمان زيارة المطران جومانوس ثابت لايرشيتيه جيبيل والبترون رأى اقتصار رعيته إلى المدارس فارتأى تحويل الدير المذكور إلى مدرسة يتعلّم فيها من كل مقاطعة في لبنان ولداني - فصادق البطريك يوحنا الحلّو على هذا المشروع في سنة ١٨١١ وعضده القاصد الرسولي السيد لويس غندلغي

وفي سنة ١٨١٨ اجتمع البطريك والأساقفة على أن يجعلوا مقام مطران جيبيل والبترون في مدرسة مار يوحنا مارون - أو الأخرى أن يقال أن أبرشية جيبيل والبترون صارت أبرشية البطريك الخاصة فيجعل له فيها نائباً أحد الأساقفة الذي مركزه في مدرسة مار يوحنا مارون - ومثّن زادوا هذه المدرسة رونقاً ووسّعوا نطاق تعليمها الطيب الذكر المطران يوسف فريفر الذي ترأس عليها مدّة وافرة كل مجهوده في نجاحها فصارت في طبقة المدارس الثانوية التي يفتخر بها الوطن منذ نصف قرن - وقد عزّز المحوّم المنسيور بطرس ارسانبوس رئيسها السابق دروسها بعد وفاة السيد يوسف فريفر فبلغت في هذه الأيام أوج عزّها فصقلت بالتلاميذة وازدهت بالعلوم - ومما سرّاً أن طلبتها لا يدرسون فقط اللغة العربيّة واللغات الاجنبية بل يتقنون ايضاً اللغة السريانية فيكتبونها ويتكلّمون بها (١) - ولولا خوفنا من أن نخرج عن الحدود التي تحرّيناها في مقالتنا لانبسطنا في وصف هذه المدرسة ومحاسنها لا رالت راقية في معارج التقدّم والقلاح

## ٢٧ جبّة بشرّي

بلغ بنا تدبّعنا لآثار لبنان إلى مشارف هذا الجبل وما نحن ذا في معاملتي اهدن

١١ وننتهز هذه الفرصة لتقديم قروض الشكر لروساء مدرسة مار يوحنا واساتذتها الافضل لما لقينا عندهم من الحفاوة والاکرام كما حللنا في رحلتنا إلى بلاد البترون - كما اننا تشكر لحضرة اخوري بولس طعمه لفضله لما اقادنا به من المعلومات عن كفرحي ومدرستها وفري بلاد البترون - وبعض القوائد التي دونناها في مقالتنا قد استفدناها من فضله



وبشرأي . على أن هذه الجهات دون السواحل الفينيقية من حيث مآثرها القديمة والمماهي معتبة لسبب آخر « لكونها أصبحت مهداً للطائفة المارونية » ( قال ذلك رينان ) فسمت هذه الامة الكريمة في ارجائها واتسعت منذ نحو ١٢٠٠ سنة

اما اذا ضربت صفحاً عن نشأة الموارنة في تلك الاصفاع فلا تكاد تعثر على امر ذي بال يستدعي التفات العلماء اليها . وكانت بلاد بشرأي في سالف الزمان قليلة الاهلين تمتد في معاطف جبالها غابات الارز الباسقة . ومن المحتمل ان تكون ظهرت فيها بعض القرى ومن حملتها بشرأي . لكن الامر محمول على الحدس فقط . ولا احد من العلماء حتى الان وجد فيها اثرًا يرتقي الى عهد اليونان او الرومان

اما اسمها بشرأي ويكتبه البعض بشرّة وبشرّي فقد اختلف في معناه . قيل (١) ان اصله بيت الشرى يراد به بيت عشقوت . فان صح هذا الاشتقاق دل اسمها على قرية عريقة في القدم عبد فيها اللبنازيون إلهة السماء الفينيقية كاهل جليل

والمرجح ان مؤرخي الصليبيين ارادوا هذه البلدة في تأليفهم لما ذكروا قرية يدعونها Buissera و Bussora وهي من القرى التي كانت لاحقة باملاك صاحب طرابلس واليه تنسب احدى الأسر الفرنجية الشرقية كما روى « راي » في كتاب مستعمرات الفرنج ( ٢ ) . اما تاريخ الامة المارونية فانه يجعل في بشرأي وجوارها الحوادث التي جرت في أول ظهور الطائفة غير ان هذا التاريخ لم يدون قبل ابن القلاعي في اواخر القرن الخامس عشر

ومما ذكره صاحب اخبار الاعيان ( ص ٢٠ ) ان مولد القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم في القرن السابع كان في بشرّة وقد كان سألنا احد السائلين في المشرق ( ٣٠٨٤٩ ) هل صحيح ان هذا القديس ولد في « بسري » كما يزعم اهل التقليد . ولا نعلم اي التقليدين هو الصواب أبشرة كما قال الشيخ طنوس الشدياق او بسري كما زعم السائل وعلى كل حال فقد بينا هناك ان القديس صفرونيوس ولد في دمشق لا في لبنان واستندنا في قولنا الى شواهد لا تنقض

ولنا في تاريخ اهدن ما يزيد ثقتنا بقدم عهدها . على اننا لا نسلم بالتقليد الذي

(١) راجع كتاب فلسطين لإبرس وغوتي Ebers und Guthe : Palestina II. 448  
(٢) راجع Rey : Colonies francaes p. 363 وراجع أيضاً ZDPV, X, 211, 204

يجعل الفردوس الأرضي في اهدن (١) . ومن روى ذلك يزعم ان اهدن هي جنة عدن وان اسمها مشابه للعبرانية ٦٦٠ . وهذا قول لا سند له وكذلك قد وهم الذين ظنوا ان اهدن هي المدينة التي ذكرها بعض القدماء ودعاها *Trapaësis* او *Harpæsis* لأن موقع هذه المدينة في جنوبي حمص على مسافة ست ساعات من حمص ونصف الساعة من ربة وكانت قرب العاصي في مكان قرية جوسية الجديدة كما اثبت الامر السائح العلامة موسيو دوسو (راجع المشرق ٣ : ٣٦ ، ٣٥)

وقولنا هذا لا يبغض شيئاً من حقوق اهدن ونحن اول من يقر بحسن موقع القرية وطيب هوائها وجمال مناظرها الفتاة اما الادلة على قدمها فكتابات ثلاث وجدت فيها اثنتان منها باليونانية والثالثة بالسريانية . فان الكتابة اليونانية الاولى قد طمسها الدهر ولم يبق منها الا سطرين في آخرها وهناك تاريخ تسطيرها وهي السنة ٥٨٤ للملكسندر توافق السنة ٢٧٢ م . والكتابة اليونانية الثانية مرقومة على قبر مجاور لكنيسة القديس ماما . وهي مطموسة لا يسمح سوء حالها من تفسيرها وليس لها تاريخ ظاهر وفي رأسها صليب صغير يملوها ولكن هذا لا يكفي لان نسب الكتابة للتصاري لانه امكن المسيحيين ان يحفروا هذا الصليب بعد ذلك بقرون عديدة . وقد اخذنا رسم هاتين الكتابتين عن الحجر ولكن لم يمكننا ان نصلح في شيء . مما اثبت ديانا في كتاب بعثة فيليقية . وهو ايضا ذكر الكتابة الثالثة المكتوبة بالسريانية بالحرف الاسطرنجلي وهذا تعريب ما بقي منها : « بسم الله الذي يحيي الموتى في سنة ١ - للملكسندر ٠٠٠ رقد ومات مرقس ٠٠٠ »

وفي اهدن صكنائس قديمة ذكرنا في مقالة سابقة ما لها من الخواص الهندسية فلنراجع

ونرى على مقربة من اهدن عدة قرى كاخدت وحسرون وغيرها من الضياع التي لا نجد فيها شيئاً من الآثار الناطقة عن قدمها . الا انها مذكورة في اخبار الطوائف المارونية كما نقلها اليها التقليد فيكون ابنا مارون اول من حول هذه الاماكن ذكراً تاريخياً ولعلمهم هم الذين انشأوها فسكنوها وافقه اعلم



## ٢٨ أرض لبنان

لا يسعنا في وصف آثار لبنان أن نضرب صفحاً عن شجر اختص به هذا الجبل دون غيره نريد شجر الأرض الذي نسب إلى لبنان نسبة غير متفصلة - لكننا لا نبسط الكلام فيه إلا لنورد ما يفيدنا عنه علماء تاريخياً وأثرياً ونذكر لأرباب الطبيعة ما هو أحق بوصفهم

غني عن البيان أن الأرض المذكور في الأسفار المقدسة هو أرض لبنان كما تشهد تسمية العبرانية والعربية التي لم تختلف منذ القدم حتى الآن - وكذلك يوافق أرضاً الذي تعرفه ما جاء فيه من الأوصاف في الكتب المأثورة مثل يسوقه ( اشعيا ٢ : ١٣ حزقيال ٣١ : ٣ و ٨ و ٤٨ : ٢ ) وامتداد اغصانه الفناء الوارفة الظل ( عز ١٧ : ٢٣ ) ورائحته الرائحة التي تغطي الأرجاء - ( نشيد ١١ : ٤ هوشع ١٤ : ٧ ) وحسنه الذي يجعله فخراً للبنان ( اشعيا ٣٥ : ٢ و ١٣ : ٦٠ ) ووفوه في هذا الجبل ( مز ٩٢ : ١٣ و ١٠٤ : ١٦ اشعيا ١٤ : ٨ ) قال حزقيال ( ٣١ : ٣ - ١٠ ) ملغصاً كل هذه خواص الأرض وهو يشبه به ملك أشور : « هوذا أشور أرض لبنان بهيجة الاثنان غيا - الظل شامخة القوام وقد كانت تاحيتها بأرض بين اغصان ملتفة - المياه عشتها والقمر رفقها - انهارها جرت من حول مفرسها ومجارها ارسلتها الى جميع اشجار الصحراء فلذلك عند نشأتها ارتفع قوامها فوق جميع اشجار الصحراء وامتدت فروعها من كثرة المياه - في اغصانها عشت جميع طيور السماء وتحت فروعها ولدت جميع وحوش الصحراء - وفي ظلها سكنت جميع الأمم الكثيرة وصارت بهيجة في عظمتها وفي طول عذباتها لأن أصلها على كان مياه غزيرة - فكل شجر في جنة الله يماثلها في بهجة فاني صنعتها بهجة بكثرة عذباتها فقارت منها جميع اشجار عدن في جنة الله » قلله من وصف يطابق الواقع لاسيا في عهد النبي إذ كانت كل قم لبنان مكحلة بقابات الأرض - وفي قول حزقيال احسن تشبيه لأرض احد العديين من الفرنج واسم اوجين دي لاسال (١) الذي زعم أن الأرض تُعرس في لبنان على عهد السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي



هذا والأرذ خشب صلب صقيل أصفر فاتح ذو خطوط حمراء عطر الزانحة لا  
يتغل فيه الزمان ولا تقربه الأرضة والسوس ولذلك اعتبره قديما النباتين (راجع سفر  
الملوك الثاني ٧: ٧ و ١ أخبار ١٧: ١٤ واش ١٠: ١٠ ورميا ٢٢: ١٤) واستعماله منذ  
عهد عمويد في الإبلية كان اعظم الاسباب التي أدت الى ملاحشته

وقد ذكر الطبيعي بلينيوس (١) أرذ سورية كخشب لا يصيبه الفساد وروى ان  
سقف هيكل ديانة في افسس الذي التهمته النيران بعد تشييده بنحو ٤٠٠ سنة كان  
من هذا الخشب . وكذلك كان قدماء الشعراء يشبهون الاعمال المخلدة بالأرذ (٢)  
وبما يشهد لهذا الشجر بالبقاء ان لايرذ (Layard) وجد بين عاديات اشور تزييمهال  
في غرود الخشاب من الارز صيرت على آفات الدهر نيفا و ٢٧٠٠ سنة قاغذها واعاد صقلها  
فكانت كأنها قُطعت حديثا . وفي المتحف البريطاني قطع من هذه الاخشاب  
القديمة حسنة المنظر صفراء اللون باردة العروق . وقد أُلقي شي منها في النار فصاح  
عرها الذي اطراها القدماء (٣)

اما استعمال الارز في البناء فكان متنوعا يتخذه المهندسون لعبات الابواب  
وعوارضها وسقوف البيوت (راجع سفر التثنية ١: ١٤ و ٩: ٨ ورميا ٢٢: ١٤  
وصفيا ٣: ١٤) بل ربما التجأوا الى الارز لتصفيح جدران القصور والهيكل بالواجه .  
وكذا فعل سليمان في هيكل اورشليم قال في سفر الملوك الثالث (٦: ١٥ - ١٧)  
انه « بنى على جدران البيت من داخل الواح أرذ » من ارض البيت الى جوائز  
السقف « وقد احب القدماء ان يصفحوا الجدران بهذه الالواح لأن حجارة فلسطين  
وسورية هي في الغالب كلسية فخرة لا تروق العين كالرخام والصوان والحجر المسامع  
فلتلافي هذا الخلل كانوا يصفحون الجدران بصفائح من ذهب او فضة او خشب ثمين  
وكانوا يفضلون الارز لبقائه . وكان داود قبل ابنه سليمان طلب من حيرام ملك صور  
ان يرسل له كمية من اخشاب الارز ليبنى بها بلاطة في اورشليم . فلما صار الامر الى

(١) راجع تاريخه الطبيعي ١١: ١٣ و ١٦ و ٧٦ و ٧٩

(٢) راجع Horace, Epist. ad Pisones, 32 و Perse, Satires 1, 41

(٣) راجع الشاعر فرجيل Encl. VII, 13 والتاريخ الطبيعي لبلينيوس ١٣ ف ١  
ونأيف لايرد Niniveh and Babylon, 367

ابنه فاراد ان يشيد للرب هيكلًا يُعبد من عجائب المعبد فضل الارز على سواء  
لتسبح هذا المشروع العظيم

وكذلك صنعوا داخل الهيكل الثاني في اورشليم بخشب الارز (١) وهكذا ايضا  
جعلوا سقف الهيكل الذي جدد هيرودس (٢)

اما الابنية الاولى المسيحية التي شيدتها الملكة هيلانة مثل قبة القبر المقدس  
وسقف كنيسة بيت لحم فقد اتخذوا لها ايضا خشب الارز الى ان جددتها الصليبيون .  
هذا فضلا عن انهم كانوا يستعملون خشب الارز فينبحتونها كما قال تقييل واصناما  
اشعيا (١٤: ١٠) وقد قال مثله ايضا كل من يوسافاس ويليئوس (٣)

ثم ان خشب الارز كان معتبرا ومستعملا في خارج سورية وفلسطين لان  
سنداريب ملك اشور يفتخر بأنه صعد جبال لبنان وقطع منها شجر الارز (٤) وفي  
الكتابات المصرية ايضا يفتخر ملوك بابل واشور بتل هذه المسألة لانهم كانوا في  
الغالب يتقاضون جزية من خشب الارز . وكثيرا ما يرد في النص الاشوري ذكر  
الارز موصوفا بطيب العرف ومقولا ان ملوك نينوى وبابل كانوا يتخذونه جسورا  
اورواند في هياكلهم وقصورهم (٥) وكانوا يكثرون جدا من استعمال الارز حتى ان  
النبي اشعيا (٨: ١٤) في معرض كلامه على سقوط بابل يصور الارز فرحا محبورا  
بجزائها . وكذلك كانت قصور ملوك فارس في عاصمتهم من خشب الارز (٦)

وقد عرف المصريون الارز وخواصة العجينة وكان الفينيقيون يتقلونه الى سواحلهم  
بحرا (٧) فأتخذوه القراعة لابنتهم النخيلة كالتصور الملكية والهاكل الدينية وقد  
اقتدى بتأملهم الملوك السلوقيون في سورية وقد اصطنعوا منه ايضا اثاث بيوتهم لعدم  
فساده . وذلك ما حدا الى ان يحشوا من نشأته على موتاهم في تحنيطهم ويظفروا

(١) عزرا (٣: ٧)

(٢) يوسيفوس في حرب اليهودية ٥: ٥ و ١٢

(٣) التاريخ الطيبي (١١: ١٣١)

(٤) ملوك رابع (٢٢: ١٩) واشعيا (٢١: ٣٨)

(٥) Schrader مجموع كتابات اشورية وبابلية (١ ص ٦٨ و ١٠٨ و ١٤٠) الخ

(٦) رابع المورخ اللاتيني كورنيوس روفوس (٢٢: ٥)

(٧) رابع تاريخ الصناعة في القدم لبيرو (Perrot) الجزء الاول (ص ٥٧٧)

براقينج خارج التوايت كما يشاهد ذلك في مدافن المصريين

\*

فيؤخذ من كل ١٠ سبق ان تجارة الارز اللبناني كانت متسعة النطاق . على اننا لم نذكر الاقسماً صغيراً من الابنية التي كانت تجهز بهذا الخشب . فان الادوات الحربية والمجانيق كانت في الغالب تصطنع من الارز . ولا شك ان السد الذي اقامه الاسكندر بين الشاطئ والجزيرة البنية عليها مدينة صور دخل فيه شيء كثير من خشب الارز

وقد روى المؤرخ ديودورس ( ك ١٦ ف ٥٨ ) ان انطيفون الملك حاول حصار المدينة المذكورة في سنة ٣١٥ ق م . فاراد ان يجهز له اسطولاً قوياً فأتى بثمانية آلاف عامل عهد اليهم ان يقطعوا من ارز لبنان ما كان كافياً لتجهيز ٥٠٠ سفينة حربية . فنقل الخشب المقطوع على ظهر الف دابة الى معانيع صيدا . وجبل وطرابلس حيث أنجز العمل . قال الراوي : « وكان الخشب المذكور من الارز المرتفع القوام الباهر الغضة » فترى من هذا المثل الوحيد كم عانت الحروب بارز لبنان . ولكن كم عبت به من الحطابين غير الثمانية آلاف الذين ذكرناهم . ولو اودنا لأوردنا امثلة عديدة تؤيد قولنا . ويؤخذ من رواية ديودورس ان كل قمم لبنان كانت تردهي باشجار الارز من الشمال الى الجنوب يستدل على ذلك من ذكر المدن الساحلية التي نقل اليها الارز لعمارة اسطول انطيفون . واذا استغرب القارى وجود الارز جنوبي لبنان فليذكر خبر حيرام ملك صور المشار اليه سابقاً

ومما يؤسف له ان الحكومة المحلية لم تكن السخ لقطع هذه الغابات بنظام . وعلى رأينا ان الرومان اول من فكر في هذا الامر الخطير كما يظهر ذلك من كتابات لأدريان الامبراطور اوردناها مراراً مفادها ان الحكومة لا تسمح بقطع اربعة اصناف من الاشجار (١) من جنتها الارز . ومع ما دهم الارز من العيث والفساد ترى المؤرخين الرومانيين يذكرون غاباته الكثيفة من جملتهم تاقيتس المؤرخ ( ك ٦ ف ١٠ ) . وروى اوسابيوس القيصري ( ك ١٠ ) ان سقوف البسج كانت تتخذ عادة من خشب

١١ قد وردت هذه الكتابة في المشرق ( ١١ : ٧٢٦ ) على خلاف هذه الرواية . والصواب ما تدونه هنا



## الآرز في القرن الرابع

على ان السفن الرومانية لم تحفظ للبنان فخر غاباته إلا زمناً قليلاً فان بروكوب المورخ (١) يخبر عن يوستنيان الملك انه بحث البحث الطويل قبل ان يجد الآرز الضروري لتشييد كنيسة سيم الملكنة في اورشليم . وبعد التنقيب والتفتيش عثر البنائون على ما كانوا يطلبون اي سوازي بأسقة الطول كافية لعوارض سقف البسعة وإذا تتبعنا تاريخ الآرز من ذلك الحين وجدنا يد التلف تسطر على غاباته حتى لم تكند تقرك منها غير أثر بعد عين . فقد ذكر ثاوفان المورخ في تاريخ سنة ٦١٠ للعالم ان معاوية اول خلفاء بني امية ابني ١٢٠٠ سفينة شراعية وأخذ موادها من جبل لبنان . ولم تقصر سنوات قليلة بعد ذلك حتى جهز أيضاً اسطولاً ثانياً أكثر عدداً واشد هولاً من الاول وقد هذا حذوه غير واحد من الخلفاء في مسألة الانشاءات البحرية وكانوا يجعلون لخص دور الصناعة وهي التي تسمى اليوم بمحلات الورشات او الترسانات في مدينة طرابلس نظراً لقربها من غابات الآرز . وما عاون أيضاً على تلف الآرز وكان من جملة اسباب قطعه صناعة استخراج الحديد ومعالجته التي كانت اثناء القرون المتوسطة شائعة في كثير من نواحي لبنان كما يتخذ من تاريخ ابن بطوطة والادريسي والقلقشندي . ثم ان الجهات التي أقيمت فيها مسابك الحديد وكانت في مبادئ القرن التاسع عشر زاهية بالغابات والاراج المثلثة أصبحت ولا زى فيها اليوم نبتة خضراء . فهذه الطريقة والحالة هذه نستطيع ان نعلم سرعة فناء الغابات في جبل لبنان

اما الان فلم يزل شجر الآرز موجوداً في اربعة اماكن من لبنان لانك تجد منه اولاً في شمالي لبنان بين قريتي الحسث ونيحا غابة يبلغ طولها نحواً من ساعة ونصف . نعم ان اكثر اشجارها قتيه وليس في كل اماكن الغاب بثلثة ولكن اذا اتخذ ما يلزم من الاحتياطات لصيانتها لا تلبث ان تصبح بعد ايام حرجاً من الخلف الاراج وأنقها

وثانياً في اعالي قرية سير ببلاد الضنية في اعالي وادي النجاص فهناك كثير من

شجر الارز على ارتفاع ١٩٠٠ متر عن مساواة البحر . وتجسد الارز ايضاً بين سيرة ونبع السكر ثم في الغابة الواقعة خلف وادي جهنم (١) والقوم في تلك الناحية يستعملون قشور (٢)

ثالثاً في لبنان كيف ثالث من شجر الارز لا يعرفه الا القليلون ثابت في الجبال المشرفة على قرية الباروك وعلى مسافة ساعة ونصف من الجنوب الشرقي وهو هناك بهيمة غابة غيباء تمتد على مسافة ساعة طولاً غير ان شجر الارز في المحل المذكور يوجد ألقافاً ينفصل بعضها عن بعض في الغالب بمسافات خالية او مشغولة بأشجار أخرى من جنسها السنديان وهو من نوع السنديان الذي يثبت في شمالي اوربة واهل البلاد يستعملون اللك ويسمون الارز الأهل . وارض الباروك بوجه الاجمال قتي ولكن قد تصادف فيه بعض اشجار عتيقة غير انها اقل سمواً وارتفاعاً من الارز الموجود بناحية بشرى لان ثقل الثلوج في مثل هذه النواحي العالية كثيراً ما يكسر قمم الشجر كما ان شدة الريح تحنيها حتى تجعلها منبسطة كالظلة على هوى الريح . فضلاً عن ان الجذوع تنفرع عادة الى فروع قصيرة عظيمة وكثيرة . اما متى كانت الشجر مجتمعة لقا واحداً فترى جذوعها سامقة مستطيلة وخالية من الفروع غير انها تكون اقل كثافة نظراً لشدة قربها بعضها من بعض . على ان ارض الباروك بما فيه من الشجر الكبير والصغير والقتي الثابت على اصول القديم يمثل للعين غابة حقيقية اكثر من ارض بشرى

ولكن حياة هذه الغابة الجبلية تراها لسوء الحظ مهددة كل ساعة بالقتل والدمار لانها لما كانت ملكاً لقرية الباروك كانت بلديتها تأخذ بالقطع منها لقاء بعض دراهمات تستفد بها فمن ثم نستلفت الى هذا الامر انظار الحكومة اللبنانية

اما اشهر ثقيف من شجر الارز فقابة بالقرب من قصبة بشرى وموقعها على علو ١٩٢٥ متراً فوق مساواة البحر في سفح الجبل المعروف بظهر القضيبي . والقربة الثابت فيها الشجر المذكور كاسية ولكن الورق الذي يتساقط منه ادى شيئاً فشيئاً الى

(١) وقد ذكر ارز الضيف الرحالة سبتن (١ ص ١٧٩)

(٢) راجع المجلة الفلسطينية الانكليزية سنة ١٨٩٣ ص ٢٢٠

تكوين قشرة من التراب الاسود . وفي قلب هذه الغابة كنيسة صغيرة للسوارنة  
يقيمون فيها الاحتفالات كل سنة يوم عيد التجلي  
واعظم شجر الارز ثابت في جوار الكنيسة المذكورة ومنه ارزة يبلغ محيط جذعها  
اربعة عشر متراً و ٥٦ سنتيمتراً ثم ارزة أخرى تقاربها في هذه الضخامة . والارزتان  
المذكورتان هما اقدم شجر الغاب وقدّر بعضهم ان عمرها لا يقل عن ثلاثة آلاف  
سنة (١) . قال بذلك الجيولوجي الشهير الدكتور فرانس الذي بنى حسابه على العقد  
المختلفة الموجودة في الشجرتين

واكبر ارتفاع تبلغه هذه الشجر لا يتجاوز ٢٥ متراً وفي جملتها شجرات يتراوح  
ارتفاعها بين اربعة عشر واثنين وعشرين متراً والباقي يقل ارتفاعه عن اربعة  
عشر متراً

واما جملة شجر الغابة فهو نحو ٣٩٢ شجرة يدخل فيها الشجر الصغير الذي لا  
يتجاوز ارتفاعه سبعة امتار وهو مما رُفّ الشجر الكبير في سبيل نموه مانعاً عنه الهواء  
اللازم لذلك . وفي الغابة ايضاً شجرات اشتمت قريبا الى بعضها كثيراً حتى تلازمت  
جذوعها واصبحت كأنها جذع واحد

ومن يقابل بين اخبار السياح والجوالة الذين زاروا هذه الغابة يرى ان ارز بشراي  
قد زاد عدداً في ايامنا . لان الارز المذكور كان في القرنين السادس عشر والسابع عشر  
قد تناقص بل اوشك ان يناف لولا عناية بطاركة الموارنة الذين تهدّدوا بالحرم كل من  
يعدّ اليه بدءاً عادية

واول من تكلم عنه هو يليون (٢) الافرنسي وعدّ منه ثمانية وعشرين ارزة  
قدية . ثم السائح الالمانى فورير فون هايمندروف (٣) سنة ١٥٦٦ وعدّ منه خمساً وعشرين  
ارزة . ثم العشّاب راولف (٤) الذي زاره سنة ١٥٧٥ ولم يعدّ منه غير اربع وعشرين

(١) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV) مجلد ١٠ ص ٩١ وكتاب ايمرس وغوته

(مجلد ٣ ص ١٤) العنوان Palestina im Wort und Bild

(٢) Belon

(٣) Fürer von Haimendorf

(٤) Rauwolf



أرضة . ومن بعد هذا التاريخ كثّر الذين أخذوا عن الأرض من جبلتهم الأب ايرونيوس  
 دنديني اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي الى الموارنة فأنة زاره سنة ١٥٩٩ وعدّ منه  
 ثلاثاً وعشرين أرضة . ومنهم دارفيو ١٦ الذي زاره ١٦٦٠ ومنهم روجيه وغيره  
 ولم يحسّدوا اذ ذاك غير اثنتين وعشرين شجرة . ومن بعد هؤلاء زاره المؤرخ دي  
 لاروك سنة ١٦٨٩ فوجد فيه عشرين شجرة والانكليزي موندريل سنة ١٦٩٦  
 ثم بوكوك وعدّ الاول ست عشرة والثاني خمس عشرة فقط . غير ان الشجرات القليلة  
 قويت لحسن البخت في اثناء هذه المدة على ان تنمو تدريجاً وتغوص عن الارزات  
 القديمة

وفي تضاعيف القرن الثامن عشر تجددت الغابة شيئاً بعد شيء . وتوقى اعمار  
 الشجرات النشيئة الى هذا التاريخ ومن ينظر الى ما فيها من العقد يُقدّر ان اعمارها  
 لا تزيد على قرنين

وفي ٢١ تموز سنة ١٨٠٥ جعل سيترن عددها ثلاثمائة أرضة بنوع التقدير اذ يظهر  
 انه لم يعدّها واحدة فواحدة . وفي سنة ١٨١٠ احصاها بورخارد ثلاثمائة أرضة صغيرة  
 وخمسين متوسطة وخمس وعشرين ضخمة وجملة ذلك ٣٧٥ أرضة . وقد ذكر هذا العدد  
 نفسه تقريباً الجيولوجي فراس الذي زار الغابة سنة ١٨٧٤ ممّا يدلّ على ان عدد  
 الارزات قد بقي في زماننا على حاله

ومع كل ذلك لا يمنع تكثيرها وفراراً من تكرار ما سبق لنا ابراده في هذا  
 الشأن نحيل القارىء على المشرق ( ١ : ٢٢٧ و ٣ : ٩٧٦ ) حيث أفضنا الكلام  
 في الارز وأقمنا المقابلة بين لبنان وجبال الألب

وقد مرّ القول ان الارز يوجد ألقافاً متفرقة ما بين كبيرة وصغيرة في اماكن  
 مختلفة من جبل لبنان . وهذا يثبت انه يقوى على النجاح والنمو فيه . بقي ان  
 نقول ان الارز يوجد ايضاً في تعانيل التابعة البقاع وذلك في ارض الالباء اليسريين  
 الذين امتنعوا زراعته عندهم فافلحوا . امّا في خارج لبنان فيوجد الارز بكثرة  
 في جبال قروانية وجبال جزائر الغرب وكل هذا من شأنه ان ينشط مساعي الذين

يهتثون بحفظ الاشجار الجميلة التي كانت زينة وحلية لحامة لبنان منذ الدهر  
القديم (١)

## ٢٨ الكورة

الكورة من انصب النحاء لبنان تجمع بين ارفاق السهل والجبل . ولا مرأى ان  
الناس سكنوها منذ القرون الغائرة . ولو بقينا الحكم على ما يوجد من التشابه بين  
اسم قريتها « اميون » وعلم آخر « اميا » ورد ذكره في مكاتبات قل العارضة  
( المشرق ٣ : ٢٨٩ ) لصح القول انها اقدم مقاطعة في داخل لبنان احتلتها السكان .  
وفي الكورة آثار توتقي الى عهد اليونان والرومان كما سرى

## ٢٩ دار بعشتار - برزوا - نائوس

اذا ما قطعت نهر الجوز الفاصل بين مقاطعتي الكورة والبيروت لقيت بادناً  
دار بعشتار . وهي قرية فيها شيء من بقايا القرون الوسطى منها كنيسة ذات حنية  
محكمة العمل تكتنفها اخوة قديمة من العهد نفسه . غير ان اسم دار بعشتار جدير  
بالاعتبار . وهو مركب من لفظي بيت وعشتار . وعشتار هذه هي إلهة الفينيقيين  
الشهيرة . فيستدل بذلك على ان هذه القرية كانت سابقاً هيكلًا لعشتروت يعدها  
قبة اهل لبنان

واذا عمت الشمال الشرقي بلغت بعد قليل قرية برزوا ولعل اسمها متحوت من  
بيت برزوا . فالبا . اختصار لفظ « بيت » شائعة كبحديدات وبحيدون وبرزمار . اما  
برزوا فاحد الالهة الساميين مر ذكره في المشرق ( ٢٢٩ : ٢٤١ ) . وفي برزوا هذه هيكل  
صغير قديم العهد حسن البناء لم يضمنه حدثان الدهر . ولما تنصر الاهلون جعلوا  
الهكل كنيسة وأضافوا اليها حنايا آثارها باقية حتى اليوم . وهم يدعونها كنيسة  
العواميد او سيدة العواميد لا يذرن واجتها من الاعمدة . وليس هناك كتابة تفيدنا  
عن امر هذا البناء القديم وغايته

(١) اما طريقة تكتنرهما فراجع في شاخا ZDPV ; 93 X.

وقس على ذلك قرية ناوس التي موقعها شمالي شرقي يززا على مسافة أربعة كيلومترات منها . وهي فوق ديوقة قرية من عين عقريم الحالية . وما ناوس إلا تعريب اللفظة اليونانية *ναός* يراد بها الهيكل . وإذا استثنيت بعلبك وآثارها الجبارة لا تجد في كل لبنان ما يضاهي بقايا ناوس وإطلالها اتساعاً وعظمة . أما نقوشها فهي أيضاً دون نقوش بعلبك دقةً والحكاماً وفيها مسحة من الصناعة السورية . وهي من عهد الرومان كابنية بعلبك

وفي ناوس اخرة هيكلين كبيرين يلاصق أحدهما الآخر يحدق بهما سوران رحبان وفي وسط كل منهما معبد قليل الاتساع تزينه اعمدة مصمتة تراها على صورة هيكل حصن سليمان في جبل النورية (١) وأركان الابواب التي يدخل منها الى حرم الهيكل من الحجارة الضخمة وهي منقورة على شكل درج . وآثار هذا الدرج باقية حتى يومنا . ولابد ان كان في الزمن القديم لهذين الهيكلين منظر يأخذ بالابصار . وكان الناظر يكشف من هذه الاكمة المرتفعة نحو ٦٠٠ متر فوق سطح البحر على كل الساحل من القرون الى ما وراء طرابلس . وهو يرى سهول الكورة ومزارعها الجميلة ممتدة امامه

وإذا خطت النقوش التي على الهيكل الشرقي وجدتها خشنة غليظة . وليس هناك من الحجارة الضخمة سوى مساند الابواب والصفائح المثثة الزوايا التي تعلوها . أما بقية الحجارة فهي متوسطة الكبر كحجارة اقفا وقلمة فقرا . وفوق باب المدخل صورة كوة مجنحة تزينه وقد ألف الفينيقيون مثل ذلك في هياكلهم (راجع وصفنا لقرية اذه في الصفحة ٦٨)

أما الهيكل الآخر الذي موقعه جنوبي غربي الهيكل السابق فحيزه بقايا حسنة من نقوش ابوابه . وقد وجدنا بسين ردم الهيكل تقاملاً نصفياً ينثل البعل وعلى رأسه شعاع إلا ان قش خشيب ونظن انه سقط من الكوة التي تعلو مدخل المعبد . ولهذا الهيكل سور حجارته جبارة تشبه حجارة دير القلعة يبلغ طول بعضها ستة امتار

(١) راجع مقالنا الافرنسية المنشورة « في بلاد الصيرية » (Au Pays de Nosairis)



ونضرب صفحاً عن المدافن الجميلة والمتساطع المتسعة والنواويس المنقوشة التي  
تُرى حول قرية نارس للتلا نعود الى ذكر آثار وصفناها مراراً . على ان هذه المدافن  
والمقاطع تدلّ دليلاً يتيماً على ان تلك الانحفا كانت في الاجيال الحالية عامرة حافلة  
بالسكان وان لم يُفدنا التاريخ من امرها شيئاً . وكذلك لم يكتشف احد حتى الآن  
بين هذه الاخربة كتابة تفيدنا علماً عن اخبار السلف

### ٣٠ اميون

قد سبق لنا القول عن اميون وقدمها . اما الآثار الباقية فيها قليلة لا يُعبأ بها .  
من ذلك صخر منحوت نُقرت فيه كوى او مشاك . ومنها كهف يُرى اليوم تحت  
السراية الجديدة كان في ما سلف من الزمان مدفاً ثم جعل معبداً للذكر القدسية  
مارينا . وقرب الكهف اخربة كنيسة عتيقة بقي منها حنيئها وكان معبد القدسية  
مارينا تابعا للكنيسة معدوداً كاحد مصلياتها

وقد تكرر ذكر اميون في تاريخ الموارنة القديم . وكانت اذ ذلك مركزاً مهماً  
للسالكين كما هي اليوم . ومن ذكروا اميون الشريف الادريسي في كتابه  
نزهة المشتاق اما الصليبيون فلم نجد اسمها في تأليفهم وهم يصفون مع ذلك غيرها  
من قرى الكورة ( ويدعونها La Core ) ومن املاكهم في هذه المقاطعة كفر قاهل  
( Caphrahael ) وبثورائش ( Boutourafig ) وباردمين ( Bertrandimit )  
وبدهيون ( Bethamum ) وغير ذلك من الاسماء التي شوهمها الفرنج باللفظ  
ويسهل اصلاحها

### ٣١ المسيلة

للبترون الى طرابلس طريقان الواحدة على ساحل البحر والاخرى جبليّة  
فن سار في طريق الجبل مجارياً لوادي نهر الجوز (وهي اليوم طريق العربات) وصل  
بعد مدة قليلة الى حصن يدعى المسيلة وهو حرزٌ منيع موقعة فوق صخرة منتصبة  
على الوادي عمودياً . والوادي في هذا المكان ضيق خرج المنعطف  
اما تاريخ هذا البناء واخباره فجهولة لم يرشدنا اليها احد من الكتبة . ولعل

القدماء في الأجيال المنصرمة كانوا شيدوا هذه القلعة فجعلوها كمركز لحركات العدو في مضيق لم يكن لهم ندحة من الاجتياز في وسطه. ذهاباً إلى طرابلس وإياباً منها إلى البترون. وما لا شبهة فيه أن أبلية المسيحية الحالية لا تتجاوز القرون المتوسطة ولا يبعد أن الصليبيين دُمجوها بعد خرابها أن لم يسبقوا إلى بنائها. وقد بحثنا في اوصاف البلدان للقدماء العرب وفي آثار الصليبيين فلم نجد لاسمها ذكراً

وفي كتاب رحلة المسافر دي لاروك (١) الأفرنسي (Dela Roque) أن الأمير فخر الدين هو الذي بنى المسيحة. وعلى ظننا أنها أقدم منه عهداً وإنما نسبت إليه كما نسبت غابة بيروت مع كونها قبله بزمان مديد (راجع مقالنا في المشرق عن أصل هذه الغابة ١٩٣٩: ١)

وإذا خرجنا من المسيحة وابتعدنا عن الطريق المؤدية إلى طرابلس فملنا إلى الشمال لقينسا رشحاً يفضي بين توتلة إلى سطح جبل فسيح يُعدّ كقسم من مديرية القويطع وينتهي في شماله الغربي برأس الشقعة (٢) به دُعي الجبل جبل رأس الشقعة

### ٣٢ جبل رأس الشقعة

هذا الجبل قائم بنفسه منقطع عن بقية لبنان يستأفت إليه النظر من بعيد بهيته القريبة ووعودة مرتقاء. وفي سطح الجبل عدة قرى عامرة حتى يومنا هذا أكبرها حمامات. ولكن هذه القرية كنيسة قديمة لعلمها كانت مزدانة بكتابات (٣) غير أن هذه الآثار درست لما بُنيت الكنيسة الجديدة

وهذا الجبل حافل بالاديرة كدير سيدة النورية ودير مسار الياس ودير حشوش وغير ذلك من المراكز التي شُيد أكثرها فوق ابنية قديمة وهذا ما يحدو بآرباب العاديات

(١) راجع كتاب رحلتو (ص ٢٠٧)

(٢) هذا الاسم أصح من «رأس الشقعة» الذي استعملناه سابقاً في مقالنا عن المزلزل في سورية (المشرق ١٩٥٠: ١)

(٣) راجع بحثه فيفيق (لبنان ص ١٤٥). ونحن نقفز هذه الفرصة لتكرار عبارات الشكر لاهل حمامات الذين تعاونوا بنا بعد أن تمنا في مشارف ذلك الجبل المقفرة ليس بيدياً من حشوش وبقا عامة ليلنا مهادنا الأرض وعلقتنا السماء

الى ان يقدموا الى زيارة هذا الجبل الصَّرد. ولو زاره الجيولوجيون والجغرافيون لوجدوا فيه ما يُعجدهم علماً

فلنباشرن بوصف القسم الشمالي من هذا الجبل اعني رأس الشقعة فنقول: ان هذا الرأس يتصب كصخرة صماء ويدخل في غمر البحر مشرفاً على كل البلاد المجاورة وعلوه يبلغ ٣٠٠ متر. واذا نظر اليه المسافر القادم من جهة طرابلس رأى شكلاً اشبه بدائرة هائلة قائمة فوق شبح البحر لا تبدي حراكاً في رأسها مهبلاً مربعاً لمناولة عذرها. وفي جوانب هذا الرأس اخاديد تشهد بما دهمه من الزلازل في كروار الاجيال فتضعفت اركانه وتقطعت اوصاله. نخص منها بالذكر الزلزة التي حدثت في عهد يستيان الملك وموت لنا وصفها في المشرق (١: ٥٠٣). وهذا الزلزال غير هيئة رأس الشقعة بل ألحق احواله بالجبل المجاور لهذا الرأس فشوة صورته

وكان القدماء (١) يطلقون على هذا الرأس اسماً قريباً في معناه فيدعونه وجه الله (Θεοπροσωπον). اما النصارى اليونان فابدلوا اسمه باسم وجه الحجر (Αὐθροπος) وهو اسم قرية مجاورة له موقعها فوق سطح الجبل جنوباً. ومثلاً فيدينا التاريخ ان الالهة تانيت معبودة النيفتيين كانت تدعى باسم «وجه بعل» أفلا يسوع لنا ان نستنتج من هذه الدلائل ومن المقابلة بين هذه الاسماء ان النيفتيين كانوا اختصوا هذا الجبل بعبادتهم لا سيما ان صورته الغريبة تستلفت الانتظار. وهذا الظن يتأيد بمثل جبال اخرى في ساحل بحر الشام كان القدماء يعظمونها تعظيمهم للالهة كجبل الكرمل والجبل الاقرق شمالي اللاذقية وغيرها. وكان جبل لبنان نفسه مكرماً كاله يعبدونه ويدعونه بعل لبنان. اما تسمية الكتبة الفرنج لهذا الجبل برأس مادون (Cap Madonne) فليس هو كما زعم رينان اثرأ لعبادة الالهة تانيت بل «مادون» تعريب كلمة «السيدة» فقليل له رأس السيدة اشارة الى سيدة النورية التي بُني هناك. دير باسمها. وقد ذكر الجغرافي اسطرابون ان في زمانه كانت قلعة مشيدة في اعلى رأس «وجه الله» وان في هذا الجبل ليس بعيداً من البقرون اغواراً وكهوفاً يأوي اليها اللصوص وقطاع الطريق كانوا يعيشون في البلاد حتى اجتث يومهريس دايرهم واستاصل شأفتهم. ولعل

(١) راجع الجغرافيين كاسترابون (ك ١٦ ف ٢) وبوليبيوس وغيرها



هذه المغاور هي الأغوار التي تُرى في يومنا هذا وراء قرية «قبة» قريباً من قرية وجه الحجر وهي واسعة تُشرف على البحر (١)

وإذا سرت من البترون على ساحل البحر قاصداً حثوش تمر بازا. مزرعة تدعى سلعاتا عندها نبع جار. وهذه المزرعة لم اتفقدها آثارها في رحلتي. والى أناسف اليوم على فوات الفرصة لأنه يُحتمل أن سلعاتا هي في مكان بلدة قديمة دعاها القدماء *Σαλατῶν* أو *Ὀναστίων Σαλατῶν* لوقالوا عنها أنها كانت كرسياً اسقياً وجعلوها مع جيفرة وأنة (٢) ولكن لا بد من تحقيق الامر والاستطلاع على آثار المكان. وعلى كل حال لا يخلو وجود نبع في هذا الساحل الرملي القفر من الدلالة على مقام قديم

وراء سلعاتا هذه جون صغير يفضي إليه مسيل ماء ناشف يدهى وادي غميق. والطريق التي تمر حول هذا الجون منقورة في الصخر كالطريق الرومانية التي تُرى عند نهر الكلب. وعلى جانب هذه الطريق صخرة قد كُتب على وجهها أقيماً باليونانية ما تعريبه: «هنا ينتهي ملك ديمسترات. وقد اتفقنا على ذلك». وهذه الكتابة ضخمة الاحرف طولها ٣٠ سنتيمتراً وهي كما ترى نصبٌ جعل للدلالة على حدود الاملاك ومثلها كثير في منعطف لبنان الشرقي بين بحيرة البعثة وبعبك



وبازا. هذه الكتابة على الصخر العمودي الذي

بجوارها رسم ترميز بروتين على هذه الصورة وليس

ضمن الترميز شيء ولعله كان فيها سابقاً كتابة طمسها الدهر لكني لم اجد فيها اثرًا للعرف كالسياح الذين سبقوني الى هذا المكان

وهذه الكتابات مع نقر الصخور تدل على أن القدماء مروا في تلك الانحاء. ولا ريب أن الطريق كانت تجتاز في هذا المكان ولعلها هي الطريق الرومانية التي كانت تتبع ساحل بحر الشام تمنعطف بانعطافات مارة حول رأس الشقمة. والرجح ان الحيوش الرومانية كانت تسير في هذه الطريق الساحلية لان الطريق الجبلية الحالية كثيرة

(١) راجع الرحالة سترن (Sectzen I, 231)

(٢) راجع ريلاند (Relandi Palestina, p. 216) والمجلة الفلسطينية (اللاية ZDPV) XXII, 143 يدان لا نبث حكاً في ما قدمنا

الوعورة صعبة المرتقى وليس فيها شيء من الآثار الدالة على أعمال القدمين. ولم يكن قبل طريق العربات الحديثة طريق غيرها تصل بين طرابلس وواوسط لبنان. أما الطريق القديمة على وادي فسيق وحنوش ورأس الشقعة فلم تعد مسلوكة. والاربع ان الزلزلة التي جرت في عهد يوستنيان دمرت هذه السبيل واخرتها

## ٣٣ حنوش

إذا عبرت من ثم وادي عميق بلغت بعد زمن قليل حنوش. وحنوش هذه هي اليوم عبارة عن دير صغير للرهبان الوارثة الباسيين يحدق به بضعة بيوت لسكنى الشركاء. ولكنها سابقاً كانت قرية ذات شأن (١) كما يؤخذ من الآثار العديدة التي تراها مبثوثة في السهل المجاور لها بينها معاصر وحجارة رجي ورووس اعمدة. وهناك رسم كنيسة قديمة من الطرز البزنطي تعرف اليوم بكنيسة القديس يوحنا طولها ٢٣ متراً و ٥٠ سنتيمتراً في عرض ١٥ متراً. والمرجح انها كانت مثلثة الاسواق وحواليها قطع اعمدة من الرخام مع صلبان منقوشة وبقايا كتابات يونانية ذهب اكثرها فضاعت معانيها بيد ان هذه البقايا تشير الى خطر ذاك المقام الديني وعظم قدره. وكذلك ترى من جهة الشرق مدافن تفرقت في الصخور قد اذلتها الالام

واغرب ما يوجد في حنوش من الآثار جرن متقن العمل قطره ١٦٠ سم وعمقه ١١٥٠ يبلغ وزنه ٢٣٠٠ كيلوغرام يستدير به نقش ثاني ذو كتابة يونانية مطبوسة يستدل من الفاظها الباقية ان فلاناً ابن فلان اصطنع هذا الجرن من ماله الخاص هبة للمشتري (τῷ ἀγῶ) وكلا العلمين الواردين في هذه الكتابة سامي الصورة والاصل يدعى احدهما انيلوس (Ἄννης) وهو اسم ارامي يحتمل والاخر فاراس (Νααφάς) يشبه الاسماء اليونانية المنقولة عن العربية مما ورد في كتابات حوران. وفي تعريف اصطلح هذه الاعلام فائدة كبرى للوقوف على سكان هذه الامكنة وغيرها ايضاً فانها تدل على ان الاهلين كانوا آراميين جنساً وان كانت اللغة اليونانية اضحت لغتهم الرسمية

(١) وقد وصفها حديثاً سادة الطيران بطرس شلي في المجلة الكتابية ١٩٥١ (B. Biblique).

(٥٨٣) واتخذ على ما كتبه رومان بهذا الصدد

فإن الاعلام اصدق اثر يبي باصل القوم وذكر اجدادهم . وامثال ذلك مديدة فتبائن  
القرنك مثلاً بعد استيلائها على بلاد غالية ابدت هجتها الجرمانية باللغة اللاتينية .  
لكن كثيراً من اعلامها بقيت على مسحتها الاصلية فكذلك بها دليلاً على تشعب القرنك  
من العصر الجرمانى

وقد وجد البعض آخرًا في جوار حنوش نقوداً كثيرة من الذهب عليها كلها  
صورة يوستينوس الملك . وفي هذا أيضاً دليل على ان هذا المكان في سالف الدهر  
كان احل بالسكان منه في ايامنا . ولكن ماذا يا ترى كان اسم المحل سابقاً ؟ نجيب  
ان في تعريف اسمه القديم لبحثاً مفيداً لجغرافية لبنان اعني تطبيق هذا المقام مع بلدة  
قديمة تدعى جيفرتا

## ٣٤ جيفرتا

إذا علمنا انظر في تاريخ القدماء . وجدنا في اسطرابون ( ك ١٦ ف ٢ ) ما لم يصر  
بالفرض المقصود فإن غاية ما يعلمنا به هذا الكتاب ان جيفرتا حصن حرير يحتل  
الايثيوبون موقعه عند البحر قريباً من البترون ورأس الشمة (Θεοσπολις) . على  
ان في هذا الوصف بعض الابهام اذ لم يفدنا عن جهة موقع جيفرتا اذ تكون شمالي البترون  
ام جنوبيها . وهذا الالتباس يُبطله التورخ بلينيوس ( ك ٥ ف ١٨ ) ومن قوله يتضح ان  
جيفرتا شمالي البترون وجنوبي ترابرس ( وهي افة كما سقى ١ ) . وكذلك قد ورد اسم  
جيفرتا في قائمة قديمة للمدن الاسقفية التي موقعها على الساحل الفينيقي في اثر البترون  
وتدعى هناك قرية ( Kōpax ) ( ١ ) وهذا مما يبين ان جيفرتا كانت خاملة الذكر على ايام  
ملوك القسطنطينية . ولا يبعد انها اخذت في الانحطاط منذ زمن يستيان الملك بسبب  
الزلازل الذي اخرج الطريق القديمة واضطرب عمل السابلة ان يمرّوا في مضيق  
المسيلة . وهذا ايضا يعلل سكوت المؤرخين العرب عن جيفرتا

ومما يطلعنا على خطر جيفرتا في ايام دولة الرومان كتابة لاتينية انتما ريدان في  
بعة فينيقية ( ص ١٤٨ ) يستدل بها على سعة حدود تلك البليدة . وقد وجدت هذه

( ١ ) راجع . Relandi Palaestina, 160 . وامل كنيسة سار يوحنا في حنوش هي  
الكنيسة الكاثدرائية التي اتخذها اساقفة جيفرتا



الكتابة في عبرين وقيل انها نُقِدت اليها من المسيحية او من الهري فوق شكاً وعلى كل حال انما ينبغي وجودها في احد هذين المكانين بان جيفرتا المذكورة لم تكن بعيدة من راس الشقعة وعن شمال البترون لان مثل هذه الحجارة لا تُنقل عادة الى مكان قاص.

وهذه الملاحظات اذا اعادها المتقنون بالآتحققوا ان جيفرتا ليست زُغرتا كما ظن بعض العلماء كفورر (Fürer) (١) وهو لم يسند رأيه الى برهان آخر غير التشابه اللفظي بين الاسمين مع ان موقع زُغرتا لا يوافق وصف الاقدمين لجيفرتا لبعدها زُغرتا عن البحر في شمالي افقة ووقوعها في وسط سهول خصبة لا تصلح للتحصين بخلاف ما جاء عن حصن جيفرتا المشرف على البحر. وعلاوةً عن ذلك لم نسمع ان احداً وجد في زُغرتا شيئاً من العاديات. على اننا لا نتكر كون زُغرتا من القرى القديمة التي استلقت انظار الامم الفائرة بحسن موقعها في بطائح مخصصة واودية غناء. يسقيها ماء نهر غير لكننا لا نرى فيها مناعة القلاع وليست هي جديرة بان يتحصن بها لصوص الايتوريين وقطاع الطريق كما جاء في وصف جيفرتا

وكذلك لا يصح تطبيق جيفرتا مع غرزوز لبعده غرزوز جنوباً عن البترون. ولا مع شكاً لوقوعها في السهل او في منعطف آكام قليلة الارتفاع. ولا مع الهري لخلوها من الآثار القديمة وان كان وصف الاقدمين يوافقها بعض المرافقة من حيث الموقع الا انه لا يجوز ان ينسب الى قرية اصل قديم قبل ان يكتشف فيها شيء يبي بدمها اما جنوش فتصدق فيها كل الارصاف التي وردت عن جيفرتا من حيث قدمها وكثرة آثارها واتصال السكة القديمة المنقورة في الصخر عند وادي عميق بمقامها فضلاً عن موقعها في لطف راس الشقعة قرب البحر بين افسة والبترون. وترى من خلفها صخوراً عالية مقطوعة قطعاً عمودياً تصلح قسمها لتكون معتلاً لقوم من الصعاليك وعشاً لاهل الغي والفتن يعيشون بها دون ان يهابوا مباغته العدو. وقد شهدنا بالعيان وعودة هذا المكان وصعوبة مسلكه اذ ادركنا الليل ونحن فوق هذه الصخور المرتفعة تحديق بنا من كل جهة الهاوي والوهاد العميقة فاثرتنا ان نقضي ليلنا في الغراء من ان نلني

بانفسنا في المخاطر بمواصلة السير بين تلك الجاهل. هذا ونظن ان اهل الفساد من الجيغوثيين بعد الفتح الروماني واستتباب السلام تولوا من مأويهم الحصينة فسكنوا في السهل المحتد بين البحر والصخور حيث توجد الاخرة القديمة

أما اسم جيغوثا ( باليونانية Γίγαστος و Γίγαστα و Γίγαστα فظنة سامي الأصل يوافق العبرانية גיגס والسريانية ܕܓܝܓܐ ومعنى كلاهما المضيض وشعب الجبل وهو ينطبق على موقع المكان ولغة ساكنيه القديمة اي الارامية وهي لغة الايتوريين الاصلية. وهذا المعنى على رايانا انسب للمقام من اشتقاق الاسم من اليونانية γίγαστος وهو ثقل العنب ( راجع بعثة فينيقية ص ١٥٠ )

## ٣٥ أنفة

أنفة مسا ورا. راس الشقعة في اخر السهل الذي بُنيت فيه شكاً. وهي مركز لدرس العاديات. والقرية الحالية موقعها بقرب راس مستطيل دقيق يشبه البرزخ. وقد أخذ هذا الراس في عرضه شبه خندقين نُقرا في الصخر قرأ صجياً مقسماً يبلغ سطح البحر. ومن اشهر هذين الخندقين اخذه الاندھاش من شدة عزيمه الاقدمين في مباشرة مثل هذه الاعمال الجبّارية كيف نحتوا الصخور الصماء كأن صلابتها تلين بين ايديهم او كانت لديهم ادوات قاطعة غير ادواتنا الشائعة اليوم. وبين هذين الخندقين والقرية ترى اعمالا اخرى غريبة في شكلها على جانبي الراس الموما اليه وكماها منقورة في الصخر ويلحق بهذين الاخدودين بقايا ابنية ضخمة متصلة بهما ذات حجارة كبيرة مستندة الى الصخر. وهي آثار جدران تشبه جوانب قلعة جبيل شهاً عظيماً في تنوع حجارتها والتعام هذه الحجارة بعضها ببعض بحيث لا يشك الناظر ان ثمت كان حصن مشيع ويؤيد ذلك التقليد اهل أنفة الذين يدعون هذا المكان بالقلعة

وبين الخندقين المذكورين والقرية ترى في الصخور من الآثار المنحوتة المعكممة العمل ما يندر مثله في لبنان والحمّامات والمدافن والاحواض وتكلمها اطناف وافاريز جميلة حسنة النحت. وهناك ايضاً رهي ومماصر عديدة مشوتة في الخضم. وللصخر طبقات منظمّة يُقزل منها الى البحر بعاير على جوانبها شبه الدوائر. وفي مداخلها ثقب لوزالج الابواب ودرّاتها. وفي جانبي الحائط أغوار عديدة منحوتة في الصخر عمودياً



ومنها ما هو متقن الهندام يصلح للسكنى. وكذلك المدافن فإن لها مساحة من القدم وهيئتها غريبة

أما بُناة القلعة فنرجح أنهم الصليبيون لا بين آثارها واثار جبيل من الشبه. وقد أثبتنا سابقاً أن قلعة جبيل من ابلية الفرنج (راجع الصفحة ٦١). وفي تاريخ بروكرد ما يشير الى هذه القلعة قائلاً وصف للفرنج في اقلية قلعة كان معظم جوانبها داخلًا في البحر ولها اثنا عشر برجاً وهي شديدة الحرارة »

تمكن الحنّاقين الفاضلين الراس عن الساحل على رأينا ليسا من اعمال الفرنج فانها اقدم عهداً يرتقيان الى عهد الرومان ان لم نقل الفينيقيين. والفينيقيون كما لا يخفى كانوا اتخذوا في ساحل بحر الشام كل الرؤوس البارزة ليجعلوها محاصراً يرقبون منها البحار ويدافعون بها عن سفنهم الراسية بقربها كما جرى لهم في عكا وصيداء وبيروت وجبيل فلا نظن انهم استقنوا من هذا الحكم راس اقلية فتكون هذه المناريس والحنّاق تماماً حصنوا به قلعتهم وقد رغبهم في حفر هذه الاخاديد انهم اتخذوا منها مواد بناءهم فكانت بمثابة مقالع لحجارة القلعة

ونرى كذلك ان بقية الآثار الموجودة في اقلية مثلاً نقر في الصخر اقدم عهداً من الصليبيين

وكان اسم اقلية قديماً تريارس (Tariars) ذكرها المؤرخون سكيلكس ديوليبيدوس واسطرابون وغيرهم من كتبة عهد الدولتين اليونانية والرومانية وقد ورد اسمها في لائحة الاسقفيات القديمة. أما اسمها تريارس فليل انّه مشتق من اليونانية ومعناه « الثلاثة الزوايا » لشكل راسها الشبيه بالمثلث المستطيل (١). وكذلك معنى اقلية بالعربية يراد بها الراس. والشريف الادريسي يدعوها « انف الحاجر » ولعلّه التبس عليه

(١) هكذا زعم البعض لكننا لم نجد في قولهم حجة قاطعة. وعلى كل حال اننا نرى ان هذه الاسماء اليونانية التي اتخذها اليونان أيام دولتهم للدلالة على بعض مدن ساحل فينيقية وقرى لبنان كبطولاميس (عكا) وبيلوس (جبيل) وشاوروسيون (راس الشقعة) وغير ذلك لم تكتب زمنًا طويلاً وانما كانت اسماء رسمية استعملها عمال الدولة فلما سقطت عادت الاسماء الدامية الشائعة على لسان الشعب الذي لم تؤثر فيه لغة الدولة واصطلاحاتها الرسمية. وهذه الملاحظة العسوية تصدق في تريارس التي اعمل اسمها اليوناني وعاد اليها اسم اقلية السامي



اسمها واسم قرية وجه الحجر في رأس الشقعة

وليس من غرضنا ان نلتخص في هذه المقالة تاريخ أنفة في القرون المتوسطة وما قال عنها كتبة الفرنج وجغرافيو العرب لكننا نكتفي بإثبات ما جاء عنها في معجم البلدان قال ياقوت (١: ٣٩٠) « أنفة بلدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ » وفي قوله غلط ظاهر يريد غربي جبل صهيون أو بالحري جنوبي غربي صهيون. وقد جاء في مراصد الاطلاع بذلك من « شرقي جبل صهيون » شرقي جبل وهو اصح. وقد افادنا شمس الدين الدهشقي في كتاب عجائب البر والبحر (ص ٢٠٧ و ٢٠٨ مع الحاشيتين a b) ان « للنصارى في أنفة كنيسة عظيمة البناء. وبها بيت يزعمون انه اول بيت وضع باسم مريم في الشام وان البيت الثاني المشيد بعده لذكرها كان في انطوطوس ». وهذه افادة جلية لتاريخ النصارى في سورية. وكانت أنفة على عهد الصليبيين من الاملاك اللاحقة بكنيسة طرابلس وكان الفرنج افسدوا اسمها باللفظ فدعوها نفين (Nepin). أما قلعتها فقد أمر السلطان قلاوون بهدمها

### ٣٦ قلمون

اذا سرت من أنفة متوجهاً الى طرابلس بلغ بك السير الى قرية بهجة المنظر تدعى قلمون موقها في وسط حديقة كثيرة الزرع غزيرة المياه. واسم قلمون يطلق في الشام على عدة امكنة منها جبل قلمون المشرف على دمشق ومنها قرية قلمون (Calamon) بجوار الكرميل وحيفا (١) وجبل قلمون في شبه جزيرة سينا. وقد ذكر الادريسي قلعة تدعى قلمون بين صيدا ونهر الدامور

وقلمون هذه قد دعاها القدماء قلموس (Calamos) وممن ذكرها المؤرخان بوليبيوس ويليبيوس وغيرهما وربما جعلوا اسمها مع اسم جارتها ترابرس وان لم يكن لها من الشأن ما كان لآفة. وكانت قلمون في القرون الوسطى قلعة ورد ذكرها في الادريسي وفي رحلة الكاتب الفارسي نصري خسرو الخ

(١) راجع كتاب فلسطين لريلاند (Reland Palaestina, 230, 678) وكذلك راجع اسطرابون (Strabon, notes 916)

وفي قلمون وضواحيها عدة آثار قديمة كمقالع ومعاصر ورحي وبقايا اعمدة وغير ذلك مما يدل على قدمها. بيد اننا لم نجد في هذه الآثار ما يجدينا علماً عن احوالها ومن ثم لا زى داعياً لطالة الكلام فيها

### ٣٧ دير البلند

في الجبل المشرف على البحر بين انفة وقلمون على يمين السائر الى طرابلس دير شهير لا يمكن ضرب الصفح عنه. يزيد به دير البلند للروم الارثوذكس حيث كان يدرس المترشعون للكهنوت من البطريركية الانطاكية. قال المنار ( في عدده الصادر في ٢٩ ١٤ سنة ١٩٠١ ) : « البلند من اعظم اديرة الشرق فخراً واضخمها بناءً واظرفها موقعاً وابعدها شهرة وضمن بناءه مجهول وقد ثابه ما ناب أكثر الاديرة الارثوذكسية في سوريا وفلسطين في غزوة الصليبيين »

قد صدق كاتب هذه الاسطر بقوله انه مجهول زمن بناء دير البلند لكنه ساء ظناً بترقيته هذا البناء الى زمن سبق عهد الصليبيين ونسبته اليهم ما هم براء منه وكان الاولى ان يشكرهم على تشييد هذا الدير اذ لولاهم لما رأى عالم الوجود ومصادقاً لقولنا نورد هنا مختصر تاريخ دير البلند ليقف عليه كتبة الروم

كان انشاء دير البلند في ٣٠ ايار من سنة ١١٥٧. وقد تولى بناءه رهبان القديس برزديس المعروفون بالسترسيين (١) وجعلوه تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بلمنت (Abbatia Belimontis). وبلمنت لفظة لاتينية منحوتة من كلمتين معناهما الجبل الجميل. وربما ورد اسمه في كتبة الصليبيين على صورة الفرنسية القديمة «Beuleu» وهي بمعنى «Beaulieu» اي المقام الجميل وهو اسم يطابق المسمى ولذلك قد اتخذ اهل طرابلس الى يومنا كمصيف يقضون فيه فصل القيظ. ثم افسد القوم بلمنت فجعلوها «بلند». ومما يدل على اصل اشتقاقها انها وردت في كتاب مختصر تاريخ

(١) لنا على ذلك شواهد عديدة منها منشور الاحبار الرومانيين ذكرها روبريخت (Roehricht dans ZDPV, X, 35). انما ما كتبه الاديب جرجي اندي يني في تاريخ سوريا (ص ٢٩١) عن مائدة هيكل كنيسة البلند ان جدها يرتقي الى سنة ١١١٣ م فلم تتحققه بنفسنا وكثراً وددنا لو اثبت جنابة هذه الكتابة بنفسها. ولعل هذه المائدة نُقلت الى البلند من مكان قريب

لبشان ( من مخطوطات كليتنا ) على صورة بلوند . وعليه فلا صَحَّة لما قاله البعض (١) ان بلمند مشتقة من اسم الفرنس بويند صاحب طرابلس شَيدَها على زعمهم كمنزلة له في سنة ١٢٨٧ . ثم ان تاريخ بويند السابع (١٢٧٤ - ١٢٨٧) لا ينطبق على هذه الرواية لان بويند قضى السنين الاخيرة من حياته في عاصمت لم يمكنه الخروج منها وكان السلطان قلاوون يضايقه فيها الى ان توفي في ١٩ تشرين الاول سنة ١٢٨٧ فما كان له اذ ذاك ندحة في تشييد القصور والمنقحات . هذا فضلاً عن انه لدينا نصوص ورد فيها اسم بلمند قبل هذا التاريخ كما سيأتي



مسكوكات بويند السابع صاحب طرابلس

وبراءات الاحبار الرومانيين في دير البلمند كثيرة (٢) نخص منها بالذكر براءة غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٨ واينوكنت الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس الرابع سنة ١٢٦٢ . ويظهر من هذه المناشير ان دير البلمند كان اكبر اديرة الفرنج في كُثنية طرابلس . ولما خرج الصليبيون من الشام صار هذا الدير الى يد البعاقبة وكان عددهم كبيراً في طرابلس لهم فيها اسقف يرعاهم

وفي تواريخ الفرنج اسما . بعض رؤساء هذا الدير ورهبانه . فمنهم الرئيس بطرس الالمانى ( Pierre l'Aleman ) ورفيقه « سمعان الطرابلسي » . وممن ترأس على دير البلمند احد اساقفة بيروت اللاتينيين لعله استقل من كرسيه فاعتزل في هذا الدير وصار رئيساً عليه . وهذا مما يطلعنا على عظم شأن المكان

ولا نعلم من امر الدير شيئاً بعد تلك البعاقبة عليه . ولما روى مكاتب النار انه بعد الصليبيين « تشئت شمل رهبانه » . وخرب « بقي خراباً الى سنة ١٦٠٣ وفيها

(١) راجع الدوبي في تاريخ سنة ١٢٨٧ ومئة فينيقية لريتان ( ص ١٢٨ )

(٢) راجع مجلة الجمعية الفلسطينية ( ZDPV, X, 35 )



جدده السيد يواكيم ابن الحوزي جرجس مطران طرابلس. ولابلسند بعد هذا العهد اخبار طويلة لا حاجة الى استقصائها

واليوم لم يبق من هذا الدير العظيم سوى الآثار لا تذكر واذا اعتبرت ابنته الحديثة لا ترى شيئاً من تلك المباني الضخمة التي كانت تزين هذا المجل وتنتطق بفضل بنائه الذين عارضوا الرومان والفيلبيين بما أثرهم حتى ان كثيراً مما كان ينسب العلماء سابقاً لتلك الامم ثبت اليوم انه من عمل الصليبيين

وقد بقي في البلسند من ابنته القديمة قسم من طينته السفلى منها ردهة جميلة متباعدة خمسة الاثلاث طولها اربعون متراً وهي اليوم مطبوعة في الارض لارتفاع الحضيض بنا هبط فوقه من ردم الدير القديم. اما الغاية من ابقاء هذه الحجرة فليست بظاهرة. وفي بقية النحاء الدير الحالي قناطر ونقوش من طرز القرون المتوسطة وهذه الآثار مع قلتها تدل على اصل الدير قديماً جداً ان الصليبيين هم الذين شيّدوه ويتأيد بذلك ما نقلناه في صدره من شواهد التاريخ مع بيان اشتقاق اسمه الاعجمي من اللاتينية فتاهيك بهذه الادلة عن تعريف اصل هذا الدير واصحابه الاولين

وفي الختام يسرنا ان نبدي لجناب الناضل غطاس افندي قد بلغت مدير المدرسة عند مرورنا مواطن الشكر لا اظهره من الانس لا استقبلنا في هذا الدير. وقد اطلعنا على خزنة كتبه التي تحتوي اليوم على مطبوعات حديثة العهد وبعض المخطوطات التي ليس تحتها كبير امر قد جمعها حضرة المدير ونظمها لتلا تأخذها يد الضياع. وكانت هذه المكتبة قديماً حافلة بالمخطوطات ولا نشك ان في عدادها كانت تآليف عديدة سريانية كما ترى في غيره من اديرة الروم كمكتبة دير جبل سينا ودير مار سابا حيث وجد زوار الفرنج مصنفات سريانية قديمة غالية الثمن. وكذلك كان دير صيدا غنياً ب ذخائر الاداب السريانية قبل ان يحرقها وكلاهما كما ذكر ذلك الشاب الاديب حبيب افندي زيات في خبر رحلته الى هذا الدير (راجع المشرق ٥٨٦: ٢). الا ان اليونان الذين قتلوا زمناً طويلاً دير البلسند التفتوا. وجدوه من هذه الكنوز النفيسة واورثوا قلوبها الاسف على فقدتها

# فهرس

## تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

الصفحة	تمهيد
٣	الفصل الأول قسم لبنان الواقع شمالي بيروت
٤	رسم مدخل مغارة انطلياس
٤	رسم جوار انطلياس: ١ المغارة ٢ النبع
٥	٢ صربا وجونية
٨	٣ نهر الكلب
٩	رسم مدخل مغارة نهر الكلب
١١	رسم داخل مغارة نهر الكلب
١٣	٤ دير القلعة
١٧	رسم ميكن البعل في دير القلعة
١٧	رسم بقايا اعمدة دير القلعة واشكالها المختلفة
١٧	صور المخروطات رمز عشائرواوت
٢١	٥ آثار الرومانيين في لبنان
٢٥	قناة نهر بيروت (قناطر زبيدة)
٢٧	جسر العاطلين الروماني
٣٤	٦ صنين
٣٦	٧ ساحل عليا
٣٧	٨ معراب
٣٧	آثار قلعة معراب

2 vols.

A/B-

note 4/1/1915

100-100-100

100-100-100



تسريح الابصار  
في  
ما يحتوي لبننا من الآثار

للاب هنري لامس اليسوعي

الجزء الثاني

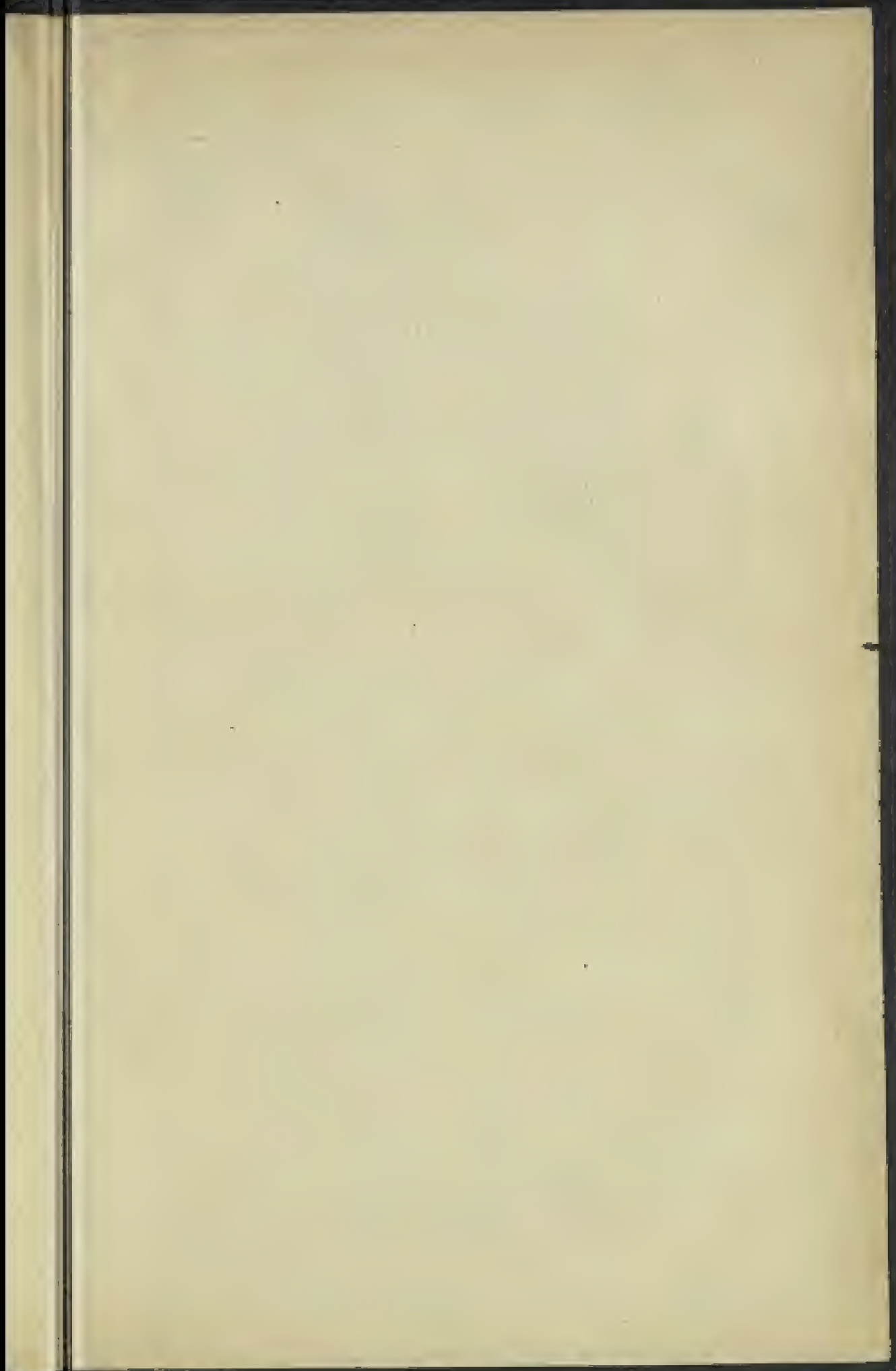
نقلا عن مجلة الشرق

طبعة ثانية

طبع في بيروت

بالطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين

سنة ١٩١٤



## تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

### القسم الثاني

جغرافية لبنان وتعريف الأمم التي سكنته



١ اسم لبنان وسمة تطلقه في التاريخ

قد بلغ بنا تقصينا لآثار لبنان الى تحومها الشمالية فرأينا ان نخط برهة عصا التسيار  
لنبحث في قسم ثانٍ عن بعض احوال هذا الجبل الشهير مما يشمل تاريخه اجمالاً وريعم  
شؤونه من حيث تقاسيمه الجغرافية مع تعريف الأمم التي سكنته في سائر الاعصار.  
وهو امرٌ يفيدنا لادراك ما بقي علينا من وصف آثاره في جهاته الأخرى  
لا جرم ان القارئ اللبيب قد لحظ في خلال فصولنا السابقة ان اسم لبنان لم  
يُطلق في كل اطوار التاريخ على تعود معروفة وربما اتسع او انحصر معناه على  
اختلاف الظروف ونوعات الكتاب. فلنحصر لئام الشبهات وازالة كل المضلات رأينا  
ان نبين حدود لبنان في الازمنة الفائرة بما امكن من التدقيق  
ليس من احد مجهل اليوم موقع لبنان ونواحيه الاربع وكلٌ يعرف ان المراد به



تلك السلسلة الجبلية الممتدة بين البحر المتوسط او بحر الشام والنهرين الشهيدين النهر الكبير والليطاني

يبد أن معنى لبنان لدى القدماء لا ينطبق على مفهومنا به في عهدنا . وأول ما ينبغي استنتاجه من كتب التاريخ الاسفار المقدسة فإن هذا الاسم ورد فيها على صورة لبْنُون ( ١٧٥٥ ) وهكذا عرّفه أيضاً القبطيون - أما الاشوريون فيدعونه لبْشَانو - وما يستفاد من الكتاب الكريم أن لبنان جبل شاهق فخم في شمالي نهر الليطاني يحد أرض الميعاد من تلك الجهة

وقد تكرر ذكر لبنان في صُحف العهد القديم وإن كان هذا الجبل خارجاً عن ملك بني اسرائيل . وأكثر ما ورد اسمه في اوصاف الكتاب الشعرية كما اثبتنا ذلك في مقالتنا عن ارض لبنان ( المشرق ١٩ : ٩٣٠ - ٩٣٨ ) . وذكروا بين خواصه الثلوج الغراء التي تكمل هامتة ( راجع سفر ارميا ١٨ : ١٤ ) فينبوا بهذه الاوصاف انهم ارادوا لبناثنا دون سواه

وما جاء ذكره ايضاً في الكتاب الكريم وادي البقاع المخصب الذي يفصل لبنان عن جبل الشيخ وهو يدعى هناك « مدخل حماة » او « الطريق الى حماة » ( ١ ) وهو اسم يطابق المسعى لأن سهل البقاع اشبه بمذريق لاحبة تنفذ بين جبلي عالين . وفي هذا الاسم ما يُشعر بخاطر مدينة حماة وعظم شأنها وهي اول مدينة كبرى كان بنو اسرائيل يقفونها عند خروجهم من تخومهم الشمالية الشرقية . اما اليونان ( ٢ ) فيدعون البقاع باسم ماسياس ( Massyas ) او مرسياس ( Marsyas ) وربما دعوها ايضاً بسورية المجوفة ( Célésyrie ) لانعطافها بين الجبلين على شبه الجوف ( ٣ )

ويؤخذ من سفر الملوك الثاني ( ٨ : ٨ ) ان لبنان كان غنياً بمعادن النحاس . والمرجع

( ١ ) راجع سفر العدد ١٣ : ٢٢ و ٣٤ : ٨ وبوشع ١٣ : ٥ : ١٥ وحزقيال ٤٧ : ٢٠ : ٢١ : ١٤ : ١٥ : ١٦

( ٢ ) راجع تاريخ بوليب ك . ف ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ : ٦١ وجغرافية اسطرابون ك ١٦ ف ٢ و ١٠ : ١١

( ٣ ) راجع معجم الكتاب المقدس لليكودرو في المائدة جغرافية فلسطين القديمة لبول ( Buhl ) ص ٨٢

ان موقعها كان على العطف الشرقي من لبنان الحالي بازاء سهل البقاع على ان اصحاب الصلح الكريئة لا يفرقون بين لبنان الغربي والشرقي فاطلقوا على كليهما اسم لبنان . وهو امر سهل ادراكه لان الجبلين متشابهان تشابهاً قاماً سيران على خطين متوازيين الى وجهة واحدة وطولهما واحد على التقريب وهما يتركبان من صخور كلسية متجانسة . ولا غرو انهما كانا في القرون الحالية جبلاً واحداً ففصل بينهما طاري جبرولوجي غير هينتهما فانغسفت بينهما الارض وليس وادي البقاع الا نتيجة هذه التارعة . ومن ثم لا حرج على كتبة الاسفار المقدسة اذا اعتبروا هذين الجبلين كطول واحد وان كانوا لم يدققوا في تعريفهما كما يفصل اليوم الجغرافيون . وليس الامر كذلك في تعريف اسطرابون لوقعهما فانه قد وهم وهماً جسيماً في بيان وجهتهما كما سترى

وأول من احكم الفصل بين الجبلين السابق ذكرها كتبة اليونان فانهم قد افروا بينهما وخصوا امدهما باسم لبنان ودعوا الآخر انتيلييانوس ( Antiliban, ) *Antiliban* رمناء الجبل القائم بازاء لبنان وكلا الاسمين شائع حتى ايامنا بين الكتبة . ومما يدل على قدم اسم انتيلييانوس ان اصحاب الترجمة السبعينية في القرن الثالث قبل المسيح نقلوا اسم لبنان العبراني الى اليونانية باسم انتيلييانوس لما رأوا ان مدلوله الجبل الشرقي لا لبنان الحالي . وذلك في خمسة اماكن من الاسفار الالهية (١) . وكذلك ورد في النص اليوناني من سفر يهوديت (٧:١١)

وقد تصفحنا تأليف يوسيفوس اليهودي فوجدناه متردداً في تعريف لبنان كأنه لم يطلع على اصطلاح اليونان وهو يكتب في لغتهم فساده اذا ذكر جبل حرمون والجبال المجاورة لدمشق دعاها كلها باسم لبنان

وما لا ريب فيه ان كتبة العهد القديم اذا ما ذكروا لبنان وارادوا به الجبل الموزي لما مرادهم فقط القسم الجنوبي من هذا الجبل المعروف اليوم باسم جبل الشيخ وذكره كثير في التوراة . وقد دوننا في بعض مقالاتنا السابقة (٢) اسماء جبل حرمون عند

(١) نشية الاشعراع ١: ٧ و ٣: ٢٥ و ١١: ٢٤ و ١٤: ١ و ١٥: ١

(٢) راجع الجزء الاول . ص ٢٤

قبائل سورية وفلسطين فلا حاجة الى التكرار والى بيان صحة هذه الاسماء لنأخذ نخرج  
عن الموضوع

أما اتساع لبنان وحدوده فان الكتاب المقدس لا يذكر غير حدود الجنوبي اعني  
شمال نهر الليطاني . ومن ثم لا بد من نقل نصوص قدماء اليونان لتعريف بقيّة  
الحدود

\*

لعل المؤرخ يوليوس ١١ أول من سبق فحين ضبط وتدقيق تقوم لبنان . وهو  
يفصله عن الجبل الشرقي فصلاً صريحاً ويذكر بين السلسلتين سهل البقاع ويجعل في  
هذا السهل مخرج نهر العاصي . ومن ايجادوا في تعريف اتساع لبنان ديودور  
السيقي (٢) في القرن الاول قبل الميلاد حيث قال ان لبنان يمتد من صيدا الى جبيل  
وطرابلس وان غابات الارز تظل قسماً (٣)

أما معاصره اسطرابون فان في كلامه لبساً وإبهاماً وهناك تعريب ما كتب قال :  
« ان سورية المجوفة واقعة بين جبالين تفصلهما على التعريب مسافة واحدة في طولهما .  
وكلاهما يمتد قريبا من البحر أما لبنان فان أوله عند طرابلس وجبل ثيوريوس  
( رأس الشقعة . راجع تسميح الابصار ١ ص ١٤٠ ) . وأما جبل انطيليانوس فيدوه  
بقرب صيدا ( كذا ) وهما ينتهيان عند الجبال العربية التي تُشرف على اقليم دمشق » .  
وفي الفصل ذاته قد اثبت اسطرابون ان منتهى لبنان عند رأس الشقعة وهو يروي  
ان اعالي لبنان كصنّان ووروما يأوي اليها قوم من النصوص وقطاع الطرق . وكذلك  
يزعم ان هؤلاء الاوباش يملكون على البقرون وجيفرتا ويسكنون الكهوف المشرفة  
على البحر وحصن الشقعة (٤)

فترى مما تقدم ان اسطرابون يفرق بين لبنان والجبل الشرقي ويجعل بينهما سهل  
البقاع وكذلك لم يشذ عن الصواب اذا دل على حدود لبنان الشمالية وهو يجعلها قريبا

(١) في كتابه الخامس ( ف ٦٥ ، ٥٩ ، ٦٩ ) ( ٢ ) ١٩ ف ٥٨

(٣) راجع الجزء الاول ص ١٣٧

(٤) الجزء الاول ص ١٤٦



عند طرابلس لأن جبل عكاو يمتد أيضاً من لبنان فيصل به ويمتد بعض اميال الى النهر الكبير الذي يحجز لبنان عن جبال النصيرية . غير ان اسطرابون وهم وهاً جسيماً بزعمه ان كلا الجبلين يبدأ بقرب البحر عند صيدا . وهو خطأ لا صحة له في انقيليانوس . وكذلك قد اخطأ بقوله ان الجبلين ينتهيان عند دمشق وهذا لا يصدق عن لبنان وقد ساء ظنُّه في الجبلين اذ وصف سيرهما من الغرب الى الشرق اي من البحر الى داخل بلاد الشام وهما في الحقيقة يسيران من الشمال الى الجنوب فيجاريان بسيف البحر

أما التفاصيل التي ذكرها اسطرابون عن لبنان ولصومه فقد مر ذكرها في محلهما مع بيان ما صدق منها

وفي وصف بلينيوس (١) للبنان ما هو اقرب الى الحقيقة من سواه . وهو يجعل أول لبنان عند صيدا . ثم يذكر امتداده شمالاً الى مدينة سيرة القديمة اعني ورا . مصب النهر الكبير قليل حيث يبتدى جبل برجياوس وهو جبل النصيرية . وناهيك بهذه الافادة تدقيقاً وضبطاً . وكذلك لم يند في وصفه لبنان وتعيينه له عن الجبل الشرقي وذكر البقاع وذكر العيون التي يتكون منها العاصي

ومن ذكروا لبنان من قدماء النصارى اوسابيوس القيسري في كتاب الأعلام ( Onomasticon ) . وتبعه القديس هيرونيوس وكلاهما يقول ان لبنان سلسلة الجبال الغربية المعاذية لبحر فينيقية اما السلسلة الشرقية من جهة دمشق فجبل انقيليانوس اي الجبل الشرقي

فترى من ثم ان القدماء في حدود القرن الرابع كانوا وقفوا على حقيقة موقع لبنان وافرزوه عن الجبل الذي هو قائم في وجهه ويثوار جهة امتدادها . غير ان كتبة القرون التالية عادوا فخلطوا بين الجبلين . وبما حدا بهم الى هذا اللبس التقاسيم السياسية التي ادخلها ملوك الروم في ذلك العهد فاختلفت الاسماء وصارت الاعلام تدل على غير ما وضعت له سابقاً

فن ذلك سوربة المجوفة التي كانت تدل في اول الامر على سهل البقاع ليس

الآن أصبحت اقليماً واسعاً يمتدّ شمالاً الى ما وراء انطاكية بحيث اصبحت هذه المدينة  
قصةً له . وكذلك لم يعد اسم فينيقية يُطلق على الساحل المنحصر بين لبنان والبحر  
بل صار يعني بلاداً مقسمة تبلغ حدودها الى دمشق وحمص وتدمر  
وعلى هذا النوال تغلب اسم لبنان الشهير على جبل النصيرية المجاور اذ لا يفصل  
بينهما الا وادي النهر الكبير . فأبطل اسم برجياوس الذي خصّه به بلينيوس الكتاب  
واعتبر كلمة لاحقاً بلبنان

ومن غريب ما جرى وقتئذٍ من التغيرات في تقسيم الايلات ان الاقليم المعروف  
بفينيقية اللبنانية لم يضم في دائرته لبنان الغربي وأدخات فيه تدمر مع بعدها عن  
لبنان . وكفى بذلك دليلاً على ان اسم لبنان لم يؤخذ بعناهُ الاصل او انه كان ادلّ على  
جبل القديس يانوس منه على لبنان لاسيما بعد ان جعلت مدينة دمشق كعاصمة فينيقية  
اللبانية . ولذلك ترى في اعمال القديس صوفرونيوس الدمشقي انه دعا وطنه \* المتوج  
بلبنان \* (διδυμοστέφανος) ولعل هذا اللقب حمل البعض على الظن بانه لبثاني الاصل  
وقدّمت حمص قبل دمشق مدّة كقضية ولاية فينيقية اللبنانية فصار الاهلون يدعون  
الجبال الواقعة بازائها وفي شمالها باسم لبنان وهكذا شمل هذا الاسم جبال النصيرية .  
وفي تاريخ سوزومين (ك ٣ ف ١٥) ترى اسم لبنان مختصاً بالجبال المعاصرة لمدينة قديمة  
واغرب من ذلك ان ثاوفانوس المؤرخ في اثناء كلامه عن المردة اطلق اسم لبنان على  
كل جبال الشام الواقعة بين مصب نهر العاصي وبلاد فلسطين (١) . وقد جرى بقرّة  
المؤرخين البرزنطيين على هذا الاصطلاح شخص منهم بالذكر المؤرخ قدرينوس

\*

ولما ظهرت دولة العرب حفظ ملوكهم التقسيم الجغرافية الحارثية قبيل عهدهم  
ولذلك ترى الكتابة السريانية كلين العبري (٢) وجغرافيتي العرب يثأرون لعقاب الروم في  
وصفهم جبل لبنان فربما اصابوا او اخطأوا كسلافهم . فالقديس مثلاً يقول في كتاب  
معرفة الاقاليم (ص ٦٠) ان لبنان جبل ساحلي مشرف على صيدا وطرابلس . اما ابن

(١) راجع تاريخنا في اعمال الاله اليونان لمن (ج ١٠٨ ص ٧٢١)

(٢) راجع تاريخنا المدني بالسريانية ١ ص ٢٨٢

التقيي الهذاني (ص ١١٢) فإنه يزعم « أن لبنان بدمشق وأنه متصل ببلاد الروم » يريد قبطية . ويصفه هذا اطلق اسم لبنان على جبل الشيخ وعلى كل الجبال الواقعة شمالي سورية حتى الكّام وقسم من جبل طودوس وهو تعريف واسع لم يخطر على بال كتبة الروم

وقال ابن جبير في رحلته (ص ٢٥٠) : « وراء العرة جبل لبنان وهو سامي الارتفاع تمتد الطول يتصل من البحر الى البحر وفي صفحته حصون الاملاحة الاسمايلية وجبل لبنان حد بين المسلمين والافرنج لأن وراءه الخطاكية واللاذقية وسواهما من بلادهم » فترى من قوله هذا انه ادخل في لبنان بلاد الاسمايلية الواقعة في جبل النصيرية بين اللاذقية وحماة وهناك كانت حصونهم كمصياد والرصافة وخوالي وكهف والمليقة

ورافقت في تعريف انسان أقوال غريبة قال (٢ : ١١٠ و ١ : ٣١٧) : « لبنان جبل مطّاع على محض يجي من العرج الذين بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام . . . ويتد إلى ملطية وسيط وقايقالا الى بحر الخزر » فيجعل كل هذه الجبال جبلاً واحداً تختلف اسماءه باختلاف الامكنة واختصاصه باسم لبنان يبتدىء في حلب وينتهي في حماة ومحض

وقد ذكر شمس الدين الدمشقي في كتابه عجائب البر والبحر غير مرة اسم لبنان وكلامه في الغالب مصيب الا انه يجعل حدوده الشمالية الى اللاذقية ويعتبر لبنان صكّهم من سلسلة عظمى اولها في جنوبي بلاد العرب

اما ابن بطوطة (١٨٥ : ١) فيلوح من ظاهر كلامه انه يطابق اسم لبنان على الجبل الممتد بين اللاذقية وطرابلس حيث وجد النصيرية فوصفهم . وكان النصيرية وقتئذ يسكنون ليس فقط الجبل المعروف باسمهم وجبل عكاك بل ايضاً البسلاد المجاورة لطرابلس والبقرون حتى نواحي المساقورة وكسروان وذلك الى القرن الرابع عشر للمسيح كما سلفين الامر في مقالة آتية . ولهذا السبب قد امكن ابن بطوطة ان يدعو باسم لبنان كل بلادهم (١)



وأضبط العرب وصفاً للبنان الكاتب الشهير أبو الفداء صاحب حماة ولا غرو إذا كانت سكناه في بلاد تجاور لبنان فيز في تقويم البلدان (ص ٦٨ و ٢٢٩) لبنان عن جبل دمشق وقد دعا طرف هذا الجبل الجنوبي باسم جبل الثلج ويدعو باسم سنيد طرفة الشمالي وهو أنطليبانوس . وسنيد احد الاسامي الواردة في التوراة يواد به حمون وأطلق حسب رأينا على كل التسم الشمالي من هذا الجبل . وذلك امر يستتج من كنية العرب وهم شهود صدق على التأييد القديم

وقد جعل أبو الفداء لبنان بازاء جبل الثلج يمتد الى شرقي طرابلس فإذا تجاوزها عرف بجبل عكار . وهو قول صواب جرى عليه أيضاً القلقشندي من بعده . اما الجبل الواقع في شمال جبل عكار فان ابا الفداء يدعوه جبل الكمام (ص ٦٨) وهكذا ايضاً قد جعل الاصطخري وابن حوقل حدود لبنان الشمالية باقرب من مدينة حماة هذه بعض نصوص نقلناها عن جغرافيتي العرب تبين ان هؤلاء الكتبة اصابوا في كثير من اقوالهم عن لبنان وان هموا في بعض الامور اخذوها عن كتبة الروم دون ان يتحققوها بانفسهم لاسيما في ما يختص بتعريف حدود لبنان الشمالية . فسبحان من تراءى عن كل خطأ وعيب

## ٢

ما استفيد سوربة من لبنان

بعد تعريفنا للبنان وتطبيق اسم مع اقوال المؤرخين لا زى بدءاً من استلفات النظر الى فوائد هذا الجبل من حيث طوره الطبيعي على اننا قد اشرنا الى هذا الامر في مقالاتنا السابقة (راجع الجزء الاول ص ٥١) واثبتنا ان لبنان بالنسبة الى سورية كالتيسل بذبيته الى مصر اذ انه كبحوض عظيم تتفجر منه المياه التي تسقي التواحي المجاورة اماً على هيئة الامطار واما بطريقة المجاري المائية او بتكاثف الانجرة وسقوطها على صورة الندى . ولولا هذا الجبل لاضحت سورية شبه بادية جرداء او دمة صلاء تابعة لمقارن جزيرة العرب التي هي متصلة بها من جهتها الجنوبية الشرقية

ومما سبق لنا ايضاً في وصف لبنان اننا قابلنا بين هذا الجبل النيف وجبل الالپ (المشرق ١ : ٧٢١) فيينا ما خص به الله الطود السوري من المناظر الجمية والمرافق

العديدة فتدري فيه الرأى المكمل بالغايات والنياض الزاهية بضروب الاشجار والنبات والادوية العالية النسيم ذات الظل الظليل مع جداول متفرقة وسيول جاحفة وشلالات مزبدة ومجيرات كالرايا الصقيلة الى غير ذلك من المحاسن الطبيعية التي زين بها الخالق تلك المشارف الزهية التي اطرب الانبياء في اوصافها وعددوا في الاسفار الكريمة معانيها والطاقها

على ان لبنان يورث سورية غير هذه النافع مما يستلقت نظر ذوي العبرة ولو تحرينا تعدادها لكتبنا فصلاً رانقاً جديراً بان ينظم في سلك فلسفة الجغرافية من شأنه ان يوسع نطاق اهل الرؤية ويبين لهم عجائب الكون وهذه الفوائد الجمة التي تستفيدها سورية من لبنان على اربعة اصناف منها هيدروغرافية وجيولوجية ومنها نباتية ومنها جوية ومنها ما يرجع الى الامزجة والاجسام

\*

١ لا حاجة الى ان نستعمل في الكلام عما يجدي لبنان القطر السوري من النافع الهيدروغرافية اذا كنا وصفنا سابقاً ما يختص بمجاري المياه في لبنان (راجع الجزء الاول ص ٥١) وغاية ما نقوله هنا اننا لم نعال في وصفنا المذكور وكفاً لتأييد مقالنا ان اكبر انهار سورية وهو العاصي ينبس من لبنان فيجري الى شالي سورية ويخصب نواحيه . وذلك ما حل القدماء على انشاء مدن عظيمة في تلك الجهات كخص رحاة وانطاكية ولولا هذا النهر لاصبح وادي العاصي قفراً مقراً لا يؤولي اليه سوى قوم من عرب البادية . وهو به جنة غناء يتقلب فيها الوف وروبات من البشر في خصب دائم وعيش دفيه

وما قلناه عن وادي العاصي يصح ايضاً في سهل البقاع وفي ساحل البحر من طرابلس الى صور فان هذه البطائح معروفة اليوم بوفرة خيراتها وريعي مايتها ونضارة حدائقها وإن ذلك الا من فضل لبنان الذي يفيض عايتها مياه ينابيع النيرة مع دسم تربته التي تنحد من السيول وترسب في قاع الارض فتخصبها وتسمها

وتزيد على ذلك ان التربة التي جرفتها المياه من مشارف لبنان هي التي صادت اليوم بطحاء فسحة الارعاء زاهية الزروع تمتد من طرابلس الى مصب النهر الكبير ولولا ان مجاري المياه تسحو هذا الطين اللزج من معاطف الجبل لكان هذا السهل



جواناً تغمره مياه البحر كما ترى في جهات أخرى . لأنه من النواميس الثابتة قام  
الموازاة والمقابلة بين الساحة اللبنانية والشواطئ البحرية أي أن لبنان كلها امتد نحو  
البحر أصبح رأساً داخلاً في المياه وإذا اندحر استبطنت المياه فصارت في بطنه خليجاً .  
أما هذه نواحي طرابلس فإن أنهار لبنان وجبل عكار كالتي علي والنهر البارد ونهر  
عكار وعلى الاخص النهر الكبير انحدرت اليها وملأت بالتربة التي سقطتها الجبلون  
الذي كان هناك وهو يعرف حتى اليوم بجون عكار دلالة على أصله لكثرة في اوقت  
الحاضر حيث منفسح ذو نومق ونصب

\*

٢ وليس لبنان أقل فائدة من حيث الملك النباتي . فان ابواب الطبيعة يقضون  
العجب من سودية لما فيها من اصناف النبات وضروب الاشجار . فأنها تجمع بين  
نبات الاصقاع الشمالية ونبات الاقاليم المفرطة الحرارة في اواسط افريقية . والنباتي  
إذا تفرع لبنان وجد في اعاليه اعشاب الصرود التي لا ترى الا في شمالي اوربنة وقم  
الالب . اما حشائش البلاد الحارة فهي تامة في سفح لبنان عند وطا بحيرة الحولة  
وهناك من نبات البردي الذي لا يرى اليوم الا في اواسط افريقية عند البلاد المجاورة  
لبنابيع النيل . والى لبنان يعود الفضل من هذا القليل لما يوجد من الاختلاف بين  
برد رأسه المثلج في الدنان المغم بالثلوج وحرارة حضيضه البارز لانوار الشمس واشعثها  
الحامية فسوغ اللبناني في سودية ان يجمع في بضع ساعات من اشكال الامشاب ما  
لا يجده في غيرها الا بعد مشقة النفس والعناء الطويل

وهذا التباين العظيم بين نبات بلاد مختلفة لا يروق فقط عين الناظر اذ يرى  
الاشجار الجبلية كالسنديان والارز والاشجار الصحراوية كالنخل والبردي لكنه ايضا  
يجدي الزارع نفعا حيث يمكنه ان يستغني عن كثير من محصولات البلاد الاجنبية . كيف  
لا وهو يجدي في وطنه تربة ملائمة لاصناف الزروع والاشجار المثمرة وضروب  
الاخشاب وفي كل ذلك ايرادات طيبة توفر اسباب الفنى وتفتح ابواب الرزق لطالبيها .  
فياليت شعري كيف يسوغ لنا ان نتشكى من فقر بلادنا وقطعها وفيها كل ما يلزم  
ليغني شعباً جتة . ولو شاء اصحاب الثروة لرأوا ان هذه البلاد يدر منها اللبن والعسل  
كما في أيام بني اسرائيل لا يقتصها لذلك الا رجال جدد وإقدام متين لا يستكفون



من العمل ولا تثنى عزائمهم الصاعب . فلا يمر على بلادنا ثلاثون سنة حتى يصير لبنان أغنى من بلاد زوج بغاياته وتحيي السهول الساحلية شبه بطنان الهند وخط الاستواء .

\*

٣ وان انتقلنا الان من ذكر النباتات الى وصف الهواء . إذن لو جدنا ان حظ اهل سوربة لأسعد من سواهم نوقع لبنان في وسط بلادهم . وذلك مما لحظه الكاتب الشهير قولناي ( Volnay ) في اواخر القرن الثامن عشر قال : « ان بلاد الشام تجمع تحت سما واحدة احوالاً جوية مختلفة وتذكر في اقطار ضيقة الأرجاء مرافق لا ترى في غيرها من البلاد الا متفرقة على مسافات قاصية . ففي غيرها من الاصقاع ترى فصول السنة تفصلها الشهور وأما سوربة فصديق القول فيها ان فصول سنتها لا تسم بينها الا بضع ساعات فقط فان اثقلك توقد الحر في صيداء او طرابلس أيام النبط فما لك الا ان تحي نحو ست ساعات فتجد في الجبال المجاورة هواء لطيفاً حكيماً شهر آذار ( ١ ) »

فهذا الاختلاف في درجات حرارة الجو الذي تعبطنا بسببه البلاد المجاورة للشام كبلاد الجزيرة ومصر انما اصابه النظر الشامي بواسطة لبنان ليس بامتداد عرضه الذي يبلغ نحو تسع درجات . ولا لاجل طوله البالغ ١١٠٠ كيلومتر بل لاجل ارتفاعه فوق سطح البحر . ولولا علو جباله لما كان فرق يذكر بين شمالي سوربة وجنوبها . فأنشأ زى ان حالة الجو في غزة لا تختلف كثيراً عن حالته في الاسكندرية وان الحر في دمشق كما هو في حلب . لكن الفرق العظيم انما هو بين السواحل ومشارف لبنان بحيث نجد في الجرد لطف هواء الاصقاع الشمالية

ومما يساعد ايضاً على تكييف الجو وتلطيف لهوات الحر هينات تركيب لبنان المختلفة واوديته ووجهة تقاطيعه فان الارواح يهبها في بطون الارض وشجونها تغير احوال الهواء كما تؤثر في السحب والامطار التي تحملها الرياح . وترى بخلاف ذلك بعض مندطفات لبنان لحسن موقعها مصنوعة من دياح الجنوب والشمال تنحدر الى البحر انحداراً ليناً وهي امكنة تبدأ فيها العيشة للطف نسيجها وتنبه جنوبي فرنسة برطوبة هوائها

ولا يجب ان اضحى لبنان بعد زمن قليل كمستشفى الاعلاء يتقاطرون اليه لعلاج ادوائهم كما يهرع اليه المصيفون لينجوا فيه من وقعات القيظ ويستبدلوا روائح المدن المستكرهة بالريج الطيبة . أما الشتاء فيجد ذوو العاهات امكنة في حلف لبنان يدفعون فيها برده القارس ويقضون فصله في مأمن من اذاه اذ يحبسها لبنان من نفح الرياح وشدة العواصف وهي تقوم لاهل بلادنا مقام مدينتي « نيس » و « كان » وسواحل فونسة الجنوبية التي يزدحم فيها شتاء الاوربيون والاميركيون فراراً من صبراة القوقاز فيايلت شعري أليس خور جونية وما يحرق به من الزارع مقاماً شتوياً يضاهي خور نابولي . ألا ترى كيف ان ريفنا العجيب بارز لاشعة الشمس ولصفاء هواه البحر المنعش وهو مع ذلك في حى من السموم والريج الشائبة . فلو شاء اصحاب الامر لجللوا جونية محطاً لذوي الامزجة النحيقة ومثالاً للثاقبين . وهذه البلدة تفضل من وجوه عديدة وادي النيل وضفتيه حيث المناظر قليلة والهواء يتقلب تقلباً كبيراً فيلي النهار التوهج الحار زمهرير الليل وصرده . أما في مواطى لبنان فتدنى للآفاق بحاسن متجددة من جبال شائعة وبحار زاخرة وهواء رطب قليل الاختلاف . وهي المعري منافع كبرى لا تحصى طويلاً على ذوي الخبرة

ولعل منتقداً يعترض علينا بقوله ان منعطف لبنان الغربي كثير الرطوبة لتكاثر الاجخرة المتصاعدة من البحر في جوانبه . والرطوبة كما هو معلوم لا توافق مزاج كثيرين من الناس الذين يؤثرن على المقامات الرطبة الهواء . المنازل اليابسة أجل ولكن لا تجلو لبنان من منافع المراكز اليابسة ايضاً وذلك في منعطفه الشرقي فاذا تسنمت اعالي هذا الجبل لا تلبث ان تبلغ بعد ساعات قليلة الى نواح جافة الهواء لا يشوب ساءها غيم ولا يقرب منها ندى البحر لتوسط لبنان بينها وبينه فان لبنان يقسم بلاد الشام من حيث الهواء قسمين مختلفين احدهما ساحلي ندي الجو اين النسيم معتدل الهواء دون حر محتم ولا برد شديد . والآخر شرقي بري يختلف فيه الانواء وتتوالى الفصول المتباينة وهو يجدي بعض الامزجة قوة وصلابة . وعلى كل حال مهما افتي الناس في تفضيل الهواء اليابس او الرطب فان العناية الصمدانية لم تحرم لبناننا من خواص الموائين فيختار كل منهم ما يشاء



\*

٤ ولهذا الاختلاف في احوال الهواء نفع آخر وهو تأثيره في بنية الجسم وغني عن البيان ان طريقة العيش في زماننا وكثرة الالتباس بالاشغال ومداولة الامور والتهاافت الى رشف ابناء المذات كل ذلك مما يضعف بنية الناس ويفقر الدم ويحط بالنسل. وهذه المضرات في الاقطار الحارة الكثيرة الرطوبة كما ترى في مدننا الساحلية اوفر منها في سواها من البلاد لازدحام الناس في البيوت الضيقة وتراكم الاقدار في الاسواق وقلة تغيير الهواء. فاذا بقي اهل المدن على ذلك زمناً قليلاً فسد لا محالة دهمهم ونضب ماء حياتهم لولا ان اهل لبنان يساجرون الى السواحل فيأتون بدمر جسد يد يسري في عروق الجمهور فينمش اجسامهم ويشدد قواهم. وكما ان هؤلاء القادمين من مشارف لبنان يوتون اهل الحضر دماً جديداً كذلك الاهلون اذا ما قضوا شهوراً من سنتهم في فصل الصيف فوق رى لبنان تجددت عزائمهم او تقوت اعصابهم فيعودون الى ديارهم وثقي الاركان مضطربون الخلق تندفق منهم مناهل الحياة هذه بعض ملاحظات ابديناها لتفيد مواطنينا عن فوائد لبنان من حيث مقامه الطبيعي. فلا ريب انه لو فقد لتلفت ايضاً معه اكثر ارفاق بلادنا وقوت المواطن واصبحت القرية عقبة خاوية لا تأتي بغلائها فكانت شبه بفيافر جرداء لا يرى فيها سوى بعض تلال من الرمل خلوة من الثبات لا ماء يجري فيها ولا انهار ترويضها يسكنها قوم من صمايك البادية يتنقلون فيها اطلب كلاً الربيع ثم يرجلون عنها. ويوجيز القول ان بلاد الشام لولا لبنان كانت كالبوادي التي تجاورها من جزيرة العرب ونواحي تدمر واقفار ما بين النهرين في جنوبي حران وفصيين

٣

انهار لبنان : منافعها واساؤها

## ١ منافع انهار لبنان جغرافياً واقتصادياً

ذكرنا غير مرة غني لبنان بينابيع المياه وما يتركب على ذلك من الفوائد الهدروغرافية فنقول الآن ان من اعتبر هذا الجبل ورأى هيئته وموقعه فهم ان قربة من البحر لا يسمح للانهار الجارية منه ان تتسع احواضها اتساعاً كبيراً.



والأخرى ان يقال ان اغلب انهار لبنان سيولاً لا تتجاوز مسافة سيرها بضعة كيلومترات وهي تنحدر من مشارف الجبل وتندفع دفعة واحدة الى البحر . وليس بين هذه الانهار نهر واحد يمكن زورقاً ان يجري فيه لكثرة انحراف هذه الانهار وما يتخللها من الصخور في مسيرها . ونحن لا نذكر في هذا الباب من انهار لبنان الا ما ينضب ماؤه في فصل القيظ مباشرة من الشمال الى الجنوب (١) . وكذلك ضررنا صغراً عن بعض التفاصيل الجغرافية التي تصلح لاحداث المدلس ليس في ذكرها كبير امر

١ النهر البارد شمالي طرابلس على مسافة بضعة كيلومترات منها . وهو الناحل بين لبنان وجبل عكار = ٢ نهر ابي علي وهو المعروف بنهر قاديشا (٢) = ٣ نهر ابراهيم = ٤ نهر الكلب = ٥ نهر بيروت = ٦ نهر الدامور

وليس لهذه الانهار كلها من الجدوى سوى انها تسقي بعض السهول الساحلية فتغصب تربتها في مجاريها المختلفة الطول . وربما كان هذا السدب الزاجم عن مياهها بليغاً . ولو اراد اهل بلادنا لانتفعوا من هذه المياه لثابة اخرى وذلك بان يجعلوها كسحرك لادوات كهربائية بتخذونها لعمالهم ولذلك سمي البعض قوة المياه في تحريكها بالفحم الابيض يريدون انها تقوم مقام البفاز ومواقف الفحم الحجري . ولما كان مهبط هذه المياه شديداً وكميتها وافرة لا غرو ان ينتج عنها قوة تناسب احصاء بخارية عديدة كافية لتحريك ادوات ضخمة . وقد باعنا آخر ان شركة لبنانية تالت امتيازاً لتوليد الكهرباء بمياه نهر بيروت لتتبع القرى الساحلية حتى الله الاماني

على اننا نرى في مجاري هذه الانهار خللاً فان مصبها يتسع اتساعاً كبيراً وذلك لما تأتي به المياه من الطين الجروف ولما يدفعه البحر الى الساحل من الرمل فتسكوم هذه المواد في وجه النهر بحيث لا تقوى مياهه على خرقها فتندفع جوانبه وتسيل المياه ذات السيل وذات الشمال على مسافة واسعة . وربما استقمت هذه المياه فحدث عنها حشبات ملارئة خبيثة . وهذا الانحراف في مجاري الانهار قد لحظه العلماء في البحار التي يضعف فيها المد والجزر . لكن هذا الخلل يسهل استدرأكه بان يحفر النهر مسيل عند مصبه . وكذلك تنضب اشجار الاوكالبتوس على ضفافه لتزول بها وخامة الهواء

(١) ان نهر العاصم يستمد اصغره مياهه من لبنان اكثر مسافة خارج عنه

(٢) لا نذكر نهر الجوز قرب القرون لان ماءه ينقطع في فصل الصيف

وفي مقالاتنا السابقة بينّا ان النهرين البارد ولها علي غا سخواء من القرية من اعالي لبنان طناً جون عكار وكوّة سهل طرابلس المعروف بجودة مزروعاته - ولعلّ نهر بيروت التي جا هو اعرب فعلاً منها

فككل يعرف ان مدينة بيروت مبنية على شبه جزيرة يتصل بها البحر شمالاً وغرباً وجنوباً غربياً. وقد ارتأى بعض العلماء ان هذه الحاضرة انما كانت في سالف الزمان جزيرة تحدى بها المياه من كل جهاتها (١) فصارت مياه نهر بيروت والجداول المجاورة له كولاى غدير ووادي شويكات تأتيها بانطين والتربة حتى ملأت البوغاص الذي كان في جهة بيروت الجنوبية الشرقية بينما كانت الرياح الغربية تحمل اليها رمالها فاصبحت بيروت منصبة بالبحر وجرى لها ما جرى لمدينة صور لما ابقي لها اسكندر ذو القرنين سداً عظيماً وصل بينها وبين البحر فتراكمت الرمال على هذا السد فصارت شبه جزيرة بعد ان كانت المياه تكتنفها من كل اطرافها. ولا عجب فان انتشار الرمل على سواحل سورية امرٌ ظاهر فترى الرمل يتقدم دون التقاطع. ومما شهد الثقة على صحته ان معدل امتداد الرمل في كل سنة بين مدينتي غزة وبيضا يبلغ مترًا على التقريب

هذا وان اهل بيروت كانوا يتخذون قديماً ألواء الرمل سكناً لهم ويزرعون فيها المزارع لان التربة التي يغطيها هذا الرمل طيبة دسمة والدليل على سكوني الالهين فيها ما يجده الخافرون من الحزف وقطع الزجاج القديم والمعادن والتوابير. والرمل قد نشر عليها كلها رداءه وهو لا يزال يجري الى الامام. ومن يلاحظ حركته المتواصلة يتأكد بانه في مدة ربع قرن قد انخفض عن العيان املاصاً منسمة لبعض الوجوه. فالتهمها. ومنذ عهد قريب قد وجد البعض آثار بلدة توارت تحت كسبان الرمل. ومما أثبتته الشاعر نونس (٢) عن الطريق التي يسير فيها السائر عند خروجه من بيروت ميتماً صيداء انما « رملية تظلمها الاشجار ودوالي السكروم » على ان الشاعر لم يذكر التلال الرملية التي تتخللها في يومنا هذا فتجري في وسطها ذلك دليل على ان الرمل لم يسطر عليها بعد. ومن الثابت المقر ان العوامل الطبيعية لا تزال تزدري هذه الرمال فتجرف مياه

(١) راجع كتاب رينر (ص ٤٢٠)

(٢) راجع كتاب شعره (Dionysiaques, ch. 41, v. 40 - 45)



البحر وتنفسها الرياح حتى فككاد نرى حركتها رأي العين فما قولك بعملها على ضرور  
الادهار لاسيما اذا اضفت الى هذه العوامل ظواهر أخر خارقة العادة كالزلازل  
والاهتزازات الأرضية التي ربما رفعت بحضيض الأرض ومسيل الأودية وفي سواحل  
فينيقية من آثار هذه الزلازل ما هو مشهور (راجع مقالتيننا عن الزلازل في المشرق  
١ [١٨٩٨] : ٣٠٣ و ٢ [١٨٩٩] : ٩٧٠)

ومما يشهد على ما اصاب بيروت ونواحيها من الطوارئ الجيولوجية ان هذه  
المدينة كانت في سالف الزمان مزدانة بعدة جزائر لا نرى اليوم منها أثراً. فان الشاعر  
اليوناني نونس المذكور (١) اشار اليها في حمة وصفه لبيروت فدعا هذه المدينة « الجبلية  
الجزائر » *εὐρυς* وهي لعمرى شهادة حسنة اني بها شاهد عين سكن بيروت ردها  
من الدهر لم يفت شي من احوالها. وقد جاء في خارطة لانتينة يرتقي عهدهما الى  
القرن الثاني عشر رسم جزيرتين متوسطتين في الكبر قريبتين من بيروت (٢). وكذلك  
ورد في تواريخ الصليبيين ان الرهبان المعروفين باسم پريمونترائي (Prémontrés)  
كانوا يسكنون ديراً موقعا في جزيرة على مقربة من بيروت (٣). وفي هذه الشواهد  
ما يدل على ان هذه الجزر غير الصخور الثلاثة او الاربعة التي نراها اليوم عند رأس  
بيروت او عند مصب نهرها

ولكن متى تواترت هذه الجزائر؟ ليس لنا في ذلك نص صريح ومن المرجح  
انها انخفضت في الزلزال الذي ذكره القريني في تاريخ المالك (١) في تاريخ سنة ٩٦٠ هـ  
(١٢٦٦ م) حيث قال ان سبع جزائر بين عكّة وطرابلس غاصت في خليج البحر.  
وقوله هذا يطابق الآثار التاريخية التي لم تعد تذكر فيما نعلم الجزائر المجاورة لبيروت  
بعد القرن الثالث عشر

والنهران الاخيران اللذان يجريان في جنوب لبنان هما الأولي وهو نهر صيدا،  
ثم الليطاني الذي يحد لبنان في جنوبية وهو نهر صور. وتكلا النهرين علاقة مع المدينة

(١) راجع الكتاب السابق ذكره (Chant 41, ٧. 15)

(٢) راجع المجلة الفلسطينية اللاتينية (ZDPV, XVIII)

(٣) راجع المجلة ذاتها (ج ١٠ ص ٢١٠ و ج ٢١ ص ١١٦)

(٤) راجع طبعة كاترمار Quatremère : Sultans Mamlouks, I, 1<sup>re</sup> partie, p. 143



التي يجاورها وقد اغناها بتناغم الجبّة الاقتصادية . ونهر الأولي يجري في منعطف لبنان الغربي ولا يتجاوز طوله ١٥ كيلومتراً اما الليطاني فينفذ في وسط هذه السلسلة ويتخللها . ومنبعه في البقاع بين الجبلين الغربي والشرقي وطول مجراه ١٥٠ كيلومتراً . وخطره عظيم من حيث الزراعة والاقتصاد لانه ليس فقط يفتح طريقاً في خلال الجبل كما يفعل الأولي ولكن ايضاً لان هذه الطريق توصل ساحل مدينة صور بسهولة فيحاء وبطائح غناء كالبقاع وغوطة دمشق ووادي العاصي . ولا غرو ان تجار صور من الفينيقيين قدروا هذه المنافع قدرها ونهبوا هذه الطريق رغبة في الارباح الباقية اما وادي الأولي فهو دون وادي الليطاني شأنًا وخطراً الا انه اغنى منه واخصب وفي مسيره على ضفتيه مسالك وطرق تفضي الى البقاع والى عدة قرى كان الاهلون يقضون فيها فصل الصيف ويتاجرون بعلاتها كما يفعل اهل صيدا في أيامنا في القرى الواقعة قرب الباروك وجنوبي جزين

ولولا الأولي والليطاني لما وجدت صور وصيدا فان بُنائيهما اختاروا مصب هذين النهرين لما كانوا يستفلرون منها من العوائد التجارية وهو الامر الذي جعل لهاتين الحاضرتين شأنًا تجاريًا لم تبلغه بيروت وجبيل حكوتهما من نهرين يجديانها من المنافع ما احزته صيدا وصور بنهرهما

## اسماء انهر لبنان قديماً وحديثاً

قلنا ان أول أنهر لبنان شمالاً نهر البارد . والفتنون انه هو النهر الذي دعي قديماً بروثس ( Brutus او Brutus ) وان اشتقاقه من اصل سامي . ولكننا نجعل الاسم الذي عرف به عند القدماء النهر الثاني اي ابو علي . كما اننا لم نجد في كتب العرب سبب هذه الكنية او الرجل الشهير الذي اعاره اسم الي علي

اما نهر ابراهيم فقد مر ذكره في مقالة سابقة ( راجع الجزء الاول ص ٥٨ ) حيث اثبتنا ما يختص باسمه القديم ادونيس ( اي تموز ) وباسمه الحديث

وكذلك لا حاجة الى تكرار ذكر نهر الكلب وتعريف اسمائه وقد سبق لنا في ذلك فصل مطول (تسريح الابصار ج ١ ص ٦)

وان تحطينا الى نهر بيروت وجدنا ان اسمه مشبوه به وان كان الرأي الشائع انه هو نهر ماغوراس الذي ذكره بليفيوس في تاريخه الطبيعي (ك ٥ ف ١٧) فجعله في جوار بيروت . وفي قوله هذا نظر اشرفا اليه في اول مثالنا عن آثار لبنان (تسريح الابصار ج ١ ص ٦)

ومما حمل العلماء على القول بان ماغوراس هذا هو نهر بيروت ان بليفيوس جعله على مقربة من بيروت وليس لهذه المدينة نهر آخر الا النهر المنسوب اليها فضلاً عن اننا نعرف الاسماء القديمة التي أطلقت على الانهر الواقعة جنوبي بيروت وشمالها ما عدا اسم نهرها

على ان بعض العلماء شكوا في ذلك وظنوا ان مقصود بليفيوس بنهر ماغوراس انما هو نهر الدامور لانه في وصفه لمدن الساحل مباشرة من الجنوب الى الشمال ذكر ماغوراس قبل بيروت كأنه جعله جنوبي هذه المدينة وهو كما لا يخفى في شمالها . ولأن بليفيوس ضرب صفحاً عن ذكر الدامور ظنوا انه دعا هذا النهر باسم ماغوراس هذا الرأي لا يخجل من شبه الصفة بيد انفسا تفضل القول بان بليفيوس لم يراع النظام الطبيعي فتقدم ذكر النهر على ذكر المدينة بدلاً من ان يخرجه . ومثل هذا التقديم والتأخير كثير في كتب القدماء . او يقال ان هذا الامر جرى على يد النساخ سهواً منهم . ومن ثم فان الرأي الاصح عندنا ان ماغوراس هو نهر بيروت ليس نهر الدامور . فمسي العلماء ان يجدوا كتابة تؤيد رأينا وترى كل شبهة عن نص بليفيوس وهو الكاتب الوحيد الذي ذكر اسم ماغوراس

هذا وان نهر الدامور قد تكرر في كتب القدماء وهم يدعونهم تلميراس وقد عرفه المؤرخ بوليبيوس باسم داموراس (δαμωρας) والمشابهة بين الاسم القديم والحديث ظاهرة . وكذلك لا شبهة في تعريف اسم « الادلي » القديم . فان الكتابة قد دعوه بسترشوس (Bostrenus)

بقي آخر انهار لبنان جنوبياً وهو الليطاني فان في تعريف اسمه القديم مشكلاً عظيماً ولعل القدماء لم يتعرضوا لذكره وقد شاع اليوم عند الكتبة الحديثين ان

الليطاني هو نهر لاونتيس (Leontès) أو نهر الاسد (Λέωντος ποταμός) الذي ورد اسمه في بعض تأليف اليونان فخرّف بالليطاني . وكثراً نحن أيضاً جنعنا الى هذا القول (راجع الجزء الاول ص ١٩) لانه من شبه الحقيقة . لكن في هذا الرأي عقبات كما ستري

فلنباشر أولاً بذكر الاشياء المقررة التي لا يختلف في صحتها

من العلوم ان اسم هذا النهر حالياً الليطاني ويُدعى عند مصبه بالقاسية . وعلى الاصح انه عُرف بذلك لواء هناك يدعى النبي قاسم . وزعم البعض ان القاسية مشتقة من القسم كان النهر قاسم بين صور وصيدا . او بين بلاد الشقيف وبلاد بشارة وهو رأي باطل لا سند له والدليل على بطلانه انه لا يُطلق عليه هذا الاسم تحت قلعة الشقيف لما يلنو من سيره الجنوبي فيجري الى البحر بل عندما يتجاوز جسر القعمية . فلو كانت نسبة الى قسم البلدين اصدق الاسم عن كل مجراه الجنوبي لا عن مصبه فقط . ثم ان هذا الاسم معروف منذ بضعة اجيال ذكره خليل الظاهري في كتابه زبدة كشف المالك والمريزي في تاريخ المالك (١)

اما اسم الليطاني فانه قد ورد في اوصاف البلدان لكتبة العرب على صورة « ليطنة » فكذلك دواء شمس الدين الدمشقي (ص ١٠٧) وابو الفداء في حاشية على تقويم البلدان وصاحب التعريف في المصطلح الشريف (ص ١٨٢) وقبائهم الشريف الادريسي في كتاب نزهة المشتاق (٢) ويرى أيضاً في بعض النسخ « ليطنة » بدلاً من ليطنة وليس لليطاني ذكر في جغرافي العرب غير هؤلاء . ولا عجب فان العرب قلما كتبوا في نهر لبنان فلا تكاد تجد من اسمائها في تأليفهم سوى ثلاثة او اربعة

وان بحثنا عن الليطاني في مصنفات سابقة لعهده مؤلفي العرب اي قبل القرن الثاني عشر وجدنا كتبة اليونان والرومان اقل صراحة من العرب واعلمهم ضربوا عنه صفحاً . وانما نستثني منهم اسطرابون الذي اشار الى الليطاني اشارة صريحة حيث قال : « ويجري قرب صور نهر » يريد انه لم يُفدنا عن اسمه شيئاً . وان استطلعت بقية المؤلفين

Quatremère : *Sultans Mamlouks*, II, 1<sup>re</sup> partie, p. 174 (١)

(٢) راجع طبعة غلدستون ص ١٢



كسكيلاكس ويمپونبوس ميلا وپلينبوس وبطلميوس لا ترى لهم كلمة عن هذا النهر كما انهم لا يذكرون البتة نهر الزهراني الذي يجري جنوبي صيدا.

قلنا ان كتبة اليونان لم يذكروا الليطاني . أجل لكن بعضاً منهم ذكروا نهر لاوتوس ( Λαυτος ποταμος ) فأم لا يكون هذا النهر هو الليطاني فيكون جرى على الاسم اليوناني بعض تحريف لما نُقل الى العربية . نجيب اننا لم نكن لنتردد في تصويب هذا القول لولا ان بطليموس ( ك ٥ ف ١٤ ) جعل هذا النهر بين بيروت وصيدا . وهذا لا يوافق الليطاني كما لا يخفى . وكذلك ترى تشويشاً عظيماً في ما كتبه هؤلاء المؤلفون في « لاوتوس » التي تُنسب اليها هذا النهر فهم يقولون انه كان في ساحل فينيقية مدينة تدعى لاوتوبوليس ومنهم من يجعلها بين بيروت وصيدا . جنوبي نهر الدامود . وهو رأي لسطرابون الجغرافي . أما يليليوس فيزعم ان موقع لاوتوبوليس بين بيروت ونهر الكلب . وفي جغرافية سكيلاكس ان هذه المدينة جنوبي صيدا . وهذه كلها آراء متضاربة واقوال متباينة لا يستفاد منها شيء . صريح في امر اسم الليطاني عند اليونان أما لاوتوبوليس فسيأتي ذكر موقعها قريباً

ومن غريب الامور ان الاسفار الالهية لم تنوّه باسم الليطاني مع انه كان على الرأي الأرجح احد حدود الاراضي المقدسة ( ١ ) . فترى متأسباً ان تعريف موقع هذا النهر واسمه وتاريخه القديم لمن العضلات التي استغنى بها على الباحثين في مجاري المياه اللبنانية

ونكن دعنا ننظر لفلك هذا المشكل في الكتابات التي سبقت عهد بني اسرائيل فلعلنا اذا رقينا في سلم الادهار وقفنا على حقيقة الامر كما ان مياه الانهار تريد صفاء اذا قربت من مخرجها

واعلم انه قد ورد في الكتابات المصرية الهيروغليفية اسم قديم يدعى « رطنو » و « رنتو » و « رقينو » موقعه شمالي فلسطين وحيث اليوم سهل البقاع الذي فيه يجري الليطاني . ثم ان الوا في اللغة المصرية من الحروف الذائق التي كثيراً ما تُبدل

باللام فتكون « رطنو » و « لطنو » عبارة عن اسم بلد واحد ١٦ . ومن ثم فليس يستبعد أن يكون اسم الليطاني إشارة لهذا النظر ومعناه « النهر الجاري في بلد لطنو » فتبل اختصاراً « ليطاني » كما تقول نهر بيروت ونهر عكاك دلالة على البلد الذي يجري فيه هذان النهران

وعلى رأينا ان هذا الشرح اقرب الى الحقيقة في تعريف اصل اسم الليطاني القديم أما اسم اليوناني فلا سبيل الى توفيقه على ما كتبه اليونان بخصوص نهر لاوتوس . والله اعلم

٤

### سكنى لبنان في قديم الزمان

ان لبنان من احفل ولايات الدولة العلية بالسكان فان معدل اهلها يبلغ ٦١ نفساً في كل كيلومتر مربع . وهو اعمرى عددً بليغ لا تتجاوزه الا ولاية دار السلطنة وجزيرة ساموس . فان معدل قاطني الولاية الاولى هو ١٦٢ شخصاً في كل كيلومتر مربع أما ساموس فاهلها ١١٣ نفساً في الكيلومتر . الا انه لا يجوز المقابلة بينها وبين لبنان لأن ولاية دار السعادة تشمل الاستانة العلية وهي كما لا يخفى من حواضر المدن واكثرها سكاناً فيزداد بعدد اهلها معدل اهل الولاية التي هي داخلة فيها . وكذلك ساموس فانها جزيرة كثيرة البحيرات حسنة التربة ليس فيها جبال عالية فلا عجب اذا تقاطر اليها الناس ليستوطنوها . أما لبنان فبصارة عن سلسلة جبال عالية كثيرة الصخور قليلة الخصب ومع ذلك ترى مصانعهم وقرىهم متقاربة كثيرة الاهلين بحيث يصح القول انه لا يوجد في قطر آخر جبل يربو عدد سكانه على سكان لبنان

على ان الامر لم يكن كذلك في سالف القرون فان لبنان طالما كان قفراً مقفراً لا يأوي اليه الاكواسر الوحوش وليان ذلك ها نحن نبحث في هذا الشأن لندرك كيف احتل لبنان سكانه او لا قبل عهد النصرانية ثم ثانياً في زمن الرومان واخيراً منذ

(١) راجع في مجلة اللاهوت الكاثوليكي Zeitschrift f. kathol. Theologie, 1902, p. 402 بحثاً حسناً في ما نحن بصدده الدكتور شندرا تريبل كليلنا سابقاً

دخول الموانئ فيه وهي الطوار ثلاثة توافق احوال هذا الجبل الثلاث من حيث السكن فسمت الاملون الى ان بلغ عددهم الى ما زاه اليوم

\*

اعلم انه مما لا يختلف فيه اثنان ان جبل لبنان كان في الاعصار الغائرة قليل السكان ولا غرو فان وضع هذا الجبل وعينته واحواله الطبيعية والجغرافية مما يمنع عن توارد السكان اليه . فان مشاركة العليا ضرور لا يمكن سكناها لبعدها ليس فقط في فصل الشتاء لكن ايضاً في بقية السنة . وهي المنطقة التي تملو ١٨٠ متر فوق سطح البحر . فان النسم الذي يملو هذا الخط يعرف بالجرود لان ارضه جرداء كثيرة الصخور لا يثبت فيها الزرع الا ضواياً وبعد عنا . ومشقة . وتزيد على ذلك ان لبنان كله لم يقيم قط بمعاش اهله لا سيما في عهدنا مع تراحم السكان فيه . وليس هذا تاجماً عن تغافل اللبنانيين وتكاسلهم لان كل الكتبة لسان واحد على هيئة قطان هذا الجبل وملازماتهم العمل ومواظبتهم على الفلاحة . وفي جانب آخر ليس للبنان مناجم معدنية يمكنهم الارتزاق برفقتها تعويضاً عما ينقصهم من المعادن . وكذلك ترى اسباب التجارة قليلة في لبنان لا يعاينها لان الطرق التجارية لا تخرقه فتغني قوافل التجارين . بل الاخرى ان يقال ان جباله كسد قائم في وجه الامم الواقعة على عطفه فترى بينهما فرقاً كبيراً من حيث الهواء والنبات وكلاهما يختلف في وجه لبنان . واذا استقرت التاريخ وجدت سياسة شعربها متباينة يعيش كل شعب على حدة معتزلاً عن الآخر مع كونهم يتشون كلهم الى عنصر واحد

ومما يشهد على صعوبة السكنى في لبنان انك لا تجد في خلال جباله سوى مسالك حرجية وشعاب ضيقة لا تقطع الا بالجهد الجهد . اما السبل التجارية اللاحقة التي كانت القوافل تسلكها فانها كانت غرضاً شمالي لبنان وجنوبيه فتعطف في وادي النهر الكبير او تجاري سير نهر الليطاني والطريق الاولى هي التي اغنت طرابلس في الزمن القديم اما الثانية فكانت مجلبة لثروة صور العظمى . وبعبارة ذلك لم تصب بيروت متاماً كبراً في التجارة اذ كان يفصل بينها وبين دمشق والبلاد الداخلية سلسلتان من الجبال المرتفعة الى ان فتحت طريق الشام بعد السنة ١٨٦٠ ثم انشئت



السكنة الحديدية فانتصر الانسان بكد جينه على ما اقامته الطبيعة في وجهه من  
العراقل والعوائق

هذا واذا تصفحنا أقدم ما سطره المؤرخون عن لبنان وجدناهم يصفون هذا  
الجليل بنابات كثيفة ترونت . ويوافق هذا الوصف ما ورد في الاسفار المقدسة واقدام  
الآثار الاشورية . وقد دامت هذه الحالة قروناً متواترة كما يشهد على ذلك مؤرخو  
اليونان والرومان الذين اثبتنا نصوصهم مراراً في مطاوي كلامنا عن الارز (ج ١ ص ١٣٦)  
وفي مقابلتنا بين لبنان وجبال الالب (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٧٢١) . ومن عجيب الامور  
ان هؤلاء الكتبة لا يذكرون البتة شيئاً من قرى لبنان وانما يعدون فقط المدن الفينيقية  
الواقعة على ساحل البحر . نعم ان بعض المشرقين استشفوا من وراء اسم « اميا »  
الوارد في مراسلات تل العمارنة (المشرق ٣ : ٧٨٩) قرية « اميون » الا ان الامر  
ليس بمقرر فضلاً عن ان اميون واقعة في سهل منبسطة طيب التربة قليل الارتفاع وليست  
هي في وسط لبنان

واول ما ورد من اسماء المساكن اللبنانية في اساطير المؤرخين انما جاء في جغرافية  
اسطرابون اعني قبل تاريخ الميلاد بزمان قليل بعد ان فتح ينيوس بلاد الشام الا وهي  
اسماء ثلاثة حصون او قل بالاحرى ثلاثة عشوش النصوص تدعى جيفوتا وستان وبرومة  
(المشرق ٥٠٧ : ٥٠٨) ومواقع اخرى مثلها اكثرها قريب من البحر . ومما يستدل من  
مجرد ذكر هذه الحصون ان سكنى الجليل كانت محفوفة بالاعطال لا يتوطنه الا قليل  
من السكان . وسنعود الى ذكر هؤلاء النصوص عند كلامنا عن الايطوريين وهم قوم  
من عرب حوران امتزجوا بالعنصر اللبناني

اما الكتابات القديمة فهي عزيزة جداً في لبنان وكل ما وجد منها لا يتجاوز قدمه  
اوائل التاريخ المسيحي وقد اكتشفت معظمها قريباً من الساحل ليس بعيداً من  
جبيل وبيروت وهذا دليل واضح على قلة سكان لبنان قبل المسيح . ولنا ايضاً على  
قولنا برهان آخر في ما نراه من الاخرية القديمة في لبنان فانك قلماً تجد بينها من الآثار  
السابقة لعهد النصرانية وكذلك النقوش المنقورة على الصخور فهي كلها من عهد الرومان  
اللهم الا نقوش وادي بريسا قرب الهرمل وسيأتي ذكرها

ومع كل هذه الشاهد اننا نرجح كون لبنان لم يخل من بعض المراكز الآلهة

كان موقعها في وسط الجبل اتخذها الاقدمون في بعض الوديان والبطائح الحسنة القربة  
الكثيرة المياه السهلة الزراعة (١) . وكذلك كنت ترى في خلال الغابات منازل  
للحطابين كانوا يعدون فيها الخشب لاسيما الارز الذي كان الندما . يقبلون عليه لتجهيز  
مبانهم ومنه كان النيفتيون يمترون سفنهم واساطيلهم (٢) . ولعل بعض القرى التي  
تعد من اقدم دساحر لبنان كاهدن وبشري أي ابتدأت على هذه الصورة فكانت  
اول امرها كمصانع لتعطيب الارز وغيره من الاشجار الجبلية العظمية . وقد وردنا  
في ما مر كتابات يونانية وجدت في اهدن ترقى الى التاريخ المسيحي ومنها يستدل على  
ان تلك القرية سبقت عهد النصرانية . أما بشري فان اشتقاق اسمها على رأي البعض  
من اسم الالهة عشتار وبه دليل كاف على قدم عهدها

ومن القرى التي رجع قدمها الهرمل الواقعة على منعطف لبنان الشرقي . ولا  
غرو فان موقعها في بطحاء مخصصة غزيرة المياه مما يستدعي الى استثمارها وبقرها  
وجدت صفيحتان فيها كتابات آشورية قديمة تشير اليها قريبا

ومن الامكنة التي تولها الناس في غابر الاعصار بعض المقامات التي اتخذها  
الاهلون كناسك دينية منها اليثونة وقرى ودير القلعة ومشقة . فان هذه المحلات  
وان لم يرد ذكرها قبل أيام الرومان فان اصلها فينيقي محض لا محالة

وعلى هذه الصورة اضحى لبنان شيئا فشيئا معدا للسكن . فان الاهلين ضربوا  
اطنايم أولا قريبا من المدن الساحلية وفوق رتي لا يتجاوز علوها من ١٠٠ متر الى  
الف متر حيث الهواء لطيف والرزق مضمون . ثم اخذ لبنان يجرّد من احواجه الكثيفة  
الدغة لتجارة الاهلين تجشها فصار الناس يفلحون الاراضي التي نزع عنها الادغال  
ويشيدون الباني للسكن وكان ذور الثروة من اهل الساحل يتوغلون في فصل القبط  
مشارف لبنان ترويحاً للنفس وطلباً للراحة بعد ما تجشوه من الاسفار الشاقة

✱

فأخذ من ثمّ القطين يتوغلون في لبنان فازداد عددهم ونشوا خصوصا بعد الفتح  
الروماني . وقد اساننا فوصفنا ما نجم عن دخول الرومان في سورية من المنافع الجمة

١ . واما زرع فيها الجفنة فان موشع التي ذكر في كتابه (١٢: ٨) زرع لبنان والحرث

٢ . راجع ما سبق لنا في الجزء الاول في هذا الخصوص



(راجع الجزء الأول ص ٢٠) فان غلبتهم رفع يها الى اعلى مقامات العمران والتقدم. فهم الذين قضوا اجنحة الفن ومسحوا أزوقة السلام فوق كل الاهلين على اختلاف اجناسهم. ومن اعالمهم المشكورة انهم استأصلوا شاقة اللصوص الذين كانوا تحصنوا في لبنان فدكروا معاقلمهم واعادوا الأمن الى السكان (ج ١ ص ١٤٦). فراجت اسواق التجارة واضحت المدن الساحلية محطاً للقوافل ومركزاً للمعاملات لاسيما جبيل وبيروت وصور فانشرت منها هذه الحركة الى ضواحي لبنان المجاورة لها. ومما زاد في خصب الجبل ما ابقاه الرومان من القني جلب مياه لبنان من عيونها فكان ذلك من ادعى الوسائل لنشر الحضارة وتلطيف الهواء في مدن الساحل. ومنها ايضا السكك الرومانية التي كانت تستدير سائرة حول لبنان. واحدى هذه السكك كانت تعشق الجبل في عرضه سائرة الى جنوب العقورة ومنها الى بعلبك (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٣١٤). ولما كان لبنان لم يزل بعد مزدانة بغاباته سعى الرومان باستجارها ووضعوا لذلك قوانين بملاوة حكمة اشترى اليها سابقاً

ولا عجب اذا رأينا لبنان في أيام الدولة الرومانية تغيرت احواله وترقت شؤونه والى ذلك العهد تنتمي عدة كتابات منها يستدل على وجود قرى وضياع او بالاحرى مزارع ودساكر. ومن غريب امر هذه الكتابات أنها لا تحتوى علماً لسكان واقع في قلب لبنان. ومجمل ما تتضمنه اعلام شخصية فقط

وفي ذلك العهد استبدل الرومان المعابد الفينيقية الصغرى ببياكل فضيمة يتولاها عدد غفير من السادة وارباب الدين فكان يتقاطر اليها الزوار ذرافات ومنهم من كانوا يختارون تلك الامكنة لسكنائهم فأنشئت عدة قرى حول هذه المقامات الديلية. وكان لهذه الهياكل اذواقها وغاباتها المقدسة وواقفها وكرومها. ومعلوم انه لا ندحة للقيام بكل هذه الاملاك من عملة وفلاحين يستثمرونها (١). فلا غرو ان ضيعاً كثيرة ظهرت على هذه الطريقة الى حين الوجود تخص منها بالذكر قرية دير القلعة التي كان يحج الى هيكلها اهل بيروت ويتقي فيها مستعمرو الرومان فصل الصيف والى هذا الزمان تنسب ما اكتشف في امكنة عديدة من الآثار الزراعية وادوات

(١) راجع قاموس العاديات اليونانية والرومانية لساغليو (Saglio) ك ١ ص ١٠١



الفلاحة كالعاصر والأجران والروحي الضخمة (المشرق ٥ [١٩٠٢] ١٠٧٢) والثراويس ومدافن لا يستصى عددها منقورة في الصنوبر وكان الرومان كلفين بغرس الكروم فبعثوا همة الاهلين على فلاحتها فاعشيت صنوف الحمر اللبنانية ان اشتهرت في العالم الروماني فعرفت بالحنصور البيرونية (راجع بليتيوس لك ١٩ ع ٧، ٩، ١٥ ع ١٧، ١٨). ومن ادلة الزراعة أنك ترى بين البثونة وبعبك كتابات عديدة تحدد الاملاك وتقرز بينها. وفي امكنة اخرى كتابات غيرها منها لاتينية ومنها يونانية يُستفاد منها تعدد السكان وتوفر المنازل. وهذه الكتابات قد اثبتناها في مقالاتنا في مطاوي كلامنا عن كل محل بفرده فلتراجع. ولدينا غيرها ايضا ستثبتها ان شاء الله عند بحثنا عن القرى الواقعة في المنطف الشرقي من لبنان حيث نشأت قرى عامرة بعضها في جوار بعلبك وبعضها في ضواحي زحلة كفرزل وزيها وديتسا. ومما يجدر بنا ذكره ان كل هذه الكتابات والعاديات لا تتجاوز القسم المتوسط من لبنان اعني الى نحو ١٠٠ متر من سطح البحر وفي ذلك دليل على ان القسم الاعلى لم يتخذ بعد للسكنى وانما كانت الغابات تكملها كما في القرون السابقة

\*

وفي اثناء ذلك ظهرت النصرانية ففتح ظهورها باباً جديداً للتمدن والحضارة في لبنان. فان المستعمرات الرعابية التي ذكرناها سابقاً (ج ١ - ص ١٠٩) اتخذت لبنان منزلاً لعمالها الفسكية وقد اختارت لذلك قفر مساه وجدة من الادوية فصار النساء يُجملون فيها يد الحراثة. حتى اضحت هذه المناطق بعد قليل مراكز لضياع عديدة كما جرى في اوربة حيث ترى مدناً كثيرة كانت في اول امرها ديرة للرهبان اوى اليها القوم فصارت مع قادي الايام بلاداً واسعة

ولكن لا يسمن السكوت عن امر يدها اي انهمال وهو قلّة الآثار النصرانية في لبنان قبل القرن السابع فانك لا تكاد تجد اثرًا واحدًا منها يمكن نسبته الى النصارى بلا ريب مع كثرة العاديات الوثنية الموجودة في انحاء الجبل. وكذلك ترى من الكتابات اليونانية واللاتينية قسماً صالحاً وهي كلها لمبسة الاصنام اللهم الا خمس او ست منها باليونانية. فيا ليت شعري ما السبب في ذلك. أليس هذا دليلاً على ما لاقتة النصرانية في سبيلها من العراقيل لما حاولت ان تفسر تعاليم الخلاص

بين اهل لبنان . ولنا في تعليل ذلك سبب آخر وهو ان الفوز الاخير الذي ناله الدين  
النصراني في لبنان انما كان على يد قوم من الآراميين ليس من اليونان ولذلك لا تجد  
من انكشافات اليونانية النصرانية الا القدر القليل

فان تحطيتنا الآن الى ذكر تاريخ لبنان في القرن السابع وجدنا هذا الجبل قد دخل  
في طور جديد بظهور المردة والوارنة الذين لعبوا دوراً مهماً في طوائفه المختلفة . وكان  
قباهم لم يفلح منه الا ساحله ووسطه بعد تجردها من غاباتها اما لبنان الاعلى والجرد  
منه فانه لم يزل قفراً خالياً من السكان حتى اوى اليه الموارنة قاضي معمر حافلاً  
بالقطيع كبقية نواحي لبنان . وسنرى ان شاء الله قريباً كيف تركبت الامة المارونية  
الا اننا قدّم على هذا البحث فصلاً آخر في شعوب لبنان القديمة وسكانه الاولين

### ٥ الامم البائدة في لبنان

ان بين الامم التي سكنت في سالف الازمنة مشارف لبنان واوديته شعوباً دثر  
رسمهم وباد اسمهم . ومنهم من خلفوا هم ذكراً كبني كتعان والفينيقيين والآراميين  
فاحتلوا ديوعة وتوالوا في سكناه فصارت سلاطهم كنواة هذه الشجرة الكثيرة  
الفروع والعنصر الاصلي لسكان لبنان الحاليين . وليس في خاطرن ان ندون هنا  
لساطير هذه الامم فان ذلك يقتضي كتاباً ضخماً يخرج بنا عما نجرناه من  
الخطأ في الكتابة وانما نبعث فقط عن بعض هؤلاء الشعوب الذين همنا ذكرهم  
من قصصنا الى لبنان فاستوطنوه كلاً او قسماً منه ودحاً من الزمان ثم درسوا اما  
بالمهاجرة الى غيرة من الاقطار واما بفنوح الفتحاحين او باختلاط بعض بقاياهم بالعناصر  
الواردة الى لبنان

وهذا النظر العسومي مع قصره كافٍ ليحيط قرأونا علماً باختلاط القبائل والامم  
الشتى التي يتركب منها اهل لبنان وفي نجثنا هذا تتبع آثار شعيرة فشعيرة على حسب  
توالي الازمنة وكرور الاجيال

### ١ الحثيون

لم يكن ذكر الحثيين مستفيضاً بين العلماء قبل اواسط القرن الماضي . وغاية ما كنا



نعلم من امرهم ما ورد من اخبارهم في الاسفار المقدسة . فان ابراهيم الخليل عتد معهم عهداً ذكره سفر التكوين ( ف ٢٣ ع ١٠ - ٢٠ وف ٢٥ ع ١٠ ) . وكذلك قد اتخذ عيسو بن اسحاق امرأتين من بني حث ( تك ٢: ٣٦ ) ومن نسلهم كان اوريا الحثي زوج بقتابع احد قواد جيوش داود . هذا الى اشارات أخرى عديدة يلحح اليها الكتاب الكريم ويؤخذ منها ما كان عليه الحثيون من عظيم الشأن وكبير الامر . على ان بعض الكتبة لم يأنفوا من انكار هذه الامور او الاتياب في صحتها وذلك لانهم لم يجدوا في غير الاسفار المقدسة ما يؤيد صدقها . وكانوا يزعمون انه ليس بين المؤرخين كاتب واحد ذكر الحثيين

وقد شاء الله ان تشهد الاكتشافات الحديثة لصحة ما ورد في كتبه المزعلة وهالك بيان الامر : كان بلغ علماء العاديات منذ اوائل القرن التاسع عشر ان في مدينة حماة صفائح من الحجارة الضخمة عليها كتابات تشبه بعض الشبه الكتابات الهيروغليفية المصرية وهي تختلف عنها . ولم يسن لاحد من الآثريين ان يفحصها فحصاً مدققاً الى عام ١٨٧٢ . فلما تفرغوا لدرسها في تلك السنة اخذ الدهش منهم كل ماخذ اذ تحقروا ان الكتابات المذكورة للحثيين وان هي الا آثار الاولى التي تنبئ عن دولتهم العظمى التي اسمى ذكرها ( ١ ) . فجعل العلماء ينعمون النظر في آثار تلك الأمة ويبحثون عن دفائن أخرى توقفهم على اسرارهم فما كذبوا ان اكتشفوا بعد زمن قليل عدة آثار ازالته كل الشبهة فوجدوا العاديات الحثية متعددة في حلب الشهية . وفي سهل عرق شرقي انطاكية وقريباً من الاسكندرونة وفي مرعش وجرابلس على ضفة الفرات وفي جهات أخرى من بلاد الاناضول . وكانت هذه العاديات اما كتابات منفردة واما كتابات مع بقايا ابنية فخيمة او قنابل او نقوش منقورة في الصخور او خواتم وغير ذلك مما اطلع اصحاب النقد على تدن واسع قائم بذاته . فذاك الحين دخل الحثيون في نطاق التاريخ ولم يعد احد يشك في وجودهم

ثم واصل العلماء ابجاثهم فاطبقوا راند النظر في الكتابات المصرية القديمة والكتابات

(١) راجع كتاب الملامه ريت W. Wright : The Empire of the Hittites

ثم الكتاب The City and the Land



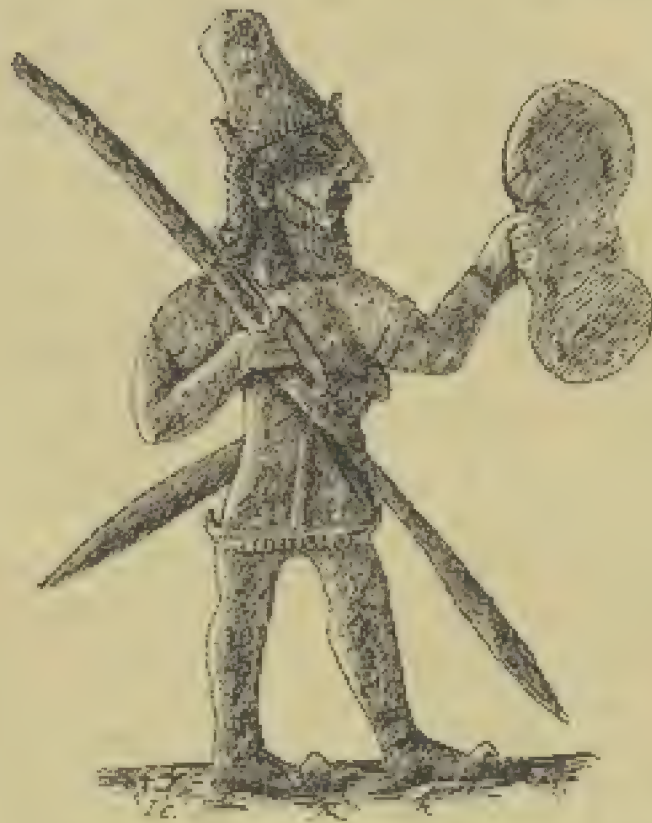
الاشورية لهم يجدون فيها ما يزيدهم علماً بهذا الشعب المجهول . فما كذب ظنهم بل  
أطلعوا على افادات عديدة تبينوا منها اموراً لا تحصى ينحصر الحثيين ودولتهم .  
ولحضره الاب دي كارا اليسوعي فيهم مقالات مهمة نشرها تباعاً في مجلة الآباء  
اليسوعيين الايطالية التمدن الكاثوليكي<sup>١</sup> . احزنت انه ذكر مستفيضاً بين المستشرقين .  
ومع كل ما كتب عنهم في هذه السنين الاخيرة لا يزال العلماء يجهلون اشياء كثيرة من  
اخبارهم واسرار تزيخهم وسيبقى الامر كذلك ريثما لم يسعد الحظ احداً من ارباب  
العلم على قراءة الكتابة الحثية التي لا تزال مجهولة . ولا نظن احداً يقوى على قراءتها  
حتى يجد كتابة بلغتين حثية وغيرها تكون كمفتاح لها كما جرى لشمبوليون عندما  
فك أسرار اللغة المصرية بواسطة حجر رشيد ( راجع المشرق ٣ [ ١٩٠٠ ] : ٨٩٢ )

ولكن من كان ياترى هؤلاء الحثيون ما اصلهم ما فصلهم ؟ نجيب ان الحثيين  
ليسوا من اهل الشام وانما قدموا الى سورية من جهات الشمال . امأ عند رهم فالواي  
الشايع حتى الآن انهم ليسوا من بني سام ١١ . ومما ثبت من امرهم انهم كانوا تولوا  
منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سورية بين نهري عفرين  
والفرات . ثم تقدموا حتى سطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل  
البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الحليل  
وبشوه من بعده

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سورية مدينة قدس التي يظن العلماء  
ان موقعها كان في المجل المعروف اليوم باسم تل نبي مند عند بحيرة قطينة قريباً من  
حمص ٢ ولا يزيد هنا ان تبسط الكلام في الحثيين ولغا غايتنا ان نذكر ما كان لهم  
من العلائق مع لبنان

( ١ ) راجع ما كتبه في هذا الشأن العلامة سيبرو في تاريخه القديم ( ٢١ : ٢٥٢ ) ثم دي لانشير  
( De Lastsheere ) في كتابه عن اصل الحثيين وانتم ثم جنس في كتابه عن الحثيين والارمن  
وعو بزهم ان الحثيين قبيلة ارمية

( ٢ ) راجع مقالنا المعنونة Notes épigraphiques et topographiques sur  
l'Emésène, p. 46



صورة احد قزاة الحثيين ( عن اثر قدم )

وان سألت هل احتل الحثيون هذا الجبل ؟ أجبتا انه ليس لدينا اثر صريح  
 ينفي هذا الامر ولا غرو لانه كما قلنا سابقاً لا نعلم الا القليل من تاريخهم واتساع  
 دولتهم . ونرجع كونهم ضبطوا على الاقل جهات لبنان الشمالية ولعمري كيف قبل  
 العقل ان امة قوية رجالها مغاوير حروب اتخذت لها عاصمة مدينة قدس لم تمد ظل  
 سطوتها على شمالي لبنان وليس بينها الا قاب قوسين اعني سهلاً ضيقاً فقط . ولو  
 افترضنا ان لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة على اهمل الحثيون امره  
 وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارضهم الفاخر ويستخدموه لبانيهم الكبرى  
 وعمائرهم (١)

(١) راجع مقالنا في ارض لبنان ( ج ١ . ص ١٢٤ )

وعلاوة على ما تقدم لا يمكننا ان نسلم بان الحثيين تفاضوا عن احتلال وادي  
النهر الكبير الذي يفصل لبنان من جبل النصيرية وهم يعلمون ان هذا الوادي طريق  
للأمم الفاتحة. وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انفسهم اذ ان دهميس الثاني لما اتى  
لقاتلة الحثيين سار الى محاربتهم ماراً بهذه الطريق

فلا بد اذن من القول ان الحثيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضاً عطف  
لبنان الشرقي والممالك التي تنحضي الى لبنان الغربي . ومما يؤيد هذا الرأي ان سهول  
البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية عبارة عن مستنقعات مائية لا يمكن  
استيطانها فلزم اذا الحثيين ان يسكنوا الجهات المرتفعة فوق تلك البطاح

على اننا نرى دلائل أخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي  
اسامي عدة امكنة في سوربة تدعى « حثا » او « كفر حاتا » فارتأى العلماء ان هذه  
الاسماء اشارة الى احتلال الحثيين في بلاد الشام لان « حثا » او « حثا » هو اسم  
الحثيين نفسة . فان صدق هذا القول ولعل فيه شيئاً من الصغحة أفليس لنا ان نقول ان  
القرى الموجودة في لبنان باسم « حثا » او « كفر حاتا » أنها آثار باقية من زمن الحثيين .  
يبد ان هذا القول ليس بقاطع لانه يمكن اشتقاق « حثا » من لفظة سريانية « سبدا »  
التي معناها « الحديثة » او « الجديدة » ويؤيد ذلك ان قرى لبنانية عديدة تدعى ايضاً  
« حداث » و « محديث » ونحو « حثا » اقرب الى السريانية من سواها . ولسيادة المطران  
بطرس شلبي كلام حسن في هذا الشأن اثبت في المجلة الكتابية ( Revue

Biblique, 1901, p. 587 )

ومن الاسماء اللبنانية الكثيرة الورد اسم « شفور » او « شاغور » كمين شاغور  
في حماتا وغيرها . وكذلك « جسر الشفر » او « جسر الشفور » في ولاية حلب . وقد  
ثبت الآن ان شاغور كلمة حثية الاصل وهي فيها « ساغورة » (١)

هذه آثار جمنها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب البائدة في لبنان وهي كما ترى  
خفية الا ان املنا وطيد ان الاكتشافات المستقبلية سوف تطلنا على ما هو اقوى منها  
حجة وادل بياناً والله على كل شيء عليم

(١) راجع مقالة لحضرة الكاتب ا. شندا في مجلة Mittheil. d. Vorderasiat. Gesell.



## ٣ اليونان

انتفض جبل الحثيين في الشام ( ولبنان معها ) بتغلب الفراعنة على سورية . ثم تبعهم ملوك اشور السكدييون وخلف الفرس الاشوريين . وكل هذه الدول بعد كسرتها تركت من آثارها شيئاً في بلادنا ولا بد أن يكون تغلب من تلك الأمم بعض بقايا امتزجت بأهل فينيقية امتزاج الماء بالراح حتى لم يعد يمكن افراز هذه العناصر الغريبة عن الاهل الاصليين . وكان لبنان في عهد كل هذه الدول قابيل السكان للأسباب التي ذكرناها في مقالاتنا السابقة وإن كان عدد المهاجرين اليه لم يزل يزداد يوماً فيوماً بتراحم السكان وحراثة الآكام الواقعة عند مشطف الجبل

ولما كانت أواخر القرن الرابع (ق م) ظهر ذلك البطل الصنديد والملك العظيم الاسكندر ذو القرنين المقدوني فكان أول ما تقال اليه عنقه البلاد السورية وكان يملك عليها وقتئذ داريوس ملك الفرس فزحف اليها بجنوده بعد أن غلب أعداءه في سهول قيليقية قريباً من مدينة ايسوس فما مر عليه بضعة اشهر حتى فتح سواحل فينيقية وخضعت له دمشق ولم يقيم في وجهه الأصور فحاصرها مدة الى ان اخذها عنوة في تموز من سنة ٣٣٢

وكان في اثناء محاربة الاسكندر لصور قد اغتال بعض اجلاف اللبنانيين قوماً من اصحاب الملك فقتلوه . فسار الاسكندر بقسم من عسكره الى لبنان فلم يبق في وجهه عدواً ثم وصل الى البقاع والجبل الشرقي فعاد بعد عشرة أيام غائماً ظافراً

وما لبث ذو القرنين بعد فتح صور حتى اخضع بلاد فلسطين ومصر ثم سار الى اقاصي الشرق ففتح ما فتح ومات بعد عشر سنوات في بابل سنة ٣٢٣ ق م

فصارت سورية من بعده الى احد قوادس سلوقس نيقاطور فتسلطها وألحق لبنان بها فدخل هذا الجبل تحت حكم السلوقيين الى أيام الرومان

وهنا مبحث مهم لم نكن لتعرض له لولا أن بعض المحدثين استندوا الى حجج واهية ليؤيدوا زعمهم الباطل

ودونك القضية المطلوب بيانها هل يا ترى لما استولى اليونان على جبل لبنان غلب العنصر اليوناني العنصر الحقيقي او الآرامي بحيث يصح القول ان اليونان من الامم التي استوطنت لبنان

فجيب على هذا القول بالاجمال اننا بيننا غير مرة ان العنصر المتقلب على سوريّة في عهد اليونان كان العنصر الآرامي لا اليوناني (راجع المشرق ٣ : ٢٦٨) . فان صدق ذلك عن سوريّة عموماً فهو اصدق واحق من لبنان خصوصاً فلان آرامية سكّانه في ايام الدولة اليونانيّة اوضح من النهار

وكأني بالمعارض يستوقني هنا ليرد على هذا القول بدليلين على زعمه مقتعين اولهما اسماء اعلام الامكنة وثانيهما الكتابات اليونانيّة في لبنان

فجيب على المعارض الاول اننا اذا استثنينا بعض امكنة من سواحل فينيقية او من مستعمرات اليونان (راجع المشرق ٣ : ٢٧٠) لا نكاد نجد اسم قرية في لبنان مشتق من اليونانيّة بل اكثر الاسماء ان لم نقل كلها آرامي محض مع بعض اسماء عربية احدث عهداً . و ترى المعابد الكبرى نفسها كدير القلعة والشقة التي فقدت اسمائها الآرامية لا تعرف لها اسماً يونانيّاً . وما لا مرأ به ان المدن الساحلية التي صنف اليونان اسماءها الآرامية عادت بعد حين الى اسمائها الاصلية

اما المعارض الثاني المستند الى الكتابات اليونانيّة التي وجدت في لبنان فانه يظهر لاوّل وهلة اقوى حجة وادلّ بياناً ولكن اذا سبرناه بعميق الانتقاد وجدناه واهناً كالاعتراض السابق ولا يثبت البتّة زعم المعترض

لا نشكر وجود الكتابات اليونانيّة في لبنان وقد اسعدنا الحظ على اكتشاف كثير منها ابرزناها الى عالم الوجود في الجلات الاوربية . لكن مجرد وجود الكتابات اليونانيّة في محل ما لا يدلّ على كون اهل هذا المكان من اليونان . نرى اليوم في لبنان عدّة كتابات تركيّة او افرنجيّة على بعض المباني المستحدثة فهل يستنتج احد من هذه الخطوط ان اهل لبنان من العنصر التركي او الفرنجي ؟ وكذلك في لبنان عاديّات وكتابات لاثينيّة كثيرة من عهد الرومان فمن يا ترى زعم لاجل ذلك ان اهل لبنان كانوا رومانين . وغاية ما يستدلّ من الامران الرومان ملكوا لبنان او ان بعض اسرات منهم احتلت بعض انحاء الجبل لترويح النفس كما يفعل اليوم كثير من الاوربيين . فكذلك الكتابات اليونانيّة انما تدلّ على ان اللغة الرسميّة كانت في ذلك العهد لغة اليونان وان بعض وجهاء اللينسيين جنحوا الى آداب اليونان ولغتهم كما يتفونج اليوم ابناء الوطن فلا يتكلّمون بغير اللغة الفرنسيّة ولا يكتبون الا بها



فدليل الكتابات وحده لا يجدي إذا نفعا لبیان عصرامة ما اللهم إلا بان يضاف الى ادلة أخرى تاريخية وضعية تزيل الشبهات. وقد لحظ ذلك احد علماء عصرنا وهو فلدكه الشهير (١) قال : « انه لا يجوز الاستناد على مجرد وجود كتابات في احدى اللغات او عدم وجودها للقول بان اهل ذلك البلد كانوا من ذلك العصر او لا ». مثال ذلك مدينة بيروت التي لم يبقَ فيها حتى الآن كتابة فينيقية أفيسوغ ان نقول انها لم تكن فينيقية ؟ كلاً. وكذلك لبنان ساء من زعم ان اهله كانوا يونان او رومان لوجود كتابات قديمة فيه من عهد هاتين الدولتين

وعلاوة على ما تقدم اننا نرى الكتابات اليونانية المكتشفة في لبنان مشحونة بالاغلاط مشوهة بالتصحيفات غير تامة للعاني وكل ذلك دليل على ان الساسخ والحفارين كانوا يوسسون الالتقاط رسماً مادياً وهم لا يدركون معانيها (ج ١ ص ١٢٧)

وان قال قائل ان اعلام الاشخاص الرسومة على هذه الآثار يونانية اجنبيا مع اكبر العلماء باحوال الروم وهو العلامة الشهير مومسن (Mommssen) في تاريخه (٢) : « ان اغلب هذه الاسماء ليست يونانية او ان كانت يونانية ترى معها الاسم الفينيقي او السامي الذي كان يُعرف به الشخص ». وفي هذا القول بقتة واضحة على ان اليونانية لم تكن سوى مسحة ظاهرة وزيت خارجي تزيها به اهل لبنان حباً بالجاء وتشبهاً بتأدي ذلك العصر

ولعل المعارض يزيد على ما سبق اعتراضاً ثالثاً بقوله : « ان قيام معبودات اليونان مقام آلهة فينيقية والشام دليل على تغلب اليونان ». اجبتنا ان هذا البرهان والحق على طرفي نقيض . فانه لا يوجد بلد حافظاً لهنة على معبوداته القديمة مثل لبنان والشام فان الدين الآرامي والفينيقي صبر على كل التقاليد السياسية الى ان غلبتها النصرانية . وكل ما يمكننا ان نسلّم به من هذا القبيل ان بعض اسماء الآلهة الفينيقية برزت على صورة يونانية في لفظها . وكذلك اطلق الكتبة اليونان واصحاب الامر على هذه

(١) راجع المجلة الاسيوية الالمانية ZDMG, 1885, p. 333

(٢) راجع Roem. Geschichte, V, 453



الالهة اسماء غريبة قدموا هذا  
 « جوتير » وذاك « ابولون »  
 اما الاهلون فحافظوا على  
 اسماء آلهتهم بكل حرص حتى  
 ان المؤرخ مُنسين السالف  
 ذكره يئن في تلويحه (ج - ص  
 ١٥٢) ان اهل سورية لم  
 يغتلبوا باليونان الا اختلاطاً  
 سطحياً وثبت ذلك بانهم  
 حافظوا على اديانهم الخصوصية  
 في حلب واقامية وحمص  
 وتدمر . وكذا قل عن دير  
 القلعة حيث شاعت عبادة بعل  
 مرقد . وهذا البعل كان  
 مشهوراً وقد ورد اسمه في  
 الكتابات اللاتينية على لفظ  
 « جوتير » لا لكونه الها  
 رومانياً بل مراعاةً للدونة  
 واستجلاباً لحاطر اليونان  
 والرومان واستدواراً لعظاياهم  
 اذ كانوا يحجون اليه . ولعل  
 سدنة بعل مرقد سئوه ايضاً  
 بهذا الاسم دلالةً على  
 امامتهم للسلطة الرومانية  
 واعتصامهم بجبلها . ولذلك



فئال المشعري (بعل) البعلبكي في دير القلعة

ترى بعل بعلبك وبعل دير القلعة ملثمين في الكتابات بالقاب جوبيتر رومية العظمى المعروف « بجوبيتر كابيتولان » فيديمان مثله بالاله الصالح الاعظم ( Jupiter optimus maximus ) وكذلك ترى إلهة سامية ملثمة باسم إلهة الرومان « جونون الملكة ( ١ ) » ( Juno regina )

وقد رسمنا هنا صورة تمثال جوبيتر بعلبك الذي اكتشفه حضرة الاب رتقال في دير القلعة ترى كم يختلف الإله الفينيقي عن الإله الروماني في الصورة والهيئة ( انظر الصورة في الصفحة السابقة )

واذا عدلت الى هيكل افقا وجدت كذلك عبادة عشتاروت الفينيقية مستمرة برداء الالهة الزهرة اليونانية وإن كانت كل واحدة مختلفة عن الاخرى . وذلك يظهر من شعارها الذي لا يشبه في شيء شعار إلهة اليونان

ومما قلناه عن العنصر الآرامي في لبنان يصبح أيضاً عن لغتهم الدارجة فأنها كانت الآرامية . وهو رأي المؤرخ الشهير ميسن اذ قال ( ص ١٥٢ ) : « في نظر ان اللغة الآرامية كانت اللغة السائدة دون غيرها في لبنان على عهد قياصرة رومية » . وإن نسب احد هذا الكاتب الى الفلوسوف والمبالغة ورأى انه يفسح حقوق اليونانية في الشام تصدى له احد انبة العلماء المبرزين وهو نلدك الالماني الذي ليس فقط يوافق وطنيه مئنين بل وجد انه مقبّر في حقوق الآرامية وقد اتى مصداقاً لقوله بحجج تثبت شيوع الآرامية بحيث لا يبقى بعدها ريب ( ٢ )

ثم ولوسلمنا بان اللغة اليونانية طمست في لبنان آثار اللغة الآرامية فلا يتنج من ذلك ان اصل اللبنانيين يوناني . وليست اللهجة وحدها كافية لتعريف الاصل . وأنما ذلك دليل يقتضي تأييده بدلائل أخرى تبطل الحقيقة وتوضحها . فان التاريخ يثبت بوجود امم عديدة تكلمت بلغة غير لغتها الاصلية . فان اللاتينية مثلاً درجت بين شعوب شتى لم يكن بينها ادنى علاقة . وقس عليها العربية وغيرها

وخلاصة القول ان العنصر اليوناني كان دائماً في لبنان عنصراً زهيداً لا يُعبأ به . ونستطيع القارئ عذراً على اننا اطلقنا القول في هذه القضية التي لا يختلف فيها اثنان بين علماء الماديات



٣ الايطوريون

سبق لنا القول (ج ١ ص ١٤٤) ان الرومان لما فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا عثشوا في جباله الساحلية الممتدة من طرابلس الى جبيل . وهم الايطوريون

وايس هولاء القوم من لبنان ولما اصلهم من المبحا ومن جبال حوران وكانوا ذري بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتخذوا خيراتهم كطامة ثم نشروا الى لبنان فاستولوا عليه قبل زمن الدولة الرومانية قليل

والايطوريون احدى القبائل العربية او الارامية (١) التي كانت منذ ذلك العهد مدت ظل سلطتها على البلاد الواقعة في جنوبي دمشق وشرقيها . وكان شيخ القبيلة او انشدري يدعى بطليموس ابن مئابوس من اعظم اهل سورية ثروة وقدر . وكان يحكم على بلد الايطوريين الاصلي (٢) ويتولى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشمالية مع مدينتي بعلبك وكنيس (Chalcis) وكان له عسكر من الفرسان يبلغ عدده ٨٠٠٠ فارس

ولما زحف بيمبوس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي (٣) في قبضة احد الايطوريين من قرابة بطليموس بن مئابوس يدعى ديونيسيوس . فاضطر الرومان لتوطيد دعائم سلطتهم ان يجادوا هولاء الدخلاء حرباً عواناً كانت نتيجةها وبألا على اهل ايطورية فاسر بيمبوس قائدهم ديونيسيوس وأمر بقطع رأسه ثم توغل في لبنان فاخرب حصون جيفرتا وسنان ويورو (٤) وكان غزاة الايطوريين يقتصمون من هذه المقامات النعمة على المدن الساحلية فيوسعون اهلها نهباً وقتلاً . وقد حاولنا في مقالاتنا السابقة ان نبين مواقع هذه الحصون فلنراجع

(١) كل الاعلام الايطورية الاصل الواردة في الكتابات القديمة اما عربية واما آرامية . راجع مجموع الكتابات الآرامية (CIL. III. n° 4371 etc.) راجع ايضاً تفاصيل اخبار الايطوريين في مجمع الكتاب المقدس (Vigouroux : *Diet. de la Bible*, art. *Iturée*) (٢) ايطورية الاصلية توافق بلاد المبحا وجيدور الحالية . وقد ورد ذكر ايطورية في انجيل لوقا (١: ٣١) (٣) اعني ما يشمل اليوم قانقانيات الكورة والبترون وقسم من بلاد جبيل (٤) ان صح قوتنا عن وقوع سنان ويورو في كسروان فيكون ملك الايطوريين بلغ هذه المدة ايضاً



وقد حارب يسييوس مدينة كلديس الايطورية فدمرها . وكليس على الرأي  
الراجح هي مدينة عين جر التي ترى اثارها في سهل البقاع . اما قول البعض انها هي  
زحلة فلا نصيب له من الصحة كما سنبينه في كلامنا عن هذه البلدة  
وعلاصة القول ان الآثار تدلنا بامتداد سلطة الايطوريين في قسم كبير من  
لبنان الشمالي . ولما انتصر الرومان عليهم وفتحوا معاقلمهم تخلص ظلهم وباد ذكرهم  
من التاريخ ولا ريب ان بقاياهم امتزجت باهل لبنان  
ومما يدل على وجود الايطوريين في لبنان ما وجدنا في الكتابات اليونانية من  
الأعلام العربية لاسيما في رأس الشقعة وانحاء جبل  
وليس الايطوريون القليلة العربية الوحيدة التي دخلت في عداد اهل لبنان . بل  
نجد قبائل غيرها توطنت ذلك الجبل لاسيما التروخيين (١) . وهذا الامر مهم لمعرفة  
عناصر اهل لبنان نكتفي اليوم بالاشارة اليه فقط

#### ٢. الرومانيون

استفدنا من الفصل السابق ان الجيوش الرومانية قهرت الايطوريين في لبنان  
وكسرت شوكتهم . ولما نرى ان يسألنا وهل احتل الرومان في لبنان فاستعمره ؟ ليس  
وجود الكتابات اللاتينية المتعددة في هذا الجبل دليلاً على سكتناهم فيه ؟ نقول ان  
جوابنا عن توطن الرومان في لبنان كجوابنا عن اليونان وقد اثبتنا ان الكتابات اليونانية  
وعدها لا تدل على ان اليونان استغاثوا لبنان لسكتناهم . فهكذا قل عن الرومان فان  
الكتابات اللاتينية تشير الى ملكهم على الجبل وتدل على ان اللغة اللاتينية اصبحت  
اللغة الرسمية في بلاد الشام في القرن الاول السابق لعهد المسيح والقرنين التاليين له  
هذا ولانكر ان بعض الرومان وخصوصاً اصحاب مستعمرتي بيروت وبلبيك  
الرومانيين كانوا يملكون في لبنان اقطاعات كثيرة من جملة املاك الايطوريين لكن  
الرومان في الغالب لم يتولوا باضهم زراعة هذه الاملاك وانما كانوا يهدون ارضها الى

(١) جاء في كتاب البلدان للبقولي ان لبنان المجاور لصيدا كان يسكنه قوم من  
فريش ومن اهل البس ( راجع المجلة اللاتينية الفلسطينية ZDPV, IV, 87 )

شركاء، وطنيين يقومون بشؤونها ويستكبرونها باسمهم . وان وُجد منهم احد في لبنان فالصواب ان يقال انهم كانوا نقرًا قليلًا . ومن ثمة لا يجوز ان نلطم الرومانيين بين الشعوب اللبنانية القديمة

## • المردة •

في بيرة القرن السابع اعني سنة ٦٧٢ م يذكر مؤرخو اليونان لأول مرة قومًا يجعلون سكناهم في جبال الشام من جبل المكّام شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً وهم يدعونهم مردائين ويسمّونهم المحدثون باسم المردة . ومن غريب امر هذا الشعب انه لم يبدُ في بادئ ذي بدء ضعيفاً ضئيلاً بل نراه جاثماً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضايقة شاعلاً كل قطعه الحصينة على مسدى طولهِ من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه بل كثيراً ما ينقض من مراكزه الحوية فيغزو المعاملات القريبة منه دون ان يردّ احد هجراته . ولم يزل امر هؤلاء المردة في اشتداد حتى صار كل المهرفسين والمطرودين من اهل الوطن واصحاب الفاقة يلتجئون اليهم ويلوذون بحمايتهم ويزيدونهم عدداً وقوة . ولا غرو انهم لو ثبتوا مدة على ذلك لأتوا بالاعمال الخطيرة لولا ان ملوك الروم الذين كان المردة يخضعون لهم امردهم بالخروج من لبنان بعد ظهورهم فيه بضع سنين فاندثر امرهم على فور كما ظهروا بفتة دون ان يبقوا في لبنان اثرًا من مردودهم (١)

فن ذا ترى هذا الشعب كيف ظهر فجأة دون ان يذكر احد وجوده في بلاد الشام ولبنان سابقاً ؟ أئى خرج ؟ هذه اسئلة اقترحها قبلنا العلماء وحاولوا حلّ مقدماتها . وبما يدلّ على ان الامر ملتبس عويص ان العلماء ذهبوا في ذلك مذاهب شتى ندوتها هنا دون ان نبدي فيها رأياً تاركين لقراءتنا ان يصوّروا الرأي الذي يرونه اصحّ وثابت ولا بُد قبل بسط هذه الآراء المتباينة ان نروي اقوال الكتبة الاولين الذين ذكروا المردة مباشرة لان اقوالهم من شأنها ان تعرف هذه الطائفة وتبين خواصها

(١) زعم ريسان في كتاب بعة فينيقية ان غلمة سمر جليل من آثار المردة في لبنان وهو قول بلا دليل عرّضنا على مثله هذا الكاتب الذي يتخذ مخبئة حجّة لمزاعمه . وقد بينا غير مرة انه كثيراً ما يبري الكلام على مواضع ولا يستند الى الادلة

يؤخذ من اقدم ما ورد عن المردة ان لبنان لم يكن مركزهم الاول . قال المؤرخ تاقانوس عنهم (١) : « ان المردة دخلوا لبنان » . ( εἰσῆλθον εἰς τὸν Λιβανόν ) . وفي هذا القول ما لا شبهة فيه عن مجيئهم الى لبنان من محل آخر ، ثم اردف تاقانوس قائلاً : « والتجأ اليهم الوطنيون » ، وفي هذا دليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء عنه . أما عددهم فكان وافراً يبلغ « اثني عشر الف رجل » . شك السلاح دون النساء والاطفال . ومما يدل على بطشهم انهم في مدة اقل من نصف قرن ملأوا القلوب رعباً بفزواتهم المتواصلة

والمؤرخون اذا اشاروا الى المردة دعوهم بلفظة عسكرية وهي τούρμα يراد بها فرقة من الجند او الطابور . واسمهم هذا دليل على انهم لم يكونوا شعباً صليبية الشعوب بل كانوا على هيئة عسكرية ونظام حربي يفلحون الارض وقت السلم وهم على أهبة لمباشرة الحرب في أية ساعة كانت . ولما مثل على هذا التنظيم في أمة الكرواتيين التي كانت في القرن الثامن عشر تحافظ على حدود النمسا في جنوبها . وكان للرومان ايضاً فئات عسكرية من هذا الصنف كانوا يقيمونها عند ثغور مملكتهم فيدعونهم لاجل ذلك بالفئات الحدودية (limitanei) اعني انهم يذيون عن الحدود ويدفعون عنها الاعداء . وكان اولادهم يرثون تلك الاملاك من بعدهم ويجرون مجراهم في الدفاع عن ثغور الدولة . وكان الرومان يختارون لثل هذا المشرع قداماء الجند المحترفين في آداب الحروب ثم وكلوا ذلك بعدئذ الى بعض اهل البلاد المجاورة لحدود المملكة (٢)

وان سألت عن الدولة التي كان المردة يخدمونها اجبتك انهم كانوا تحت حكم ملوك الروم فهم الذين تقدموا اليهم بالمداومة عن الثغور الشامية وهم الذين صرفوهم عنها واتزلوهم في نواحي آسية الصغرى كما سيأتي  
فهذه الافادات عن المردة لا ريب يقرأ بصحتها كل المحدثين لانها وردت في

(١) راجع تاريخه في مجموع الآباء اليونان المجلد ١٠٨ ، ٧٣٧ ، ٧٣٥ ، ٧٢٢ ، (PG. T. 108, p. 722, 735, 737) .  
والترجمة اللاتينية هنا لا تؤذي المعنى قائماً فقد ترجم « aggressi sunt » اي « هجوموا » بدلاً من « ingressi sunt » اي « دخلوا » . (٢) راجع معجم العاديات اليونانية والرومانية Saglio et Darenberg : Diet. des antiquités grecques et latines, 1, 1374



تواريخ مشاهير الكتبة الذين عرفوا هؤلاء القوم ووصفوا احوالهم  
ولكن هذا مسألة أخرى لا يشتق فيها ارباب العلم زريد اصل المردة وجنسيتهم .  
فقد ارتأى بعض الائمة ومنهم العلامة السمعاني والحقاقلاني ومرهج بن غرون والدويهي  
ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الاوربيين كبارونيوس ولوكيان وغيرهما ان  
المردة هم الموارنة . وقوى حججهم لبيان ذلك ان المردة كانوا قوماً من التصاري  
يسكنون لبنان ولا يعرف في القرن السابع شعباً يدين بالنصرانية ويسكن لبنان غير  
الموارنة . وان اعترض معترض على اصحاب هذا الرأي بقوله ان المردة كانوا فرقةً جديدةً  
موفدة من ملوك القسطنطينية الى بلاد الشام انكروا الامر قائلين لو كان المردة  
طائفةً من الجند طرأوا من لبنان بعد انعقاد الصلح والامر ليس كذلك فان الموارخين  
يذكرون انهم داوموا غزواتهم بعد الصلح الذي عقده يستين الثاني وانهم لم يكتفوا  
من عاداتهم حتى ابرم هذا الملك معاهدةً ثانية وارسل الى المردة عصبةً تصرفهم من  
لبنان بالوعد والوعيد الى بلاد الارمن حيث كان الملك وقتئذ (١) . فهذا الاحتجاج لا  
يخلو من القوة وهو يبين ما في هذا البحث من المضلات

اما اصحاب الرأي الآخر فينكرون توحيد المردة والموارنة ويسندون رأيهم الى  
كون المردة ليسوا وطنيين كالموارنة بل غرباء عن لبنان اتوه من الخارج كما سبق القول  
ثم استولوا عليه فحاصروه في وجه العدو مدةً الى ان يرحوه بعد زمن قليل  
ومما يدعم به هؤلاء رأيهم في اختلاف المردة عن الموارنة ان المردة كانوا خاضعين  
لملوك الروم . قال ابن العبري في تاريخه السرياني (ص ١١٥) : « ان المردة جنود  
للملك قسطنطين اللصبياني ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها » . وكل هذا لا يوافق  
الموارنة الذين خلعوا عنهم ربة ملوك الروم كما يظهر من تواريخهم ومن تصرفهم مع  
ملوك بوزنطية والملكيين انصارها

وزيد اصحاب هذا المذهب الثاني ان كلام تاوناتوس وقدرينوس (Cedrenus)  
وغيرهما مما ينفي عن المردة اصلهم اللبناني . والمردة على قولهم كانوا قبل دخولهم في لبنان  
يقطنون بلاد الارمن وولايات آسية الصغرى واليهما رجعوا بعد غزواتهم في لبنان . وقد

(١) راجع ردود الثلث الرحات المطران يوسف الدبس على الاب الصودي قاله (ص ٤)  
ورسالة الينا في المشرق (٥ [١٩٠٣] : ٩١٤)

كتب احد علماء الفرنج اسمه انكتيل دويارون (Anquetil-Duperron) مقالتين مطوّلتين في مجلة الكتابات والفنون ليثبت ان المردة من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة في بمرّ الاجيال ومنهم مردة لبنان ومن ثمّ ليسوا بالوارنة (١)

وان سألت الذاهبين الى هذا القول : وما هي على رأيهم جنسية المردة . اجابك بعضهم انهم اصلاً قبيلة ايرانية دخل فيها اخلاط من عناصر سوريّة وارهمنيّة (٢) والاب مرتين في كتابه المخطوط « تاريخ لبنان » يقول ان المردة من العرب وهو يشتق اسمهم من « التمرد ». وهذا رأي ضعيف لان المردة لم يأتوا من جزيرة العرب ولا من جهة الشرق وانما دخلوا لبنان قادمين من الشمال . وهذا مما يرجح رأي القائلين بان المردة اتوا لبنان من جهة آسية الصغرى . ثم لم يُفدّ احد من المؤرخين عن دخول العرب الى لبنان في القرن السابع . وان قال القائل ان هؤلاء كانوا من نصارى غسان من الذين استعان بهم ملوك الروم اجبتا ان الفسائيين لم يخدموا اوانثذر مسلك القسطنطينيّة خدمة تُذكر بل لم يلبثوا ان انحازوا الى العرب مواطنيهم وكل ذلك يخالف ما جاء عن المردة في كتب المؤرخين . وعلاوة على ذلك ان الفسائيين كانوا من اليعاقبة وفي عهد المردة كان ملوك الروم يطاردون هذه الشيعة ولم يكن المردة من قبيلة عربيّة أخرى لان العرب كانوا في ذلك العهد من أعداء الروم فليس المردة اذن عرباً هذا ومن القرار الثابت ان ظهور الموارنة كأمة مستقلة قد اتفق مع عهد حروب المردة في لبنان . وان لم يسلم القراء بان الموارنة هم المردة فأنه لا سبيل الى الشكر ان بانه وجدت بين الفتيين علاقات ودية . ومما يتضح ايضاً من تاريخ ذلك العصر ان الموارنة عند خروج المردة من لبنان لم يتبعوهم في مهاجرتهم الى آسية الصغرى بل ثبت معظمهم في جبلهم

أما المردة فجعلوا بعد عودتهم سكناهم في وطنهم القديم بلاد الارمن . وزي منهم من قطن في جوار اضالية . وحل قسم منهم الى جزيرة قبرس واحتلّ غيرهم بلاد اليونان

(١) راجع Anquetil - Duperron : *Mémoires sur les migrations des Mardes*  
 Mém. Acad. Inscr., T. XLV, 87 et L. 1 et seq.  
 (٢) راجع تاريخ دولة الروم ٢١٣ Rambaud : *L'Empire Grec au X<sup>e</sup> Siècle*, p. 213



ومودة ونواحيها . ولم يزالوا في كل هذه البلاد على نظامهم العسكري وكان لهم ضباط يدعونهم كاتيبانو (καταβάνοι) . هذه خلاصة ما ورد في امر المردة ومن استعاد امكنته ان يراجع ما كتبه عنهم قدريشوس (ك ١ ص ٧٦٦ و ٧٧١ طبعة يون) وزوناراس في مجموع اعمال الآباء اليونانيين (ج ١٣٤ ص ١٢٩٧) وتاريخ قبرس (ج ١ ص ١٠٦) للعلامة ماس لاتري (Mas-Latrie) والسعافى في المكتبة الشرقية ومجلة اصدااء الشرق (١٩٠١ ص ١٥٦) وساخاس (Sachas : Μεσαιωνική βιβλιοθήκη, II, 45 seqq.)

#### ٦ الجراحة

قد رأى القراء ما في مسألة المردة من العضلات التي لم يحلها حتى الان فطاحل العلماء (راجع الصفحة ٤١ والمشرق ٥ : ٩١٤) على ان هذا المطلب يقودنا الى بحث آخر له صلة بعض العلاقة نعني بذلك امة الجراحة

يفيدنا التاريخ ان في القرن التاسع قبل الميلاد كانت في شمالي غربي سورية مملكة صغرى تدعى جرجومة عاصمتها مرعش . والرجح ان هذه الدولة انشئت من بقايا دولة الحثيين البائدة (راجع ص ٢٩ من هذا الجزء) خلفتها في ولاية قسم من بلادها في زمن لا يمكن تعريفة بالتدقيق . بيد اننا نعلم ان اهل هذه المملكة لم يكونوا من عنصر آرامي لان دولة الآراميين لم تمتد الى تلك الجهات على الاقل في الجيل المذكور . واسم الجراحة وارد في الكتابات الاشورية التي تفيض في احوال هذا الشعب والتقلبات التي طرأت عليه . ولا نجد بعد الآثار البابلية ذكراً للجراحة الى عهد المردة في لبنان اعني القرن السابع للمسيح

قال البلاذري في كتاب فتوح البلدان (ص ١٥٩ - ١٦٣) في مطاوي كلامه من فتح العرب لبلاد الشام : \* ان الجراحة من مدينة على جبل اللكّام عند معدن الزاج فيما بين يابس وبقا (١) يقال لها الجرجومة \* فيظهر من هذا القول ان الجراحة لم يلبثوا ساكنين في المكان الذي اشارت اليه كتابات الاشوريين قبل خمسة عشر قرناً الا انهم كانوا منحصرين في قسم من اللكّام (ألا داغ) بين مدينة يابس الساحلية ونهر قراسو . وكانت مدينتهم الكبرى التي منها اتخذوا اسمهم لا تزال تدعى جرجومة

(١) لم نجد في كتب البلدان الجغرافية العرب ما يعرفنا بموقع موقا . الا كوخا من عمل انطاكية



ثم يذكر البلاذري تاريخ الجراحة على مألوف عادت في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامه بعض الإيهام لأنه يروي في حقهم الروايات المختلفة التي جمعها دون أن يكيد ذهنه في ثبات صحتها أو التوفيق بينها . إلا أن الذي يتردى في كلامه ويقابل بين هذه الروايات الشئ يأخذه الاندهال لا يجد بين أخبار الجراحة والمردة من التشابه . فإن ما ذكره المؤرخون اليونان عن قدم المردة من شمالي سورية الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص ودمشق قد رواه البلاذري عن الجراحة على عهد الخليفة الأموي عبد الملك وهو على وشك السير الى بلاد العراق . ثم اردف البلاذري قوله بقوله : « وَصَوَّتْ إِلَيْهَا ( أي الروم ) جماعة كثيرة من الجراحة وانباط وعبيد أتاك من عبيد المسلمين » . وهو كلام يتطابق على قول المؤرخ تالوفان في المردة كان المؤرخين اليوناني والعربي سنداً قولها الى رواية واحدة لا تكاد تختلف حتى في اللفظ

ثم ينتهي امر الجراحة في تاريخ البلاذري كما ينتهي امر المردة في تاريخ تالوفان اعني بعقد معاهدة بين الخليفة الأموي وملك الروم . وكان من نتيجة إبرام الصلح كما روى البلاذري ( ص ٢٦٠ ) أن « تفرق الجراحة بقرى حمص ودمشق ورجع أكثرهم الى مدينتهم اللكّام » وهي أيضاً رواية شبيهة برواية تالوفان عن تفرق المردة ورجوعهم الى وطنهم . أما مدينة جرجومة فخربت بعد ذلك بزمان قليل

ومما روى أيضاً البلاذري ( ص ١٦٦ ) في تاريخ سنة ٨٩ هـ ( ٧٠٨ م ) أن « الوليد بن عبد الملك وجه الى الجراحة مَسْلَمَة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم على أن يقرؤا بحيث أحبوا من الشام وعلى أن لا يُكرهوا على ترك النصرانية ولا يؤخذ منهم جزية . . . » أما بطريقهم فقتل في جماعة معه انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم . وجاء في فتوح البلدان أيضاً أن الخلفاء أجروا الأرزاق على هؤلاء الجراحة واستعانوا بهم في حروبهم (١) وما ذلك إلا لأن موقع بلادهم كان في جبال ومضائق تجري فيها صوائف العرب عند نفوذهم في بلاد الروم . وكل هذه التفاصيل التي ذكرها البلاذري لا نكاد نجد لها أثراً في كتبة العرب اللهم إلا ياقوت في كتاب معجم البلدان في مادة « جرجومة »

(١) راجع فتوح البلدان (ص ١٦٦) . ومعجم البلدان لياقوت في مادة جرجومة

وهو ينقل هناك شيئاً مما أثبت البلاذري . ويظهر من كلام ياقوت ان الجراجمة في زمانه كانوا امتزجوا بغيرهم من الملل وان جرجومة عاصمتهم لم ترل خراباً . وفي تاريخ حمزة الاصفهانى (ص ٣٩) ورد ذكر « من بالشام وفلسطين من الجرامنة (١) والجراجمة » ولا بُدَّ ان يسألنا القارئ هنا عن رأينا في الجراجمة أيسكنون من المردة او يتنازون عنهم . (قلنا) ان ما يوجد من الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة من حيث موقع بلاد القريتين وبساتنها في الحروب وتواريخها يحتملنا على ان نطابق بينهما . ولا غرو فان اعظم المستشرقين في اللاتية وهو العلامة نُلدِك (Noeldeke) يؤكد لنا ان العرب في تواريخهم يدعون المردة باسم الجراجمة وان حكايتها امة واحدة (٢) ونحن ايضا نصادق على كلام هذا الكاتب الثقة بعد التدوي في ما كتب بهذا الصدد وان كنا نجد في اقوال البلاذري بعض الاشكال الا ان ذلك من الامور العرضية دون الاصلية

فان صح هذا القول نتجت عنه نتائج في امر المردة لم يلتبه اليها الكتبة الاقدمون منها ان هؤلاء القوم لم يكونوا من اهل لبنان الاصاين بل قدموا اليها من شمالي سورية اذ ان الجراجمة على قول البلاذري كانوا يسكنون جبل اللُكَّام الذي يختلف عن لُبْنان . ومما يثبت ان هؤلاء الجراجمة لم يكونوا آراميين اي من اهل سورية الاصليين ان البلاذري يذكر في جملة من انضوى اليهم الابطاط وهو الاسم الذي يدل به كتبة العرب على العنصر الآرامي (٣) . وكذلك اذا فحصنا عن الامر على حسب قوانين علم الجغرافية وعلم اصول الشعوب وجدنا ان الجراجمة ينتمون الى آسية الصغرى ولذلك نراهم يرحلون بعدئذ الى بلاد الروم ويسكنون قيليقية لقرب موطنهم

(١) الجرامنة قوم من الابطاط او آرامي العراق وفد ارنائى نُلدِك الالماني الشهير ان كتبة العرب لم يفرقوا بين الجراجمة والجرامنة والصواب ان الجرامنة غير الجراجمة . وعندنا ان فرقة من الجرامنة استوطنوا الشام كما يظهر من تاريخ حمزة (ص ٢٥ و ٢٩) وياقوت (١ : ٢٦) وكلاهما يذكر « جرامنة الشام » ولعل « جبلي جرمش » في جنوبي لبنان وبلاد بشارة تُسبأ اليهم

(٢) راجع المجلة الاسبوية الالمانية ZDMG, 1875, p. 85 . وقال نُلدِك في ذيل تلك الصفحة « ان العلماء لم يثبتوا حتى الان وحدة المردة والموارنة »

(٣) راجع المجلة الاسبوية الالمانية ZDMG, 1871 p. 124-125

منها . وفي فتوح البلدان للبلاذري أنهم احتلوا جبل الحوَّار وهو من أعمال قبايقية كما أنه اليه ياقوت في المادة

ومما يستفاد أيضاً من كلام البلاذري أمر آخر ذو بال وهو أن قسماً من الجراجمة كانوا ضربوا اطنابهم في لبنان قال في اثناء كلامه عن الجراجمة (ص ١٦٢) : « خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبك فوجه صالح بن علي بن عبدالله بن العباس من قتل مقاتلتهم واقتر من بقي منهم على دينهم وردَّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان » . وهذا دليل واضح ان قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان وليس هذا حداثاً على سبيل التخمين بل امرٌ راعى يثبت المؤلف نفسه في كلامه عن ميسون الروسي العروف بالجرجاني الذي كان مولى لبني أم الحكم اخت معاوية ابن ابي سفيان قال (ص ١٦٠ و ١٦١) : « وانما نسب الى الجراجمة لاختلاطهم بهم وخروجهم بجبل لبنان معهم » . فكان اذن في لبنان قومٌ من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانه

فقرى من بحثنا هذا الحاضر ما يؤيد قولنا السابق في ان المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحداً قد كانت على الاقل بينهم علاقات متينة . وكذا قل عن الجراجمة ولذلك افردنا لهم فصلاً ونظمناهم في سلك الامم التي سكنت لبنان . وسبق قوماً ان هذه الامم كلها امتزجت بعد قليل امتزاج الماء بالراح

#### ٧ العجم

جاء في كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (١) ان الخليفة معاوية لما فتح بلاد الشام وجد مدنها الساحلية فارغة من السكان فاستقدم قوماً من العجم ليتخذوها لهم سكناً . وقد ذكر ذلك عن طرابلس وجبل وبيروت وصيدا . بل خص بذلك ايضاً بعلبك وعرقه في بلاد عكا . فصارت كل النواحي المحيطة بلبنان في يد العجم بل اضحى قسمٌ من لبنان في حوزتهم وهي الايلات القريبة من المدن المذكورة كما يصرح اليعقوبي بهذا الامر

فقرول اليعقوبي السابق ذكره يضطرنا الى ان نجعل العجم بين الشعوب البائدة من لبنان التي بقيت منها فيه بعض بقايا امتزجت باهلها . وشهادة اليعقوبي المذكور لم نجد



لها ١٠ يؤيدها في سائر التواريخ وادّعاء البلدان (١) إلا أنها تستحق الاعتبار وتستوقف الأنظار. كيف لا وهي لسكاتب من أقدم كتبة العرب عاش في القرن الثالث للهجرة وهو من المشاهير الموثوق بكلامهم وصف في تأليفه أحداثاً قريبة من زمانه وما يحملنا على تصديق قول اليعقوبي أننا نجد في لبنان قوماً من الشيعة كالنصارى والنصيريين توطّنوا الجبل وبسطوا عليه سطوتهم وخافوا فيه آثاراً تنبئ بصحة ما سطره المؤرخ الموما إليه. ومن جملة هذه الآثار ما نراه في بعض أهل لبنان من هيئة الجسم وتقاطيع الوجه وسحنة البشرة التي يعرف بها العجم

وقد وردت أيضاً في القرن العاشر شهادة أخرى تؤكد قول اليعقوبي وهي في كتاب رحلة أحد الأعجام إلى بلاد الشام وجزيرة العرب وهو نصري خسرو الذي نشر كتابه العلامة شرل شيفر الشهير. ومما قاله صاحب هذا الكتاب (ص ١٠٠) أن «أهل طرابلس كلهم من الشيعة» وكذا قال عن صور ولا نشك أنه يريد أبناء هؤلاء الأعجام الذين استقدمهم معاوية لسكنى بلاد الشام

ولم يعد الكتبة بعد هذا العهد يذكرون العجم وعندما أن أمرهم ضعف بعدئذ لا حدث في بلاد الشام من الحروب في القرن الثاني عشر فانتفض أمرهم واختلطوا بأهل لبنان. ومنهم النصيرية والمثاوله الذين ظهروا بعدئذ

## ٦

## انتشار الأئمة المارونية في لبنان

للأئمة المارونية في لبنان مقام ممتاز تتوفر عددها فيه ولا يشها وبين هذا الجبل من العلاقات التاريخية المتواصلة حتى جاز لها أن تعتبر لبنان كوطنها الخاص. ومن ثم لا يسمننا أن نصرف عنها النظر في غضون تسريح ابصارنا في آثار لبنان وليس كلامنا في الأئمة المارونية تاريخياً إذ لم نتوخ في مقالاتنا تاريخ الجبل بل آثاره ولا سيما أن تاريخ هذه الطائفة قد شاع اليوم فلا حاجة إلى إعادة ما يعرفه القراء (٢) وعليه فنقتصر في هذا الباب على ما يخص بأشوء الطائفة وانتشارها في لبنان

(١) الأبن رستم والبلاذري

(٢) داجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي الذي نشره الأستاذ المرحوم رشيد الشرتوني

فَتُعَدُّ بهذه الدروس الخاصة المواد لتاريخ اعم واكمل . وفي الفصول السابقة توطئة لهذا الباب وفيها ذكرنا الشعوب الذين جعلوا قبل الموارنة سكناهم في لبنان . ومنهم من خلَّط فيه شعباً من عنصر كالدودة والجراجمة بقي منهم فئات في القسم الثاني من القرن السابع الذي نخصه الآن بالبحث

وكان الموارنة في ذلك العهد عبارة عن مجموع زُمر آرامية لم يمسها العنصر اليوناني وقُدَّته تقيم خصوصاً على مقربة من أقاليم في جهات دير مار مارون ومنه اتخذوا اسمهم . ومن ثم انتشروا في وادي العاصي وخصوصاً في معرة النعمان وفي شيزر وحماة وحمص كما يظهر من نص للمسعودي ورد في كتابه المعنون بالتبليغ والاشراف أَلَمْنَا اليه غير مرة وإذا راجعنا اقاريل قديماء المؤرخين كابن العربي في تاريخه الكنسي السرياني (١) وابن بطريق (٢) وغيرهما وجدنا الموارنة في مقامات أخرى اقرب الى الشمال كمنبج وقسرين والناحية المعروفة بالعواصم . ومن المحتمل ايضاً انهم كانوا في انطاكية وجوارها لان انطاكية تُعد كحاضرة هذه الناحية وفيها تدخل مدينة قورس المتكررة ذكرها في ترجمة القديس مارون لتاودوريطس اسقف هذه المدينة (٣) . وكتبة الموارنة يوافقون على انتشار طائفتهم في تلك الانحاء وشهادتهم في ذلك صحيحة مستندة الى نصوص وضعية لا تُنكر . ونحن اول من يرضى بثل هذه الشهادات المؤيدة بالبرهان

وان سأل سائل هل يُعرف عدد هذه العشائر المارونية المستعمرة في سورية الشمالية وسورية الوسطى . اجبتا انه ليس في وسعنا ان نعين ذلك بالتدقيق لكثرة يؤخذ من نبذة سريانية تاريخية اوردها المشرق في سنته الثانية (ص ٢٦٧) نقلاً عن المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG, 1875) ان هذا اللف كان ذا عدد وافر اذ حضر بصفة

(١) الجزء الاول منه (ص ٢٧٠ - ٢٧٤)

(٢) راجع تاريخه في مجموع الآباء اليونان (ج ١١١ ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨) ومنه في مكتبته الشرقية نسخة خطية قديمة ويؤمن ابن بطريق انه دخل بين الموارنة قوم من الزوم لئلا يريد الآراميين المتجنسين بالجنسية اليونانية كما كان منهم كثير في سورية . وان صح قولنا كان له شأن لتقرير العناصر السورية وغيرها

(٣) راجع كتاب البلدان لابن رسته (ص ١٠٧) ونجوح البلدان للبلاذري وكتاب التبليغ للمسعودي وغيرهم من كتبة العرب . وقد تبناهم في كتابة اسم قورس بالسين بدلاً من قورش بالسين وفقاً لفظ الآرامي



فرقة دينية امام الخليفة معارية فجرى بينها وبين اليعاقبة جدال كانت فيه الدولة على اليعاقبة . وكان اصحاب هذه البدعة جيلاً كبيراً في ذلك العهد فالولا ان الموارنة كانوا على نوع ما يعادلونهم عدداً لا يحكم لهم الخليفة على اختصاصهم وكان دخول الموارنة الى لبنان على رأينا في القسم الثاني من القرن السابع هاجروا الى الجبل من وادي العاصي . وكان في هنا بالقاري يعترض لي فيقول : ما لك تذكر هجرة الموارنة الى لبنان اليس أصبح ان يقال ان سكان لبنان الاصليين هم الموارنة . فالجواب على ان مبادئ تاريخ الموارنة الديني تشير صريحاً الى كون هذه الطائفة كانت اولاً خارجاً عن لبنان . ومن المعلوم انها تنسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شمالي سورية في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس ثم تراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمن لم نسمع لها بذكر في لبنان . ثم بعد ذلك بمدة نجد الموارنة يتوغلون في هذا الجبل مهاجرين اليه من الشمال ونواحي سورية المتوسطة . فلابد ان اذن من التسليم بتغلل الامة . وفي تاريخ توفانوس كما في فتوحات البلاذري اشارة الى هذه الهجرة كما سنبين آنفاً

ولكن ترى ماذا حمل الموارنة الى مبارحة وادي العاصي والسبب في مقاماتهم فيه ليسكنوا لبنان نجيب ان الرأي عندنا انهم عدلوا الى لبنان تخلصاً من اضطهادات مجاورهم فخص منهم بالذكر اليعاقبة اعدائهم . وكان اليعاقبة في ذلك الوقت اصحاب بطش وسطوة لهم في اقامية ونواحيها الكعب الاعلى . وكان لهم قريباً من اقامية دير عظيم على اسم ماري باشوس (١) بلغ عدد رهبانه ٦٣٠٠ . ولما كان الفريقان على طرفي نقيص قضى على الموارنة المهاجرة

وقد بينا ما كان بين الالبيين من العداوة . ولنا على ذلك برهان آخر اقدم عهداً ورد في تاريخ الكنيسة لابين العبري (المجلد الاول ص ٢٧٠-٢٧٤) قال ان في عهد الملك هرقل حدث بين رهبان مار مارون واليعاقبة مشاحنات (٢) فانزعج الاولون من ايدي

(١) راجع مقالة الاب شابر في مار باشوس L'abbé Chabot: La légende de Mar

Bassus et de son couvent à Apamée, p. 55, 60, 63.

(٢) ان في هذه المناظرات بين الموارنة واليعاقبة دليلاً واضحاً على بطلان مزاعم بعض الكتبة الذين نسبوا للموارنة اخلايل يعقوب البرادي في طبعي المسيح



اليعاقبة كئاشهم برضى ملوك القسطنطينية فحاول اليعاقبة استرجاعها في أيام معاوية فلم ينالوا بالرغوب . ولا غرو أن اليعاقبة كانوا يترقبون الفرصة ليزاحموا الموارنة شيئاً فشيئاً ويضطروهم الى ان يخرجوا من اماكنهم فطلب الموارنة لهم ملاجئاً حريزة يحصلون فيها على الدعة والسكينة . ولعل خراب دير مار مارون حدث في ذلك العهد وكان بعض اليعاقبة سبباً لحراجه

بيد ان هذه المهاجرة لم تكن دفعة واحدة وانما حدثت في ازمدة متوالية فكان المهاجرون ينتقلون الى لبنان زرافات زرافات . وفي عهد المسمودي اي في القرن العاشر نجد منهم بقايا في وادي العاصي خارجاً عن لبنان . اما دخولهم في هذا الجبل فكان في وقت المردة والجراحمة وفيهم يصح خصوصاً قول تافانس « ان كثيرين من اهل البلاد احتسوا في ذراهم ( اي المردة ) » وقول البلاذري في فتح البلدان (١) « ان جماعة كثيرة من الجراحمة والانباط والعبيد الأتراك ضروا الى الروم » اراد بذلك الموارنة فدعاهم باسم الانباط دلالة على اصلهم الآرامي

وكان دخول الموارنة الى لبنان من الشمال اعني انهم تبطنوا وادي الأرنب فاجتازوا اقامية وحماة وحمص الى ان قرأ قراهم في الجبل . فسكنوا أولاً جهات الشمالية ثم تقدموا الى واسط ثم بلغوا جنوباً . هذا ما يمكن استخلاصه من النصوص التاريخية التي ورد فيها ذكر اقتدار الموارنة في لبنان

وقد بينا في مقالتنا عن سكنى لبنان في قديم الزمان ( راجع الصفحة ٢٣ ) ان مشارف الجبل والجهات المعروفة بالجرد بقيت الى القرن السابع قليلة السكان كثيرة الغابات . أما « الوسوط » فكانت مأهولة وان كان اهلها اقل عدداً من الارياف والسواحل . فلا مرأ ان الموارنة سكنوا اعالي لبنان خلوها من السكان . واحتلوا أولاً اودية الجبة اعني مقاطعات اهدن وبشري وحدث واهلهم اقوا هناك بعض الدساكر التي كانت سبقت عهدهم على الاصح كقرية اهدن وقرية بشري (٢) وعندنا

(١) راجع الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب

(٢) راجع آثار لبنان ج ١ ص ١٣٧ وهناك بينا ما يخص اهدن وبشري . اما الحديث فمن اقدم قرى لبنان ورد اسمها في ترجمة الشافعي للادريسي وتكرر ذكرها في اخبار اصول الطائفة المارونية

ان الوارثة نزلوا ايضاً في بعض اماكن من منحدر الجبل قريباً من البترون عند دير كفرحي القديم (١٦) . ولعل مدينة البترون نفسها اصبحت من اول مساكن الوارثة كلها او على الاقل قسم منها

فيكون اذن اول مركز احتلته الوارثة عند ولوجهم لبنان معاملة الحية وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الامة المارونية كما اشرنا اليه في مرة ومن الحوادث التاريخية الاولى التي جرت بعد سكنا الوارثة في لبنان ما ذكرناه في مقاتلتنا عن الجراجمة وهي شكاوى اهل الجبل من عامل بعلبك وكان الامام الشهيد محمد الاوزاعي ممن دافعوا عنهم والتصروا لهم . قال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٦٢) عن محمد بن سعد عن الواقدي قال : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن العباس من قاتل مقاتلتهم واقروا من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان . فعحدثني القاسم بن سلام ان محمد بن سعد حدثه ان الاوزاعي كتب الى صالح رسالة طويّة يحفظ منها وقد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالاً ان خرج على خروجهم . ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف توأخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم . . .

ولما كثر عدد الوارثة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الامتداد الى الجنوب واحتلوا بلاد جبيل ومما يشهد على سكناهم في معاملتي جبيل والبترون منذ ذلك العهد عدة كنائس سبق لنا وصفها في مقاتلتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع الجزء ١ - ص ٧٩) وقد بقي الوارثة في تلك النواحي قوماً من اهل البلاد كانوا يسكنون الساحل والوسط . غير ان عددهم لم يكن متوقفاً . وكان اكثرهم نصاري يتكلمون باللغة الآرامية ويعيشون فيها طقوسهم الدينية . وعندنا ان هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يخرجوا بعد قليل بالوارثة امتزاج الماء بالراح كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والجراجمة الذين تغلبوا في لبنان . وكانت مهاجرة سكان وادي الأردن الى لبنان لا تزال متواصلة متتابعة لمزاحة اليعاقبة واضطهادهم للموارنة



وكان الملكيون مع هذا يقطنون بعض قرى لبنان في بلاد البترون وجبيل مثل كفرشليان وحدتون (١) وبقسمايا (٢) ودوما والقرى المجاورة (٣) وكفور (٤) وغزوز وغيرها. وكان الملكية في لبنان يتبعون أنثى في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الراجح ايتورجية القديس يعقوب التي ناقضها بعد ذلك البطريك ثودوروس بلسون (٥) واستبدلها بليتورجية القسطنطينية. وفي ما خلا ذلك لم يختلف الملكيون عن بقية الآراميين في اصلهم ولغتهم. وما لا ريب فيه ان الكتابات اليونانية لنصارى لبنان قليلة جداً لا يعرف منها الا كتابتان او ثلاث كتابات. اما الكتابات التي ترى على بعض الصور في سيده نيا بكفرشليان مخطوطة باليونانية فليست هي للوطنيين وانما كتبها مصورون بوزنطيون او مثلبا الوطنيين كما وجدوها في امثلة بوزنطية قديمة

وبعض الترى التي كان يسكنها سابقاً الملكيون زارها بعد ذلك مأهولة بالوارنة اما لان الوارنة دخلوها فامتزج بهم الملكيون. وإما لان الملكيين هاجروها فانتقلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجهلها

وخلاصة الامر اننا اذا استثنينا اليهود نجد في تركيب الامة المارونية ما نجده في تأليف جميع الامم التي تتكسب اصولها من عناصر شتى. وكذلك الامة المارونية اذا اعتبرتها في اواخر القرون الوسطى رأيتها تتألف من اصول مختلفة اولها واعظمها شأناً الوارنة المهاجرون الى لبنان من سورية الشامية وسورية الوسطى ضوى اليهم قوم من الأتراك والطرده الذين لاذوا بحسى المردة والجراسة الباقين في لبنان فضلاً عما كان هناك من القبايل الاصليين. فهذه العناصر كلها تمازجت بعد حين وصارت امة كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر معها دققوا في البحث ان يفرزوا جنسياتها الاصلية

(١) راجع في الجزء ١ - ص ٨٦ و ٨٧ مقالنا عن هذين المجلتين

(٢) تاريخ الدويجي (ص ٢٠٧)

(٣) منها كفرحلدا وقد وجدت فيها آثار ابنة للملكيين

(٤) راجع كتاب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب الخدي زيات (ص

١١١ الخ) والمشرق (٥ : ١٠٤ و ١٠٦)

(٥) راجع المشرق (٣ : ٢٧٢)



فاذا لحظنا غو الأمة المارونية كما تقدم واعتبرنا ان عدد المواليد يفوق كثيراً عندهم الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكره غيلاموس الصوري في تاريخ الصليبيين حيث احصى الموارنة اربعين الفا . وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما روي في تواريخ الاعصار المتوسطة عن الموارنة انهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبسة الى نهر ابراهيم . وهو قول صحيح غالباً مع بعض شذوذ كما ستري قريباً عند ذكرنا قوم من غير المسيحيين سكنوا في ايلات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

ومما ورد ايضاً في التواريخ الصليبية ذكر مقدم ماروني يدعى سمعان تولى عيقتاب في شمالي سورية ١١ ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان أمن الذين في لبنان او ممن تغلبوا في بلاد العواصم . اما كونه من موارنة العواصم فاقرب الى الصواب ونجد قبل هذا العهد قوماً من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني المنجم الرهاوي قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٢١٩ و ٢٢٠) : « كان رئيس منجمي المهدي . . . وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن (٢) ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايلبون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بقاية ما يكون من الفصاحة . » وكذلك نجد في عبر دجلة بين الموصل وبغداد جماعة من الموارنة ذكرها في القرن الثالث عشر الراهب ريكناند دي مونكروا ( Ricold de Monterois ) وروي ان لها مطراناً يدبرها (٣) . ولعل قيساً الماروني المؤرخ الذي اسهب في ذكرهم الشرق (٤) : ٢٦٥ و ٣٥٦ و ٤٥١ ) كان من تلك الجماعة . وعلى كل لا نرى احدًا من كتبة الموارنة ذكر هذا الطران في ما وراء دجلة . وكل هذا دليل على ان في تاريخ الأمة المارونية اموراً عديدة لم يحسر بعد عنها اللثام . ومن المحتمل ان الكتبة سكتوا عن هذا الطران كما سكتوا عن غير لان الاساقفة المارونيين كانوا مدّة الاجيال السائلة

(١) راجع تاريخ مملكة اورشليم - Roelricht : *Geschichte des Königreichs Jerusa-*  
*lem* p. 220, note 6. (٢) وجدت منه بعض مقاطع مختصرة في تاريخ المنجي  
الذي نشره الاب ل. شيخو (ص ٢٦٦)  
(٣) راجع Quatremère : *Mémoire sur les Nabatéens* p. 149

كنوآب البطررك ومعاونيه دون روم كرسي خاص . وانما جعلت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط .

وكان القرنان الثاني عشر والثالث عشر قرني نهوض وترقى في لبنان . وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طرز خاص ترينها الكتابات السريانية وفيها من نقوش القسيسا . والتماثيل المأونة ما سبق وصفه (١) . وفي هذه الابنية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمتهم . لم يزل ينمو هذا العدد ويتزايد حتى هاجر قسم منهم الى النواحي المجاورة من فلسطين ولأسيّا القدس الشريف وكان لهم فيه عدة كنائس (٢) . وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودس . أما قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر وبقى لهم في هذه الجزيرة ديراً (٣) في تاريخ سنة ١١٢٠ . وقد غنوا غنى عظيماً حتى انهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعة (٤) وكان يرعاهم مطران من طائفتهم . وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥) وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة . أما دخول الموارنة في رودس فمماثلة انه جرى على عهد الفرسان المعروفين بالاسبيتلار (Les Hospitaliers) لما احتلوا تلك الجزيرة فقيمهم الموارنة . وكذلك ذهب قسم منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودس الى جزيرة مالطة وخلق بهم بعض من اخوانهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن . ولعل وجود الموارنة في مالطة ممّا ساعد على حفظ العربية ونشرها في تلك الجزيرة . ومن المعلوم ان اهل مالطة يتكلمون باللغة العربية مشوبة بالقاذخ دخيلة من اللغات الاجنبية .

أما حلب فيظهر من نص ثوما الكفروطاني ورد في المشرق (١١٨:٩) ان الموارنة

(١) راجع في الجزء الاول مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة .

(٢) المشرق ١ : ٩٢ .

(٣) راجع سلسلة جازكة الموارنة للدويهي (الطبعة الثانية من ٢٢ الماشية الاولى) .

(٤) راجع تاريخ قبرس ١٥٠ : ١٦ . L. Machéras : Chronique de Chypre, trad. f. ١٥٠ .

(٥) وجاء في رحلة يعقوب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٤٦ انهم وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون ديارهم على طريقة الروم . ولا نعلم ما بني بذلك أعلمه يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانية في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة ؟ فهذا ممكن .



كانوا فيها منذ زمن قديم لكن اخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم مدد جديد من لبنان (راجع المشرق ٥ : ١٠٣٩ في الحاشية الثانية) ولنعودن الان الى الوارثة المستوطنين لبنيان فانهم كانوا في غنى وازدياد يمتدنون شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة . قال النويهي : « وبسبب ما اشتهر به لبنيان لوتنذ من الامن والطمأنينة قصدت الناس من الاماكن البعيدة (١) لسكنى النواحي التي يهجرها المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسط

ومع هذا النمو لا نرى الامة المارونية تتقدم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . اما لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورووس كما سبق واما لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد فبقي الوارثة ما وراء نهر ابراهيم وهذا لا بد من تكرار ما قلناه غير مرة في مقالاتنا (٢) ان كسروان ليس من المقاطعات التي اوى اليها الوارثة قبل القرن الخامس عشر . وقد اوردنا نصاً للدريبي ذكر فيه وجود اليعاقبة في جونية (المشرق ١ : ١٠١٨) . وان سأل القارى ومن كان يسكن اذن كسروان قبل هذا العهد اجبتا ان معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتأولة او من النصيريين . وكان النصيريون قاطنين ايضاً في بعض نواحي لبنيان الشمالية كجبهات البقرون ونواحي النيطرة والمقورة (٣) ولكن عددهم الادنى انما كان في كسروان . وقد ذكر صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (٤) الغزوات التي باشرها نواب الشام في أيام السلاطين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمد بن قلاوون فعادوا النصيرية في جبال كسروان ولم يزلوا يناجروهم القتال حتى اخرجوهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقل في بعض النواحي وبقي كثير من المتأولة معهم . هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا الا اننا نعلم بلا ريب ان النصارى لم يحتلوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

(١) راجع تاريخ النويهي (ص ١٤٠)

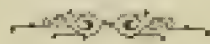
(٢) راجع المشرق (١ : ٥٦)

(٣) ولنا في النصيرية مقالة افرضية جونا فيها كل ما يختص بآثار النصيريين واحوالهم وسنأها باسم « النصيرية في لبنان » ونشرناها في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٣

(٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤ - ٥١)



ولما كانت أوئل القرن الخامس عشر جعل الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويضعون الى كسروان . وكان انتشارهم فيه سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلها لهم . وامتدّ من ثمّ الموارنة الى مقاطعتي المتن والشوف . لكننا نقف عند هذا الحدّ لأننا ندخل في اخبار قريبة من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان نسطر تاريخ لبنان بل ان نبين بوجه الاجال كيف انتشرت الامة المارونية . اما تفاصيل اخبارها فليست الان من شأننا وقد مرّ منها كثير في ابجاثنا السابقة وستورد ان شاء الله غيرها في ما بعد



## بحث جغرافي

### في سيرة القديس مارون الناسك

إكمالاً لبحثنا عن منشأ الطائفة المارونية وتكوينها نضيف الى ما سبق من الكلام بعض افادات تتعلق بحياة القديس مارون الذي خلف اسمه للطائفة المارونية . غير أننا لا نتجاوز الحيز الجغرافي الذي رسمناه فتكلّم من ثمّ على حياته لا من الوجه التاريخي بل من الوجه الجغرافي لاسيما وان هذا الوجه قد كثر تفاصي الباحثين عنه حتى الآن فبقيت فيه مشاكل كثيرة لا بُدّ من تفكيك معضلاتها

»

ليس في ايدينا شيء يروي اخبار القديس مارون غير مصدر واحد اصلي اي الترجمة التي تركها توادوريطوس اسقف قورس (١) وهي تركة جلية القدر يكفي انسابها الى هذا المورخ الجليل للحكم على مكانتها من الاهمية ولولا ايجازها المفروض لا وجدنا فيها مسانعة للانتقاد ونأخذ عليه انه اهمل الوجه الجغرافي اهمالاً تاماً حتى اننا لا نجد في ترجمة القديس مارون سوى اسم واحد من اسماء الامكنة وسبب ذلك هو انه دون ما

(١) راجع تأليفه المصنوع « تاريخ الرهبان » في مجموع الاباء اليونان مج ٨٢ واليه نشير في هذه المقالة

دون لحمل معاصريه على سلوك طريق الفضيلة بإيراد سير الزهاد والقديسين فلم يخطر  
 له في بال أن يشفي رغائبهم في أمور كان يفترض أنها معروفة عند جميعهم  
 وبناءً عليه نأسف كل الأسف على عدم العناية إلى هذا الشأن الذي لو أراد  
 الكتابة فيه لكان وفاء حقه من البيان بغاية الضبط والدقة . ونسب أنه لم تكن  
 له معرفة شخصية بالقديس مارون فقد كانت له صداقة بليغة مع القديس يعقوب (١)  
 أشهر تلاميذه الذي اطلعه على كل ما يتعلق بمن يصفه هذا المؤرخ اليوناني تارةً بمارون  
 الكبير وتارةً بمارون «الاهي» (٢) . وكأن تادوريوس خشي في كلامه على الإبطال  
 المسيحيين الكثيرون العدد من تكرار أخبار الخوارق والعجرات فبالغ في اختصار سيرة  
 القديس مارون بنوع أن من يطالعها تتبادر إلى ذهنه في الحال مسائل كثيرة لا يجد  
 لها حلاً وهي: أين ولد القديس مارون وأين عاش وابن دُفن وابن هو الدير الذي تسمى  
 باسمه . فإقاماً لهذه التناقض عزمنا على أن نسرّد في الصفحات التالية كل ما تيسّر لنا  
 جمعه من المعلومات المؤدية على قدر المكنة إلى العلم الكافي بأحوال الناحية التي  
 تعطلت بأريخ هذا الناسك العجيب ولهذا نضرب صفحاً عن الاطناب في حياته  
 متوسعين بوصف البلاد التي صرف فيها أيامه لأن ذلك اعون على فهم ترجمته

١

في القسم الشمالي الشرقي من سورية كانت تمتد في ذلك الزمان القديم مقاطعة  
 كوماجينة وهي ناحية منسمة الاطراف يحدها من الشمال جبل طوروس ومن الشرق  
 نهر الفرات ومن الغرب قيليقية . وأما من الجنوب فيصعب تحديدها ويجوز لنا رسمها  
 بخط غير منتسق يذهب من الفرات إلى ما تحت هيرابوليس (منبيج) حتى يتصل بجبل  
 امانوس (الداغ) ماراً تحت مدينة حلب وشمالاً بحيرة العمق بالقرب من انطاكية  
 هذا هو اعظم اتساع ادركنة كوماجينة عندما كانت تشتمل ايضاً على المقاطعة  
 « القورسية » (٣) التي دُميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة قورس حاضرتها وكان موقع

(١) راجع في تاريخ الرهبان تراجم تلامذة القديس مارون

(٢) Θεωσιος

(٣) وفقاً لبعض قدماء المؤرخين

هذه المقاطعة الثانية في جنوبي الاولى وسنذكر بُعيد هذا مقدار امتدادها (١) لان الكلام عليها لا يخلو من فائدة كبرى للاطلاع على اخبار القديس مارون وحتى يكون للقارى تصور صائب بهذه المقاطعة نكتفي الآن من القول ان كوماجينة تنطبق في الحاضر على قسم من ولايتي معسرة العزيز وحلب غير ان الجزء الاكبر من كوماجينة هذه كان في ضمن ولاية حلب اعني انه كان يشمل بالتقريب كل متصرفية مرعش ويدخل فيه من متصرفية حلب المركزية اقسية عينتاب وكأس والباب وحارم وجبل سمان ومنبج . أما من متصرفية اورفة فما كان يحتوي غير قضائين غربي الفرات اي جزءا من قضا في بيرجيك وروم قلعة

وكان الذين استوطنوا هذه المقاطعة من بادي الاسر قبائل الحثيين ومنها امتدوا بعد ذلك الى بقية سورية . يدل على ذلك ما عثر عليه الباحثون من الآثار التي ابقاها للاجيال الفائرة هذا الشعب الذي لم يُعرف من اخباره حتى الآن شي كثير (٢) . على ان القبائل المذكورة ما لبثت ان اختلطت بالآراميين الذين أسروا هناك كثيراً من الممالك أخضعا بيت عدين وارباد وكانت قاعدة هذه المملكة الثانية مشيدة في موقع تل أرفاد شمالي حلب

وكانت كوماجينة في عهد دولة السلوقيين من جهة مقاطعات الملك الذي اسره غير انها ما لبثت ان استعادت استقلالها ولجعت ولايتها الى مالوك من اهلبا . وبعد وفاة انطيوخوس الثالث في السنة السابعة عشرة للمسيح صارت الى الرومانيين فادخلوها في جهة مستعمراتهم وأثما ذلك لم يدوم إلا سنوات قليلة لانها في السنة الثامنة والثلاثين ردت الى ابن الملك انطيوخوس السابق ذكره وبعد مرور اربع وثلاثين سنة اي في السنة الثمانية والسبعين خضعت بوجه نهائي الى المستعمرات الرومانية وكانت سبيساط حاضرة لها ( راجع ماركارت في نظام المملكة الرومانية . مج ٢ من الترجمة الفرنسية ص ٣٤١ و ٣٤٢ )

أما سكان المقاطعة المذكورة فكانوا آراميين أصلاً ولغة . نعم ان الآداب اليهودية

(١) راجع استرابون ( ك ١٦ ف ٢ ) وبليفيوس ( ك ٥ ) الخ

(٢) راجع الصفحة ٣٩



كانت قد دخلت البلاد بدخول السالوقيين واصابت نجاحاً جديداً في أيام الرومانيين غير ان هذا النجاح كانه على ذلك العلامة لذلك لم يتصل الى درجة امتدت معها اللغة اليونانية او الآداب اليونانية امتداداً عظيماً بل كانت غاية ما نالوا منه ان صناع المغرب وطريقة المعاش فيه قد فازت بشيء من التقدم وان بعض عناصر الحضارة الغربية قد تسربت الى افكار القوم المتدينين ولتقتسم . قال لذلك : « اما القول بان اللغة السريانية قد زالت من المراكز المتهذبة فهو من قبيل المبالغة والغلو لان الآرامية كانت لغة قديمة استعملها اهل التمدن في التخاطب والكتابة بينما كان القوم في رومسية وارباضها لا يعرفون في ذاك الوقت حروف الهجاء . وفي أيام ملوك الفرس الذين كان شهرهم تورش الملك اتخذت الآرامية لغة رسمية في مصر وفي آسية الصغرى ايضاً اي في خارج موطنها الاصلي . وفي أيام الامبراطرة الاولى الرومانيين نجد الآرامية ايضاً كلغة رسمية لا في تدمر وحدها بل ايضاً في المملكة النبطية حتى بلاد العربية في الجهة التي تعرف اليوم اي في ناحية غربية عن منشأ اللغة المذكورة على ان ذلك لم يكن نتيجة لتغلبها السالف بدليل ان آثار تدمر والنبط تنطق بان هذه اللغة اصابته غواً وانتشاراً فيما بعد أيام ملوك الفرس وعلى ذلك فقد كانت اللغة الحية في سورية وبها كان القوم يتخاطبون ويتكاتبون

» نعم ان اليونانية كانت من زمان قد حلت محلها في الاصطلاح الرسمي لكن القوم في ما خلا ذلك لم يكونوا يكتبون ولا يتكلمون بالآرامية ولا يصح في كل حال تعليق اهمية كبيرة على ما كان يعمل بعض اهل المدن من تكليف معلمي المدارس بكتابة بعض تواريخ يونانية على مدافن امواتهم مع انهم يكادون لا يفقهون منها كلمة واغلب هذه التواريخ مشوهة بالاغلاط فوق ما يمكننا وصفه (١) انتهى كلام لذلك فيستدل من بياننا ان مقاطعة كوماجينة كانت كبتية سورية آرامية محضة كما سبق لنا اثبات ذلك في غير هذا الموضع . اما مستخدمو الحكومة وقليدون غيرهم من افراد السكان فكانوا يفهمون اليونانية ويتكلمون بها لا اكثر وفي اثناء القرن الثالث والقرن الرابع تقسمت سورية تقسيم ادارياً جديداً

وسند ذكر تفصيل هذا الامر واخباره في خلال مقالتنا هذه . اما كوماجينة فقسّمت على إثر التقسيم المذكور بسورية الفراتية نسبة الى الفرات وجعلت هيرا بوليس ( منبج ) قاعدة لها وجرى كذلك بعض التعديل في حدها الجنوبي فتصدت الى الجنوب ولا سيما في النواحي القريبة من الفرات غير انه سلّخت عنها ناحية حلب وألحقت بسورية الاولى وكانت في جنوبي كوماجينة ناحية تدعى « القورسية » ولا بد لنا من توفية الكلام حقاً على هذه الناحية نظراً لما يترتب على تعريفها من الفائدة في المسألة التي نحن بصدد حلها

وكان لهذه التسمية كما نغيرها من التسميات الجغرافية امتداد يعظم ويقل بحسب الازمنة ففي أيام استرايون كانت تطلق على ارض واسعة تذهب من جبل امانوس الى الفرات وتشمل خلا ناحية قورس ناحيتي حلب ومنبج ، غير انها بعد ذلك كأيام القديس يوحنا فم الذهب والقديس مارون مثلاً انحصرت بناحية مدينة قورس فمن هذه الناحية الاخيرة نتكلم الآن ولزيد التوضيح ندعوها « القورسية الصغرى » وسنبحث عن وصفها في كتب توادوريطوس الشهير الذي تولى استقصائها مدة طويلة من السنين كانت مسافة القورسية الصغرى اربعين ميلاً في عرض مثلها وكانت فيها جبال معتدلة الارتفاع بين سبعة وثمانائة متر معظمها كاسر بالغابات . ومع انها ليست بذات ثروة وغنى كان فيها نحو ثمانمائة محل بين دساكر وقرى كبيرة كما يتبين ذلك من رسالة توادوريطوس كتبها الى القديس لاون الكبير فيها يخبر البابا المشار اليه انه يعتني بثمانائة كنيسة ( ١ ) . ولم تكن فيها سوى مدينة واحدة اعني بها قورس التي باسمها تسمت الناحية كلها . وسند ذكر كيف كانت المدينة في أيام القديس مارون غير اننا قبل ذلك يجب ان نعين موقعها وموقع الناحية التي كانت قاعدة لها ومركزاً مدنياً ودينياً

على مسافة ستين كيلومتراً شمالي حلب تبعد مدينة كنس التي هي قصبة قضاء بسن عن اسمها واذا توغلنا في الجبال على مسافة خمسة عشر كيلومتراً نحو الشمال الغربي ندرك الحارطة على شبه واد فني هذا الوادي كانت مدينة قورس التي كان توادوريطوس استقراً لها وحتى اليوم ما زالت خرائبها ناطقة بكبرها واتساعها واهل البلاد يسمونها

( ١ ) راجع الرسالة ١١٢ وفيها يعترف توادوريطوس باولية الحبر الروماني . راجع ايضا



« قورس » أو « كورس » وليس بين أيدينا لسوء الحظ وصف مدقق لهذه الخرائب والبلاد المجاورة لها لأننا لم نرها كما أن السياح القليلين الذين زاروها لم يذكروا لنا شيئاً من نتيجة أبحاثهم عنها . وآخر من زارها من السياح هو المسيو برتلمي ترحمان قنصلية فرنسة في حلب وذلك في شهر ايلول سنة ١٨٩٤ غير أننا لم نر من تقريره سوى خلاصة يسيرة ظهرت في نشرة مجمع الكتابات لسنة ١٨٩٥ (١) تتضمن ثلاثة رسوم شمسية تمثل « اخرية قورس العظيمة » ووجد أيضاً بين اوراق المشرق الشهير غيلدميستر مقالة عن قورس لم تُنشر بالطبع (ZDPV, XIV, 82) وكل هذه الناحية التي يهم البحث عنها كثيراً توضيحاً لنشأة الطائفة المارونية وتاريخ النصرانية في سورية تستحق أن يقصدها الباحثون وينقبوا في آثارها بالتفصيل والتدقيق . غير أننا استدراكاً لتقصيرهم بذلنا الجهد حتى نجعل من الكتب كل مسألة بالقورية علاقة قريبة أو بعيدة وسنجعل جلي اعتماداً في هذه المسألة على مصنفات تولدريطوس ونتخذهُ إماماً لنا في بحثنا هذا

٢

إذا تابعنا فورير (٢) وجب القول بأن قورس من اقدم المدن السورية وأنها سبقت دمشق لأن هذه على موجب قوله قد أسستها إحدى المستعمرات التي أتت من قورس . غير أن تعليل فورير منقوض لأن آية النبي عاموس (٢:٩) التي يعتمد عليها لا تصح له إلا إذا ثبت أنها تشير الى مدينة سورية لا الى ناحية من اسية الصغرى مع أن هذا الرأي الثاني اقرب واوفر احتمالاً (٣)

وزعم آخرون أنها تأسست اكراماً واجلالاً لقورس العظيم ملك الفرس ولعل هذا الزعم ناجم عن كتابة بعض المؤرخين البيزنطيين الذين كانوا يكتبون Kúpos بدلاً من Kúpos . وكان موقع المدينة في ناحية قليلة التضاريس وكان فيها على عهد الرومانيين طريقتان رومانيان تشبه أحدهما الى الزها والأخرى الى حماة (٤) ويظهر من التاريخ أنها

(١) Comptes-rendus de l'Acad. des Inscriptions, 1895, p. 469

(٢) Furrer, ZDPV VIII, p. 39

(٣) راجع قاموس الاداب الكنسية لبكورو في مادة Cyrène

(٤) كتاب المسالك لانتونين (ed. Parthey, 84, 86, 87) Itinerarium Antonini



كانت اذ ذاك مهمة لأنها احوالت اسمها الى ناحية كبيرة مثل « القورسية » التي كانت تشمل كما سبق القول على نحو النصف من مقاطعة كوماجينة غير ان اتساعها تبدل اخيراً بالضيق كما تقدمت ايضاً ملاحظة ذلك

ويحتمل ان تكون قورس قد ابتدأت في هذه الفترة تنحط قليلاً عن مقام مجدها غير أنها كانت في أيام توادوريطوس والقديس مارون موقعاً حصيناً يحصي قلاع ناحية الفرات (١) واستمرت كذلك حتى الفتح العربي فألحقت فيه بناحية العواصم (٢) وفي أيام عبد الملك ضربت فيه سكة (٣) مما يثبت انها كانت اذ ذاك صاحبة شأن ومقام وقد استرجعها نور الدين من الصليبية ومن بعده لم نعلم لها على ذكر ونظن انه ما طال الامر حتى أهملت ونهجرت غير أننا لا نجسر على متابعة من قال بان نور الدين المذكور هو الذي اخرجها . وهذا كل ما نعلمه من تاريخ قورس المديني

وفي أيام توادوريطوس التي نهتم لها بنوع خاص لانها كانت بالوقت نفسه ايام القديس مارون تظهر قورس كمدينة صغيرة لان المؤرخ المذكور يسميها « πολίσκη » (٤) غير انه يجب الحذر من اتخاذ هذه التسمية على حرفيتها فكما ان اهالي لندن وباريس الذين يضارعون او بالحري يتجاوزون شعب مملكة او اكثر قد ينزلون سائر المدن مغارة اماكن حثيرة لا اهمية لها هكذا يمكن ان يكون قد خطر مثل هذا الخاطر للمؤرخ توادوريطوس الذي انتلف رؤية محاسن انطاكية وطنه وجزيل اتساعها . ومعلوم انها كانت اذ ذاك ثالثة حواضر العالم المتدّن او على الكثير رابعها . وبناء عليه سترى بعد هذا انه لم يزل عزاء تاماً بسبب اضطرابه الى فواق انطاكية والاقامة في حاضرة اقليمية كمدينة قورس التي يشهد باهتيتها الحقيقية ان الحكومة شيدت فيها شكنة للعساكر ما بين طريقين عظيمين رومانيين

والظاهر انها لم تحو غير قليل من الآثار التي وقرها التمدن اليوناني الروماني في المدن السورية كالأقنية والناهل والاروقة المعطاة المستدة الى اعمدة مما كان يبني في

(١) راجع C. R. Acad. Inscript., 1902, p. 513

(٢) راجع فتح البلدان للبلاذري ص ١٢١ و ١٤٦ وقدامة ص ١٥٣ (طبعة دي غوري) أما العواصم فمر ذكرها في المشرق (١٤١:٦) (٣) المجلة الاسبوعية اللاتينية, ZMDG,

(٤) راجع مجموع آباء اليونان لابن (ج ٨٣ ص ١٢٢١) 1889, p. 684

الشوارع المهمة ليقبى المسارة في أيام الصيف من حرّ الشمس وفي أيام الشتاء من الأمطار (١) وكل ما احتوته من هذا القبيل قد تمّ بساعي وعناية اسقفها العظيم الذي لا نبالغ اذا سئناه مؤنسها الثاني

قال توادوريطوس المذكور: « اني شيدت في قورس من اوقاف الكنائس اروقة عمومية وبنيت جسرين عظيمين واعتنيت باحتياجات العمومية ثم اني اتخذت قنطرة واجريت فيها مياه النهر القريب وهكذا منعت المدينة بالمياه العذبة التي كانت محرومة منها قبلاً (٢) » وكانت قورس خالية من طيب فسعى توادوريطوس كل السعي في حمل احد الاطباء على الافامة بجديته الاسقفية (٣) وله غير ذلك ايضاً من الاعمال الدالة على اهتمامه العظيم باحتياجات الرمنية لابناء رعيته

واننا نأسف عن عدم تمكننا في هذا البحث الجغرافي خاصة من الاطباء في ماثر هذا الرجل العظيم الذي يعدّ من مشاهير عصره ونوابغ دهره فقد كان مشجع المدارك رفيع الفهم محققاً حطام الدنيا وكان مع ميله الى الفاخر والمعالي يقدم على العظام ويسدّل كل مقتناه في سبيل الفقراء والآثر النافعة للجسد . وكان من الذكاء على جانب عظيم يفتح الى الاطلاع على كل شي . والوقوف على كنهه وحقيقته . ومن الخطابة في اعلى مقاماتها لا يفتقر فيها احد غير فهم الذهب . ومن المنصب الاسقفى في اسنى مراتب المهنة والفيرة والتقى بحيث يصح ان يجعل اماماً وقدوة لكل الاساقفة في كل عصر (٤) ولهذا كان احقّ مؤرخ بسدوين سير الابطال المسيحيين كالقديس مارون الذي لولا آثار قامه لجهلنا ترجمته

ان ما نعلمه من الجغرافية الطبيعية لقضاء كلّس يشرح ويتنم وصف القورسية

(١) كانت كل المدن السورية المهمة مشتملة على مثل هذه الاروقة كما يشيّن ذلك من مشاهدة تدمر وجرش (مجلون) . ومن بقايا الاروقة المذكورة السد الكبيرة المتراكمة حتى اليوم في مباء جيل وشوارعها (٢) تاريخ الرهبان (فصل ٢١ والرسالة ٨١)

(٣) يشكلم توادوريطوس في الرسالتين ١١٤ و ١١٥ عن كاهن اسمه بطرس على التخليب زماناً طويلاً في قورس . واكتشفوا ايضاً في دبابيس رومانية حجر ضريح لكاهن من المتعاطين صناعة الطيب . غير ان القوابين التي ترتبت بعد ذلك حطرت الطب على رجال الاكليريوس

(٤) ان سيرة توادوريطوس هي من السير البالغة حد الكمال نستحق ان ينالها كل من اغفاهم المولى لحمل عب الاسقفية القبل



مثلاً يفهم من الإفادات المثورة في كتابات توادوريطوس فإن البلاد كلها مشغولة  
بجبل الأكراد وهو عبارة عن أسناد أي جبال صغيرة منفصلة عن سلسلة امانوس الكبيرة  
ولم تزل هذه الجبال حتى أيامنا كثيرة الأجسام والقبائل (١) بحيث تدهش جميع السياح  
الذين اعتادوا النظر إلى تعري بقية سورانية من الأشجار . غير أنهم إذا بحثوا عن القرى  
الثمانية التي كانت في القرن الخامس لا يتقنون لها على أثر

وقد علمت أن توادوريطوس يتكلم على نهر جرّه إلى المديسة وعن جسرين  
كبيرين شيدهما هناك . وفي الحقيقة أنه تمّ في جوار قورس عدة أنهار منها نهر غفرين  
أخص السواعد الشمالية لنهر العادي . وبالقرب من قورس يلتقي بالنهر المذكور نهران  
صغيران أحدهما صابون سر والثاني جاموس ديري وأمل مياه نهر صابون القريب من  
أخرة قورس هي التي جرّها توادوريطوس إلى كرسي استقيته

ومع قرب الأنهر المذكورة كانت بقية الناحية القورسية كثيرة ما تصاب بالجناف  
وقد ذكر توادوريطوس خبر جنافر أصابها في رسالة وجهها إلى أريوبنداس يسأله فيها  
ترك الديون التي له على المزارعين بأراضي الواسعة في القورسية ( الرسالة ١٣ ) ويذكر  
أيضاً خبر جنافر آخر في ترجمة بوليخرونيس (٢)

هذا ما استطعنا جمعه من المعلومات عن مدينة قورس وجيرتها غير أننا لم نقف  
على معلومات تذكر عن سائر الأماكن القورسية لأن توادوريطوس لا يشير في ما خلّفه  
من الكتابات إلا إلى قليل منها مثل أسيكا ونيتيس وتيليا ورغالا وراما وسيتا  
ونيارا ونيسوزا (٣) ولم يلحق بهذه الأماكن شيئاً من الأوصاف ما خلا نيارا فإنه وصفها  
بانها مدينة . وقد رأيت أن لا أكثر الأماكن السابق ذكرها أسماء آرامية وهو امر  
طبيعي في ناحية آرامية خالصة كما مرّ لنا اثبات ذلك في الكلام على كوماجينة إجمالاً  
وكما سنثبت بعد هذا في الكلام على القورسية خصوصاً

(١) كما يجب التنبيه إليه هو أنه يوجد بين أشجار هذه القبائل أشجار مشجرة تليت من  
النام غسلا . وهكذا كانت الحال في أيام توادوريطوس لأنها تظهر عن القديس يعقوب الثالث  
الشهير أنه كان يفتك من ثمار أشجار الغلب ( راجع ٨٢ من ١١٠ )

(٢) راجع مجموع الآراء بين اليونان ( ج ٨٢ من ١٤٦ )

(٣) في المجلد نفسه من ١٤٢٩ ، ١٤٣٢ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦٤



ولم يكن سكان القورسية من ذوي الفنى والثروة بدليل ان اسقفهم كان يضطر الى اسعافهم والقيام بالاشتغال العمومية لديهم . وكان في بعض المرات يرفع العرائض من اجلهم الى الامبراطورة يوحنا القديسة وغيرها من كبراء المنصبين (١) وهي تدل من جهة على شهامة قلبه وحنانه ومن جهة ثانية على شقاء الاهالي الذين يهظتهم الضرائب وثقلت عليهم جداً حتى ان الكثيرين منهم لعجزهم عن القيام باعبائها كانوا يؤثرون التسول وهجر الاوطان ( الرسالة ١٢ )

وان قيل ما اللغة التي كان القوم يتكلمون بها في القورسية اجاب الذين يتسرعون في الاحكام قبل الوقوف على كنه المسائل انها ينبغي ان تكون اليونانية لان توادوريطوس اسقف البلاد كتب بها . غير ان هذا التعليل لا يرضينا ولا يصلح حجة لاقتناعنا لان لدينا من الأدلة الواضحة ما يزيد العكس (٢)

رأينا في مقالة سابقة (المشرق ١٠٨٦: ٩) ان توادوريطوس مع ان لغته الاصلية هي اليونانية (٣) كان عارفاً ايضاً بالسريانية . غير ان المقام لم يسمح اذ ذلك بالاقاضة في الكلام على هذه المسألة المهمة ولولا ذلك لأتينا بشهادة المؤرخ اليوناني ملا لا ٢٦ : (١١٠) طبعه اكسفورد ) وهو يثبت ان العامة في انطاكية كانوا يتكلمون الآرامية ولما الباقون فاذا كانوا لا يتكلمون بها فكأنوا على الاقل يفهمونها . ويثبت الاستاذ العالم كوغنير (Kugener) اثباتاً صريحاً ( في المشرق المسيحي ١٩٠٢ ص ٢٠٢ ) ان السريانية كانت اللغة الشائعة في انطاكية وشرحبها

وهنا نستأذن في ان نضم الأدلة الناجمة الى البراهين التي سبق ايرادها : ان ابري توادوريطوس كانت لها علائق مكينة مع الناسك القديس مقدونيوس وقد اخبر توادوريطوس بالتفصيل كيف ان تجرده خادمة الله كان نتيجة تحريضات الناسك

(١) راجع رسائله ٤٢ - ٤٥ (٢) اذا كان برهاننا صحيحاً اثبت خروج الذين يملكون التعليل الآتي عن قواعد الاستدلال العقلي وهو قولهم : « ان جملة اساقفة في سورية كتبوا باليونانية فاذا سورية كلها كانت تتكلم يونانية » ونثبت في ما يلي من كلامنا عن القورسية ان ترجمتهم هي اوسع من المقدمات . وقد سبق لنا بيان ذلك في كلامنا على ناحية انطاكية ( المشرق ١٠٨٦: ٩ ) التي يحاول البعض ان يصوروها لنا مثل بلاد يونانية . وفي انطاكية لنا شواهد الباك الامر نفسه عن سائر نواحي سورية حتى تعممت الفرصة (٣) كما قد صرح بذلك راجع يسوع ميخ ( في المجلد ٨٨ ص ٤٤٢ )

المذكور فقال ان مقدونيوس كان يتردد على مترهم في انطاكية فلما تعرض توادوريطوس اخذ الناسك برغبة ترغيباً شديداً في خدمة الله (١) والحال ان مقدونيوس لم يكن يعرف غير السريانية (٢) واذ قد ثبت ذلك وكان التسليم صعباً بان مخاطبات هذا الرجل القديس كانت تجري بواسطة ترجمان فيترجع عنده انه لم يكن توادوريطوس وحده يفهم السريانية بل ان ابويه ايضاً كانا يفهمانها وكانت هذه العيلة كما هو معروف من العيال الوجهية في انطاكية

ولنا في الحادث الآتي بيانه دليل اقوى واصرح فقد اخبر توادوريطوس في تاريخ الرهبان (٣) ان الشيطان ظهر له ذات ليلة في قورس وهو اسقفا فهدده تهديداً مخيفاً مرعباً وكان يخاطبه باللغة السريانية وكان احد رفيقائه راقداً معه في غرفته فسمع ايضاً الكلام عينه وسمعه كذلك الحشم الذين في المنزل. فن هذا الحادث الذي اقتصرنا على ذكر خلاصته يسوع لنا ان نستنتج النتيجة الآتية :

ان ظهور الشيطان الذي اخبر عنه توادوريطوس لا يخلو من ان يكون اما حليماً مجرداً او دوا حقيقيّة. على ان الظروف التي قارنت الحادث ترجح انه كان من قبيل الثاني ومع ذلك لا نجد بأساً اذا عددناه من قبيل الافتراض الاول بل انه ربما جاء من هذه الحقيّة اوفق وأفيد لما نحن بصددده وعليه اذا قلنا انه كان حليماً مجرداً فبما ان النائم لا يحلم اصلاً بلغة لا يعرفها او بلسان لا يتكلم به الا نادراً ينتج عن ذلك ضرورة ان توادوريطوس كان يتكلم عادة السريانية او بالاكل انه كان يفهمها بسهولة. واذا قلنا ايضاً انه كان رؤيا حقيقيّة يصعب ان نبين كيف ان جميع سكان الدار الاسقفية فهموا مثل توادوريطوس تهديدات الشيطان لو لم تكن اللغة السريانية مألوفة عندهم ويقول توادوريطوس ايضاً (٤) في المجلد ٨٣ ص ٣١٣) انه وجد كتباً كثيرة سريانية من تأليف برديسان والراجح انه لقيها ضمن ابرشيته حيث كانت اقامته او في انطاكية التي كان يتردد اليها حيناً بعد آخر كما سترى في اثنا. مقالتنا هذه . ولا نجد

(١) تاريخ الرهبان (مجلد ٨٢ ص ١٢١٤، ١٢١٥)

(٢) راجع المشرق (١٠٨٢: ٤١) اما الناحية الواضحة بين انطاكية وحلب فراجع بشاعة الاباء اليونان المجلد ٨٣ والصفحة ١١٦١ حيث ورد ذكر السريانية كلغة البلاد

(٣) راجع مجموع الاباء (مجلد ٨٢ ص ١٢٤٩ و ١٢٤٤)



أدنى صعوبة للتسليم بالفرض الثاني لأنه يدل على انتشار الكتب السريانية في مدينة  
قد طالما صوروها لنا يونانية محضة

وكان توادوريطوس يرغب في زيادة النساك الكثيرين ببارشيتيه ويلتذ بمحادثتهم  
طويلاً وسفري بعد هذا أنه لم يكن أحد من هؤلاء النساك يعرف اليونانية . وبما أنه  
لا يأتي في كل ما خلفه من الكتابات بذكر ترجمان وجب التسليم بأن محادثته التي  
كانت تطول في بعض الأحيان أياً ما (١) قد كانت تجري بالسريانية وأنه كان يعرف  
هذه اللغة حق المعرفة ويتكلم فيها بسهولة

ومما يجب التسليم به وينتج ضرورة عما قدمناه هو أن الاسقف المذكور ما كان  
وحده يفهم السريانية بل أن جميع عشاريه من سكان الدار الاسقفية كانوا يفهمونها  
أيضاً ولا يبعد أنهم كانوا يتكلمون بها . وإذا صدق هذا الأمر على الدار الاسقفية  
فإذا ينبغي القول عن سائر المدينة التي كان الاسقف كما سبق القول أعظم شخص  
معتبر فيها ؟

ليس الجواب على هذا السؤال بصعب لأن كاتب ترجمة توادوريطوس يصرح  
دون موازير (٢) بأن الجميع تقريباً في قورس وفي القورسية كانوا يتكلمون باللغة  
السريانية وأن عدد اليونان لم يكن فيها شيئاً مذكوراً (٣) ويؤخذ من كلامه أن  
ذلك كان أنحصر الأسباب التي حملت توادوريطوس على القبول رغماً عن إرادته  
باسقفية هذه المدينة لأنه لما كان عالماً بأمره وخطيئته مطلقاً يضاهي فم الذهب بل  
يكاد يفوقه أيضاً في مسائل تفسير الكتاب المقدس رضي ولكن مع كرم ومشقة  
نفس بأن يدفن كل ما رزق من مواهب القتل في مدينة صغيرة قد لا تأتي فيها هذه  
المواهب بقائده لعدم وجود جمهور من السامعين يقدر على مجاراته في السبيل الذي  
يرومه . غير أنه ما لبث أن دُلِّل هذه العواطف البشرية وانقطع بكليته إلى الاهتمام  
بشفعة وخير التطيع الذي قُوض إلى تديهم

وللقارىء أن يعترض بحسب توادوريطوس ويقول أنها كُتبت كلها باليونانية فنحن  
نشأ الاعتراض بالقبول غير واجدين شيئاً من الصعوبة في ردّه وسبب ذلك أن غالب

(١) راجع في تاريخ الرهبان ترجمة مار يعقوب النساك (ف ٢)

(٢) الإلهاء اليونان لمن ٢ ص ٨٢ ص ١٤٢ ، ١٤٤



الخطيب التي توادور بطوس ألقاها في خارج قورس لأنه كان من محبي الحركة والتشغل وكثيراً ما كان يزاول إرشيتيه بدليل أنه لما ثارت الحشومات بسبب بدعة لسطور وكان اسقف قورس صديقاً للمبتدع من صباه صدرت له الأوامر من قبل الامبراطور ان لا يبارح مركزه فشق عليه هذا النع كثيراً كما يتبين ذلك من رسائله ولكن ما لبث النع ان ارتفع بعد مدّة وجيزة فعاد الاسقف المذكور الى اسفارهم

وكان توادور بطوس يتردد خاصة على اثنتين من المدن اعني بها انطاكية وبيريه ( حلب ) وكانت الاولى على مسيرة يومين من مركزه والثانية اقرب من هذه

## المسافة (١)

لما انطاكية فكانت وطنه ولهذا كان يكثر التردد اليها حتى اضطر الى الاعتذار لرؤسائه عن طول اقامته بها (٢) واشهر خطبه وافصحها كما هو معلوم عشر خطب موضوعها العناية الالهية وقد شهد في رسالته الى البابا انه ألقاها كلها في مدينة انطاكية ثم انه في رسالته الخامسة والسبعين يذكر خمسة اسباب حثته على اعزاز اهالي حلب وآثر هذه الاسباب هو انهم كانوا يسمعون خطبه بلذّة وسرّة ولهذا كان يبذل جهده في أن يلقي عليهم احسن وافضل ما عنده من هذا الصنف \* ولنا ان نقول بعبارة أخرى انه كان يحب الكرازة في انطاكية وحلب ليقينه بان السامعين في هاتين الديقتين يفهمون خطبه اليونانية ويتدرون فصاحتها بخلاف الحال في قورس

على انه لا يصح الاستنتاج من هذا ان حلب كانت بلدة يونانية فقد ذكر ذلك (٣) ان الاحوال فيها من الوجه التاريخي كانت شبيهة باحوال الرها ومن المعلوم ان الرها كانت في ذلك العهد آرامية مجتة بل مركز الآداب الآرامية ولهذا يجب القول ان حلب ايضاً كانت آرامية بسكانها ولغتها واكتنفاً لما كانت مدينة كبيرة تجارية لم يكن ليصعب فيها وجود جمهور من السامعين يجيدون فهم اليونانية \* فان السوريين في كل زمان كانوا يتعلمون كثيراً من الآرامية والامثلة على العارفين بينهم بلغات عديدة لم تفت

(١) اخبر توادور بطوس انه كان يسافر ماء النصارى من حلب فيصل الى قورس في صباح

اليوم التالي

(٢) اهالي الاباء اليونان (مج ٨٣ ص ١٢٥ و ١١٤٦)

(٣) راجع المجلة الآسيوية الألمانية (ZDMG) سنة ١٨٨٥ ص ٢٢٤

قطاً من يلمسها . وكما اننا اليوم نجد في المدن السورية عدداً كثيراً ممن يفهمون الخطب بالغات الأجنبية هكذا كان الامر في أيام توادوريطوس . ومثلاً لا نستطيع ان نستنتج في الوقت الحاضر ان اللغات الأجنبية متغلبة على اللسان الوطني هكذا القول ايضاً عن خطب اسقف قورس

فاذا كان الذين يفهمون اليونانية في قورس قوماً قليلين فما ظنك بسائر الناحية ؟ وقد اخبر توادوريطوس ان سكان المقاطعة النمرانية التي كانت القوردسية تابعة لها كانوا يتكلمون السريانية (١)

هذا فضلاً عن ان هيرابوليس ( منبج ) مركز رئيس الاساقفة الذي كان يخضع له اسقف قورس كانت ايضاً مركزاً مهماً سريانياً . وبعد قليل لوفاة توادوريطوس تولى الكرسي المذكور فيليكسينوس احد مشاهير الكتبة عند السريان . وفي جومانيقية التي تسمى اليوم مرعش كان القوم ينصبون ايضاً على آداب اللغة السريانية

ولقد سبق لنا ايضاح ما كان من هذا القبيل في مدينتي انطاكية وحلب (٢) وعلى ذلك لم يبق من دأب التسليم بان اوشية قورس وحدها التي كانت في شمالي سورية محفوفة من كل انحاءها بالبلدان الآرامية قد خرجت عن هذه الدائرة . والحق يقال ان هذه الناحية كلها لم تكن لها غير لغة واحدة اي الآرامية التي كان المتأدبون يضيفون اليها معرفة اللغة اليونانية . قال المستشرق ساخو : « من اعظم مرافق النصرانية ان الوثاظ كانوا يستطيعون ان يكرزوا بلغة واحدة اي الآرامية من حد انطاكية حتى بابل »

واذا حصرتنا الكلام في المتوحدين الذين كانوا يسكنون صحاري القوردسية نرى الادلة متظاهرة على انهم كانوا بلسهم تقريباً آراميين يتسمون باسماء سريانية مثل مايسياس واشبسياس ومارون وسلامانس وماريس وزابيفاس وباراداتوس وقابلايوس

(١) تاريخ الرهبان ٨٠١ ص ٢٢٧ وراجع ايضاً المجلد ٨٣ ص ١١٦٣ و ١١٦٤ . وفيه يظهر كيف ان رهبان دير علي القرات كانوا يرثون المزاوير بالسريانية التي هي لغتهم الاصلية كما ذكر ذلك بالنص الصريح

(٢) وراجع كذلك المشرق (١٠٣:٩)

وماراتا (١) وقد قال توادوريطوس عن الأول اي مايسياس قولاً صريحاً « انه كان سريانياً بآفته (٢) » أما الراهب القديس ابراهيم الذي ترقى بعد ذلك الى اسقفية حران في بلاد ما بين النهرين فذكر توادوريطوس في معرض اخباره عن زيارة الامبراطور له مع كل حاشيته ان الموما اليه لم يكن يفهم كلمة واحدة يونانية (٣) . وروى في موضع آخر عند كلامه على الناسك ثايلابوس انه لما زاره تعجب كثيراً « اذ سمعته يجاوبه باليونانية » (٤) لان الناسك المذكور كان على حسب رواية اسقف قورس فيليقي الجنس وكل ذلك يدل على ان معرفة اليونانية لم تكن شائعة بين السوريين الوطنيين

وان قيل ما هي اللتورجية التي كان اكليروس قورس يجري عليها قلنا ان الجواب على هذه المسألة امر صعب بالنظر لعدم وجود معلومات صريحة بشأنها . ولكن بما اننا قد اثبتنا ان الارامية كانت لغة الناحية ساغ ان نستنتج ان اللتورجية كانت تجري بهذه اللغة ذاتها ولعلها لم تكن تجري بغيرها الا في كنيسة قورس الكاثدرائية . وفي ترجمة الناسك ابراهيم الذي سبقت الاشارة اليه دليل ظاهر على ما نقول فقد كان على ما روى توادوريطوس من ابناء القورسية حيث صرف زمناً طويلاً في الحياة النسكية وفي الحثام شخص الى لبنان وهدى فيه كثيرين من الوثنيين وعلمهم العبادة الالهية الحقيقية . ولا ريب انه كان يخاطبهم بالعريانية لانه لم يكن يعرف سواها ويقيم لهم اللتورجية كما قد شاعدها مستعملة في القورسية ونسبه (مج ٨٢ ص ١٢٢٥) قال ساخر : « ان الاراميين نشروا النصرانية في الشرق » وعلى ذلك فان الكنائس التي أسسوها قد علموها بالضرورة لتورجية آرامية . وكانت السريانية كما هو معلوم اول لغة لتورجية مستعملة (٥) وفي ما اوردناه بهذا الشأن كفاية للقارى حتى يتيسر له

(١) راجع تاريخ الرهبان

(٢) راجع ميم (مج ٨٢ ص ١٢١٦)

(٣) تاريخ الرهبان ص ١٢٢٨

(٤) هذا مما يوجب الافتراض ان الاسقف خاطبه أولاً باليونانية

(٥) راجع في معجم الامم الكاثوليكي (١ : ١٤٠٢) مقالة للاب قايله الصعدي الذي

نسب اليه بعضهم رأياً مخالفاً لما نحن فيه



الحكم فبقي علينا ان نبعث عن احوال النصرانية في القورسية وهكذا ننتهم كلامنا  
عن جغرافية هذه الناحية

٣

ان القورسية كانت كلها بالتقريب مسيحية في ايام توادوريطوس صكها منهم  
ذلك من عدد الثمانية كنيسة التي يقول الاسقف المذكور انه كان مكلّفا بتدبيرها .  
ويظهر انه كان قد اقتصد بعض اعران له من الخوارنة الاسقفيين لادارة الكنائس  
الكبرى في ابرشيته وفي رسالته ١١٣ يسبي اثنين من هؤلاء الخوارنة . وبناء عليه  
يجوز ان نحسب القورسية كلها مسيحية في زمانه اذ لم يكن فيها من الوثنيين الا  
افراد قلائد (١)

وكان في القورسية جماعة من المراطقة وعلى الخصوص من المرقيونيين . قال  
توادوريطوس : ان ثلثي قري افسدتا هرطقة المرقيونيين مع الاماكن المجاورة لها  
ارجعها الى الطريق القويم (٢) . وكانت هناك ايضا قرية اخرى غامرة بالتابعين لمذهب  
الادنوميين وقرية غيرها اريوسية فتوقفت لافرة الجلبع بالثور الالهى وهكذا بثمة  
الله لم اترك في ابرشيتي اثرا للهرطقة ولم يكن ذلك ليستطاع دون اقتحام اخطار  
وإراقة دم لأنني كثيرا ما تعرضت لرجم المراطقة (٣) ويشهد في موضع آخر (٤) انه  
عند عشرة آلاف من المراطقة المرقيونيين وإثر هذا الانتصار الاخير على الجلبع ظهر  
له الشيطان كما سبق اخبر محاولا توقيفه عن قتال الغواية والضلال

ثمّا دخول النصرانية الى القورسية فلا نعلمه بالتصديق ولكننا نظن انه كان في  
الصدر الاول بالنظر الى قرب هذه الناحية من انطاكية احد مهود الدين المسيحي وقد  
حضر اساقفتها مجمع نيقية . واما خلفاء توادوريطوس فلا نعلم منهم غير اسماء  
ثلاثة فقط (٥) ولا ريب ان كرسي قورس فقد اهميته من بعد انتشار بدعتي نسطور  
ويعقوب البغادي . ومع ذلك فقد وجدنا في جريدة لاسقفيات بطريركية انطاكية ترقتي

(١) راجع رسالتي ٦٧ و ٦٨

(٢) الرسالة ٨١

(٣) تاريخ الرهبان ١٢٤٢ ج ١ والرملة ١٢٥ و ١١٣

(٤) لوسكيان : الشرق المسيحي ( ٢ : ١٢٠ ج ١ )

على ما نطقه الى القرن الثامن ان قورس كانت معدودة في ذلك العهد من جملة الكراسي المطروبوليتية لكن لم يكن لها اسقفيات تتبعها (راجع اخبار بطاركة انطاكية والقدس في الاسفار الاورشليمية ص ٣٣٧)

ونعلم ان جسدي الشهيد المظنين قزما وداميانوس قد دفنا في قورس وذلك قد تسمى هذه المدينة في بعض الاحيان اكراماً لها بديانة القديسين . واخبر توادوريطوس نفسه كيف انه في ذات يوم نجا من الحريق الكنيسة الشيدة على ذكر هذين الشهيدين (١) القديسين . وفي موضع آخر يذكر ايضاً في جملة كنائس مدينته الاسقفية كنيسة على اسم الشهيد ديونيسيوس (٢) ويخبر كذلك عن دير قائم بجذاه احدى كنائس قورس (٣) وفي رسالتيه ٦٦ و ٦٧ يتكلم على هيكل شيدته هو وكلمة للرسل القديسين (٤) . وكان في قورس ايضاً مصلي على اسم الناسك القديس مرقيانوس ومن العجيب انه تشيد في حياة الناسك المذكور (٥)

فكل هذه الآثار الدينية تجيز لنا الحكم بان الديانة كانت في القورسية زاهرة زاهية بأيام راعيها الانيب واسقفها الفيور

ولنا ايضاً دليل آخر على ازدهار الديانة تأخذ من وفرة عدد الناسك في الناحية المذكورة التي كانت احسن البلاد ملاءمة لحياة الزهد والعبادة لانها صكتيرة الجبال بعيدة عن المراكز الكبرى والشارق التجارية وافية بحاجات قوم يكتفون بالقليل حتى كان يصح ان تدعى فردوس التوحدين ونفسهم وهذا هو السبب الذي من اجله انتشرت فيها كثيراً هذه الهيئة الاخيرة من حياة الناسك . وفي تاريخ الرهبان لتوادوريطوس الذي خصص منه النصف بتراجم عظماء الرهبان في القورسية قلنا يأتي بذكر الادوار (٦)

(١) مجموع الآباء (مج ٨٤ : ص ٧٨٦ و ٧٨٧)

(٢) تاريخ الرهبان الفصل ١١

(٣) وكانت الكنيسة على اسم الرسل الاطهار. تاريخ الرهبان ١٢٢٩

(٤) راجع كذلك المجلد ٨٢ ص ١٢٥٠

(٥) راجع المجلد عينه ص ١١٤٧ و ١١٤٨

(٦) في الرسالة ١١٢ يتكلم عن آبيوس ويقول عنه انه « اكتسرخوس الرهبان عندنا » وهي عبارة تدل على وجود دير في قورس او في الارشبة التابعة لها . ويذكر ايضاً ادباراً أخرى في المجلد ٨٧ والصفحة ١٢٢٥ و ١٢٢٦ غير ان الادبار كانت هناك قليلة جداً



بل يذكر المتوحدين الذين كان يجتشد حولهم بعض التلاميذ فيقتنون آثارهم  
ويهجون نهجهم غير أنهم كانوا يعيشون هم أيضاً متوحدين دون أن يجتمعوا ضمن  
حظيرة دير

وكان توادوريطوس يحب ويكرم هؤلاء الرهبان القديسين الذين كانوا يعطرون  
إرشيته بعرف فضائلهم ولهذا كان يكثر من زيارتهم ومحادثتهم وكل ما كتبه عنهم  
في تاريخ الرهبان قد رآه فيهم أو سمعه منهم . على أن الرهبان المذكورين قابلوه بمثل  
عواطفه واقتوا له ذلك لما أبعد عن إرشيته فإنه لم يجد إذ ذاك أصدقاء أشد إخلاصاً  
من هؤلاء القوم الذين كانوا كما قال عنهم « يحتمرون هذه الحياة الزائلة متوقعين  
الحياة الأبدية (١) »

وقد سبق لنا تسمية بعض أبطال هذه العيشة النسيكية فبقي علينا أن نذكر  
أخص واحد بينهم اعني به القديس مارون وكل ما تقدم من الكلام جعلناه كترجمة  
تقدم لنا السيل لتعيين وطن هذا القديس العظيم والمكان الذي صرف فيه حياته فإذا  
لم نتوصل دائماً إلى نتائج نهائية وإذا اكتفينا بذكر الاحيان بالظن والتقدير فالذنب  
كل الذنب على فقد المعلومات المؤكدة في هذا الشأن . غير أن ما سنحطه مما يستحق  
الالتباه واملنا أن يكون محرراً لأولي البحث على الجدة والتتبع لعلهم يتفوقون إلى  
ما لم نتوفى إليه . وفي كل حال ليس من غايقتنا أن نلزم القارى باتباع آرائنا ونكتنا  
نترسخ من كل ذي ادب أن ينظر فيها منتقداً حتى تصبحي المشاكل وتبدد الغياهب .  
وما يبرهن جداً هو أن نداءاً للطلوائف المسيحية للشرقية حتى تبدل الجدة باللازم  
في الابحاث التاريخية (٢) قد لاقى قوماً يسمعون فهدب بعض الادباء وانحدوا يقفون  
في تواريخ طوائفهم ونشروا منها اشياء حرة بالاعتبار واملنا ان يزدادوا حمية في  
هذا الشأن لما يرجى عن عملهم من المنفعة . وفي هذا المقام لا نرى بداً من التماس  
على بعض أدباء الطوائف الشرقية لما التحفوا به اندروس التاريخية من التأليف النافعة  
صكها فندح أيضاً سائر الذين نشروا في مجلة المشرق ابحاثاً مهمة في شؤون طوائفهم  
وأدبها الطقسية وأثرها القديمة

(١) الرسالة ١٢٥

(٢) راجع في مجلة المشرق (١٩٦١ : ١) مقالنا المعنونة : « ما إلى درس تاريخنا »



## ٤

ابن ولد القديس مارون ؟ هذه مسألة كان في وسع توادوريطوس كاتب ترجمة هذا القديس ان يجاوب عليها جواباً شافياً غير انه لم يذكروا شيئاً في الكلام الوجيز الذي تركه ولهذا وجب علينا ان نسعى بالافصاح عما سكنت عنه . على اننا لسنا بأول من سعى وراء هذا الامر فان حضرة الخوري ميخائيل غبريل يقول في كتابه تاريخ الكنيسة المارونية ( ص ٨١ ) ما نصه : « ان القديس مارون ولد . . . في بلدة تدعى مارونيا البعيدة نحو ثلاثين ميلاً عن انطاكية في جوار مدينة قورش » ورد ذكر « مارونية » في ترجمة الراهب مائس التي كتبها القديس ايرونيموس فقال عنها انها بلدة صغيرة ( *haud grandis viculus* ) على مسافة ثلاثين ميلاً شرقي انطاكية ( ١ ) كانت ملكاً لصديق ايثاغوريوس الكاهن الذي ارتقى بعد ذلك الى اسقفية انطاكية . وكان القديس ايرونيموس أيام اقامته في انطاكية يتردد الى القرية المذكورة مع صديق ايثاغوريوس الموما اليه . وهذا برهان آخر على انها كانت قريبة من انطاكية لكن لا يسوغ ان تزيد عليه انها كانت في جوار مدينة قورش اذا كان بينها وبين هذه المدينة الاخيرة مسيرة يومين على الاقل .

قال اي شيء اذا يستند قول من يقولون ان القديس مارون ولد في قرية مارونية ؟ لا اعلم لنا بذلك لان توادوريطوس الذي هو السند الوحيد لكل ما كتبه الكتاتيون عن القديس مارون لا يذكر شيئاً عن مكان مولده وكل المؤرخين الذين جاؤوا بعد اسقف قورش نقلوا عنه واذا كانوا قد اضافوا بعض زيادات الى كلامه فليس هذه الزيادات عند اهل التحقيق الا قيمة كاتبها . نعم انهم قصدوا قصداً حسناً فرغبوا في ان يوضحوا ما سكنت عنه توادوريطوس غير انه لا غنى للمؤرخ المدقق في امور كثيرة عن الاقرار بالجهل والقصور . وزيادة على ذلك ان التقاليدات التي يتناقلها الموارنة ساكتة ايضاً عن مكان ولادة ابيهم القديس مارون ولو كان شيء من ذلك لما تأخر

( ١ ) وذكر الجغرافي بطليموس ايضاً مكاناً آخر في سورية يدعى « مارونية » لكن يصعب القول انه عن مارونية التي نحن بصدد ما وترجح انه يريد بها مركزاً في اقليم قيسرين كما ذهب اليه هرن ( ZDPV, XXIII, 145 ) راجع كذلك Ritter, XVII, 1569

البطريرك اسطفان الدويهي عن ايراد . وعليه فاننا نعجب كيف يمكن في هذه المسألة بسط الكلام اكثر من توادوريطوس والدويهي

ثم اردف صاحب تاريخ الكنيسة الانطاكية ( ص ٨٦ ) قوله عن ولادة القديس مارون في مارونية بقوله « انه درس العلوم في احدى مدارس انطاكية » . وهو ايضاً امر لم يفدنا عنه توادوريطوس وهذا قد اسنده الكاتب الحديث الى المودة التي زعم انها نشأت بين القديس يوحنا فم الذهب والقديس مارون الناسك (١) منذ كانوا يدرسان معاً في انطاكية . على اننا نقر بسذاجة اننا لا نفهم قوة هذه الحجة لا بل نظن ان القديس مارون كبتيسة نساك زمانه في القورسية (٢) كان من اصل آرامي ويجهل اللغة اليونانية ومن ثم انه لم يدرس في مدارس انطاكية . وخلاصة القول ان الاخرى بنا ان نقر بجهلنا المكان المعلن الذي ولد فيه القديس مارون

وان طالب منا القارىء اننا في ذلك رجحنا كونه لم يولد في جوار انطاكية . وعلى كل حال لا نرى صواباً في ما اثبتته حضرة الحوري غبريل ( ص ٨٧ ) حيث قال : « ان البرية التي اغار اليها القديس مارون قبل ان يها مهاجرة لتلك التي رسمها القديس ايرونيوس عندما اعتزل اليها . . . وذكرها في جملة كتاباته » . لان البرية التي اعتزل اليها القديس ايرونيوس معروفة محددة الارض وهي ناحية مشبعة الغناء موقعا جنوبي شرقي حلب كانت تدعى كلسيدية (Chalcidène) باسم عاصمتها كلسيس التي تعرف اليوم باسم قنسرين وهي عبارة عن قنر قنر احرقه الشمس يجاور برية الشام لا يسكنه الا بعض عرب البادية (٣) . ومن راجع وصف هذا المكان للقديس ايرونيوس لا يراه موافقاً لما قاله توادوريطوس عن البلاد التي عاش فيها القديس مارون وهي القورسية كما سبق . فالرأي عندنا ان مولد رجل الله كان في الناحية التي فيها قضى اكبر قسم من حياته كما سيأتي نقلاً عن توادوريطوس . ولو كان مولد القديس مارون في انطاكية او جوارها لكان اختار زهداً احدى البراري

(١) استناداً الى الرسالة ٣٦ من رسائل القديس يوحنا فم الذهب

(٢) وسيأتي بيان ذلك قريباً

(٣) وكانت لغة هذه الناحية المرياوية . وكان القديس ايرونيوس يسميها (راجع مجلة الشرق المسيحي المجلد ١٩٠٣ في رومية « Oriens christianus » لسنة ١٩٠٣ ص ٢٠٤)



العديدة الواقعة على مقربة من هذه الحاضرة والمقدسة بعيشة كثيرين من مشاهير  
العباد وذلك ما يتضح من التاريخ البيعية المكتوبة في ذلك العصر (١) كفاذا شاهدنا  
على قوائم مثل القديس يوحنا فم الذهب الذي ولد في انطاكية ثم انتقل الى  
النسك في دير قريب من موطنه . وكذلك نطق ان القديس مارون الذي عاش ومات  
في القورسية ولد ايضاً فيها ما لم نأتنا احد بربما نجلي على خلاف هذا الرأي

أما ان القديس مارون صرف حياته في القورسية وقضى فيها نحوها فالامر واضح  
وضوحاً تماماً بما ورد في تاريخ الرهبان توادوريطوس . فان هذا الكاتب العظيم  
بعد ذكره من اشتهر من النسك في انطاكية وجوارها يمان جهاراً انه يباشر بتراجم  
التنسيكين في القورسية (٢) ثم يذكر اعمال ميسياس واشبسياس ويتخلص الى ذكر  
القديس مارون فيبين بذلك ان هذا العابد الشهيد كان في الناحية ذاتها . وقد زادنا  
ايضاحاً في اثناء كلامه عن القديس : « انه هو غارس الحقيقة ( يريد حقيقة العيشة  
الرهبانية ) التي ترهب الآن في القورسية (٣) »

هذا ولا نجعل بان توادوريطوس قال في ترجمة ابراهيم النسك التي اخفها بترجمة  
القديس مارون « انه هو ايضاً كان ثمة في بلاد قورس » ثم اردف قوله بهذه  
الفقرة قاذلاً : « وما كان مولده » . فلماذا لا ترى ضرب الصنيع عن التصريح بموطن  
القديس مارون ؟ فهل كان ذلك سهواً ام نه او جهلاً ؟ فهذه معضلات امكن  
توادوريطوس ان يحلها فلم يفعل . ولكننا اكتفى بقوله عن ابراهيم « انه هو ايضاً  
كان ثمة نضجت في القورسية » ليشير الى ان اصل القديس مارون الذي سبق ذكره  
كان كذلك من القورسية فليحكم القراء .

هلم بنا الان ننظر في اي مكان من القورسية تألف قديسنا الجليل . نحب على  
ذلك ان غاية ما اعلمنا به توادوريطوس في هذا الصدد انه « تساق الى قمة جبل كان  
اقام فيه سابقاً عبدة الاوثان هيكلاً للإباسة » (٤) . والظاهر ان هذا الجبل كان على

(١) راجع كتاب توادوريطوس في تاريخ الرهبان

(٢) راجع التاريخ ذاته في مجلد ١١٢٦

(٣) راجع الصفحة ١٢٢٢

(٤) في ( الصفحة ١٢٢٤ )



بعض المسافة من قورس كما يابوح من ترجمة القديس يعقوب تلميذ القديس مارون حيث قال عنه توادور بطرس « انه بعد ما سكن مدةً مع معلمه جاء فسكن على جبل يقرب من قورس ثلاثين غلوة » اعني على مسافة ساعة ونصف من هذه المدينة (١). ولكن في اي جهة كان موقع جبل القديس مارون أي شالي قورس او جنوبها او جهة أخرى والرأي عندنا انه سكن احد الجبال الواقعة على طريق حلب اعني جنوبي شرقي قورس . ليكون مقام القديس اقرب الى اقامته في اقليم سورية الثانية حيث شيد بعد ذلك الدير الذي عُرف باسم دير القديس مارون كما سترى في فصلنا الخامس آنفاً

الأ أن تعريف الجبل بيمينه الذي اوى اليه القديس مارون ليس بممكن ما لم يبحث عن ذلك اهل البحث في نواحي قورس . ومما يساعد على ذلك فحص اخرة الهياكل الواقعة على قمم تلك الجبال والمقايمة بينها وبين ما يرويه اهل تلك النواحي بالتقليد مع البحث الجغرافي عن مواقع تلك الاصقاع . فلا غرو أن من يتبع هذه الخطة يأتي ما لم يكن في حسبان من آثار الامكنة الدائرة في سورية . وما ادراك انه لا يجد كتابة قديمة تحيط السر عن عدة امور غامضة (٢)

ولم يُدفن القديس مارون في محبسه فان سكان القرى المجاورة تنازعوا ذخائره المقدسة حتى فاز بها اهل بلدة قريبة فنقلوها الى وطنهم واقاموا للناسك القديس هيكلًا جعلوها فيه . ويؤخذ من بعض نصوص توادور بطرس أن الهيكل المذكور كان على مسافة من قورس . قال هذا الكاتب الشهير : « ومع اننا بعيدون عن القديس فان بوكنة تشعلنا وذكره يقوم لدينا مقام ذخائره » . فعني بهذا بعد مدينته قورس عن ذلك المقام . على أن المكان لم يكن خارجاً عن دائرة ابرشيته قورس لأن مدقته كان قريباً من محبسته وقد بينا في ما سبق أن القديس عاش في التورسية . ومن ثم صَحَّ عندنا ان قبر القديس وهيكله الأولين أنفاً كانا في شمالي سورية جنوبي قورس في نحو نصف المسافة بينها وبين حلب

(١) فيه (الصفحة ١٢٢٦)

(٢) كالكتابة المكتوبة بالفرنسيون يونانية آرامية التي وجدناها في كراد التورسية شمالي غربي حمص على اديس قديس يدي توما لم يتكلم حتى الآن بيان احواله (راجع المجلة البنيوية موزيه (Musée belge, 1901) . وقد نشر مصرية الاب س . ورفقيل النص الارامي في مجلة الشرق المسيحي (ROC, 1902)

هياً بنا الآن نبحث عن امر آخر لا تغرت فائدة كل بصير اعني مقام دير القديس مارون الشهير . قد تكرر ذكر هذا الدير في اخبار سورية واشتهر رهبانه بما ابدوا من البسالة في الدفاع عن الايمان . ولكن نرى ان كان موقع الدير المذكور هل اقيم بجوار هيكل القديس « مارون العظيم » ( كذا دعاه توادوريطوس في تاريخ الرهبان ص ١٢٥٤ ) قريباً من ذخائره المباركة كما توجب ذلك التقاليد الشائعة او كان بالاحرى موقعه في غير مكان من سورية

مهما كان من صفة احد الرايين نرى الاجدر بنا ان نتصفح الآثار القديمة ونستضي بنجاسها تعريف موقع هذا المكان الذي في ظله نشأت الطائفة المارونية . ولا شك ان نصوص القدماء تساعدنا على ازالة الشبهات التي تكاثفت بهذا الخصوص . وقد عدنا ما كتبه المحدثون بهذا الصدد فوجدنا آراءهم متباينة متناقضة فمنهم من يجعل دير القديس عند انطاكية (١) ومنهم من يرجع كونه في ضواحي حمص (٢) وبين البلدين كما لا يخفى مسافة ثمانية ايام سيف . وربما رأيت الكاتب الواحد مضطرباً متحيراً يجعل الدير قلة في محل وقارة في موقع آخر حتى أننا عدنا لبعض كتبه زماناً خمسة آراء في هذا الشأن

وعندنا ان درس الجغرافية المدققة يفضي بصاحبه الى الواي الصحيح ويُرشده الى الطريق المثلى . ولا بُد لنا لبيان هذا الامر من تعريف الاقسام السياسية التي كانت عليها سورية الشمالية وسورية الوسطى في عهد القديس مارون اعني في القرنين الخامس والسادس فاذا وقفنا عليها تبيننا على التقريب الايالة التي فيها كان موقع هذا الدير المشهور . ثم نضيف الى هذه الاعلام العمومية بعض نصوص جغرافية تريد مجتاً ايضاحاً

كان الرومان على عهد توادوريطوس يدعون باسم سورية الرومانية كل البلاد المسماة الارزاء الواقعة في وسط التضخم الطبيعية التي يحدق بها البحر المتوسط وجبل طورس

(١) راجع الدويجي (ص ٢٩ و ٦٦)

(٢) اعني في وسط الطريق بين انطاكية وحمص (راجع امداء الشرق السنة الرابعة ص ١٦)



وبادية الشام وريّة طور سينا - وكانوا يقسمونها الى اربعة اقسام كبرى او اعمال اعني سورية وفينيقية واقليم العرب وفلسطين ومن هذه الاعمال لا يهتأ هنا سوى سورية وفينيقية فنحصر كلامنا عليهما

وكان عمل سورية يُقسم الى ثلاثة اقسام او ولايات يستوفا سورية الاولى او سورية المجوفة ثم سورية الثانية او سورية الطينية ثم سورية الثالثة المدعوة ايضاً سورية الفرائية

وكانت قاعدة سورية الاولى المعروفة بالمجوفة انطاكية العظمى وهي تمتد من جبل امانوس (الكّنام) شمالاً الى مدينتي اللاذقية وجبلة جنوباً ويحدها شرقاً سورية الفرائية. فكانت سورية هذه تشمل القسم الغربي من ولاية حلب الحالية ومتصرفية اللاذقية من ولاية بيروت

وكانت سورية الثالثة اي الفرائية تضم كل البلاد المعروفة سابقاً باسم كوماجينه (راجع خريطة سورية) وقد مرّ وضعها فلا حاجة الى اعادة الكلام فيها. وكانت حاضرة سورية المذكورة مدينة منبج (Hierapolis)

أما سورية الثانية (١) المدعوة بالطينية (Syria Salutaris) فكانت حاضرتها افامية (قاعة المضيق) وكان يدخل في حيزها ابيفانيا او حماة. وكانت حدود هذه الولاية الجنوبية تنحدر الى جوار حصص فيالحق بها اراثوسة ومرعين ورفانية التي موقعها على مسافة ثلثي ساعات الى عشر شالي غربى حصص. وعليه فتكون هذه الولاية مطابقة لقسم من ولاية حلب في جنوبها الشرقي وللقائمية حماة المركزية في ولاية دمشق. وكلامنا في هذه المقالة خصوصاً عن هذه سورية الثانية فلا بُد للقارئ ان يودعها ذاكرته ليقعنا في بحثنا

وكان عمل فينيقية وهو القسم الثاني من سورية الرومانية ينقسم الى فينيقية لبنان وفينيقية الساحلية

(١) وعليه فلا نرى وجه التوفيق في تحديد بعض المحدثين سورية الثانية حيث قال : « سمّاها الاقدمون سورية الثانية لتتأخر عن سورية الاولى التي تضم جميع ما هو من مريش مصر الى بحر دجلة »



ففي بقية لبنان التي مدار كلامنا عنها هنا كانت حاضرتها حصص على الأقل مباشرة لأن قسماً من سيطرتها بعد ذلك صار الى دمشق . وكذا هنا علماء ان فينيقية لبنان كانت جنوبية سورية الثانية الطيبة

فلنعرج الآن الى دير القديس مارون لتعريف موقعه . وبما اتفق عليه في هذا الباب لغير الكتبة ان هذا الدير كان على ضفة نهر العاصي . وكذلك لا خلاف بان موقعه كان في سورية الثانية . وهذا امر يلوح كالشمس في رابعة النهار لمن طالع العريضة التي وجهها رهبان هذا الدير الى البابا القديس هرمزداس مع سائر التكتابات الرسمية التي ورد فيها ذكره فانها كلها بلا استثناء تجمل دير القديس مارون في سورية الثانية فان صح ذلك بطل زعم الذين بحثوا عن دير القديس مارون خارجاً عن هذه الولاية . ومن ثم فلا حاجة لقول من ذهب الى ان هذا الدير كان بجوار انطاكية (١) او قريباً من حصص لانه لو كان في ضواحي انطاكية لكان من سورية الاولى اي المجوفة ولو جاور حصص لعد من فينيقية لبنان

ولكن بقي ان نعين مكان هذا الدير ضمن تخوم سورية الثانية في جوار نهر العاصي . وليبان الامر زى هنا ايضاً اصلاح بعض الانغلط الجغرافية التي شوشت هذه المسألة وجمعاتها مرتبكة مغلفة

فالغلط الاول هو غلط الذين قرؤوا موقع اقامية من حصص فجعلوا الديرين بجاورتين وهو غلط عظيم ورد في تاريخ سرافني لدير مار باسوس نذكره لتفريده فقال صاحبه : « ودير الشهيد مار باسوس في بلاد اقامية على مقربة (كذا) من مدينة حصص الكبرى » . وقد شط كاتب هذه الاسطر وسبب شطوطه انه وضع تاريخه في زمن كانت حصص بلغت فيه مقاماً ساماً فبهرة نور شهرتها . ومن ثم فأننا نعذر الذين استندوا الى هذا القول ليجعلوا موقع دير القديس مارون في جوار حصص بدلاً من

(١) راجع تاريخ الكتبة الانطاكية (ص ١٠٩) وتاريخ الطائفة المارونية للدويحي (ص ٢٩) وقد روى هذا العلامة (ص ٦٥) نصاً قديماً في سرورم ورد فيه ما نصه : « قرية سرورم في جبل السريديثة على مسافة مساوية بين انطاكية ودير القديس مارون » . قلنا ان كان المراد بالسريديثة القرية الحاضرة المروفة بهذا الاسم اتفق القول بان دير القديس مارون كان موقعه بين انطاكية والبحر . وهو زعم مردود

اقامية لاسيما ان اقامية كانت آنشد خربت بعد ان احرقها كسرى الثاني فزادت  
حصن بخوابها عظيماً

ومما يشهد لنا ايضاً على ارتقاء حصن ونفوذه في تلك الاعصار ان العرب بعد  
فتح الشام لما قسموا سورية الى اعمال ممتدة دعوها اجناداً جعلوا حصن جندياً  
وادخلوا تحت حكمها مدينتي حماة واقامية . وهذا دليل واضح على عظم شأن  
حصن عند دخول العرب بلاد الشام اذ انها كانت من اكبر مدن سورية في وسطها  
الشرقي . فلا عجب اذن ان كان البعض اتخذوا حصن صكيباس لتعريف المسافات  
كما انهم حسبوا اقامية وحماة قريبتين منها لوقوعها تحت حكمها

والنقط الثاني في هذا الباب ان قوماً خلطوا بين اقامية وحماة وجعلوها مدينته  
واحدة وذلك لبعض التشابه بين اسم اقامية وايقانية (اسم حماة اليوناني) . وهو زعم  
باطل غوي به كتبتة عديدون الى غاية القرن الثامن عشر منهم الكاتب دي لاروك  
في رحلته الى سورية (de la Roque : Voyage en Syrie. I, 239) ولوكيان في  
الشرق المسيحي وغيرهما كثيرين بعدهما فسرى منهم الوهم الى بعض المحدثين من  
الكتبة الشرقيين

والصواب في ذلك ان اقامية هي كما قلنا سابقاً قلعة الخيخ شمالي شرقي حماة .  
وقد اناط القناع عن هذه الحقيقة للمرأة الاولى العلامة بورخردت (Burchardt)  
فتبعه العلماء المعقنون في قوله بعد ذلك بنحو ربع القرن . وعليه فلا تعريب على بعض  
كتبة الشرق العلماء ان ضلوا في ذلك سواء السبيل

واعل سيبا آخر دفع هؤلاء الكتبة الى ان يجعلوا دير القديس مارون في ضواحي  
حصن وهو موقع مغارة الراهب . فان هذه المغارة او بالحري هذه سلسلة المغاور التي  
وصفتها في الجزء السابق (ص ١١٠ وفي الشرق ٢٦٤ : ٢٦٥) موقعها جنوبي حصن عند  
راس العاصي . ولا كان بعض العامة يعرفونها باسم دير القديس مارون ظن قوم ان  
المрад بهذا المكان ذلك الدير الاول الذي بُني على اسم قريبتاً من اقامية

فكل هذه الزاعم اوهم لا يجوز القول بها . ومن ثم لا ترى ما كتبه البعض في  
هذا الصدد مضبوطاً حيث جعلوا دير القديس مارون « على تخوم حصن » او « في بلاد

حمص وحماة « او « بين حمص وحماة » (١) او « في حمص » كما ورد في تاريخ ابي  
القداح (٢) وقد تبعه الاب ميشال جوليان اليسوعي (٣) او في وسط الطريق بين اقامية  
وحمص على رأي الاب قاله السعودي (٤)

والقول الفصل عندنا في ذلك ان موقع دير القديس مارون فوق هذه الامكنة  
شمالاً ما وراء حماة . وممن كادوا يضييكون الهدف في ذلك العلامة السعودي من  
كتبة القرن العاشر للميلاد فانه عين موقعه بقوله في كتاب التنبية (ص ١٢٣) : ان  
هذا الدير كان « شرقي شيز . . . بقرب نهر الأرنت نهر حمص وحماة » . وشيز هذه  
تُعرف في عهدنا باسم شينجر وهي في نصف الطريق بين حماة و اقامية اي قلعة  
المضيق . وقد افادنا الكتاب عينه ان الموارنة كانوا كثيرين في معاملات شيز ومعرة  
النعمان و اقامية يسكنون في وسط تلك البلدان . وعندنا ان سبب غو الموارنة  
ووفرهم في تلك الجهات لما كان قريهم من هذا الدير العظيم فتألبوا حوله ومنه  
قدموا وانتشروا في جهات البتون وجبل كما بينا ذلك في مقالة سابقة

واصدق ما ورد في ذلك انما جاء في الآثار المارونية التي نشرها الحوري نو (Nau)  
الافرنسي ( Opuscules Maronites, II, 22 ) وقد ذكر هناك ان دير القديس  
مارون كان « قريباً من اقامية في وادي العاصي » . وقد آثرنا قوله على سواه لان  
كاتب هذا الاثر اقدم من سواه عهداً سبق غيره الى ذكره (٥) وقد عرف موقعه  
بدقة وضبط . فمن هذا النص مع ما يستفاد من مراجعة اقوال المؤرخين يتضح لنا  
ليس فقط ان دير القديس مارون كان في سورية الثانية بل انه ايضاً كان في نحو مركز  
هذه الولاية

ومما يزيد رأينا ما ورد في تاريخ رهبان القديس مارون المستشهدين . قال كاتب  
اخبارهم ان هؤلاء الرهبان بعدد ٣٥٠ خرجوا سنة ٥١٧ يريدون دير القديس سمعان

(١) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ١٠٩، ١٧٥، ٢٥٧، ٢٦٩)

(٢) راجع تاريخ ابي القداح (Hist. anteisl., ed. Fleischer., p. 112)

(٣) في رحلته الى سورية وسينا ( ١٧٨ )

(٤) راجع اصدا، الشرق ( الجزء ٢ ص ٩٠ )

(٥) لا نجهل ان عريضة رهبان القديس مارون الى البابا هرمزداس اقدم من كاتب هذه  
الآثار المارونية الا ان تلك العريضة لا تفيدنا عن موقع الدير سوى كونه في سورية الثانية



العمودي اذ هجم عليهم المنتصبون فقتلوههم . فيؤخذ من هذه الرواية انه كان بين رهبان الديرين علاقات متواصلة وانهما لم يكونا مبتعدين كثيراً الواحد عن الآخر . على اننا نعلم ان دير القديس سمعان كان موقعة في جبل بركات على مسافة بعض ساعات من حلب غربياً (١) . فلا بد اذن من القول ان دير القديس مارون كان ايضاً من جهة قريبة من افامية كما سبق . وان اعترض علينا احد ان المسافة بين الديرين لا تزال كبيرة اجبتنا ذلك صحيح لكن الامكنة التي يختارها غيرنا لموقع هذا الدير اذا جعلناه في حمص او حماة تزيد هذه المسافة زيادة بالغة بحيث لا يدرك القارئ سهولة هذه المغامرات بين الديرين لاسيما كيف امكن نحو ٤٠٠ راهب (٢) ان يخرجوا في وقت واحد فينتقلوا الى الدير الآخر . ومن ثم لا بد القول ان دير مار مارون كان ارقى شألاً كما تشهد عليه الآثار التي استندنا اليها

وان كانت النتائج السابقة هي صحيحة فيبقي ان نتعصر البحوث العلماء عن دير القديس مارون منذ الان فصاعداً في وادي العاصي قريباً من قلعة المضيق . فيبقي على الاثريين ان يتجولوا في تلك الجهات ويفحصوا الاخرية ويجمعوا التقاليد الباقية بين اهل تلك النواحي ريثما يطالعوا على موقع هذا الدير الجليل الذي احتله متون من الرهبان الصالحين قدسوه باعمالهم ويز حياتهم ويشهد على ذلك المسمودي في كتاب التنبية حيث قال ( ص ١٩٣ ) : « ودير مارون ببيان عظيم حوله اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيه آلات من الذهب والفضة والجوهر شي . عظيم فخر هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن » . فلا شك ان بناء عظيم كهذا لم يخرب دون ان يبقى منه شيء من آثاره . وان قيل ان خرابه سبق القرن العاشر فيصعب وجود بقاياها . اجبتنا ان هذا الدير كان موقعة بعيداً عن البلاد الآهية بالسكان كما ان قلعة المضيق أصبحت منذ اجيال متعددة معتلة عن الطرق اللاحية

(١) ولبس كما زعم حضرة الخوري فبريل « حذاء النطاكية » ( ص ١٧٥ ) كذلك لا يمكننا ان نسلم بما جاء في ذيل الصفحة نفسها

(٢) قلنا ٤٠٠ راهب . ولعلهم كانوا اكثر والاثبات المقرر ان عدد القتل المشهورين منهم كانوا ٣٥٠ وقد فر منهم حكماء هارون . وسياقي قريباً ذكر دير آخر قريب من دير مار مارون بلغ عدد رهبانه سنة آلاف راهب يقف

فلم يكثر فيها الحراب والنهب فلا ريب ان تكون أيضاً آثار هذا الدير الذي عُرف  
باسم دير البلور باقية بجوارها حتى اليوم

## ٦

اثننا في ما سبق ان القديس مارون عاش وتوفي في القورسيّة . وفيها دُفن أيضاً  
ليس بعيداً عن مكان وفاته . وذلك واضح لمن اعتبر قول توادوريطوس . وقد أدّى  
بنا من جهة أخرى مجال البحث في الفصل السابق الى ان نجعل دير القديس مارون  
قريباً من اقامية اعني على مسافة نحو مئة كيلومتر جنوبياً من قرّوس . وكأني بالداري  
يستغوب الامر ويجد في تعيين موقع هذا الدير خارجاً عن القورسيّة بعض التناقض  
ويشك في صحة النتائج التي استنتجناها

كألا لا تناقض في ما قلنا . وان يكن في الامر مشكل . وانما الشكل اعظم  
وانوي اذا ما جعلنا موقع دير القديس مارون في جهات حمص

اعلم انه لا يُعرف نص واحد يذكر صريحاً ان جسم القديس مارون دُفن في  
اقامية . بل في قول توادوريطوس ما هو عكس ذلك . وانما يثبت التقليد ان  
رأس الناسك القديس بعد خراب دير القريب من اقامية نُقل الى لبنان

اما ذخائر القديس فلا نعلم اُنقِطت ايضاً بعد وفاة ببضع سنوات الى جهات  
اقامية ام لا وان كان الامر محتملاً ولعل الباحثين يجدون حلاً لهذا المشكل في  
التفاصيل التاريخية المادّة التي كُتبت عن اديار اقامية ونواحيها

وكانت هذه الاديار كثيرة قد ذكر منها توادوريطوس في رسالته ال ١١٩  
ديرًا « موقه على ثلاثة اميال من اقامية » طلب ان يعتزل فيه وهو يسميه دير « كلنة  
عاش فيه العيشة الرهبانيّة » (١)

ونعرف فضلاً عن هذا الدير قرب اقامية ديرًا آخر شهيرًا وهو دير مار بئوس (٢)

(١) ان توادوريطوس كان رهبانيًا في سنة كهنته فدخل في جسد اكليس الطائفة

(٢) راجع كتاب الملاحة روليس دو قال في الآداب السريانية (ص ٢٥٢) والمجلة الشرقية

الذي نشر عنه الحوري شابر كتاباً موسماً (١) ومما ورد في اثنتان من عدد دهيانه بلغ ٦٣٠٠ راهب (ص ٦١) ألا أن صاحب هذا الكتاب قد وهم بقوله أن هذا الدير كان في بلاد حص او قريباً من هذه المدينة (٢) والصواب أن دير مار بئرس كان بجوار افامية . وفي ما سبق اشرنا الى هذا الفاظ وسيله ولا نحال أن الكتبة خلطوا بين دير مار بئرس ودير مار مارون لوقوع كلا الديرين في جوار افامية . والدليل عليه أن الديرين اسماً مختلفاً فضلاً عن أن دير مار بئرس اضحى بعد قليل مركزاً للبدعة النيقونية (٣)

فوجد عدد واقر من الادوار في نواحي افامية يرهان جديد على ما كان لتلك الناسك من القام الرفيع والشهرة الذائعة ولا يخرج بعد ذلك ان نسلم بصحة ما رواه الرواة عن خطر دير القديس مارون وعظم شأنه

ومما اخبر به توادريطوس ايضاً أن القديس الناسك مرقسان القورسي ارسل واحداً من تلاميذه اسم اغاييتس فوكل اليه بان يمتد اديرة عديدة بقرب افامية وبالاخص عند نيقرتا (Nixerta) وهي بلدة واسعة كثيرة السكان ابنتى فيها اغاييتس معهدين لتعليم الحكمة السمرية ذوي الواحد باسمه . وجمع فيهما فوق التي راهب تجددوا للفضيلة ولازموا التقى (٤) . وقد ورد اسم نيقرتا هذه في كتابتين يونانيتين تراهما في مجموع الكتابات اليونانية (٥) تحت المعدادين ٩٨٥٥ و ٩٨٧٧ وفي جدول المخطوطات السريانية المصونة في المتحف البريطاني (Wright, Cal. 756. c. 2) اسم رئيس تولى رئاسة دير نيقرتا . أما نيقرتا المذكورة فليس لدينا نص صريح يفيدنا عن موقعها بالتدقيق في جوار افامية لقلة ما نعلم من امور تلك الناحية (٦)

(١) J.-B. Chabot: La légende de S<sup>t</sup> Bassus et son couvent à Apamée, راجع

1893

(٢) قد جاء في مجلة الشرق المسيحي ذكر دير ثالث في افامية (KOC, p. 1902, 611.)

(٣) راجع ايضاً مقدمة الحوري شابر (ص ٩٥)

(٤) راجع تاريخ الرمان في مجموع مبن (ج ٨٢ ص ١١٢٨)

(٥) CIG, 9855 et 9877

(٦) طالع ما كتبه في هذا الصدد الامتاذ هرمان (ZDPV, XXIII, 145)



ولعل سائلاً يطلب أو ليس دير القديس مارون أحد الاديار التي ابتناها القديس اغابيتوس في جوار افامية ؟ اجبتا ان هذا لرأي سبقنا اليه حضرة الاب جوليان اليسوعي في كتابه عن جبل سينا وسورة ١٦ « لا زى داعياً لأنكاره اذ ان درس الامكنة ومواقعها لا يخالف هذا الذهب وثى سند في التاريخ لأن وفاة القديس اغابيتوس وقعت بعد وفاة القديس مارون . على أننا لا نوافق حضرة الاب جوليان في زعمه بان « دير القديس مارون كان بين افامية وحص على ضفة العاصي ليس بعيداً من حص في المكان المعروف اليوم بالدير الكبير (٢) »

قد مضى علينا نحو ثلاث سنوات منذ زرنا هذه القرية الواقعة على مسافة ساعة ونصف من حص في شمالها الغربي على ضفة العاصي الغربية ووجدنا فيها آثاراً قديمة بيد ان نظرها لم يعدل بنا عن رأينا وفي حجبنا السابقة ما هو كافر لبيان . وعندنا ان حضرة الاب جوليان خدع بما كتبه الوزير الشهير صاحب حماة الملك المؤيد ابو القداء وهو يجعل الدير في حص نفسها . ثم غره أيضاً اسم « الدير الكبير » ألا ان سائنة ولاية سورية روت اسم هذه القرية على صورة اخرى فدعيا « الدار الكبير » ولعل الضواب « الضهر (الظهر) الكبير » كما سمعناه او فهمناه من اهل القرية وهذا الاسم يوافق السعى لان القرية على ظهر دوق

وقد ذهب الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخه المخطوط عن لبنان الى رأي آخر نستلفت اليه نظر القارى . قال المؤلف المذكور الذي وقف كل حياته على البحث عن لبنان وتاريخه : « لا يعد ان القديس ماري (Marès) الراهب النفس في ناحية افامية الذي وجه اليه القديس يوحنا فم الذهب رسالة (٣) هو القديس مارون عينه (٤) لان الاسمين ماري ومارون لا يختلفان عند كتبة اليونان في سورة وليس ماري سوى مارون مع اختلاف حركة الاعراب في اليونانية فشاخ هذا الاسم في الناحية . اما تلقية

(١) P. M. Jullien s. j. : *Sinai et Syrie*, p. 178

(٢) في صفحة ١٧٨

(٣) هي الرسالة ٥٧ وهي غير رسالتو الى مارون النكاهن

(٤) هذا زعم لا يمكننا التسليم به اذ ان فم الذهب يثبت في هذه الرسالة ان ماري عاش في مقاطعة افامية خلافاً لما نعرفه عن القديس مارون

بالقديس فقد جرى على ذلك رهبانة تبجيلة لانه فاقتهدي بهم فم الذهب  
 « ومثالثا في ذلك مثال ديرين آخرين في جهات افامية عُرف الواحد منها باسم  
 القديس سمعان والآخر باسم القديس اغاييتوس (١) وتؤكد هذا الراي المخالف للراي  
 العمومي رواية ثوادريلطوس في تاريخه (٢) الذي يفيدنا ان جمهور الرهبان الذين اتوا  
 من القورسية الى بلاد افامية لينشئوا فيها الاديار كانوا تلامذة للقديس الناسك  
 مارقيان ليس تلامذة القديس مارون لان المؤرخ المذكور افادنا انه لم يخرج احد  
 من رهبان القديس مارون من بلاد قورس (٣) ولا يسعد ان تلاميذ القديس  
 مارقيان وكان اصلهم من بلاد قورس (٤) دعوا احد الاديرة التي شيدوها في بلاد  
 افامية باسم القديس مسارون لآكرمه الا ان كلام ثوادريلطوس صريح في القديس  
 مارقيان حيث قال : « ومارقيان الالهى هو الذي انشأ كل اديرة بلاد افامية (٥) »  
 فلا يمكن اذن ان يُنسب انشاء احد هذه الاديرة لتلامذة القديس مارون . . . ومن  
 ثم لا نستغرب القول بان ماري الذي اوفد اليه القديس يوحنا فم الذهب برسائله  
 كاحد رؤسا الدير مع القديس سمعان (٦) هو منشي الدير وان عُرف باسمه اولاً  
 دير القديس مارون . هذا ونقر ان الافادات التاريخية في هذا الخصوص لمخلّة جداً .  
 ومن المحتمل انهم لم يميزوا بين القديس مارون والقديس مارقيان الذي ورد مكتوباً  
 في بعض النسخ ماريان (٧) »

هذا ما رواه الاب مرقينوس في تاريخه وهو زعم نوره على علاقته دون ان نحكم  
 فيه (٨) . وما يزيد بعض الرجوح شهرة القديس مارقيان فان اسم هذا القديس كان  
 ذائعاً مستفيضاً حتى ان معاصريه شيدوا بيعة على اسمه قبل وفاته فليستغرب احد

(١) راجع ثوادريلطوس في تاريخه المذكور ( ج ٨٢ ص ١١٢٨ )

(٢) في المجلد والصفحة عينهما

(٣) راجع تاريخ الرهبان ( ج ١٦ و ٢٥ )

(٤) او على الأقل كبارهم الذين شيدوا الاديرة

(٥) تاريخ الرهبان ( ج ٢ )

(٦) راجع رسالة القديس يوحنا فم الذهب الى ٥٥

(٧) راجع تاريخ الاب مرقينوس الصفحة ٢٢٢٨ و ٢٢٢٩

(٨) الا زعم بان ماري ومارون اسم واحد فالتسا لا نسلم به

ان يكون رهبانه حاولوا بعد مجيئهم من بلاد قورس الى النجاء افاميسة ان يتخذوا ذكره باقتناء دير على اسم . وعلى كل حال لو صح هذا الرأي لقض المشكل الذي نحن بصدده ويظهر لكل العيان كيف دعي احد اديرة افامية باسم القديس مارون الذي توفي في القورسيّة . وما لا شبهة فيه ان في السنين الاولى من القرن السادس كان الدير المذكور لا ينسب الى غير القديس مارون وان افترضنا ان رهبان الدير حصلوا على قسم من ذخائر القديس مارون او على جسمه الطاهر كله فلا عجب ان يكون التعبّد للقديس امتدّ الى كل جهات بلاد الشام

امّا ما حدث بعد ذلك لدير القديس مارون فيقيدنا به ابو الفداء اذ يعلمنا في كتاب تقويم البلدان (ص ١١١) ان الملك مرقيان وسمه في السنة الثانية للملكه اعني سنة ٦٥٢ . ولما تحمل اليمامة على ابنه فاخربوها (١) في اوائل القرن السادس اعاد بناءه الملك يوسطنيان الكبير (٢) الذي ضبط زمام الملك من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥ . وقد اخبر سعيد بن بطريق في تاريخه ان هرقل الملك تعقّد هذا الدير سنة ٦٢٨ لما رحل ظافراً الى سورية فاقف عليه ارقافاً عديدة (٣) . وفي عهد هذا الملك جرت بين اليمامة ورهبان دير مار مارون مفاوضات ذكرها ابن العبري في تاريخه الكنسي وقال ايضاً ان الموارنة اخذوا من اخصائهم عدّة كنائس ابي هرقل ان تُردّ الى اليمامة (٤) . ولم يزل هذا الدير زاخراً في سنة ٦١٥ كما ورد في نصّ سرياني نشره الحاردي نو ترجمته بالفرنسيّة (٥)

والظنون ان خراب هذا الدير تمّ في القرن التاسع فاضطّرّ رهبانه ان يأتوا الى لبنان مع سكّان الناحية الجاورة له . وفي قول المسعودي الذي اوردناه سابقاً ان دير القديس مارون كانت اغتالته في عهده (اعني في اواسط القرن العاشر) يد الزمان

(١) وقيل انه غرق بزلزال

(٢) راجع كتاب بركوكبيوس في الابنية (ك ٢ ف ١)

(٣) راجع اعمال آباء اليونان لسبين (PG. CN1. 1069) وراجع الصفحة ٢٦ من الجزء

الثاني من تاريخ ابن بطريق (Eutychius, ed. Cheikho, II 269)

(٤) Chronicon Eccl. I, 270-274

(٥) Bulletin de S. Louis des Maronites, Janvier, 1903, p. 346



فغرب . ثم لا تعود ترى له من بعد ذلك أثراً في التاريخ حتى أن ياقوت الروسي لم يذكره في معجم البلدان مع أنه افاض في وصف اديرة كثيرة اشتهرت في بلاد الشام منها خربة ومنها مأهولة بالرهبان . وكذلك تصفحنا تأليف جغرافي العرب المتعددة لعلمنا نجد شيئاً عن دير القديس مارون فذهبت مساعينا سدى ولم نقف على ضائقنا مع أن هؤلاء الكتبة كروا مراراً أسماء الاديار الشامية ودروا من ابليات الشعراء ما ورد فيه ذكرها

وهذا المعري من الامور الغريبة أن ديراً طار اسمه في البلاد مدة القرنين السادس والسابع فاصاب من الشهرة ما اصاب في تاريخ سورية الديني يصح بعد مجده نسباً نسباً لاسيما ان دير القديس مارون لم يكن ديراً منقطعاً لا نفوذ له بل كان يدخل تحت حكمه اديار أخرى تعرف له حقوق السيادة كما كان شأن الاديرة في سورية الحالية وسورية الوسطى فإن اديرتها الرهبانية كانت ترتبط بين بعضها بروابط متينة بحيث تكون السيطرة لدير اعظم تخضع لرؤاسته بقية الاديار المجاورة له (١) . وهو امر يصدق في دير القديس مارون الذي امتدت رؤاسته على سائر اديار سورية الثانية . غير أنه يعز علينا ان نبين حدود هذه الرئاسة وسعة نطاقها . فلا تعلم أكانت هذه الرئاسة شريفة محضاً او كان لرئيس الدير الكبير بعض السلطة على بقية الاديرة . كما أنه يصعب علينا ان نبين اصل هذه السلطة فلا ندري أكانت ناتجة عن تفرد دير من آخر او بإرادة منشي الاديرة او بخروج مستعمرة رهبانية من الدير الاكبر فكل هذه الباحث عويصة لا يستطيع حلها سهلاً

وعلى كل حال ان تقدم دير مار مارون ورؤاسته على بقية الاديار من الامور الحرة بالاعتبار فإن ذلك يبين لنا كيف امتدت سريعاً الطائفة المارونية ليس فقط في بلاد افامية لكن في الايلات الخارجة عنها ايضاً . وعلى رايانا ان كل دير من هذه الاديار المنوطة بدير القديس مارون اضحى بعد مدة مركزاً لقشة من المؤمنين الذين نوا عدداً بعد حين وانفسوا الى القديس مارون . وفي مقالنا السابقة عن انتشار المارونية رأينا كيف خرج منهم فئات دخلوا لبنان واستعمروا الجبلات الواقعة

(١) راجع ما مكتوب في ذلك العلامة لذلك ( ZDMG, 1875 p. 423, note )

لنموهم وازديادهم  
 فيرى القارىء ان هذا البحث الجغرافى عن سيرة القديس مارون يرتبط بالبحث  
 السابق اعني اصل الطائفة المارونية وكيفية انتشارها (١) وهذا ما حملنا على التدقيق  
 في تعريف الامكنة التي نشأ فيها القديس مارون وكيف لا وهو ابو طائفة تعد من  
 اعظم الامم اللبنانية عطرها هذا الرجل العظيم بعيشته وموته

\*

وفي الختام احببنا ان نلخص للقراء ما اتبعنا في بياننا في هذه المقالة لتبقى  
 خلاصتها في ذاكرتهم :

- ١ لا وراء ان القديس مارون عاش ومات في القورسية
- ٢ ان الرأي الاصح في مولده انه وُلد ايضاً في القورسية وليس في جوار  
 انطاكية

- ٣ دُفن القديس مارون في حدود القورسية الجنوبية
- ٤ كان موقع دير القديس مارون مهد الطائفة المارونية بين نهر العاصي  
 واقامية . وهذا مما لا ريب فيه
- ٥ اما كيف دُعي هذا الدير باسم القديس مارون وكيف بُنيت اليه ذخائره  
 فامر ان لا يمكن القطع بهما فتسنى ان يحكمكم غيرنا فيهما حكماً فصلاً فيصرح الحق  
 عن محضه



## ٧

## في لغات لبنان القديمة

قد استدلل القارى من الابحاث السابقة (١) ان لبنان مع ما طرأ عليه من تقلبات الاحوال وتماقُب الامم في سكناه لم يزل مقاماً لشعب اصلي كان سامياً يثلب عليه الفصح الكنعاني والآرامي . ولنا في درس اللغات المستعملة في لبنان ما يؤيد هذه النتيجة فان التاريخ والبحث اللغوي يثبتان صريحاً ان اللغة الشائعة في لبنان كانت ابدأ لهجة سامية

ولنا في اكتشاف مراسلات تل العمارنة التي وصفناها سابقاً (٢) ما يرقى حجتنا من هذا القبيل الى القرن الخامس عشر قبل المسيح . فان في هذه المكاتبات عدة تقارير ارسالها ولاية صيدا وجبيل ويروت الذين كان لبنان تحت حكمهم الى فراعة مصر وكلها باللغة البابلية التي كان ينطق بها هؤلاء الامراء وعمامهم اجمعون . وهو لعبري امر ذو بال يؤخذ منه ان اللغة الاشورية كانت شائعة بين اهل لبنان ان لم تكن لغتهم الوحيدة . فيسوغ اذن القول بان اول لغة شهد التاريخ على وجودها في لبنان انما كانت لغة سامية اعني البابلية . وقد حاول المتشكك (١٠٣ ص ١٢٥) في وصفه لكتاب تاريخ يروت ان ينكر ذلك حيث قال : « ان استعمال اللغة الاشورية في المكاتبات السياسية والتجارية لا يكفي دليلاً . . . على ان اللسان الاشوري كان شائعاً في ظهري الامة الفينيقية » الا ان في قوله لشططاً ولو تحقّق نفوذ الامة البابلية في بلاد الشام منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح لما جعد ذلك (٣) والآثار الثابتة على مكان البابليين وكلمتهم الراجعة في هذه البلاد لعديدة حتى ان كثيرين

(١) راجع الفصل المضمون « الاسم البائدة في لبنان » وفصل « انتشار الامة المارونية » الخ

(٢) راجع مدلتنا « احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح » ( في الجزء الاول

ص ٧١ )

(٣) راجع المقالات المسندة التي كتبها في هذا الصدد حضرة الاب دي لافر اليسوعي

( P. Delaure: Le pays de Chanaan, province de l'ancien empire égyptien )



من العلماء المبرزين كـ (١) وغيرهم يزعمون أن مابيل استولوا على الشام في ذلك العهد العبد المبيد وأن القبائل البابلية التي كانت على ضفة نهر الفرات ودجلة امتدت وانتشرت الى سواحل البحر المتوسط . وهو رأي راجح كان يجيز لنا بان ننظم البابليين بين امم لبنان البائدة لولا رغبتنا في اقتصار الابحاث . وما لا يُنكر من آثار المعاملات بين بابل ولبنان الراد البنازية التي وجدت في اخربة بابل مما نقل من لبنان كاللوز والرخام الابيض والحجارة . أفستغرب بعد ذلك كون اللغة البابلية انتشرت في ضواحي لبنان

والظاهر ان سيطرة اللغة البابلية في الشام امتدت الى نحو القرن الرابع عشر قبل المسيح ومن تبصر في مكاتبات تل العمارنة وجد فيها الفاظاً وتمايز من اللغة الكنعانية وهذا ناتج عن استيطان قبائل الفينيقيين والكنعانيين قبل ذلك العهد سواحل الشام ولم يلبث الآراميون أن يتشبهوا آثارهم ويحدثوا بهم (٢)

واعلم ان اللغة الكنعانية ( التي تشمل العبرانية والفينيقية ) واللغة الآرامية متجاورتان حتى تغلبت الآرامية وصار لها السبق فكادت تكون هي اللغة الوحيدة بعد جلاء بابل . على ان بعض معاملات لبنان لاسيما ما كان منها مجاوراً للمراكز الفينيقية انكبرى ثبوت مدة بعد ذلك على استعمال اللغة الفينيقية

فمن ثم لا نشط اذا قلنا ان اللغة الآرامية ملكت دون منازع في لبنان مدة ثيف والـ سنة . قال المؤرخ مـسن الشهير في تاريخ الشام على عهد الفتح الروماني \* ان لبنان يحصر الكلام لم يغير قط عنصره (٣) اعني انه بقي آرامياً جنساً ولغة الى نحو القرن الرابع عشر من تاريخ الميلاد

ولما صار الامر الى الفرس بعد البابليين بقيت السيطرة للغة الآرامية وكان ملوكها يتخذون هذه اللغة كاللغة الرسمية ليس فقط في بلادهم لكن ايضاً في

(١) راجع كتابه الاخير H. Winckler: Keilinschriften und das alte Testament,

1903

(٢) راجع كتاب فنكلر Winckler : Die Voelker Vorderasiens

(٣) راجع تاريخه (Roem. Gesch., V, 418)

الاقطار الخاضعة لهم كمصر وآسية الصغرى . والاكتشافات الأثرية في مصر تؤيد ذلك فإن العلماء وجدوا عدة كتابات أصدرها دولة الفرس باللغة الآرامية . وكذا فعل من بعدهم ملوك بني سلسان فإن رسائلهم كانت مكتوبة باللغة السريانية (١)

\*

أما السلوقيون فإن نفوذهم في لبنان كان ضعيفاً لاسيما من حيث اللغة فإن اللبنانيين دأبوا على استعمال اللغة الآرامية مزوجة باللهجة الفينيقية . ومن عجيب الأمور أن انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة السائدة في كل آسية السامية أعني في سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب (٢) الآن اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد دون أن تشيع في عامتها (٣)

ثم تولى الايطوريون على لبنان (٤) فلم يسيروا شيئاً من لغته وكان الايطوريون عرباً وأصلهم من حوران من الجهات المجاورة لجل حرمون . ومع كون المؤرخين لم يصرحوا بأية لغة تكلمت قبائلهم لا نشك في أن العربية أو الآرامية كانت لغتهم الخاصة كما يستدل على ذلك من اسمائهم وهي عربية أو آرامية

وإن سلمنا أنهم تكلموا بالعربية لا نرى بداً من القول بأنهم اتخذوا الآرامية كلغة معاملاتهم وذلك لأن الطرق التجارية بسبب الحروب التي وقعت بين الملوك السلوقيين وملوك مصر اللاغين كانت تحوأت الى جهات جزيرة العرب بعد مرورها سابقاً في سورية الحالية وسورية الوسطى فصار العرب وسطاً لهذه التجارة الواسعة . ولما لم يكن للعرب وقتئذ كتابة خاصة اضطروهم الأمر أن يتخذوا اللغة والكتابة الآرامية الشائعة في حدود بلادهم بين مجاوريهم الآراميين

أما النبط وهم من اقارب الايطوريين وجيرتهم فإن لغتهم النبطية لم تكن سوى

(١) راجع مقالة كاترمار عن النبط . Quatremère : Mém. sur les Nabatéens, 137.

(٢) راجع المجلة الآسيوية الألمانية . ZDMG, 1885 p. 333.

(٣) راجع مقالة الدكتور شندا عن الآراميين . Sanda : Die Aramæer, 4, 23 etc.

(٤) راجع الصفحة ٢٩

لهجة آرامية . وامتدت اللغة الآرامية في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منه . والادلة على ذلك كثيرة فان الكتابات التي وجدت في كل تلك الانحاء . انما هي بالآرامية ليست بالعربية (١) وما قلناه عن الشام وجزيرة العرب يصح أيضاً عن شبه جزيرة طورسينا وفيها كتابات آرامية لا تخص ابقاها لنا عرب تلك الجهات

فن ثم نصادق تماماً على قول العلامة نذرك وقوله حجة في زماننا عند العلماء : « قد تناوبت في لبنان هذه اللغات الثلاث اعني الكنعانية ثم الآرامية ثم العربية » . وكان يمكن هذا المستشرق الشهير ان يقدم على هذه اللغات اللغة البابلية الا انه لما كتب هذه العبارة لم تكتشف بعد مراسلات تل العمارنة . اما اللغة الفيليقية فان الآرامية محت آثارها في لبنان كما في سورية كلها في قرون النصرانية الاولى (٢)

اما اللغات الاخرى غير الآرامية فانها لم تنفقط بالسيطرة في لبنان . واذا خصصنا بالنظر اللغة اليونانية وجدنا ان اللبنانيين لم يتكلموا بها مطلقاً . وقد بينا في ما سبق ما معنى الكتابات اليونانية التي وجدت في لبنان (راجع الصفحة ٣٥) . واثبتنا ان وجودها ليس بدليل على شيوع هذه اللغة بين العامة كما ان وجود الكتابات اللاتينية المتعددة فيه لا يدل على ان اهل لبنان تكلموا بهذه اللغة . وعندنا ان هذه الكتابات لم يفهمها غير العمال الذين أمروا بصنعها . ولا نستثني من هذا الحكم الصناع الذين حفروها فانهم كانوا يشغلونها قليلاً ويصورونها دون ان يفهموا على فحولها

»

وقد زادت اللغة الآرامية شأناً بدخول الموارنة في لبنان فاضحت في أظهرهم اللغة الوحيدة مدة اجيال متوالية . وتشهد على ذلك اعلام قرى لبنان التي هي في الغالب

(١) راجع مقالة كاترمار في السبط ( ١٩٤ و ١٩٤ ) وقال المسعودي في كتاب التنبيه (ص ٢٩) : « وكانت بلاد العرب اليوم وبرها وسدرا اليمن وعامة والحجاز والهامه والغرض والبحرين والشجر وحضرموت وحمان وبرها الذي يلي العراق وبرها الذي يلي الشام . وهذه الجزيرة كلها . . . لانها واحد مرياني » . راجع أيضاً مقالات نذرك 122 ZDMG, 1871, ومقالات فونكلر ( 130 : 1901 H. Winckler: Mithel. vorderas. Getel, 1901 ) وكرامة فيليب برجه ( L'Arabie avant Mahomet, p. 9 )

(٢) راجع Ad, Harnack: Mission u. Ausbreit d. Christentum, p. 430



مشقة من اصل سرياني كما بينا ذلك سابقاً وسيأتي بيانه بنوع اجلي ولما ظهر المسلمون واستولوا على سواحل الشام اخذت العربية تنتشر شيئاً فشيئاً في جهات لبنان، وساعد على انتشارها ايضاً دخول الايطوريين كما سبق (الصفحة ٣٩) ثم دخول المتأولة والنصيريين من بعدهم (١) الا ان اللغة الآرامية دافعت عن حقولها مدافعة جيدة ويؤخذ من كلام يعقوب دي فيدي من كتبة الحروب الصليبية ان العربية امتدت في الجبل اي امتداد (٢) ومع ذلك ان ابا الفرج ابن العبري (٣) كان يعتبر في القرن الثالث عشر السريانية كلغة اهل لبنان الا ان لغة العرب لم تزل في نمو وانتشار حتى غلبت السريانية شقيقتها في القرن الخامس عشر لكن هذه لم تتوار بالتمام الا تدريجاً وكان اهل بعض القرى الداخلية ككسراي وحاصرون وجبشها يكتبون بها حتى في القرن السابع عشر (٤)

وبقي من آثار السريانية بعد خلوها ان كثيرين اتخذوها لكتابة المؤلفات العربية كما يظهر من كثرة الكتب المخطوطة بالكرشوفي. هذا فضلاً عن عدة الفاظ وتعبير سريانية باقية في لهجة اللبنانيين (٥) تنبئ بما كان من السيطرة لغة الآراميين في لبنان بل قل في اكثر انحاء العصور القديمة. كيف لا ومن اقدم لهجاتها اللغة الآشورية التي وجد من آثارها كتابات راقية الى ١٠٠٠ سنة قبل المسيح في اكثر اقطار آية العربية واضحت السريانية مدة اعصار عديدة حتى بعد القرون المتوسطة لغة علماء الشرق كما كانت اللاتينية لغة علماء الغرب وكان المسلمون ايضاً يدرسونها بكثرة فواردها (٦). وقد كتب بها الارمن مدة قبل انتشار الاورمنية وحرفها. وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً كما انها بلغت جنادل النيل. فلا نظن ان لغة اخرى حتى ولا اليونانية جاءت السريانية في اتساعها اللهم الا الانكليزية في هذا

(١) راجع مقالنا الافرنسية من النصيرية في لبنان (مجلة الشرق المسيحي، ١٩٥٢، ROC).

(٢) تار يخ القدس ف. ٢٢

(٣) راجع تاريخ مختصر الدول (ص ١٨)

(٤) راجع مقالنا «قرا غريغون» في السنة الاولى من المشرق (ص ١٥٧)

(٥) راجع مقاله الاب باربرو في المجلة الاسيوية الباريسية (١٨٩٨ ص ٢٨٦)

(٦) فيها (ص ٢٤)

فترى شطوط القاتلين بأن اللغة الآرامية كانت لغة خاملة بربرية . وقد فسد الشرق زعم الذين نسبوا الى اوريجانس مثل هذا القول . والادرج ان اوريجانس نفسه كان يعرف هذه اللغة ويقتبس من انوارها . وكذلك اولئك الرجال العظام الذين شرقوا الشرق بعلومهم كداسايرس القيصري وتوادوريطوس ويوحنا الدمشقي والي قرّة . وغيرهم وفي ما سبق كفاية لتعريف شرف السريانية واتساع نطاقها في العالم

## ٧

## رسم خرائط لبنان

لا يجمل احد فائدة الخرائط في الدروس الجغرافية . فلولاها لضرب المدرس الرياح وكتب على صفحات الماء . فيكون مثله مثل استاذ الطبيعيات لا يُثبت تعليمه بالعمليات او مثل مدرس الرياضيات لا يقيد علمه بالتمرينات الحسابية ولكن اين هذه الخرائط ؟ فان لبنان الذي عليه مدار دروسنا محصور الحدود وليس له خرائط خاصة به الا القليل القليل ، امّا خرائط سورية العامة فان مقياسها قصير حرج فلا تجد فيها للبنان مكاناً يذكر مع انك لو اردت درس هذا الجبل لا ندعة لك من خرائط كبرى ذات مقياس واسع ومثل هذه الخرائط عزيزة الوجود

\*

اول من وصف لبنان سترايون الجغرافي العظيم الا انه اخطأ في هذا الوصف وبخطائه كان سبباً لاوهام الذين اتوا بعده . وقد اثبتنا عند ذكرنا لبنان ورجهية امتدادهم ومدوده في كور الاجيال (راجع ص ٦) ما ارتأه هذا الكاتب الشهير في حق لبنان اذ بدل وجهته فظن ان هذا الجبل والجبل الشرقي يتدان من الغرب الى الشرق بدلاً من الجنوب الى الشمال . اعني انه كان يحل احد طرفي هذين الجبلين عند بحر الشام والطرف الآخر عند دمشق كما ترى في الرسم الذي نثبته في الصفحة التالية فلمعري ان مثل هذا الوهم كان من شأنه ان يشوه صورة لبنان كما تشوه صورة الانسان لو جعلت قدماء في رأسه ورأسه في قدميه . ومع سوء هذا التصور للبنان نال رأي سترايون الخطوة لدى كثيرين ولم يقدر بليسيوس الطبيعي وغيره من اصاوا الرومي في تعريف موقع لبنان ان يبطلوا هذا الزعم

ثم جاء العرب  
ووصف كتبهم البلدان  
وفي جملتها لبنان ولا  
تراهم يحدرون عن  
طريق الصواب في  
رسم وجهته إلا أنهم  
لم يحسنوا بيان حدوده  
فوقما ادخلوا في لبنان  
جبالاً ليست منه . ثم  
أن تأليفهم بقيت مجهولة  
في أوربة إلى القرن  
الثامن عشر فكان  
مصطنع الخرائط  
يستبدون إلى أقوال  
سترايون فيرسمون لبنان  
كما تخيلة هذا الجغرافي .  
منهم العلامة بوشارت  
في كتابه « الجغرافية  
القدسة » وسلاويوس  
صاحب « العالم القديم »  
وكلاهما من مشاهير



صورة لبنان على زعم سترايون

الكتاب ازهر في القرن السابع عشر

ومن أول الذين عاكسوا هذا الوهم الهولندي اديان ريلاند (Reland) في كتابه  
عن فلسطين (١) . وكان أول امره يذهب في ذلك مذهب اسلافه إلا أنه لحسن  
حظه وقف على رحلة كتبها الانكليزي هنري ماوندري (Maundrell) كان وصف فيها



سفرًا بأشهره في أواخر القرن السابع عشر من حلب الى اورشليم وأكثر فيه من التفاصيل الجغرافية . وفي هذا التأليف افكار ريلند واستفاد من خريطة كان رسمها موندل المذكور ولم ينشرها بعد

فكانت هذه أول خريطة للبنان وهي بالنسبة الى معارفنا اليوم محلاة من وجود عديدة كانها عمل تلميذ لا يحسن الرسم فلا تكاد تجد فيها سوى بعض أسماء الامكنة الواقعة على ساحل البحر دون مراعاة للمسافات التي بين الانهار ومواقع المحلات . أما جهات لبنان الدائرية فهي خاوية ليس فيها اسم بلد اللهم الا بحيرة الشونة . ومع هذا ترى صاحبها قد اصاب في رسم وجهة لبنان والجبل الشرقي وجعل الجبلين موازيين مع الاشارة الى سهل البقاع البسيط بينهما . وتلك نتائج حسنة بالنسبة الى ذلك الزمان لاسيما ان ريلند كان مهتم بهذا العمل الطريق لمن يأتي بعده . وزال العقبات التي كانت تحول دون الترقى الجغرافي في درس لبنان

هكذا نشأت أول خريطة لجبلنا فكانت مع نقشها اساساً بني عليه كنية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فحسّنوها وكثّروها . وقد اشتهر بينهم الجغرافي الجرماني كزل ريتز (Ritter) الذي افرد لوصف لبنان قسماً كبيراً من المجلد السابع عشر من تأليفه المعروف « الجغرافية المقابلة » وهو اوسع وصف يعرف لهذا الجبل لم يقد شيئا من محاسنه وفوائده بعد نصف قرن من عهد ظهوره

الا ان الخرائط الالمانية في هذه الدّة لم تحط كهذه الخطوات في سبيل التقدم بل بقيت على خلتها . وانما كان اصحاب خرائط سورية يقتصرون لبنان بمكان صغير فيثبتون خريطة ويلند السابق وصفها مع شيء من التحسين في الدلالة على مصب الانهار وتنوّات الارض وقياس المسافات وكذلك ترى زيادة في أسماء القرى وذكرها لافيسة علو الآكام والقمم . وقد امتازت بين هذه الخرائط خريطة فلسطين للرسم الالاماني الشهير هنري كيبرت (H. Kiepert) التي نشرت في سنة ١٨٥٦ ادرج فيها صورة جبل لبنان وتكن هذه الخريطة كذت على مقياس ١:١٠٠,٠٠٠ فلم يمكن صاحبها لضيق المكان ان يأتبع في ذكر هذا الجبل واعماله . ثم اعاد كيبرت رسم خرائط سورية غير مرّة دون ان ينال لبنان حظاً وافى من المرة الاولى

وبعد سنتين لظهور خريطة كيبرت ابرز سنة ١٨٥٨ الضابط الهولندي فان دي فلد

(Van de Velde) خريطة حسنة للأراضي المقدسة جعل حدودها الشمالية لبنان إلى النهر الكبير. وكان مقياس هذه الخارطة  $\frac{1}{100,000}$  أعني أنها كانت نحو ضعف خارطة كيرت مثال لبنان حظه منها وهي تستحق ذكراً خصوصياً ليس فقط لبعثها لكن أيضاً لتبرصاحبها على طريقة علمية. فان راسي الخرائط السابقة كانوا يتوا رسومهم على اقوال اهل الرحل والمسافرين الذين دونوا ملاحظاتهم بدون آلات رصدية او بلا تدقيق كاف في الرسوم او الحسابات التريغومترية. فاراد فان دي قلد ان يسد هذا الخلل فطاف جهات فلسطين هذه الغاية اما لبنان فانه لم يجز فيه غير رصد قليلة بنفسه لكنه وجد في بعض زملائه ما اغشاه نوعاً من ذلك فان الاميركي روبنسن وتصل بروسة في دمشق العلامة ونشتين كانا باشرا بعض هذه الرصد. وكذلك كان ضباط البحارة الانكليزية قاسوا سواحل لبنان والجهات المجاورة لها. فانتفع فان دي قلد من هذه الساعي العلمية الجلية ورسم خارطته وفقاً لها فجاء عمله محكماً وافياً بعد بروزة كنقطة مهمة في تاريخ خرائط لبنان (١). ثم زار فان دي قلد ثانية جبل لبنان وطبع خريطته بعد مدة فزاد في تحسينها وتلافى شوائبها

هذا ومع فوائد الخرائط المذكورة لم يتفرغ الى ذلك العهد احد من العلماء لرسم خارطة خاصة بلبنان دون سواه حتى نبض هذا العمل الجليل قوم من ضباط البعثة الفرنسية الى سورية فرسموا بعد الرصد واقيسة مواقع الامكنة خارطة للبنان تعرف باسمهم مقياسها  $\frac{1}{100,000}$  طولها ٨٩ سنتيمتراً في عرض ٦٧ اودعوها من اعلام الامكنة ما لم يسبقهم اليه غيرهم وهي تحتوي ليس فقط اسماء معاملات لبنان بل تمتد ايضاً الى الجبل الشرقي والبقاع وبلاد بشارة

ومن محسنات هذه الخارطة ان اصحابها كروا اقيسة الارتفاعات التي قام بها سابقاً الفصل يرتون الانكليزي مع غيرهم من العلماء الاميركان والانكليز والالمان وكنلولها. واصلحوا ايضاً اغلاطاً اخرى عديدة كما انهم اتفقوا تصوير لبنان في سلسلته الكبرى وفي القروع النشبية منه مع حسن رسم المجامد ومشارف ومنعطقاته ووجهة أوديته وكل جزونه وبطونه فضلاً عن طرقه وعباته. وكانت هذه الفوائد مدونة في الخارطة



على احسن هيئة واجود نظر

ولما ظهرت هذه الخارطة الفرنسية في غضون سنة ١٨٦٢ استحسنها فان دي  
 قد كتبه ودّ لو ألقاها اصحابها بشرح يرشد القراء الى بيان طرائقها والادوات  
 المستعملة لرسمها ومركز اقيسة مثلثاتها الى غير ذلك من القوائد اللازمة لضبط الرسوم  
 وتحقيق صحتها. وقد انتقد غيره على هذه الخارطة فاخذوا عليها بعض المآخذ منها ان  
 اقيسة السواحل لا توافق الخرائط البحرية التي كان الانكليز يقومون برسمها آنسلف  
 تحت نظارة الكومندان منيل . فمن اين ياترى هذا الاختلاف واي الفريق هو  
 الحق او المخطئ ؟ فان الرسام ديسرد كيرت بن هنري كيرت الشهير اعلن ان  
 اقيسة الضباط الانكليز لا تخلو من الخلل (١) وكذلك ترى كتبة الانكليز قد اثنوا  
 اطيب الثناء على الخارطة الفرنسية للبنان (٢) التي يرجع كون اصحابها استفادوا من  
 اعمال الضابط الفرنسي ديولين (Desmolins) في اقيسة الساحلية . وزد على ذلك  
 ان العلامة النسوي دينر (Diener) من علماء الجيولوجية قد استصوب عمل  
 الخارطة نفسها

وممن لم يستحسنها السيدة ايزابل بروتون امرأة السائح الانكليزي الشهير (٣) بيد  
 ان رأيا ضيفا في رسوم الخرائط ولها ارادت بهذا الانتقاد ان تبين فضل خارطة  
 زوجها التي ليست بشي . على رأي كيرت . وكذلك الدكتور پوست من اساندة  
 انكليزية الاميكية في بيروت فانه « وجد الخارطة الفرنسية قابلة الضبط في تعيين مواقع  
 الامكنة كثيرة الاغلاط في تدوين الاعلام العربية (٤) » ونحن وان كنا نسلم بما فرط  
 في خارطة الضباط الفرنسيين من الاوهام في تعريف بعض مواقع الامكنة ترى ان  
 اغلاط الانكليز والاميركيين في الاعلام العربية اكثر وافظع كما اشار الى ذلك العلماء  
 الالمان كالعلامة سوسين (٥) فيصح فيهم المثل « ايها الضبيب اشفر نفسك »

(١) راجع ملاحظاتي في ملحق رحلة البارون فون اوبريم الى خليج النجم ج ٢

ص ٢٩٦ و ٤٠٥

(٢) راجع للمجلة ١٨٦٥, 7٥ PEF

(٣) راجع الكتاب 1, 9٥ Unexplored Syria

(٤) راجع 1892, 219 PEF

(٥) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية 45, XIII, 243, V, 242, IV, 179, III, ZDPV



والرأي الأرجح عندنا في خارطة لبنان التي رسمها الضباط الفرنسيون ما قاله فيها ريشرد كيبرت ابن الموما إليه « ان خارطة لبنان حسنة الرسم يروق العين النظر فيها ولكن الواصفين قد بالغوا في وصفها (١) . فكأنه اراد بذلك ان هذه الخارطة مع ما فيها من المعامن ليست تامة كاملة . وهو حكم صائب الا انهم لما كانت الخارطة الوحيدة للبنان انما المرجع اليها في تقويم هذا الجبل . وعندنا ان اصحاب هذه الخارطة لم يطوفوا كل ناحية عكاك . اما جبل اكروم فقد تحققت في رحلتنا اليه سنة ١٨٩٩ ان الضباط الفرنسيين لم يدخلوه مطلقاً (٢) . على ان هذه الملاحظات عرضية لا تمس جوهر العمل الذي ادى للعلم ولا يزال خدماً مشكورة . ولا بد من الرجوع اليها والاستناد الى معلوماتها الفريدة في بابها حتى يقوم قوم من اهل الضلالة والخبرة فيندركوا الخلل

ولهذه الخريطة رسم مصغر الحقة المسير ورنان بكتابه « بحث فيزيقية » مقياسه ..... اصطنعه اصحاب الخارطة السابقة انفسهم الا ان الاعلام فيها قليلة لان المقصود منها انما كان فقط الدلالة على العاديات في لبنان

هذا وقد ورد آنفاً ذكر خارطة الانكليزي منسل البحرية . وهي مفيدة لتعريف اقبية عدة مواقع كما انها تصلح لبيان علو مشارف لبنان الداخلية . وعلى رأي ريشرد كيبرت لا يركن الى تعريفات هذه الخارطة الا في الخط الساحلي . اما جهات لبنان الداخلية وتحديد مواقع القرى واسماها ووصف الانهار والطرق ومنعطفات الجبل فان منسل تصرف فيها على حسب مخيلته (٣) . وقد اتى الجغرافي ديو (٤) على ضبط اقبية الانكليز في تعريف اعالي لبنان بينما ترى غيره كريشرد كيبرت وبلنكنهورن قد انتقدوا عليها في صغة ضبطها

\*

(١) راجع رحلة او بنهم السابق ذكرها

(٢) راجع مقالنا Notes topographiques sur l'Émésène

(٣) راجع رحلة البارون او بنهم السابق ذكرها ج ٢ ص ٢٩٦ و ٤٠٥

(٤) راجع كتابه Libanon Grundlinien einer phys. Geogr. von

وفي سنة ١٨٨٤ نشر الدكتور لورقه متقدم المكتب الطبي في ليون كتاباً اسمه «سورية كما هي اليوم» اتقن طبعه وزينه بالتصاوير البديعة وهو يحتوي على فوائد جنة في شأن الجغرافية وخصوصاً تاريخ بلادنا الطبيعي وقد اضاف اليه خريطة فلسطين ولبنان مقياسها  $\frac{1}{1,000,000}$  استند فيها (على ما جاء في صدر الخارطة) الى اصدق الموارد واحداثها عهداً دون ان يُطلعنا على طريقتيه في اصطنائها غير ان الذي يصفحها لا يجد فيها شيئاً جديداً والاخرى ان يقال انها دون خارطة البعثة الفرنسية فمن ذلك ان نتوات الجبل ليست بواضحة فضلاً عن كونها غير صحيحة. ثم ان في اسماء الامكنة اغلاطاً عديدة. مثال ذلك انه يدعو بحيرة زينة «جنية» وكذا دعاه مراراً في الكتاب. أما اقيسة الطول فلا توافقي في الغالب اقيسة غيره من الكتب ممن يؤثق بهم. والظاهر من كلام المؤلف انه دون هذه الاقيسة نقلاً عن بعض الادوات الصغرى غير المضبوطة. وخلاصة القول يلوح من درس هذه الخارطة ان صاحبها لم يزد شيئاً على معلوماتنا السابقة وانما نقل ما اتى به الكتبة المتدمنون دون تور كافٍ وبلا اجهاد ذهن. وهذه الخارطة مع قلة ضبطها متقنة الطبع تُفيد الذين لا يطلبون الدقة في التفاصيل ويكتفون بنظر عام وهي بالخصوص تساعد على مطالعة كتابه.

وهذا الانتقاد والتنقير احق بخارطة الاميركان المطبوعة بالفرنسية على الحجر سنة ١٨٨٩. فانها ليست فقط كثيرة الخلل لكنها ايضاً مبهمه لا تقرر انضارتها العين ولا يأنس بفوائدها العقل. والدليل على قلة ضبطها ان اصحابها لم يذكروا لها مقياساً وانما يقبسون المسافات على مشية الحيل وهي امرى دلالة تناسب مجامل افريقية وما شاكالها من الاقطار اما بلاد متسدة كسورية فلا ترضى بها.

ومن معاييب هذه الخارطة ان نتوات الجبل وسلسلته الوسطى مدلول عليها ببعض الخطوط المخروشة العسل اما تفريعاته وانجاده ومعاطفه وادويته فكل ذلك مُهمَل لا ذكر له. وقد أُشير فقط الى مجاري الانهار بعض الاشارة. وعندما ان هذه الخارطة لا تصلح للمدارس ولعلمها تؤدي بالاحداث الى الوهم والغلط. وزد على ذلك ان اسماء امكنة عديدة في هذه الخارطة لم تذكر لضيق المحل. اما صورة الاسماء فهي مضبوطة في الغالب لجبل لبنان تكتيها محلة لينة النحاء. الشام كما لحظ الامر العلامة المستشرق



فإن برقم في المجلة الاسيوية (J. A. 1895, 490) وأما السبب في هذا النقص إن اصحاب هذه الخارطة لم يرسموها رسماً مستقلاً بل اتبعوا فيها الخرائط الانكليزية التي تكثر فيها مثل هذه الاغلاط ومن اوهامهم انهم جعلوا مديرية هرمل ملاصقة لبنان مع ان موقعها في ولاية سورية وإن كانت تخص متصرفية الجبل . وكل هذه الشوائب تنزع عن الخارطة الاميركية صفتها العلمية ولذلك لا ترى احداً من المستشرقين يرجع اليها في اوصافه . وحكمنا هذا مختص في قسمها اللبناني أما رسم بقية الخارطة الشام فقد تعددت فيه الاغلاط وتوفرت اسباب الزلات وتشرعت الاعلام فكثرتا نجتري بالاشارة لنالا نخرج عن دائرة موضوعنا

ولا ندحه لنا من ذكر خارطة الدكتور النسوي ديفر التي ترى في آخر كتابه عن لبنان المجلد سنة ١٨٨٦ . والعاية من كليهما جيولوجية لبنان اي تعريف طبقات ارضه ويدخله ايضاً فوائد عديدة جغرافية كوصف ارتفاع الجبال ووجهتها وانعطاف وديانها واقبسة معاليها . الا ان الأستاذ ريشرد كيبرت موثب في صحة هذه الاقيسة الاخيرة لعدم وقوفه على اسلوب ديفر في تدوينها . وكذلك تراه يذكر بالتحفظ اقيسة الارتفاع التي اجراها احد معلمي كلية بيروت الاميركية المعلم روبرت ونشرها في مجلة فلسطين الانكليزية (PEF) سنة ١٨٩١ (ص ١١٤٧ و ١٨٩٢ (ص ١٢١٩ و ١٨٩٦ (ص ١١٥) . ولا غرو فان هذه الاقيسة لا تراعي درجات الحرارة وذلك امر واجب لضبط قياسات البارومتر . ثم انه اعلم في تدوين هذه الاقيسة رسم خارطة لبنان فيبقى القارئ متضعضعاً لا يميز النقاط المقيسة من سواها . أما قياسات الدكتور ريت الاميركي فيرنأي ريشرد كيبرت (ص ١٠٧) انها ليست ذات شأن . ومجمل القول ان العلماء حتى اليوم لم يضبطوا ضبطاً تاماً اقيسة عشارف لبنان فلا تزال على شك من صحتها

هذا ولا يجهل احد من السياح دليل فلسطين وسورية المنسوب الى بيديك وهو كتاب كثير القوائد وضعه عالمان المانيان شهيدان سوتسين وريسنبر . واسحابه بخريطة للبنان مقياسها ١:١٠٠,٠٠٠ وهي قسمان يحتوي احدهما شمالي لبنان والاخر جنوبية الا انها شمالياً لا تتجاوز خط طرابلس فلا تتضمن جبل عكار . وهذه الخريطة قد قام بعملها رجل واسع الخبرة في فن رسم الخرائط ألا وهو هنري كيبرت . ومع شهرة هذا العمل وكثرة محاسنه لا يسعنا السكوت عن بعض تقاضيه منها ان اعلام القرى اقل



عددًا من الخريطة الفرنسية . ولعلّه اقتصر صاحبها على هذه الاسماء . رغبة في توفير المكان ثم ان الغاية من رسم هذه الخارطة ليست التعليم المدرسي فاكتمى الرسم بذكر الاعلام التي فيها ما تهتم المسافرون معرفته . اما ضبط الاسماء فيحتاج ايضا الى اصلاح التلاتل به قدم الطالبين لاسيما ان دليل بيديكرو قد اتسع في نقل الاعلام العربية طريقة الحروف المفردة النقطة الشائعة عند كبار العلماء الاجانب . ولرصد بيديكرو لأمكنه هذا الحلل . ولعلّه فعل في طبعته الاخيرة التي لم نطلع عليها . لكن الطبعة الرابعة التي في يده تاريخها سنة ١٨٩٢ وهي غير مصلحة ومع هذه النقائص نرى خريطة بيديكرو حسنة يستفاد من مراجعتها وان لم تُنقَر عن الخريطة الفرنسية

وفي الدليل عينه خريطة اخرى مقياسها كخريطة البعثة الفرنسية .....  
تتضمن جهات بيروت على مسافة ٢٩ كيلومترا طولاً في ١٩ ك عرضاً فيها كل ما  
يرغب اليه من وصف الامكنة . وهي في هذا القسم أغنى من خريطة الضباط  
الفرنسيين

أما احسن ما وُضع من الخرائط للبنان فهي خريطة حديثة رسمها ريشرد  
كيبورت الذي تكرر الشاء على براعته في هذا الفن وألحقها بكتاب في جزئين القى  
البارون فون اوينهيم عنوانه : Vom Mittelmeer zum persischen Golf. Berlin, ١٩٥٥  
فالخريطة تاريخها ١٨٩٣ غير انها لم تتم الا بعد تلك السنة والدليل  
على قولنا انها تتضمن عدة فوائد من تاريخ سنة ١٨٩٨ . وهذه الخريطة مقياسها  
..... وحدودها شمالاً مرعش الى خط الناصرة قبصري ومن ثم لا ترى فيها لبنان  
الأمصراً . وهي مع ذلك غاية الاتقان ومثال يقتدى به من حيث رسم الجبل  
وتعريف عطفاته وادبيته ومجاري انهاره وحسن ضبط اعلامه . وخلاصة القول لانجد  
في هذه الخارطة غير محاسن اللهم الا اقيسة قم لبنان فأتنا في ريب من صحتها  
لاختلافها عن الاقيسة المعهودة . مثال ذلك جبل صدين فان العلماء يحسبون علوه  
عادة ٢٦٠٨ م وقياسه في هذه الخريطة ٢٢٥٠ متراً وكذلك اجمع العلماء سابقاً ان  
اعلى قم لبنان تتراوح بين ٣٠٦٠ متراً الى ٣١٠٠ م والمالمة كيبورت في خريطة  
يزعم ان المشارف التي تطل على وادي الارز يبلغ بعضها ٣٢١٥ متراً وغيرها

٣٢١ م . ولم نعهد احداً من العلماء ذهب الى ذلك الا برتون الذي لا يوثق بكلامه من هذا القليل

على ان العلامة كيبرت يفيدنا في ملحقة انه اخذ هذه الاعداد عن خريطة مخطوطة الخواجاء عبد الله طبعه . وعندنا ان العلماء لا يكتفون بهذا السند الوحيد وفي الحتام ان طلب احد رأينا في الخرائط اللبنانية اشرفنا اليه ان يقتني خريطة البعثة الفرنسية سنة ١٨٦٠ مع خريطة ريشرد كيبرت وبها غني عن غيرها الى ان يرسم لنا احد العلماء قريباً ان شاء الله خارطة جديدة تستوفي كل الشرط المرغوبة مستنداً الى الاعمال السابقة مع اصلاح شوائبها

٩

## لبنان : بحث في انجاء واغواره

قد اظهرت ابحاثنا السابقة غير مرة خطر لبنان وعظم شأنه في سورية . فان كان قول الكتاب الكريم عن بلاد الشام « بانها تدور لنا وعسلاً » لا يزال صحيحاً في مهدة كما صح سابقاً فليس ذلك الا من فضل الانهر التي تتولد في بطون لبنان ومن تأثير الجبال الناهمة المكثلة بالثاوج الغراء في الهواء واحوال الجو . وعليه فانه من الواجب اللاب ان نبين خواص لبنان في وضعه وهيئته وبطونه وحزونه فاشرحه تشريراً لتقف على دقائق وخفاياه . وذلك اقوى عامل لبيان مجاري مياهه وتفرع الانهار على جوانبه كما سيأتي بعيد هذا

\*

قال اليزاي روكلو (E. Reclus : *Asie Antérieure*) في وصفه للبنان : « اذا ما أقيت ببصرك من البحر الى ساسة لبنان المستطيلة رأيت من هذا الجبل نظراً ميباً فيلوح لك ازرق او وردياً في الصيف ومشملاً في الشتاء والربيع مجلباب ثلج النضي . واذا تصاعدت الالجرة في الجو البست قمة النازحة ثوباً شفافاً عواثياً غاية في اللطف . وتراه مع غدوبة منظره لا يخالو من سطوة الصلابة والشمم فتري ذاك الجبار يتسطى بطلوعه الشديدة وينطرح برأسه الشامخ لا يقوم في وجهه قائم . على ان النظر الى محاسن هذا الجبل عن كثير هي دون جماله عن بعد . فتري ظهوره على طول ١٥٠



كيلومتراً (والأصح ١٨٠ كيلومتراً) اقهب اجرد لا تكسوه الحضرة تجد وديانة متشابهة ومشاركة كأنها قُذت على قالب واحد .

هذا هو الوصف الذي خصه ذلك الجغرافي الشهير بلبنان . وان دققنا من بعده في تعريف هذا الجبل قلنا : ان لبنان اشبه بجدار عظيم من الصخور ورجهته من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . ومن الجهة الشرقية تراه يتقطع بقعة أما من جهة الغرب فهو يتفرع فروعاً متعددة على هضبات شتى من آكام ويطون وسهول ودُنى متسلسلة يدخل بعضها في بعض . وإذا استثنينا هذه التفرعات الثانوية والتجمعات غير المنتسقة تحققت ان سلسلة لبنان العظمى قد وضعها الخالق على صورة نظامية وجانب كبير من البساطة . ولذلك قلنا ترى في لبنان تلك المناظر المتباينة التي تقرأ لها العين في سواه من الجبال وانما البصر يقع على حاجز كبير في حدود الافق يتواصل على خط مستقيم لا تكاد قمة العليا تتأخر عن بقية اقسامه .

ومن درس جغرافية سرورية ورأى تنوعاتها وأفراد لبنان يبحث لا يرى فيه تلك الأطوار العجيبة التي تقوى في السهول المنبسطة او في وسط الأنجاد المرتفعة فتخلب النظر بمشارفها وقرونها السامية كجبل قنتو (Ventoux) في فرنسة وجبل اتنا في ايطالية وبركان تشاريف في جزائر كناري وجبل الاقرع في جهات انطاكية او الاولپ في برنسة فان مثل هذه الجبال تأخذ بجماع القلب لتحليتها روتوسها في الجوز . أما لبنان فلا أثر فيه لمثل هذه القرون الباسنة التي تنصب ضلوعها الهشمة بالادوية فوق فقراتها الاصلية . وكذلك ليس في لبنان مثال لتلك القفن المروسة المدعوة في بعض البلاد الجبلية كبلاد الالب والبيريناي بالسلات والايبر والاسنان كما انفسه خالو من القسم المعروطة الشكل او ذات المقاطيع المخرّوجة . ومجمل القول ان ظهر لبنان ينسبط انبساطاً متساوياً على خط سوي يبلغ معدل علوه ٦٦٢٠ متراً تركب فوقه اعاضيب وروابي محدبة تختلط في هيئتها مع السلسلة الوسطى الاصلية .

الا ان لبنان خوص اخرى تجعله من الجبال المتأخرة بيهاتها فن ذلك تقاطيعه التي ترى في التعطف المرازي للساحل . فهناك عدد وافر من الادوية والمهاوي والشعاب والأطواب الصعبة المرتقى والوهاد التي تفصل الجبل الى نشوز مختلفة كأنها القلاع الحريزة . وذلك ما سهل لاهل لبنان ان يعيشوا في جبلهم في الامن والراحة .



وكذلك تعددت فيه الأمم المختلفة التي التجأت اليه وتوطنته فاختلطت الانساب وتوفرت المشاكل في تعريف اصولها الشقي

#### ١ اودية لبنان

وان انتقلنا الآن الى وصف اودية لبنان التي تنحط بها المجاري المائية وجدنا ان وضع هذه المنحدرات والبطون هو على خط عمودي بالنسبة الى ظهر الجبل بالعرض منه . ولما كان الجبل موازياً للبحر مجارياً لاساحبه تحدرت منه السيول الى هذه الاودية فانصبّت في بحر الشام على اقرب طريق . والياه قد فتحت لها مسيلاً على خط مستقيم بعد نفوذها في اعطاف الجبل وخرقتها لفروعه الثانوية . ولو اردنا ذكر الاودية التي هي في لبنان على شكل خط عمودي معترض لتعددت الاسماء . فمن ذلك اكثر مجاري السيول كنهري بيروت ونهر الكلب ونهر ارياهيم والمثالحا . واكثر وجود هذه الاودية المعترضة في شمالي لبنان اي في مشارفه العليا حيث تبلغ معظم قوتها

الآن ظهر الجبل عند بلوغه شمالاً رأس الشقعة يدل ميلاً ظاهراً الى الشرق وتوسع فروعه الغربية وتضيق متحدراته فتري الاودية الناحية به قليل منه فتسج الى الشمال الغربي وهي لا تزال مع ذلك تابعة للخطوط العمودية الآن ذواياها بالنسبة الى الساحل اقل انفرجاً فتجري الى البحر من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . واذا بلغت منتهى لبنان في الشمال الغربي رأيت ضلوع الجبل تتسع فيها الوديان على شكل المروحة نصابيا ظهر لبنان المركزي

وفي لبنان مسا خلا هذا الاودية العمودية او المعترضة اودية اخرى توازي طول الجبل وتجري معه على خط مستقيم مثال ذلك شمالي لبنان في جبل عكار نهر خالد وما ينصب فيه من الجداول والسيول . ومثل هذه الاودية الموازية للجبل كثير في لبنان الجنوبي على جهة طريق الشام الجنوبية فتري مسايل الياه تجاري في سيرها ظهر الجبل في اعاليه حتى اذا بلغت اسافله عطفّت بغنة وانعوجت على شكل الزاوية المنفرجة . وان اعتبرت اغلب الانهار الواقعة في تلك الجهات كالليطاني والزهراني والاولي والدامور وجدتها على هذا المثال فانها تجري اولاً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ثم تغير على قود ونجتها وتنفذ في مضائق تسيل منها الى البحر على خط عمودي معترض

وليس بين هذه الانهار ما يقطع ظهر لبنان ألا الليطاني وحده فان رأسه على متعطف لبنان الشرقي وهو يصب في البحر منحدراً الى متعطفه الغربي وذلك من عجائب الامور اذا اعتبرت عمق وادي هذا النهر وقابلات بينه وبين ضخيم الجبل الذي تغرقه مياهه . ولعل ما ارتأه في هذا الامر العلامة ت . فيشر لا يحلو من الصواب وهو قوله بان الليطاني كان قديماً في اسفل مجراه نهراً متسرباً الى باطن الجبل فلم ترل مياهه تعمل في الصخور التي تخفيه عن النظر الى ان اخترقها وعليه فيكون الجسر الطبيعي الذي يرى حتى الآن في مجرى اثار حالة النهر السابقة وبقيسة من الفناطر الصخرية الطبيعية التي جرى تحتها النهر مدة احقاب عديدة

ومما يجدر بنا قوله ان الادوية اللبنانية وتغيرها الجسم انما هو من فعل العوامل الطبيعية التي انجزتها . ألا وهي الثاوج والجليد والامطار والمياه الجارية وكلها قد تساطت على صخور الجبل فنقرتها وحفرتها على شكل الوديان . وذلك امر يسهل الوقوف عليه في الامكنة التي ينهبط المسيل بين جدران الجبل المركبة من طبقات صخور نظامية فهذه الطبقات ترى على الجهتين مناسبة لبعضها . ولما ترى في لبنان وادياً ألا وتنظر آثار المياه على جانبيه فتستعجب علو مجراها سابقاً ثم هبوطها على مدى الاعصار وهذا عمل المياه وجوها للصخور يبدو للعيان في اخوار هلائية تختلف سعة وعمقاً حفرت في اواسط الجبل وتشكون من مجموع شعابه ومن انخسافات وتهوراته . واجمل ما يرى من هذه البطائح بطيحتان الواحدة في لطف صين والآخرى تحت السيطرة . وعند افقا ابطح آخر قليل الاتساع لكثرة غاية في الحسن لما يحدق به من المناظر البهيّة الآخذة بجامع الابصار

وهي المياه ايضاً حنرت الألهاب اعني الصدوع التي تقوم في الجبل تجاه المناظر اليها كالحائط لا يرتقى . فان السيول بقوتها قد تخلفت الصخور ولم ترل تناصها الحرب حتى غلبت صلابتها ودخلت في قلبها . فمن ذلك وادي نهر ابراهيم في مسيله الاعلى نازلاً من قرطبة ومضيق نهر الكتاب وما يفضي اليه من الادوية كنهري صليب . كذلك نهر باروك الاعلى مع ملحقاته ونهر الاولي بقرب جزين . واعظم هذه الالهاب نهر قاديشا فان عمقه لا يقل عن ٥٠٠ متر فيسجل نوعاً مضيق بلاد كولورادو في اميركة قري فيه المياه تهبط من انطافير الى اعماقه مزودة فتسيل متلوية في تلك القناة الطبيعية التي



نوعها دغماً عن صغورها الدنيا . وهو لعمرى منظر مهيب يزيد دغماً اذا قوبل بما يحف به على جانبي الوادي من الاشجار المثقفة على شكل الدرج ومن الصخور المختلفة الالوان وللبنان شعاب تصل بين منطقتيه منها المناقب يتوقأها المسافر فيجتاز وسط الجبلين او الربونين مشياً لمعرجات الوادي ومنها الشايا والعقبات تسير بين الجبلين للتصديق على متون مرتفعة . مثال ذلك العقبة التي بين العاقورة وأفقا التي تدعى ثنية السيطرة وتعد من اقدم ممالك لبنان ومنافذ يبد ان مثل هذه الشايا قليلة في لبنان لاستواء خط قسم الاوسط في الارتفاع . فان السائر لا يتعب من القرب بل كثيراً ما يجري على جانب الوادي او على ظهر الجبل . وفي بعض المجازات كمجاز الباردك وصين وجبل الارز الذي يبلغ علوه ٢٦٠٠ متر ليس فرق يذكر بين الجبل وطريق السابلة

#### ٢ منطقة الثلج المغلدة في لبنان

ان اسم لبنان يُشعر بيباض قبه فانه مشتق من اصل سامي " لين " ومعناه الجبل الابيض ليس كما زعم البعض لاجل صغوره الكلاسية التي يتكبد منها بل لما يتوج رأسه من الثلج الغراء . فان هذا المنظر في بلاد تشهد فيها وغرات القيط كان من شأنه ان يؤثر في حجة الامم البائدة

ومع هذا ليس في لبنان رأس يبلغ منطقة الثلج المغلدة . وكذلك الناحية الجبلية المتجدة فلا اثر لها اليوم . وغاية ما يلقاه المسافر في اعالي جبل الارز مدى احواض في أمن من الشمس تتراكم فيها كميات وافرة من الثلج تبقى فيها حتى في معظم حرارة الصيف . وهذه المستودعات لا تروى في قمة جبل المكمل الذي يبلغ ٣٠٠٠ متر لكن في منعطفاته المعتدلة عن اشعة الشمس . وكذلك في صين وفي جبل السيطرة بعض احواض مستديرة لا تعمل فيها الشمس لا لارتفاع الجبل لكن لكثافة الثلج المتراكمة . وعلى رأي علماء الطبقات الارضية لا ينقص لبنان الأمانة متر ليبلغ علو الجبال الخالدة الثلوج التي لا يذوب ثلجها صيفاً مع شتاء لارتفاعها وقلة حرارتها

ومن تفرع الجبل من الجنوب الى الشمال وجد الجبل يتزايد علواً وكذلك يتسع عرضاً . ولو تأمل الناظر من علو الجو عرض لبنان بين صيدا ومشرفة لوجده لا يزيد عن ٢٩ كيلومتراً وهو يبلغ بين بيروت وقب الباس ٣٦ كم ومعظم اتساعه بين طرابلس وهرمل ٤٦ كم . فيكون لبنان على شكل مربع متفرج عن زاوية العليونين



## ٣ وصف قُصَم لبنان

ليس بوسعنا ان نصف كل قمم لبنان المختلفة وتفرعاته المتعددة وانما نذكر منها  
اخصها ليكون القراء على بصيرة من امرها

يبتدى لبنان جنوباً عند الوادي العميق الذي فيه يسيل الليطاني وعليه تشرف  
قلعة الشقيف في علو ٦٧٠ متر من سطح البحر، ثم لا يزال في تصاعد حتى يبلغ ١٠٣٠  
متراً عند جبل جرمق ثم يتصل بجبل ريجان الذي به دُعيت إحدى مديريات لبنان.  
واعلى قمة هناك ١٦٩٣ متراً. ثم يزيد علواً عند قرنين محدّين يدعيان توامات نبحا  
(١٨٥٠ متراً) يراها البحارة عن بعد وكانوا الى القرن الثامن عشر يستدلّون بها على  
موقع صيدا (١)

ثم يرتقى الجبل وينضم الى بعضه متواصلاً فيسرقطبة المركزي على خط متساو  
كأنه جدار اجرد لا نبت عليه فذاك جبل باروك وفي آخره وهدة ظهر البيدر  
(١٥٦٢ م) تقطع لبنان الى نصفين وهي نقطة مهمة للمواصلات بين النحاء الشام  
وفيهما قرطريق دمشق والسكة الحديدية التي جعلت بيروت مقاماً راجعاً في سورية  
على انه اذا كان هذا المضيق يقسم لبنان الى قسمين متساويين على التقريب  
فان بين القسمين اختلافاً كبيراً في الهيئة فان القسم الشمالي يأخذ في الانبساط وتتسع  
انجاده حتى تبلغ عدة اميال. منها نجد جبل الكنيسة (٢٠٣٢ م) وتجد صنين  
(٢٦٠٨ م) الذي على شكل مثلث عظيم فيه الشرفات والاغوار والادوية يالوح لمن  
يرقبه من سهل البقاع كأنه بحر عجّاج. اما من جهة بيروت فينتصب هذا الجبل مع  
قرنيه الشاهقين فيخالب الابصار بمجاسته ووفرة مناظره

وصيّين في علوه ثالث جبال لبنان بعد جبل النيطرة وجبال الارز. ويبعد عن  
هذه الاخرة ٢٠ كيلومتراً بينها جبل النيطرة المتأثر بشمته السطبية (٢٩١١ م)  
وفي منتهاها مجاز ظهر القضيبي يربط به السفر من وادي قاديشا الى بعلبك

ثم تبتدى اعلى قمم لبنان ومجسوع جبال الارز الذي يالوح للناظر من طرابلس او  
من البقاع كأنه سور منيع قائم كالعمود. وهو في الحقيقة نجد واسع مساحته ١٠٠  
كيلومتر مربع وفيه سلسلتان متوازيتان مختلفتان وجهتهما من الشمال الشرقي الى الجنوب

الغربي طولها نحو ١٥ كيلومتراً فيها شعوف ورزوس متعددة لم يُضبط حتى اليوم قياس علوها كراس ظهر القضيبي وجبل المكمل والقرنة السوداء وتيارون فتري الجغرافيين يحددون هذه الشرفات حدساً فلا يتفقون بالقياسات كما ذكرنا سابقاً في بحثنا عن خرائط لبنان (راجع الصفحة ١٠٦) . وبينما هناك سبب هذا الاختلاف

كان القائد منسل والضباط الانكليزي اقتاسوا علو هذه المشارف بطريقة الرسوم المثثة . وتبعهم الضباط الفرنسيون سنة ١٨٩٠ في خارطة البعثة الفرنسية دون ان يفيدوا عن طريقة اقيستهم . ثم اورد الجغرافي ر. كيبرت في خارطة قياسات حاله للاقيسة الشائعة قبله اخذها عن خارطة الخواجا ع - طمسه واغادها عن سبب استناده اليه في رحلة البارون فون اوينيم (١٠٦ : ١٠٧) قال : « انه فضل هذه الاقيسة لان صاحبها تألها بواسطة ميزان البارومتر الربيعي وهي توافق اضبط الاقيسة دون ان نتحقق ما بينها من العلاقة » . وهو قول بين المرح والانتقاد يجعلنا في ريب عن صحة هذه الاقيسة واستئلاها . والحق يقال ان في خارطة المسيو كيبرت اوضاعاً غريبة كجعله مثلاً حتماً فوق عين صوفر . وعليه فأننا نفضل مقاييس المهندسين الانكليزي والفرنسيين اذ كانوا مجهزين بالادوات المضبوطة لاتخاذ هذه الاقيسة وهم يجيدون استعمالها

فدونك بعض امثلة لهذه القياسات لتعرف ما بين الجغرافيين من التباين : ١- توأمات نيجا . الحساب الشائع ان علوها ١٨٥٠ متراً أما ديرة فأنه بحسب علوها ١٧٨٠ م = ٢ الضيق بين جبل الكنيسة وصين . تتراوح الاقيسة بين ١٧٥٧ م وهو عندنا الاصح و ١٥٠٠ م = ٣ صين يجعل يرتون علوه ٢٧١٢ م وكيبرت ٢٧٥٠ م . والباقيون ٢٦٠٨ م وهو الأرجح = ٤ جبل الارز اعلى شرفاته القرنة السوداء ٣٣٦٠ م (عن ر. كيبرت) ثم تيارون ٣٢١٥ (عنه) وهي اقيسة بالغة لم تجدها في غير خارطة كيبرت . وقد سبق ذكر سندو في روايته أما اصحاب الخرائط الاخرى فأنهم جعلوا ٣٠٦٦ متراً لقياس أعلى مشارف الارز وهي ايضاً ارفع قمم لبنان . الا ان يرتون قد زاد شيئاً على قياس اسلافه وهو مع ذلك لم يبلغ قياس كيبرت . وليس لدينا داعر يحملنا على نبذ قياسات الاولين وبعد هذه الملاحظة في اقيسة مشارف لبنان فلنواصل وصف الجبل . فان جبل الارز شمالاً يهبط نحو ٨٠٠ م فتصل به سلسلة جبل عكار (٢١٣٩ م) وطولها ١٠ كيلومتراً تنتهي شعبها الاخيرة عند وادي النهر الكبير الذي يحد لبنان في شماله كما



يحدّه الليطاني في شرقه وجنوبه والعاصي في شماله الغربي والبحر في غربيه  
ولوادي النهر الكبير شأن خطير في التاريخ والاقتصاد . فإن الطبيعة نفسها قد  
اختطت هذه الطريق فأنها الوحيدة من الاسكندرونه الى حيفا حيث يمكن قطع  
الجبل بسهولة . لأن النهر وبقية العوامل الطبيعية قد بسطت في هذا المكان وادياً  
منسجماً قليل الانحناء . لا يتجاوز اعلاه ٥١٠ امتار . وفي طرفيه سهلان احدهما شرقي وهو  
وادي العاصي ينفذ من شمال سورية الى دمشق او سهل البقاع والآخر غربي ينفذ الى  
البحر . ولذلك قد اسرعت الامم فابنت المدن العامرة على طرفي هذه الطريق الطبيعية  
فشيدت شرقاً حمص او مدينة قدس القديمة التي خلفتها لاذقية لبنان . ومن جهة البحر  
بُنيت سبيجة التي تعدد ذكرها في مراسلات قل العارضة ثم عرقة وارواد في الجزيرة  
المعروفة باسمها واخيراً طرابلس . وقد نالت كل هذه المدن من الحضارة سهماً فانزاً  
لأن طريق التجارة كانت تمر بها منذ العصور الحالية . وان كانت طرابلس لم تزل حتى  
يوماً هذا مدينة معتبرة وتزيد كل يوم ترقياً فان الفضل في ذلك لموقعها في طرف هذه  
الطريق التجارية واذا ما اوصلتها يوماً السكة الحديدية بداخل البلاد وهو امر قريب  
النال كما رأيت اضحت مجارية لبيروت تبارنها في تجارتها ونفوذها

\*

هذا وما يستحق اعتباراً في درس هيئة لبنان واحواله الجغرافية صخوره التي  
يتركب منها . فإن هذه الصخور كما سبق القول اغلبها من المركبات الكلسية . والعلوم  
ان الحجارة الكلسية كثيرة التفتت تعمل فيها العوامل الجوية فتحللها ولذلك تراها  
منخورة متقطعة ذات شخاريب وثقوب عديدة كأنها الغراب . وبعض هذه الصخور  
متراكمة بعضها فوق البعض فيها الشقوق والنخاريم والشرقات يظنّها الناظر من بعيد أنها  
بقايا ابنية قديمة . واذا رقيت اعالي لبنان من علو ١٠٠٠ متر الى ١٥٠٠ م وجدت من  
هذه الصخور الغربية ذات النخاريم والشرقات ما يزيدك اندهاشاً خصوصاً قرب اقفا  
وريفون وعجلتون ومزرعة كفرديان وقنورين . وهي قابلة تحت علو ١٠٠٠ م واذا فرغت  
الجبل فوق علو ٢٠٠٠ متر لا تجد منها شيئاً لأن البرد الذي لا يزال في اكثر السنة  
قياسه تحت الصفر لا يحلل الصخور بل ينفذ في قلبها ويشققها شقاً عميقاً يقطعها تعم كل  
قمم الجبل حتى انها في بعض الامكنة تتراكم كأن السائر في وسطها يجري في مقطع .



من الحجارة

وكذلك الصاعدة في هذه القنن فعل لتراود الانوار في اعالي الجبل . والصاعدة فضلاً عن ضرباتها وسحقها للصخور تحرك الريح والهوا . بتسوياتها فتدوي لها الاودية وتتأثر منها جروف الجبال فتتخسف او تتساقط . واذا اضفت الى عمل الصواعق فعل الزلازل وفعل المياه في سيلانها فهمت كيف يندك الجبل اذ كاكاً ويتقوض فتتهدر جنادة الى الاعماق جارية في مسيرها القربة والنبات

فكل هذه العوامل الخراب تقرب الى النهم واني العلامة دبر في تركيب لبنان (١) حيث يقول ان علو لبنان كان في الاعصار السابعة لعهود التاريخ اعلى منه اليوم بنحو ٣٠٠ متر فلم تزل دواعي الدمار تسجوه وتجرى تربة الى السهول حتى صار على ما هو اليوم . وهذا امر محتمل فافترض ان في كل جبل تحرف عوامل الطبيعة خمسة امتار من رأس الجبال فلا يلبث ان يصح حساب دبر . وان كان هذا القول صواباً ادركنا صحة قول الأقدمين بان جبلنا كان سابقاً متوجاً بشرج محلاة فدعي لهذا السبب بلبنان اي الجبل الابيض

ومن مفاعيل هذه الجروف المائية المغاور والكهوف التي يتأهبها لبنان . فان الطبقات الكلسية الاقنية الشكل او المنحرفة الخرافاً خفيفاً كثيرة في الجبل يعترض بينها شقوق او اقسام مختلفة التركيب والصلابة بينها قطع سريعة التفتت وشبكة الانحلال . فاذا جاءت العوامل الخارجية جرت الاقسام الضعيفة الباطنية وتركبت العابقة الكلسية العليا فاضحت الصخور على شبه الشف . وهكذا كانت قديماً تلك المساوي الاولية التي كان يسكن تحت ظلم السكّان الاقدمون . وبعض هذه المغاور قد احتقرتها عوامل الحر والمياه معاً اذ تسرّت الى باطن الصخور فأتسكنت قسماً منها وتوكت وسطها خلواً على صور اغوار واسعة وكان للبعض منها مداخل طبيعية ضيقة فتبعت المياه من داخلها فوسعتها وجعلت لها دهاليز . كما ترى مغارة نطاياس العليا المعروفة بمغارة البلاني وكفادتي نهر الكلب التي نضبت اليوم . مياهها ولا يزال حتى الآن يظهر فيها اثر الماء .

وكثرة هذه المغاور القديمة مكّن قبائل عديدة من سكنى لبنان في الاعصار الحالية

كما اثبت ذلك الاب زُموفن في المشرق (١ : ١٧ و ٣٥٣) . ومن هذه الكهوف الطبيعية ما اصلحه الناس وزادوا في توسيعه أما ليأخذوه مدافن لموتاهم وأما ليأوا اليه مع قطعانهم او ليسكنوه زهداً كما ترى في مغاور الغزل وعدلون وهرمل (راجع ج ١ ص ١٠٩) . وربما اضافوا اليه البنائات العظيمة فصارت هذه المغاور كقسم من اديار الرهبان كما ترى في قرصياً وقثوين . ومنها ما زيد في تحصينه فاضحي كالقللاع المنيعه مثل قلعة نيجا الشهيرة في تاريخ القرون المتوسطة باسم شقيف تيرون . وهي عبارة عن صخر قائم عمودياً على علو ٣٠٠ متر . وفي وسطه كانت عدة كهوف وسعها البنائون فسكنها الجند ولا يبلغ الصاعد هذه المغاور الا بترقى صعب الارتقاء . وفي هذه القلعة تحصن الامير فخر الدين المعني في القرن السابع عشر كما ورد في تاريخ لبنان . وقد وجدنا في هذا المكان كتابة على اسم الملك الظاهر بيبرس بعد ان انتزعه من ايدي الفرنج

وكذلك تنسب الى جوف المياه الجسور الطبيعية التي في لبنان . فان للمياه المتجمعة سورة تمككها من كل الجوانب التي تلقاها في سبيلها ما لم تجد طريقاً اخرى لتجيد عنها . فتراها تصدم الصخور وتنفجرها في اقسامها الاقل صلابة فتفتح لها مجرى يتسع يوماً بعد يوم حتى تجري في مسيل واسع وتبقى الصخور الصلبة فوقها على شبه جسر طبيعي . وطبقات هذه الجسور التحتانية كثيراً ما تسقط لضغط دعامتها التي تجرفها المياه وتسلط العوامل الجوية عليها . وهكذا ذهب الزمان بقسم من تلك المابر الطبيعية التي كانت تجمع بين معاطف اودية لبنان وتجري فيها السيول الجارفة . وأما بقي منها بعضها الآخر

فن هذه الجسور معبر طبيعي ليس بمعتبر عند العاقورة وهو عبارة عن صخور ثقتها سيول المياه على شبه القبة . واعظم منه شأناً الجسر القريب من نبع اللبن المعروف بجسر الحجر تراه فوق النيل كالقوس العظيمة وهو يمتد على علو ٦٠ متراً وطوله ٣٠ م في عرض خمسة امتار . ومن نظر اليه عدّة طرفة من طرف الدهر قد شادته الطبيعة وجعلته كآية من آياتها التي تسي القاب بعظمها وحسن صنعها . وفيه من التناسب والاحكام ما حمل بعض الكتبة على ان يزعموا بان ايدي البشر ساعدت على تركيبه . وهو قول بعيد



ثم يوجد جسر طبيعي ثالث على منعطف لبنان الشرقي يمتد فوق وادي الليطاني الزهي وموقعة على بعد نصف الساعة غرباً من قرية يحمور في وسط الطريق بين جزين وحصيداً وهو حتى اليوم معبر للمسافة بين القريتين. يدعونه جسر القوة. ونهر الليطاني يسيل تحته على عمق نحو ١٠٠ قدم وطوله ٢٢ قدماً ومعظم عرضه ٦٨ قدماً ثم يضيق الى تسعة اقدام. وتعلو هذا الجسر طبقة من التربة تثبت فيها الاعشاب والدغل والطحم هذا الباب بذكر النقطة التي عندها تنتمي المساكن. وهو خط يصعب تحديده. قلّة الاقيسة القانونية الدالة على علو الضياع والقرى. ثم ان هذا الخط يختلف مع اختلاف احوال الجو فان لبعض الامكنة موقعا حسناً يصونها من هبوب الرياح فيمكنها ان تشاد في معالي الجبل ولولا حسن موقعها لما امكن الاهالي سكناها. وفي اوربة قائمة السكّان الذين يبيتون في القرى فوق ١٢٠٠ متر لا تتجاوز ٣٠.٠٠٠ نسمة. أما لبنان فان القرى التي فوق هذا العلو متعددة كبسكنتا مثلاً (علوها ١٤٣٠ متر) وعين صوفر (١٣٠٠ م) والعاقورة (١١٠٠ م) واقل منها الضياع التي فوق ١٥٠٠ م وهي عيناتا (نحو ١٧٥٠ م) واليسيرة (نحو ١٥٤٠ م) وعزرة قرية صغيرة شمالي غربي ذلة (١٥٤٠ م) (١). وفي الجبّة قرى عديدة علوها قريب من ١٥٠٠ م كاهدن وبشراي واخذت. أما فوق علو ١٨٠٠ متر فلا تجد إلا أكواخاً ومآوي للرعاة وربما اختلاف انكسبة في تعيين العلو لاختلاف مواقع انكسبتهم في القرية نفسها. ومن المعلوم ان بعض القرى تشغل في الجبل نحو ١٠٠ م بين اسفل دورها واعلاها. أما النقطة التي يثبت فيها الثبات فهي كما لا يخفى اعلى من نقطة المساكن البشرية فان بعض مزارع لبنان موقعها على علو ١٨٠٠ م بل ٢٠٠٠ ألا ان هذه المزدروعات الاخيرة لا تكون إلا في الاودية والاغوار التي هي بمنزل عن الرياح. وتري في هذا الارتفاع شجر البلوط العادي الكبير الاثمار وشجر البطم البري والشوح والخرق البري. وبعض شجر العرعر ضخّم عظيم وطول باسق. واشهر اشجار لبنان الارز الذي موقعه على علو ١٩٢٥ م

(١) يزعم لورته في كتابه سورية الحالية (ص ٦٣٤) ان علو عيناتا ١٨٠٠ م وعلو اليسيرة ١٦٥٠ م لكن هذه اقوال تخمينية لا يستند اليها. فبجمل كبرت علو عيناتا ١٦٨٠ م واليسيرة ١٦٥٠ م وهذا دون القياسات المقبولة. (راجع مقالة للاستاذ الابركي وست PEF, I. c., West)



## مياه لبنان ورسم مجاريها

ليس هذه المرة الأولى نبحث عن مجاري المياه في لبنان . فأتينا في كلامنا عن عين اقنا ( راجع ج ١ ص ٥٠ ) ألمنا الى هذا الامر . لكن خطر الموضوع يحدو بنا الى ان نخصص له فصلاً اوسع . مهد اليه العقول رُسُنا لأنجاد لبنان واغوارهم . وليس بحثنا الحاضر جغرافياً محضاً بل عملياً ايضاً واقتصادياً . فان المياه في البلاد الحارة من اعظم موامل الاقتصاد كما سقري . ودرُسنا هذا لِمَا يساعد على بيان النظام العجيب الذي وضعه تعالى في الطبيعة توازنه قواها . ولولا ذلك لفلن الناس ان هذه الجبال الشامخة رُبما كانت كعاجز يعوق المواصلات بين الاهلين او اعتبروا هذه مجاري المياه التي تندفع احياناً كسيول جارفة طامية حدوداً لنشاطهم ودماراً لاعمالهم . ولو تدروا لأدركوا ان الجبال والمياه معاً أخرى بان تُنظم بين العوامل المساعدة للحياة اللهم اذا عرف ان يستخدمها لصالحها

وبحثنا هذا يتناول ثلاثة فصول : أولاً رسم عيون لبنان ثم رسم انهاره واخيراً رسم المياه والشرائط البحرية

### ١ رسم عيون لبنان

نقسم هذا الفصل ايضاً الى ثلاثة ابواب فبين كيف تكونت هذه العيون في لبنان ثم نعدد صنفها المختلفة ونختم بذكر الجداول السارية في اسراب الجبل

#### ١

#### كيف تكونت عيون لبنان

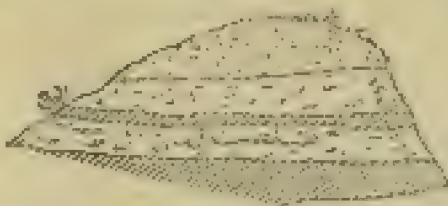
تصدر عيون لبنان من مياه السماء التي تجود بها الطبيعة على بلادنا فتغمرها بها اما بهبوط الامطار الغزيرة واما بخزائن الثلوج المكثفة في اعالي الجبل كما سبق . والارض ترتوي من هذه المياه العائرة في كبدها فتتشرها قابلية ترشحها ولولا ذلك لانحدرت هذه المياه زاحرة كالسيول الجاحفة في ابان العواصف والامطار الفاضة ودفعت في مسيرها التربة بل سحفت الحصى واقتلعت الحجارة فقلبت البلاد ظهراً لبطن حتى انها

في بعض الاحيان تغير بزمان قليل صورة الامكنة ووضعها الجيولوجي . وليس كذلك والحمد لله عمل المياه الداخلة الى قلب الارض فانها اذا نفذت في باطن التربة صفت وتتأصلت من كل الاجسام الغريبة التي اجتذبتها ثم تروق بالتدريج وتأخذ من الطبقات التي تجتازها حاراتها وتحال ما تجد فيها من الاملاح الذائبة التحليل ولا تزال تتعذر وتنضب الى ان تبلغ طبقات الارض التي لا تخرقها المياه فتسبح فوقها حتى اذا وجدت لها منفذاً تبتجست منه عيوناً

ونفوذ الامطار في بطن الارض يجري على طرائق شتى على اختلاف طبيعة التربة فاذا كانت الارض نباتية لا يبلغ الماء اعماقها لاسيما اذا سح الطر وتزل شآبيب وكان وجه الارض مع ذلك مائلاً بحيث يسهل السيالان . ومن عادة التربة الزراعية المتركة من بقايا النبات والحيوان ان تمتص كمية عظيمة من المياه لتغذي بها النبات . فترى من ثم عظم شأن التربة الزراعية في الفلاحة . ومما تعود فيه المياه بسهولة الطبقات الرملية المختلطة بالخصي . وليس الحواري والصلصال كذلك فان الماء لا يخرقها للزوجتها وانظام اقسامها فيجتمع فوقها أما في الاسراب او في المستنقعات على وجه الارض ويعلق بالنبات ضرراً اثاركم في بعض الامكنة وتفصانه في أخرى

أما النبات فقد دلّ السير الذي روكلو على عمه بالنسبة الى الندوة . فانه بعد اخذ نصيبه من الماء النحدر من الغمام يساعد على نفوذ ما فضل عنه الى اعماق الارض . فاوراق الاشجار مثلاً تخفف وطأة سقوطه بان تصب نقطة نقطة على الارض فتبتل به وتكسربة شيئاً فشيئاً ينما ينحدر قسم آخر من ماء المطر على ساق الشجرة وجذورها فيدخل تورا في اعماق الارض . وقد لاحظ الطبيعيون ان الخلى واصناف النباتات التي تنمو فوق الجبال اذا سقطت عليها الامطار او الثلوج رويت ندوة وانتفضت كالاسفنج فخرنت في مطاري تبعثاتها ماء كثيراً تنال منه التربة حظها بعد نضوب طراوتها . وفي بعض جبال اسكوسية وارلندة عدد لا يحصى من هذه النباتات يسلع الماء المخزون في خلال اوراقها واغصانها آلاف الوف من طئات الماء (١) . ومن هنا تعلم سر عبي رعية العذ في الجبال فانها آفة للنبات وهي ليس فقط تجردوها من خضرتها التي تريها ولكن تحرمها من الندى والرطوبة التي تحتاج اليها بلادنا الحارة

هذا والصخور عينا تختص كالقبة العادية كميات من الماء تختلف على اختلاف شقوقها وتباعد دقاتها لا يخرج عن هذا الحكم إلا حجر الصوان المانع وليس منه شيء في لبنان . وجعلنا على عكس ذلك يتككب اجمالاً من حجارة كلسية كثيرة الصخور والثقوب تنفذ فيها الأمطار كما في غربال . وتحت هذه الصخور عادة طبقات من الصلصال لا ينفذ فيها الماء سهلاً



فاذا اجاز اليها الماء نض قليلاً ونشأ منه جداول تجري على حسب ميل طبقات الصلصال واختلاف هيتها بعمل المياه الى

ان تجد منفذا تسيل منه الى الخارج . والمياه التي تنحدر هكذا فوق الصخور الكلسية ومنها الى الاراضي الصائبة هي اوفر بالاجمال من سواها لطول مسيرها في باطن الارض الذي ربما بلغ مئات من الاميال فتدوها على مدى سيرها المياه المتحلبة اليها . ومثال هذه الناييع عين النطlias وعين نهر الكلب في جبعيتا فان اكثر مياه مديونية القاطع تجري من الاولى كما ان معظم مياه كسرون الاسفل تجري من الثانية . ومن هذا الوجه يصح قول الجيولوجيين عن وفرة هاتين العينين وعن ييوسة المعاملات الواقعة تحتهما

## ٢

## اختلاف عيون لبنان

يختلف موقع هذه العيون حسب اختلاف الصخور التي تهبط عليها مياه الأمطار . فترى بعضها بعيدة جداً من مهبط الفيوث والبعض الآخر يقع تحت الامكنة التي تولت فيها هذه المياه . ففي لبنان عيون لا تبعد سوى بضعة امتار من قمة الجبل او نجودهم . وهي نورة المياه لثلة الساحة التي تجتمع ماءها وقصر مسيلها في بطن الارض اما العيون القريبة المياه فانها تنبجس خصوصاً في الادوية عند حلف الجبال او في وسط الاباطح الواقعة تحت سلسلة جبلية فمثال الاولى عيون العاصي الفاضة في سفح جبل هرمل وعيون نهر بيروت ونهر النطlias ونهر الكلب السائلة في حلف لبنان . اما مثال الثانية التي تتفجر في وسط السلسلة الجبلية عند وطي المشارف الثانوية فالانهار الجارية في اوسط لبنان كنهر قدشاً تحت جبل الارز ونهر ابراهيم تحت جبل منيطرة



ونهر دامور تحت عين ذحلثا وكثري الأولي والزهراني فإن كل هذه العيون تتجس في سوح الجبال اللاحقة بالسلسلة الاصلية التي يرتوي سطحها الكلسي من مياه التلوج والامطار الشتوية فتضحي كخزان لا تنفذ منه المياه التي تحيل الى ان تبلغ طبقة من الصخر الرولي الصلب يدعى برقة (grès) لا يمكنها اجتيازها فتفتح لها سبيلاً وتسيح على ظهر الارض (١) ومن اعتبر مساحة الجبل الذي يخزن في صخور وارضه القاحلة كل هذه الكمية من الندوة وهو شبه بصفاء واسعة الجوانب بعيدة الغور لا يكاد يتعجب من وفرة المياه التي تجري بالعيون اللبنانية

فقرى من هذا الوصف صدق ما كثرناه غير مرة وهو ان لبنان كحوض يكثر في احشائه تلك الانهار الكبيرة وخصوصاً العاصي التي تحمي مياهه بلاد سورية وتغنيها بما تجديها من المرافق المتنوعة . ومع صحة هذا القول تجد انحاء عديدة من لبنان في حاجة ماسة الى المياه كجهات البترون والشوف مثلاً . وخصوصاً بعض المعاملات السفلى التي تقتدر الى الماء لا يشرب اهلها الا من الآبار . والعيون في بعض هذه الايلات لا تتجاوز عدد الاصابع كما في جهات البترون والغرب التي لم تحظ بنصيب صالح منها وان سأل القاري وما سبب هذا الاختلاف اجبتاه انه ناشى عن تركيب لبنان الاصلي فان بين نواحي تنورين وحصرين وبشري واهمدن التركية من الصخور الكلسية وبين بقية القاطنات التركية من الصخور عينا قطعة مستطيلة من البرقة ذات الصخور الرملية الصلبة التي لا ينفذ فيها الماء فاذا بلغت المجاري فوجدت امامها هذا الحاجز اندحرت الى الجهات التي تعلوها فتنفجر فيها او نفذت في باطن الارض فتجري في اسرارها وتنصب في البحر كما سيأتي . وما نقوله عن هذه الجهات قد تحقق بالبحث الجيولوجي وتراه مثبتاً بالمقابلة في نواحي الشوف حيث تجد ايضاً تحت قشرة الارض العليا طبقة من الصلصال والحواري لا تغرقها المياه (٢) . وهي حالة يصعب اصلاحها ومن ثم فعلى اهل تلك النواحي ان لا يصدقوا بسهولة اقوال بعض القناصين او بالاحرى المشعوذين الذين يدعون بمعرفة المياه التي تحت الارض

(١) راجع كتاب العلامة دبير (Diener, p. 129) وخارطة الجيولوجية للبنان

(٢) راجع خارطة الجيولوجية التي رسمها الاب (مورن اليسوي) في كتابه المثلون « صفة

لبنان الجيولوجية » ( Esquisse géologique du Liban )

واعلم ان ما يمكن قوله اجمالاً ان كمية المياه الجارية من العين تختلف على اختلاف غزارة الامطار . بل ترى بعضها لا يظهر الا في فصول السنين الكثيرة الامطار .  
أما العينون الثابتة تجريها فان كمية مائها ليس بثابتة . وكل يعلم ان بعض



هذه العينون منافذ ثانوية (estavelles) متعددة هي فوق المنبع الاعلى بل تبعد عنه احياناً مسافة تُذكر وتنفتح عند توتر الامطار . وإذا صار الصيف بقي المنبع الاعلى وحده فتكون هذه المنافذ كمصارع تخفف سودة المياه على العين الاصلية كما ترى ذلك شتاء في وادي نهر انطلياس بين العين الحالية ومغارة البلاقي

وما نقوله عن هذه المنافذ يمكن قوله عن بعض المغاور التي كانت المياه تجري فيها سابقاً كمغارة انطلياس مثلاً المعروفة بالبلاقي التي موقعا نحو عشر دقائق فوق المنبع الكبير فان هذه المغارة راقية الى الطور السابق للتاريخ وآثار المياه فيها ظاهرة على حضيضها وجدرانها وبما يرى في وسطها من الحصى المصقولة باحتكاك المياه . والرجح ان قسماً من الصخور في باطن المغارة انخفضت فسدت مؤخر الفوهة القديمة التي كانت تسيل منها المياه . وذلك في اعصار قديمة جداً لان هذه المغارة صارت بعدئذ مأوى لاهل ابنان الاولين كما اثبت ذلك حضرة الاب زيمون في المشرق ( ١ : ٩٧ ) .  
وكذلك مغارة نهر الكلب العلويين . ولعل اجل هذه الاغوار المائية مغارة نهر بيدوت وهي على مسافة ساعة من منبع النهر الحالي . وعلو موقعها يصد عن التوقل اليها ولكن ترى عند مدخلها آثار المياه القديمة . والتقليد الشائع عند اهل تلك الجهات ان هذه قناة او سرب يتصل بدير القنعة وهو ذعم مردود . وكذلك اخيراً مغارة افقا العليا فانها منفذ ثانوي تسيل منه المياه في وقت الفصول الكثيرة الامطار

هذا وإنه يصعب احياناً بيان العلاقة الموجودة بين العين الاصلية والمنافذ الثانوية التي تجري على مسافات تختلف عن بعضها بعداً . كما انه لا يسهل ادراك سر اتصال عينين احدهما مترصلة الماء والاخرى متقطعة

وقد ظهر في ما سبق ان كمية الماء التي تجري مع عيون لبنان لعظيمة جداً وقد قاس منها الجيولوجي فرااس ( Fraas ) ما يبلغ في الثانية اربعين قدماً مكعباً . فعين

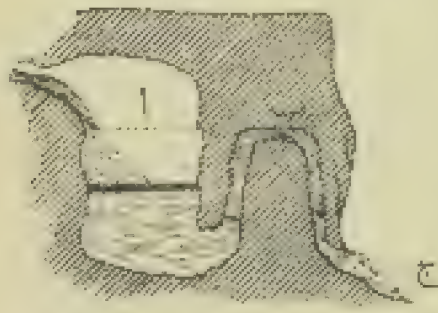


جزين التي يتجاوزها غيرها في غزارتها تصب في الثانية ٣٦٠ ليترًا . ومن الامور المألوفة ان بعض ينابيع لبنان كانت سابقاً اغزر منها اليوم . فالتاريخ يخبر عن عين الفرع قرب بعبداً انها في عهد الرومان كانت تفي بحاجات مهابي دير القامسة وهيكله ولذلك قد ابتنوا لها قناة ترى آثارها الى زماننا مع انها في الوقت الحاضر تدر المياه لا تحتاج الى قناة . امّا في القرون الوسطى فلم تزل كثيرة المياه حتى ان الدويهي يدعوها نهراً في تاريخ الطائفة المارونية ( ص ٩٨ ) . وزعم صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ( ص ١٢ ) انها كانت تجري الى بيروت في قناة . وهو امر لا يمكن اثباته لكنه يبين غزارة هذه العين التي لا تكاد اليوم تحصى في عداد الينابيع اللبنانية

وان سألت الآن عن درجة حرارة العين في لبنان اجبتك ان العلماء لم يبحثوا في ذلك الا قليلاً . وما يقال اجمالاً ان حرارة المياه الجارية فوق علو الف متر هي دون حرارة الهواء المصدق بها ( ١ ) . والمياه على قدر طول مجراها تزيد درجة حرارتها الاصلية عند انبجاسها لانها في مسيرها في الاسراب الباطنة الدافئة تأخذ من حرارتها . ولذلك ترى بعض العينون الغزيرة كنبع انطلياس ونبع نهر بيروت قليلة البرودة . فهذه الينابيع وان كانت قد كُتِبَ من تحلب ثلوج لبنان تنقص برودتها طول جريانها في بطن الارض تحت سلسلة الجبل الى ان تنفذ الى الهواء فوق سطح البحر بقليل فتتصب فيه . وهذا معدل درجات الحرارة لبعض عينون لبنان بالنسبة الى المقياس المتوي : نبع جزين ١٣ . وكذلك نهر الكلب ١٣ . نبع الباروك ١٠ . نبع افقانه ٨ . نبع اللبن ٥ . نبع العسل ٢

وفي لبنان عينون كثيرة دورية كما مر في

وصفنا لافقانه وبحيرة الشونة ( راجع ج ١ ص ١٩١ و ١٩٢ ) . ومثلها نبع عرماتا في جبل الزمجان ينقطع مراراً في السنة لاسيما في الربيع فتري مياهه تزيد وتنقص كل نصف الساعة وربما انقطع تماماً ثم عاد الى جريه وسبب انقطاع





المياه على هذه الصورة: ان المياه بعد نضوبها واجتيازها في طبقات الجبل تبلغ الى حوض داخلي ينفذ الى الخارج بجري على شكل المص ( انظر الصورة ص ١٢٣ ) فاذا توقفت امتلاء الحوض حتى يساوي سطح مائه الخط (١) ثم يزيد ارتفاعه في المجرى المعكف على حسب قاعدة مساواة المائعات في الالوعية المتصلة الى ان يبلغ اعلى نقطة من المص في (ب) فتجري الى (ج) وهو النبع وتسيل حتى تنقص المياه فيسطح سطحها الى فم المص الداخلي وينقطع الماء بفتة ويدوم انقطاعه طول المدّة اللازمة لارتفاع سطح الماء في الحوض الى (١) فتعود الى الجري وهلم جرا

ومن الينابيع ما يهوى عند تفجّره كالنوفرة فيبلغ علواً مختلفاً في الغوا . ونظن ان لبنان لا يخلو من مثل هذه العيون وان لم يحضرنا الآن مثل على ذلك . وفي نبع انطلياس تخرج المياه مزبدة بيّتها شبه فوارات تعلو نحو قدم فوق جملة المياه . وهذا يرى ايضاً في عيون نهر العاصي في لطف جبل هرمل

أما العيون الحارّة والمعدنيّة فإن العلماء حتى اليوم لم يردوا للبنان بحثاً فيها . وجملة ما يقال ان تركيبة الجيولوجي يدل على انها قليلة الهمم الا بعض العيون الداخل فيها كميات مختلفة من الحديد يمكن تمييزها بتلون مجاريها لان المياه الحديدية تَسود مسيلها عند سيلانها بدقائق الحديد الداخل في تركيبها . أما الينابيع الكلسية فكثيرة يرسب كلها حولها او في مسيلها فيتحدّج ولا يزال يزيد حجماً حتى انه في بعض الامكنة يسد المجرى تماماً

وهو السبب عنه الذي كَوّن في بعض الكهوف والمغاور تلك الرسوبات الحجرية التي تُرى على شبه العمود . فان المياه بتجلّتها من سقف المغارة تترك بعض دقائقها الكلسية في الصخر فاذا توالى هذه القطرات زمناً مديداً زاد التحجّر على شبه اساطين (stalactites) ثم ان قطرات المياه بسقوطها على الحضيض تترك قسماً آخر من كلسها الباقي فيتحدّج الكلس ويرتفع على شبه الشموع (stalagmites) ورتباً بلغ الاسطوان المتحدّد من عل الشموع المرتفعة من اسفل فصار كلاهما كعمد متواصلة (١) . وفي مغارة زهر الكلب من هذه التحجّرات كثير يُرى في الغور الذي يدخله عادة الزوّار

الأنهار ابهى واجمل في قلب الجبل . وقد اخبر المهندسون الانكليز الذين نفذوا الى باطن مغارة جعيتا في ايلول من سنة ١٨٧٣ ثم سنة ١٨٩٦ أنهم عبروا مجازاً حرباً طوله عشرون متراً قضي عليهم اضيق المسار ان يبلطحوا على بطونهم ثم اجتازوا في احواض ومجار متوالية حتى بلغوا شبه غرفة واسعة وجدوا سقفاً مزيناً بهذه الاساطين المتحجرة البديعة النظر لما الحضيض فكان مرصعاً باشكال العدد الغريبة الصورة

٣

مجاري المياه في الاسراب

تتمتع لكلامنا السابق في عيون لبنان نذكر هنا شيئاً عن جداول المياه في اسراب لبنان لما بين الباحثين من العلاقة اذ ان العيون لا تنبعس عادة الا بعد قطعها مسافة في بطن الارض

سبق لنا القول عن وفرة مياه عيون لبنان . فان بعضها اذا برزت من مكائنها جرت كأنهار قادرة على حمل القوارب . ويكون تنفجرها غالباً في امكنة قاحلة وادوية كثيرة الصخور لا ترى حولها سوى الجنادل العالية والحجارة الصلدة فيؤثر منظر مياهها الرائقة كالزلال في قلب الناظر اذا قابل بين صفائها ووحشة المكان فتراها تنفجر عيوناً كأنها اسير حلت قيوده فتشط بمركاته ويز من حبه الى النور مسرعاً الى الشمس ليتجلبب بضياها . واذا سارت من منبعها اخصبت ضفتيها واحيت ما تنسج من التربة فينبت النبات وينور الزهر وتندثر الاشجار باغصانها الخضرة

فهذا رأس النبع في بيروت ومياهه الغزيرة الا ان هذه المياه كما لا يخفى ليست بنات هذه الصخور الجامدة فلا يبدأ اذا من البعث عن اصلها في اغوار الجبل الباطنة حيث تنفذ المياه المتعلبة من الاعالي فتجتاز في الطبقات انكليزية كما بينا ثم تتجمع في الاحواض جارية . ومن الانهار ما يمد مسيله في قلب الجبال مسافات بعيدة تبلغ نيفاً و ٢٥ كيلومتراً منها مثلاً نهر سورغ ( Sorgues ) في فرنسا الذي ينفذ من حوض فوكلوز . وهكذا ايضاً جبل لبنان فان مياهه تسيل في المجاري الداخلية قبل بروزها الى النور كما ترى في نهري افقا والكلب المتفجرتين من كهفها

وما قلناه من طول مجرى نهر الكلب يجوز تأويله ايضاً عن مغارة افتتحت منها خاصة يسيل نهر ابراهيم فان مدخلها في حطب صخور يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ او ٧٠٠ متر لها منظر مهيب قل وجود مثله في العالم على قول رينان والدكتور لورته . وللمغارة شعب عديدة ودهاليز فرعية يصعب عبورها لسعة أحواضها وكثرة مياهها . ولا يبعد يكون اتصال بين هذه المغارة وبحيرة اليثونة وليس باستحيل وجود سرب طبيعي كهذا طوله اثنا عشر كيلومتراً

ويلحق بقولنا عن المياه الجارية في بطن الجبل مظهر آخر وهو غور بعض المياه في لبنان دون ان يبقى لها اثر والرياح ان هذه المياه تتصل بالبحر فتنفذ فيه جارية بمجار باطنة ومنها ما هو على قدر انهار غزيرة . وهذا امر طالما حظته الجيولوجيون في السواحل البحرية لاسيما التي تتركب من صخور كلسية

ومن تتبع ساحلنا الفياقي وجد في بعض مواقع عيوناً تنبع على سواحل سطح البحر وقرب بيروت منها عين غريبة موقعها تحت كلية الاميركان لا يكتفي البعض من ان يشربوا من مائها بل يكرهونها ويوقدون فيها الشمع تدخيناً وينسبون اليها القوآت العجيبة وهي تدعى عين الكرّيسة . ومنها عيون أخرى فوق الجبل الصغير المعروف بالمدور حيث تنبع المياه ولا تزال تحفر الزكائر التي اقامها المهندسون لسند السكة الحديدية المتصلة بالرفا

وبعض هذه العيون ترى آثارها في وسط البحر كعين ارواد الشهيرة التي ترى قريباً من جزيرة ارواد . واهل تلك البلدة اذا صعب عليهم الوصول الى البر استقوا منها لشربهم . ولا ريب ان مياهها جارية اليها من جبل التصيرية . ولو بحثنا لوجدنا غيرها في جوارها اكثر منها عدداً لان مياه لبنان اغزر من مياه جبل التصيرية . وادينا مثال قريب من عند محطة للعاملين تريد العين المدعوة نبع مار يعقوب ترى في البحر على بعد ٢٠٠ او ٣٠٠ متر من الساحل . واذا كان البحر هادياً لاحت فائرة في وسط الغمر وتبقى مياهها مدة دون ان تخرج بمياه البحر . ولو بحث المهندسون على وجهة هذه المياه لامكنهم ان يفتحوا لها منفذاً في البر فيضنوا بها الساحل ويسقوا بها المزروعات حيث تقل المياه

ان قولنا السابق عن عيون لبنان ليس بمستوفٍ الا انه يفتنه القراء ويستدعي



نظروهم الى البحث في هذا الامر الخطير فيجدون فيه كفهرس لمباحث عديدة جديدة يستهم . وليست هذه الابحاث نظرية فقط بل عملية ايضاً كما رأيت في قولنا عن الينابيع البحرية . ولو تفرغ اصحاب المروءة الى هذا الامر لوجدوا وسائل متعددة تمكنهم من مقاومة عدو بلادنا العظيم اعني جذب الارض والقحولة . فان حياة سورية متوقفة على كثرة مياهها وحسن تقسيمها . وهذا امر غاية في الخطر لثقله في الاقطار في اسباب العمران والاقتصاد والثروة . ولو وجد الاهلون مياهاً غزيرة لزادت همتهم وقالوا من الغلال ضعف ما يحصلون عليه اليوم

نكثنا نتأسف على قلّة العلماء الذين يتفرغون لدروس المياه اللبنانية . ولا ترى في اورية بلداً الا وفيه كثير من الجيولوجيين الذين يخصصون المياه بنظرهم . وهذا عذرة لديهم ان وجدوا كلامنا قصيراً في هذه المادة . وانما املنا ان مقالتنا تستلقت انظار بعض الخواص فيعيرون بالآ هذا الامر الخطير بدلاً من سعيهم وراء امور اخرى لا طائل تحتها

## ١١

## رسم المجاري النهرية في لبنان

## ١

## الافادات العمومية

باي اسم ندهو مجاري المياه في لبنان أندعوها انهاراً او جداول او سيولا فقط . ذلك ليس بامر سهل لولا ان العادة قد غلبت على السن القوم فيدعون بالنهر مسيل المياه عموماً فيقولون نهر بيروت بل يقولون نهر انطلياس مع ان مجراه لا يكاد يبلغ خمسة كيلومترات وسبب ذلك ان العرب لم يعرفوا في جزيرتهم الا المياه الجارية في بعض فصول السنة وخصوا اسم النهر بتلك الادوية والمياه الجارية جرياً متواصلاً بلا انقطاع سواء قبلت البحر او تنصب في نهر آخر (١)

فما يبقى لنا سوى ان نجاري العادة المألوفة التي لا تخاو من سندكما اشار الى ذلك

(١) وقد افرز كنية الصليبيين بين هذين الصائحين فان غلبوس السوري يدعوا باسم « rivus » كواي الماذين وسمى الانصار كنهر الكلب « Ruvius »

اليزاي روكلو في كتابه عن الارض حيث قال (ص ٣٥١) : ان كمية المياه التي تجري في ميل دون آخر لا مَرَّ عرضي يختلف في قارة دون أخرى وفي بلد دون بلد على مقتضى خطر جمل المجاري المائية فلو اعتبرت مثلاً بعض انهار اوربة وعارضتها بانهار اميركة كالامازون وما ينصب فيه من الاودية لما استحضت بان تدعى جداول . ثم ان كمية المياه ليست بثابتة بل تختلف على مدار السنة . وبعض الانهار التي كانت في سالف الازمنة على سعة نهر المسيسيبي قد صارت بعد الثقلبات الطارئة على سيارتنا « انهاراً ابلا ماً » لان الانهار كما للانسان حياة فتنشأ وتزخر ثم تنقص وتتلأشى . اهـ ولا ريب في ان الانهار اللبنانية كانت في سالف الاعصار وعلى الاقل في الاطوار السابقة للتاريخ اعظم منها اليوم واكثر ماء . وكفى دليلاً على قولنا ان ننظر احواض هذه الانهر الفسيحة وسعة مسايلها القديمة . فانها تنبئ صريحاً باقتصار مجاري مياهها . وربما وجدت في اعالي الاودية مغاور يعلو بعضها البعض كانت المياه تنبجس منها فن فخص هذه الاغوار وسعتها وآثارها الباقية تحث ان كمية المياه كانت اوفر منها اليوم وما يقال عن نقصان مياه الانهار اللبنانية في الزمن السابق للتاريخ يرجع ايضاً اثباته على رأينا للقرون التاريخية . والشاهد على صحة قولنا ما تراه من الحواجز وسدود الانهار التي تكونت عند مصابها في العهد التاريخي وكذلك السهول المجاورة هذه المصاب فانها قريضة العهد . وكانت هذه الانهر قديماً بعد خروجها من الوديان التي منها نبعت تبلغ البحر تواء . وكان لا بد لها لبلوغ البحر من كمية عظيمة من المياه ليمكنها ان تظفر بما تلقاه في وجهها من العوائق كمقاومة الامواج البحرية ومهب الرياح وركام الرمل الذي تنقله السواقي

ولدينا أدلة اوضح على كثرة مياه بعض المجاري المائية . ان قناة الرومانين عند نبع نهر بيروت قدل صريحاً على ان اصل هذا النبع كان ثمة في الاعصار الاولى لتاريخنا . وكذلك قد قاس العلماء كمية المياه التي كانت تجري منها فقدروها بمتر مكعب في الثانية وذلك دون ان يصيب الزدروعات اذى من قلة السقي . اما اليوم فلو استقى البيوتيون كمية كهذه من ذلك النبع لفقدت السهول المجاورة رطباً وجفت فلا بد من القول بان مياه نهر ماغوراس وهو لقب نهر بيروت قديماً كانت اغزر منها اليوم



هذا ثم أوردنا سابقاً (راجع ص ٩٨) قول اسطرابون بخصوص لبنان والجبل  
الشرقي ويثبت أن هذا الجبل في الشهور دغم في تعيينه وجهة هذين الجبلين إذ زعم  
أنها يسيران من الغرب إلى الشرق بدلاً من الشمال إلى الجنوب وبينهما سهول البقاع  
التي أوصفها بالبحر وكان يحسب أن الأردن ونهر الكلب يجريان فيها . وأدى به هذه  
هذا إلى أن ظن بأن كان خوض نهر الكلب والسير عليه بالمرآك . ولعلّه يوجد حجة  
تدفع بها عن قول اسطرابون وهي أن مياه نهر الكلب كانت في سالف الاعصار  
توفر مشياً في زمائنا . وهذا مما يلوح من الطرق التي تروى في مضيق نهر الكلب رابكية  
بعضها فوق البعض وأقدمها طريق المصريين والاشوريين تعلو فوق الطريق الحالية نحو  
ثلاثين متراً . ثم جاء الرومان ففتحوا طريقاً أخرى تحت الأولى ببضعة امتار كان المسافة  
يجرون فيها إلى زمن تقيير العربات وهي أيضاً فوق سطح البحر بنحو عشرين متراً كما  
تروى في صورتنا . فليت شعري كيف يقال إن القدماء اختاروا لهم طريقاً في هذا العلو  
لينتقلوا إليها عنددهم الحرية وامتنعهم بعد الماء . لولا أن يقال إن مياه الشهور كانت  
اغزر منها اليوم . وعليه فإن كنا لا نوافق اسطرابون في قوله عن خوض نهر الكلب (١)  
فلا بأس من القول بأن طبقة مياه هذا النهر كانت أعلى منها في عهدنا وكميتها أوفر .  
وزد على ذلك أن سطح البحر قد انخفض بتأدي الأجيال كما ستروى

وخلاصة الكلام أننا لا نخالف الجمهور في تسببة مجاري المياه اللبنانية بالانهار  
وان شاء القراء . أمكن أن نقسم الانهار الساحلية والانهار البرية . فالساحلية ما  
كانت أوديتها محصورة قليلة الاتساع وأكثر انهار لبنان من هذا الصنف ألا النهر  
البيطاني والنهر الكبير فيدخلان في حيز الانهار البرية وعمما ينبعان في أواسط البلاد ما  
وراء سلسلة لبنان العليا . ومن عاين غارطة لبنان تحقق لأول وهلة أن هذا الجبل لا  
يحتمل لسير مياهه مجاري كثيرة الاتساع طويلة المسافة . ولو نظر الناظر من عل لما  
قاس بين ضلع لبنان المركزي وساحل البحر أكثر من ثلاثين كيلومتراً وكذلك في  
خلف الجبل لا تروى سهولاً فسيحة وجهة الادعاء . يمكن الانهار أن تنساب فيها وتتأخذ  
مداهها في التعريب والتوديب كما أن الأودية اللبنانية وكلها على خط متساو قائمة على

(١) راجع تاريخ الفينيقيين ( ص ٥٠ ) حيث أثبت بيتشمان رأي اسطرابون



قطب الجبل لا تتحمل اتساعاً كبيراً . وفي الواقع أن أكثر أنهار لبنان سيول لا يتجاوز طولها بعض الأميال تندفع من أعالي الجبال دفعة واحدة إلى البحر . وليس بينهما نهر واحد يمكن القوارب فضلاً عن المراكب الجري عليه . وذلك لكثرة الخنادق مسيلها أولاً يتوسطها من الصخور وهذا ما منع الملاحين أن يخوضوا نهري الكبير والليطاني وكلاهما طويلاً المسير كثير الالتواء كان الطبيعة أعدتهما ليوصلا بين جهات قاصية (١)

✱

ربما اعتاض على الجغرافيين في وصف مجاري مياه البلاد أن يعثروا لكل حوض نهر الأصلي الذي فيه تنصب بقية المجاري المائية كأنهار ثانوية . وليس في وصف أنهار لبنان مشكل كهذا لما عرفنا من تركيب هذا الجبل ووجهته . والأنهار اللبنانية تشبه أجهزة عصبية قليلة الاشتباك تجمع كلها في قناة مركزية الرطوبة التي تأتيها بها في فصول الشتاء . الجداول الصغيرة الواقعة على جانبيها . أما النهر الكبير الذي يسيل في وادي منسع لا في مضيق كثير من الأنهار اللبنانية فله سواعد تنصب فيه أكثرها وادي خالد وكاد يساوي النهر الكبير بكثرة مياهه حتى يبقى الناظر في ريب أي منهما هو الشعب الأعظم وعلى كل حال لا ينكر أن ينبع وادي خالد أقصى سواعد النهر الكبير جنوباً وأحدها من مجب هذا النهر في البحر . وكذلك نهر الليطاني فلأنه يسيل في وادي البقاع المشسع تجد سواعده الجارية إليه فسيحة أجراها وهي حكاها بالنسبة إليه كمجارٍ ثانوية إذ تنضم إليه في السيل المركزي . غير أن بعض كتبة الرب قد جعلوا عين جاور كشمع نهر الليطاني . وما لا ينكر أن مياه نهر الزاعر الذي يجري من هذه العين أوفر من مياه الليطاني التي يصب فيها . ولكن قد وهم هؤلاء الكتبة بحملهم عين جاور كاصل الليطاني لوفرة مياهها بدلاً من النبع الأقصى . فإن الأنهار لا تُحدد بما يأتيها من السواعد بل ببناياتها الأصلية القاصية . ولذا ذلك لند نهر اليرموك كاصل نهر الأردن لوفرة مياهه وهو يصب فيه . وهذا مذهب لا يسلم به أحد

وإذا اعتبرنا هيئة مجاري الأنهار في مسيرها وجدت أيضاً أن هذا منوط بتركيب

الجليل قائم المياه تجري حسب وجهة الاودية وتركيب الصخور . فلتا كانت هذه الاودية متساوية ومركبة من صخور كلسية لا تقوى على سورة المياه سارت الانهار فيها على خط مستقيم . واذا وجدت النهر يرج في سيره فذلك دليل على اختلاف طبقات المكان الجيولوجية كما ترى في اكواع النهر لبنان الجنوبية كالدمور والاولي والزهري فانها بعد خروجها من بين الصخور الصلبة ( grès énomanien ) تبلغ الجهات المركبة من الصخور الكلسية السهلة الانحلال فتعدل عن الجنوب مائلة الى البحر . وهذا يظهر خصوصاً في نهر الاولى كما سترى

وهنا لا بد لنا من الغات الانظار الى النتائج الوخيمة التي ادى اليها تجريد لبنان من غاباته بحيث صار هذا الجبل اعملاً بالبوادي القاحلة المجدية وهو حري بان يكون في سورية بمقولة جبال الالب في سويسرة . وذلك ان مياه الامطار والثلوج بدلاً من ان تغور في القرية وتنفذ في جذور الشجر صارت تنحدر بسرعة الى اسفل البلاد وهي تعرف في سيرها ما امكنها من القرية والحجارة والصخور وربما هبطت الى الاودية قطع كبيرة من الروابي والجبال بقوة السيول والاعاصير . ثم تالت على الجبل آفة اخرى وهي آفة العزى والروابي التي تقطع النبات او تقلع جذوره فتقتل الجبل كل تربته الزراعية وانتصب صخوره المتجردة وانفتحت فيه الرهاد المعيقة المعجرة التي صارت حجازاً لسيول جاحفة لم تر سابقاً . واضحى الماء آفة الخراب بعد ان كان نمرة ينجس القرية ويفذي جذور الاشجار بالاملاح النافذة التي يحللها . وهكذا تمأل تلك الاعاصير المائلة التي تصيب في كل شتاء بعض اقسام الجبل فتفسد المزدريات وتهدم البيوت والطرماحيين وتخرب في يوم ما يحصل عليهم بعد سنين من التعب . وذلك لان اصحاب الارواق لم يحافظوا في جهلهم على الغابات وقطعوا اشجارها الثمينة بغية في الريح فعاد عليهم طلعهم وبالاً

فلملافة هذه البرائق ليس من وسيلة النجوع من نصب الاشجار فانه قد ثبت بالتجربة ان مياه الامطار الساقطة على الغابات لا يسيل منها الا ستة اعشارها فينفذ في الارض ويسيل منها سبلاً منظماً . وكذلك من الوسائل المستعملة للملافة اضرار الاعاصير ومياه الفيضان الاحواض والقنوات لسقي الاراضي وتخريبك الرحي



والآلات - فيدير بين الطبيعة والاعمال البشرية كبتادل في الخدم . وأنما كل ذلك يذهب سدًى بخواب الغابات والأشجار وكذلك يجب ان نلصق لتجريد لبنان من شجره اتساع مسيل بعض الانهار لاسيما في الجهات القريبة من السهول كما ترى في نهر بيروت ونهر الجوز . فان المياه عند خروجها من مضيق واديها اذا قبلت باتساع مسيل النهر لا تكاد تبلغ القسم العشرين منه فلا ترى منها الا جدولا صغيرا يجري بين الصخور المغطاة وركام الحصى والرمل . وإن ذلك الا ما جرفه النهر من اعالي الجبل في أيام السيول الشتوية . ولو كان الجبل مغروسا بالغابات لما سحا بهدم القرية ولا زحف امام هذه الصخور بل لبقى في حدوده .

وفي الانهار صخور قليلة الارتفاع تعترض المياه فتتحد هذه منها مزبدة فذلك الجنادل . والظاهر ان هذه الصخور شلالات قديمة عملت فيها المياه حتى انتقصت بالاحتكاك . وفي انهار لبنان منها كثير تتحد الارضية وميلها . اما الشلالات العالية قليلة اشهرها شلالة جزين علوها من سبعين الى ثمانين مترا . وتقل مياهها في الصيف حتى لا يبقى نسبة بين ارتفاعها وقلة ماؤها . وفي نبع اللبن شلالة أخرى ومن خواصها القريبة ان المياه باحتكاك سطحها الذي تهبط منه قد تفتقرت نوعا الى نبعها (١) . وعلى جانبي المياه جدران خرقتهما المياه فيمكن بتقدير ارتفاعهما قياس عمل المياه وتفتقرها مدة كور الأعصار . وهذا شبه ما جرى لشلالات نياغارا الشهيرة في امريكا

## ٢

## المصاب والسدود التبرية

(ان الانهار كما لا يخفى بقدر اقترابها من مصبها تنقص مياهها إما بالتبخر وإما بغيضها في قاع الارض فتبلغ البحر وكمية مياهها عنده اقل منها في مسيرها . وهذا الغالب على انهار لبنان لاسيما نهر بيروت ونهر الجوز والزهراي . ومما ينقص مياه نهر بيروت ما يؤخذ منها لسقي المزدوعات في السهل . اما نهر الجوز فانه في الصيف يتقطع جريته الى البحر

(١) راجع صورها في كتاب ابرني وغوث (Ebers et Guthe : Palæstina, II, 20)



والأنهار اللبنانية كلها اذا صبّت في البحر لا تتسع ضفافها عند مصبها بحيث يتوَكَّب منها خليجان أو جُؤن بل لا ترى لها اخواراً صغيرة مستديرة . والسبب لذلك أولاً قلة مياهها ثم خصوصاً خلوّ البحر المتوسط من السدّ والجُؤد . والجُؤن الواسعة تتكوّن بعمل الأنهار والبحار معاً وذلك في البحار المفتوحة والسواحل المتعرّضة لقوّة المدّ والابّاء . فهي نادرة على سواحل سورية لا تشوّر إلا عند مهبّ الريح الشمالية . ومعروف أنّ كلّ مجاري مياه لبنان تصبّ في البحر غرباً فلا تجد الامواج البحرية قوّة كافية لتوسيع مصبها وحفر قاعها

وليس عمل امواج البحر كعمل المجاري والمدّ في توسيع مصبّ الأنهار . فان هذه الامواج تأتي من غمر البحر منفرجةً وتصدم الساحل على شكل زاوية حادة فتقتلع منه حطامه ثم تنقله الى مصبّ الأنهار مع ما تأتي به الامواج من الرمل يسيرها المتوازي للساحل . فالمجرى النهرى يميل بازاء هذه القوّة العجيبة وينعطف شيئاً فشيئاً ثم يتراكم في عرض مسيله حاجز من الرمل موافق للمجرى البحري . وبعد مدّة تتكوّن عند الساحل شبه جزيرة ترى في احد جوانبها الساحل البحري وفي الجانب الآخر ضفة النهر يفصلان الماء المالح عن الماء الحلو على مسافة عدّة اميال وهي عادة تتسدّ وتارة تقشّب على حسب اختلاف الارياح والمجاري ومدّ البحر

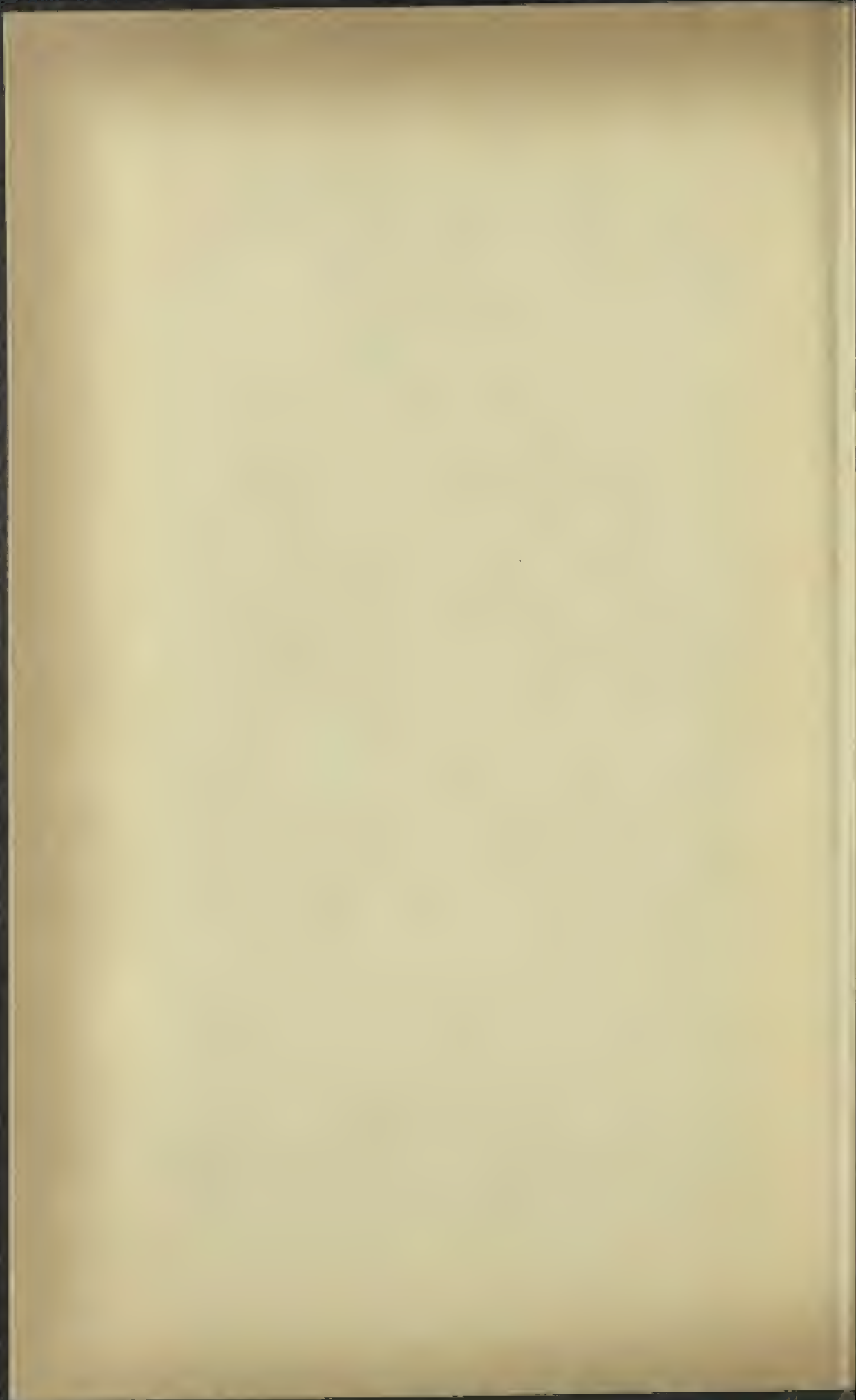
وهذا اصل الحواجز المختلفة العظم من الخصى والرمل التي ترى عند مصبّ الأنهار اللبنانية . والنيل عند مصبه في البحر ينقل اليه الوف الوف من طئات الرمل والطين فاذا صار فصل الشتاء نقلت الريح الغربية هذا المحمول الى السواحل فيتراكم عندها وتريد بها فرجتها . اما الباقي فينتقل الى جهات الشمال وتستبدل ما رسب منها في طريقها بما تقتلعه الامواج من السواحل ثم تشوّر الياح الغربية التي تهبّ على سواحلنا نحو منتهي يوم في كل سنة فتنتقل هذه المواد الى مصابّ الأنهار وتدحرها فيها ولولا معاكسة قوّة النهر المنحدر من مشارف الجبل لسدّها تماماً . على أنّ هذه القوّة العاكسة هي دون قوّة البحر الذي لا يزال يقيم سوره الرمي في وجه النهر ويقويه . وقد لحظ القدماء هذه الظاهر فحسبوها نتيجة القتال الذي نشب بين اله النهر واله

البحر المدعو يرسيدون اذ تراهما بالحجارة . ويذهبون الى ان الحصى المنكوم عند مصب  
النهر هو كشاهد على هذا القتل المزعوم . وكانوا يجلبون خصوصاً موقع هذه  
الحرب عند مصب نهر الدامور حيث يرى سد غريب الشكل من صفيح الحجارة .  
وربما ساعد البحر في عمله النهر نفسه بما يجرفه من الجبل من الطين وغيره . نعم ان  
هذه الحواجز غالباً لينة رخوة قليلة الثبات تغير هيئاتها السيول الشتوية وتقسّمها الى  
اقسام متعددة الا ان البحر الذي لا يزال مسطحه ثابت العلو يقوّي هذه السدود  
ويرضها حتى يحصل من اجتماعها جزائر مثانة الزوايا كما ترى في البطاني

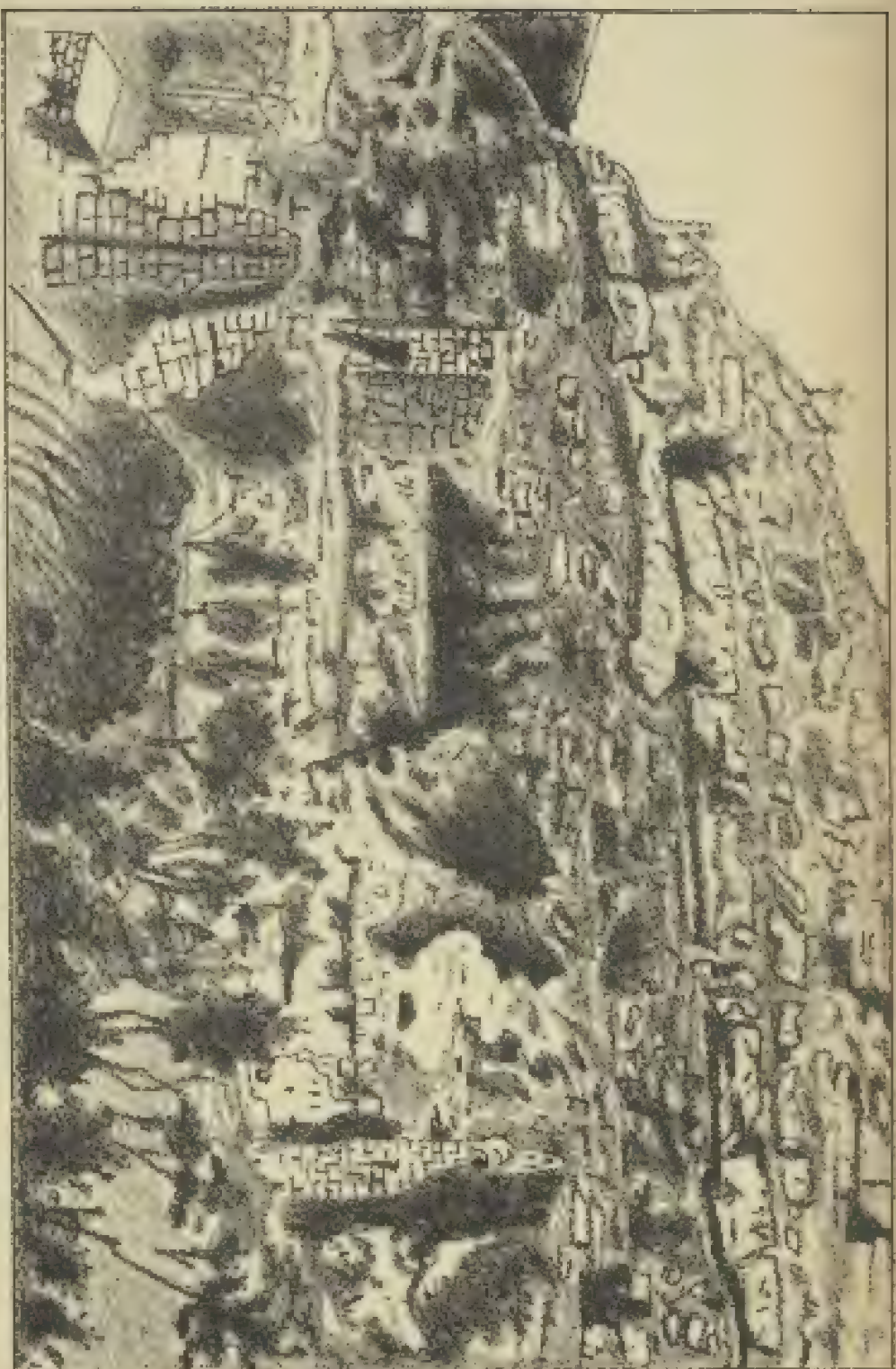
واكثر ما يظهر عمل البحر على مصب الانهار عند نهر ابراهيم فانك تجد بين  
ساحل البحر والجسر القديم مسافة ٥٠٠ متر وفي هذه المساحة اكلام دملية عليها بعض  
نباتات من القصب وشجيرات خيفة ضاربة تدل على ان المساحة تريد متانة وثباتاً .  
ومن اعتبر تركيبها وقف على عمل البحر كما انه يبين فعل النهر في معاكسة . وعندنا  
انه لمن المرجح كون البحر كان سابقاً يغير الصخور التي فوقها بني الجسر العربي القديم .  
وبقية السهل التي بين الجسر المذكور والبحر تتركب من جرف مجاري النهر والبحر  
المتعاكسة ولا ريب عندنا ان مياه النهر كانت بعد خروجها من مضيق الوادي تنصب  
في البحر على خط مستقيم على مقتضى مياهها . اذ ليس ثمة حواجز صخرية او غير  
ذلك مما يعدل بها عن مسيرها والمساحة كلها مركبة من رمل وطين يسهل قطعها .  
الا ان الرياح الغربية حملت هناك كمية وافرة من الرمل اقامتها كبروة وعدات بمياه  
النهر نحو الجنوب فزاد مجرى نهر ابراهيم بتوالي الاعصار نحو الف متر . ولعلنا كان  
اطال مسيره جنوباً لولا ما يقوم في وجهه من الصخور المنتصبة على البحر التي تنطرد  
ان يصب في الجون الذي هناك

اماً نهر الدامور فان جرف الرمال البحرية والطين النهري قد تكوّن عند سد  
الجنوبي وارتفع هذا السد وتمكّن حتى مال بالنهر الى الشمال

ووجود هذه الحواجز يعم كل الانهار اللبنانية حتى ان نهر الكلب نفسه لا يخلو  
منها رغمًا عن موقعه بين الصخور . وهذا النهر يصب توالاً في البحر عند رأس شمالي . امّا  
الضفة الاخرى فلا تتسع اكثر من مئة متر ليجري المياه . فكان ينبغي للنهر ان يبلغ  
الساحل بكل قوته بعد خروجه من مسيله الخرج فلا يميل يميناً او شمالاً ومع ذلك ترى







آثار القنطرة الرومانية عند نهر الراهب

عند مصبه سداً من الرمل متحدياً من جهة البحر قائماً تحت الصخور الشاهية متكباً  
من رسوب البحر وجوف النهر

٣

الانهار العامة

ان ما سبق وصفه عن نهر ابراهيم والسهل المتكون عند مصبه يقوده الى  
الكلام عن « الانهار العامة » كما ساءها المؤرخ هيرودوت متلفاً . ولا مشاحة  
فان للبياء الجارية عملاً متضاعفاً فانها اذا ما اخرجت من جانب عثرت من جانب  
آخر وما صنعت من احد الامكنة نقلته الى محل غير حيث يرسب ويترام بقدر ما  
حفر وجرف في مسير . وانما جرف الانهار ودمارها اظهر للعيان ووقع في القلوب  
لان قسماً كبيراً من المواد الراسبة يخفى عن النظر في عمق البحار

والانهار البتائية من الانهار العامة فانها استحدثت هذا الاسم با واصلة من  
العمل منذ قرون متعددة . كان البحر في الاجيال الغاية يبلغ لطف الجبال فينطحها  
بامواج التلاطية دون ان يتوسط بينها شيء . من السهول بل لم يفصل بينها حاجز  
من الرمل . فان تغيرت هذه الحال فانا ذلك من فعل الانهار فهي هي التي اقتطعت  
من اطراف الجبل ومنحدر الاودية تربتها وصخورها فدرجتها الى الخجان والاقوار  
البحرية التي كانت تروى سابقاً عند لطف الودس الجبلية الداخلة في البحر فلم تول  
تنقلب اليها حتى امتلاً قاعها . وكانت الرياح الغربية تهب في تلك الاثناء . من جهة  
البحر فتتهيج امواجه فكانت الامواج تندفع الى السواحل وهي حاملة مواد ترابية وطينية  
من النيل المصري ورملاً قتلاني احمالها في مدخل هذه الخجان فاجتمع عمل الانهار  
والبحر معاً وتكونت بذلك بعد مئات من الاجيال تلك السدود الحديثة والآكام  
القليلة الارتفاع التي قامت بعدئذ في وجه البحر ورددت صدماته كما ترى في صورة  
نهر ابراهيم ( انظر الصورة ) الذي سبق عنه الكلام . ومن درس سهلة الذي لا يزال  
على مرأى منا يشع يوماً بعد يوم ادرك بالخطر ما جرى في سالف الزمان اذ كانت  
القوى الطبيعية مع العوامل الجوية اشدّ فعلاً منها اليوم . اما الانهار فجمعت هذه



السدود كميجن تسبل من ورائه عملاً متواصلًا ساحبةً من اعالي الجبال ما امكنتها من الصخر والطين والحصى والتربة الزراعية مغنيةً بها السهول . فليت شعري أليس هذا عملاً متوازيًا يقوم مقام الخراب والعمران

فعلى هذا النوال تكونت شيئاً فشيئاً تلك السلاسل الساحلية التي ترى عند مصب أنهارها والحقول الخصبة التي تمتد على ضفاف الأنهار في جوار البحر . وهذا تزيخ السهول والحدائق التي تزين الساحل عند جوفيه وصيداء والدلمور . والتي في صحنها قامت قديماً المدن الفينيقية العاصرة مع ما يحيط بها من البساتين . وعلى الخصوص ساحل بيروت فأنه ثمة الأنهار والسيول التي تجتاز في اوديتها كوادي الشويفسات ووادي شعور ونهر الموت ولاسيما نهر بيروت فأنها كلها اجتمعت فأنت بموادها ووجدت في ضعف عملها ما يساعدها على التمام . أما سهل طرابلس فأنه لسمته ورحب جوانبه كان يقتضي عملةً انشط وقدر تراطأوا على الشغل واحسنوا العمل نخص بالذكر وادي بطران ونهر ابي علي والنهر البارد ونهر عكدار والنهر الكبير وهو اعقلها . وكذلك الصخر حيث اليوم اسكنه طرابلس المعروفة بالمين وما حولها من الاراضي فإن هي الا سهل تركب من مجروفات نهر قاديشا وصار لاحقاً بالبحر وأما كان في سالف الدهر جزيرةً منفصلة عن سلسلة الجزر البحرية التي تسد اليوم مرفأ البلدة جنوباً (١)

وباجتماع هذه العوامل المائية ومواصلة عملها على مدى الاجيال نشأت هذه الواحة المعبية المجاورة لطرابلس . ومن اعتبر تركيبها من الاتصال والمواد الكاسية المنحدرة من الجبل ودقق النظر في تربتها السوداء اللزجة وما تناله تلك الانحلال من الحبوب مع مزروعاتها الخصبة من الزيتون والنخل والتوت وقصب السكر ادرك عظم شأن هذه المدينة وحسن موقعها الاقتصادي كما انه لا يعجب مما كتبه في شأنها الكتبة الفرنج في القرون المتوسطة اذا اعتدوها كجنت عدن

(١) راجع وصف لبنان لدير : Diener : *Libanon*, p. 110 ثم قراءة الاستاذ هول Ed. Hull في المجلد الفلسطينية الانكليزية ( *PEP*, 1885, p. 175 ) راجع أيضاً H. Prutz : *of the physical Geology of Palestine*, p. 77 وكتاب هـ. برونس : *Ant. Phœnicie*, IX



وهي العوامل عينها التي شذت ساعدها واحسنت العمل في جوار بيروت . فإن هذه المدينة كانت كطرابلس وصور وصيدا . جزيرة صخرية تعوم فوق المياه وكان البحر العجاج يسط ملكة فوق البر الذي ترى فيه اليوم غابة الصنوبر . فلما تحدرت السيول اللبنانية وملأت هذا النور بنا سحنت من لبنان وسأقت مجاري البحر قسماً من تربة مصر الى سواحلنا امتلاً البوغاص الذي كان جنوبي غربي المدينة واتصلت الجزيرة بالبر . ولنا شاهد حسي على فعل البحر اعني التلعات الرملية التي جاءتنا من القارة الافريقية فنقلت على قول الشاعر لامرئين « الى لنح لبنان قطعة من صحراء مصر »

وهذه الظواهر الطبيعية انما هي نواويس مقررّة استألفت اليها الانظار ارباب وصف البلدان منذ زمن مديد . وليس ما حدث في سواحلنا القبطية سوى مشال مصر لما حدث في الاصقاع المصرية . فان مصر السفلى الى الثلث العظيم المعروف بالدلتا لم يكن في عالم الوجود في غابر الأيام اذ كان بحراً المتوسط يمد مياحه وسيطرته على اسافل تلك البلاد الى منج جبل القطم حيث شذت بعدئذ القاهرة ولنا في تركيب شط العرب مثال آخر اقرب عهداً في ازماتنا التاريخية . فان العلماء بالآثار الاشورية يتفقون على ان اجتماع النهرين دجلة والفرات عند شط العرب انما هو حدث جرى على الأقل بعد الطور الاول من تاريخ بابل وان النهرين كانا يصبان في بحر العجم كل بمفرده لكن مياهما لم تزل تنقل الرواسب التي تراكمت فالت بسيرها الى أن التقيا في السير وجرى في مسيل واحد قبل ان ينصب في البحر (١) . وحتى اليوم اذا نظرت الى الطين المنقول بمياهما تحققت ان ساحلها يزداد كيامتورين انشاعاً بعد ثلاثة ارباع القرن . وقد ذكر الزبلي روكاو ( الارض ج ١ ص ٩٧٢ ) حاجاناً من الماء المالح صارت سهولاً بعد مدة لا تتجاوز حياة الانسان وكذلك مسايل كان ينبت فيه الطحلب اضحت غابات فتوا .

أجل ان سيول لبنان لا تشبه إلا عن البعد انهار افريقية وما بين النهرين لكن عملها ايضاً على قدر قوتها فتوالت سهولاً قليلة الاتساع بالنسبة الى وادي النيل وسهول

(١) وهو امر ثبت له قديماً بلينيوس الطبيعي ١ ك ٦ ف ٢١

بلاد العراق (١) بيد أن العوامل واحدة والعمل واحد مع اختلاف سعة وعظمة بحيث  
 يمكننا تكرار ما سبق قوله بأن لبنان أقاد سوربة كما أقاد النيل أرض مصر  
 ولذلك ترى كتبة الاسفار المقدسة اذا ذكروا لبنان انطلقوا لسانهم على مدحه .  
 قال ديمتر (٢) : ان بلاد فلسطين كلها تشخص بالنظر الى مشارف لبنان وحرمون  
 الكلاية بالثلوج الغراء لأن منها قاتنها البركة والحطب واذا سمعت الفلاح كما الراعي  
 والفقوال كما النبي والمعلم كما الشاعر رأيتهم جميعاً يستعيرون من هذه الجبال المباركة  
 ابداع ما لديهم من التشابه واجمل ما عندهم من الرموز »

\*

وقبل ختامنا هذا الفصل في انهار لبنان لا بد ان نبين بوجيز الكلام ما لبعضها  
 من الخواص بصفة حدود المعالمات والايالات . فان منها وهو النادر ما يكون  
 كثير المياه طويل المجرى كالنهر الكبير الذي يحرق فينيقية ويفصلها عن سوربة بمعناها  
 الحصري اعني بين سوربة بطالسة مصر وسوربة السالوقيين (٣) ومثله الليطاني الذي  
 يحد شمالاً بلاد فلسطين ويفصل بين نواحي صور وصيدا .

ولكن أغلب الانهار اللبنانية التي تحدد المعالمات انما هي مجار قليلة المياه وتجري  
 في اودية عميقة تنتهي عند البحر بمضيق او رأس يقوم مقام القلعة - واحسن مثال على  
 ذلك نهر الكلب فانه لم يكن حرياً بأن يجعل من الحدود لقصر مجراه وقلة عرضه  
 الا ان مصبه عند رأس ترافع عنه بسهولة شديدة من الجسد فتزدج جيشاً عورماً  
 جعل له خطراً عظيماً في كل الازمنة . وقد كان هذا النهر على عهد القينيين حداً  
 لاملاك بيروت في الشمال كما كان الدامور جنوباً يفصلها عن املاك صيدا . (٤) واليوم

(١) راجع ايضاً ما كتبه العلامة كلرمون غانو عن تقدم خر الادن الى الجنوب واتساع  
 مصبه في بحيرة لوط ( RAO, V, 277-280 )

(٢) Erdkunde, XV, 16

(٣) انظر بنشان وهو شر . Pietschmann, l. c. 40 ; Hoelscher : Palaestina in der persischen und hellen Zeit, p.8

(٤) وكذا كان على عهد القينيين يواصل الدامور ولاية بيروت من ولاية صيدا . ( راجع  
 كتاب راي في المستعمرات الفرنسية ٥٥٩ ( Rey : Colonies françaises, 559 )

ايضاً نهر الكلب من حدود لبنان يواصل قافلتامية المتى عن كسروان . وقد كان على عهد دحميس الثاني فاصلاً بين املاك المصريين في الشام واملالك الحثيين . والنصب الذي اقامه هذا الملك عند نهر الكلب انما هو ذكرٌ ودليلٌ مما على حدود دولته (١) ووجود مجرى آخر اصغر من الانهار السابقة مسيلاً واقل شأناً يزيد به جدول العاملين الذي اتخذه اقدماء ايضاً كاحد حدود البلاد . وفي عهد الفرنج كان الفاصل بين ايلة اورشليم وايلة طرابلس (٢) والسبب ان ضفة الشالية عند رأس حرج خربت المجاز لم يكن السير فيه الا بقعر الصفوف لجواز الطريق الساحلية . وهناك اليوم برجٌ قديم دلالة على ما كانت من الاهمية العسكرية . وشالي هذا الجدول تبتدى بلاد طرابلس اما جنوبية فيلحق ببيروت او بصيدا . ومن هذا اشتق اسم العاملين الذي هو قديم في التاريخ كما يشهد على ذلك الكتابة العرب والحنون (٣)

ولنا هنا ملاحظة أخرى وهو انك لا ترى على ضفة الانهار اللبنانية لا مدينة ولا قرية مبنية ( ZDPV, XXVII, 114 ) مثال ذلك حواضر فينيقية كصور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون فكان حقيقاً بها ألا تبعد عن هذه الانهار . ولعل السبب في ذلك ان في جوار هذه الانهار وعند مصبها تكثر الامراض انوية والحلقات وينفسد الهواء . ثم ان الفينيقيين كانوا تجاراً لا يفتنون بالزراعة والثروة ومن ثم لم يختاروا لمنازلهم السهول وبجاورة الانهار بل كانوا يفضلون الرؤوس الداخلة في البحر والسفحان التي تصالح لموافي سفنهم حيث يسهل عليهم في حضونهم البحرية رد هجمات العدو وركوب البحر وقامن منهم من الرياح وتواكم الرمل ويسهل وسفها بانضائع . وكل ذلك اوفى بالرام عند الرؤوس الصخرية . وما يدل على انهم احسنوا اختيار مواقع هذه المدن انها لا تزال في مراكزها القديمة مع ما طرأ عليها من التقلبات العديدة وصروف الدهر . بل ترى بعضها تتقدم كل يوم في مدارج الفلاح

(١) W. M. Müller, *Asien u. Europa*, 222 ; Schrader - Winckler, *Keilin-*

*schriften*, 184

(٢) راجع المجلة الاسيوية ( ١٩٠٣ ج ١ ص ٢٩٧ )

(٣) راجع اخبار الامان ( ص ١٨ )



## مياه لبنان البحرية

كان يحل بنا بعد ذكرنا ينابيع لبنان ونهاره ان نفرد بحثاً ببحيرات . الا ان البحيرات في لبنان غاية في الندرة . وقد سبق لنا وصف ما يرى منها اعني بركة الشونة وبركة ثانية اصغر منها وهي بركة الزينة ١٦ وقد اطلعنا منذ زمن قريب على بركة ثالثة قريبة من الزينة لم نجد لها ذكراً في الخرائط اللبنانية تدعى رام الزينة ولعلها كانت الجرافيين لقربها منها او لتشابه اسميها

وان اردت ان تزورها فيسر من بركة الزينة متوغلاً في الجبل نحو الجنوب فبعد ثلثي الساعة تبلغ الى وادٍ حرج لا منفذ له الا من شاطئ تحيط به الجبال العالية فهناك رام الزينة وهي على شكل دائرة اهليجية طولها ١٢٠٠ متر في عرض ١٠٠ م ومياهها كدرة متوحلة تتكون من ذوبان الثلوج المتروكة للجبال التي تسكنها فلا تسيل منها لعدم وجود منعدر تجري منه لان الجهة الشمالية المتروحة تماو قليلاً عن سطح المياه تنبع منها من السيالان . اما قعر البحيرة فيتركب من حجارة كاسية تحرة كطبقات لبنان العليا ولذلك لا يمسك المياه . فاذا وافى شهر تموز نضبت البحيرة ونشفت تماماً . وليس سمك في هذه المياه وإنما ترى فيها الضفادع الناقعة وبعض الحيات المائية

»

وتتمة لدروسنا السابقة في مياه لبنان بقي علينا ان نبحث في مياه البحرية التي تنفذ الى لطف هذا الجبل ونقسم كلامنا الى باين مدار الأول على المياه الساحلية وما يغلب عليها من الظواهر الطبيعية اما الثاني فنخصه بالساحل عينه وهيئاته اعلم ان البحار في كرتنا الارضية شتاً عظيماً لا يكاد يفني به الوحد وان

قصرنا النظر على مياه البحر وحدها وحدنا ما لها من الدور المهم في حياة سيادتنا فان  
الاوقيانوس كحوضها العظيم وينبوعها الاول تتصاعد منه الابخرة فتطرب البورر وتشتت  
بياه تنعشها وتحيا وتجعل سكانها معتدلاً بل اذيفاً ناعماً

كذلك سبق لنا وصف العوامل الجوية من افواه ورياح وامطار التي تصدم  
اطوادنا وقسم جبالنا فتعنتك بها وتقطع صخورها وتجرف تربتها الى السهول والى  
مصب الانهار وامساق البحار . فكل ذلك من اعمال البحر ومن نتائج تحولات  
مياهه بالحرارة . فان السحب اذا تصاعدت من الاوقيانوس انعدت في اعالي الجو  
وتساقطت على هيئة ثلوج تجمد فوق مشارف الجبل وفي اوديته وتعمل في صخورها  
فتحللها ثم تدفع تلك المالح والصخور الى اسافل البلاد فتتحول الى تربة زراعية .  
ومن هذه المياه ما ينفذ في قلب الجبل فينخره وتتكون بذلك المغاور او تجري  
المياه فائرة بمعد ان اجتذبت بسيرها المراد المعدنية التي كانت مكنونة فتخرج  
عيوناً معدنية ذات خواص عجيبة . وما قولنا الان بالانهار التي تتدفق في كل انحاء  
العالم وتنقل في جسم الارض الحصب والقروة كانتها الشرايين في جسم الانسان تحيي  
كل اعضائه . أليست هذه من افضال البحار الواجبة الى اصلها بعد دوران عجيب  
وسقي الارض العطشى

نعم ان ما يرى على الارض من ظواهر الحياة في المواليد النباتية والحيوانية بل في  
حياة البشر كل ذلك مصدره البحار وحركتها المتواصلة . وكذلك لا يشك احد في ما  
لتنوء الجبال وارتفاعها من التأثير في احوال الجو الا ان هذا الاختلاف الطارى عليها  
بقوة سق العناية الالهية انما تجريه بجانب عظيم حركات البحر ومظاهره . فان كان  
الشتاء على وجه الارض أطف وحرارة الصيف اخف وحالات الجو من طرف الى  
آخر تجري بتدرج لتلايهلك الاحياء بنقلها على فورا ذلك الا لان المياه البحرية  
تخزن الحرارة فتأخرها في الشتاء كما انها تاطف شدة التبط في فصل الصيف .  
وكذلك في الاوقيانوس مجار تنقل المياه القطبية الى خط الاستواء ومياه خط الاستواء  
الى القطبين فتعتدل بذلك احوال الجو ولا ينتقل الهواء من حالة الى اخرى الا تدريجاً .  
ومثله الهواء فانه لولا البحار لكان ناشفاً لا يمكن استنشاقه وانما تربط المياه البحرية  
اشي تنشر رطوبتها حتى تقاصي الارض مع الرياح . فالاوقيانوس اذن يدمج الأهوية

ويجعل توازناً بين انحاء الارض المختلفة ويبعث الحياة على الارض ويحفظها بعد ان غني  
بتركيها اذ يتم برئها بواسطة البحيرة وعيونهم وانهارهم

١

### المظاهر البحرية العمومية

تحت هذا العنوان نجتمع كل المظاهر التي تلوح في البحر المجاور لسواحلنا اللبنانية  
فندون ما يخص به وان كانت هذه الملاحظات قليلة ليست ذات بال . والسبب ان  
بحرنا المتوسط احد الابحار الداخلية المغلقة لا يتصل بالاقيانوس الا ببوغاص خرج طوله  
بضعة لميال تزيد بوغاص جبل طارق . ومن المعلوم ان البحار الداخلية لا تشترك  
الاقيانوس الكبير باختلاف مظاهره ودورة حركته بل ترى كل شي فيها على نظام  
واحد وسداجة عظيمة . وكذلك ليس مجال للكلام عما يحدث في البحار القطبية من  
قطع الجليد الطافية على وجه الماء بعد مجرتها عن القطب كما اننا ليس من اثر لمجاري  
الماء الحارة (Gulf-stream) . اما المد والجزر فلا يكاد يشهر بها

وزد على ذلك ان العلماء الذين درسوا خواص مياه مجرتنا المتوسط انما اكتشفوا  
مجاهر الغريبة المجاورة لاطالية وفرنسة اما الجهات الشرقية منه اي الانحاء القريبة  
منها فان ابحاثهم عنها جرت بتسرع فهي لذلك قليلة التدقيق . وعذا هو السبب الذي  
يصدنا من تدوين النتائج المفررة والاعلامات الزاهنة بهذا الخصوص . فان الاعداد  
التي وجدناها من هذا القبيل غير مضبوطة اكثرها مبني على التخمين وربما كانت  
غير موجودة

\*

اعلم ان اول ما يخطر على ذهن العامة اذا نظروا الى البحر انه كهاوية ليس لها  
قعر ولا حد يحصرها . ثم يعقب التفكير فيردى بصاحبه الى ان يجعل لهذا القعر قياساً  
على التقريب اكن الاسباب المذكورة آنفاً تحول دون هذا التحقيق ولا سيما في جهات  
البحر الذي تهتنا معرفته المجاور لسواحلنا . ولما يجوز القول بالاجمال ان اقصى اعاق  
هذا البحر المتوسط ان بالحري هذه البحيرة الداخلية ليست هي الانحاء القريبة منها .  
والذين سجدوا القعر في التواحي المصرية وجدوا فيه اعماقاً تزيد عن التي مست



والاقيسة النادرة التي اجراها العلماء في سواحل بلاد الشام بعيدة عن مثل هذا القمر العتيق

ثم ان الاعماق القاصية تكون عادة عند النقط البحرية المجاورة للصخور السوداء التي تنفس تواتر في البحر لاسيما عند الرووس الساحلية والمشارف الصخرية التي تطل على شيع المياه فان الرياح الزعازع والانواء تثير الامواج وتعمل بلا انقطاع في اركان الصخور واصولها . لما اذا كانت السواحل تتدكّب من الرمال فتوى قعر البحر لا يتعدّد الا تدريجاً حتى ان عمق المياه لا يزيد عن عشرين او خمسة وعشرين متراً على مسافة تختلف بين كيلومترين الى ثلاثة كيلومترات . وليس السبب خلو هذه الاماكن من الرياح والانواء التي تحفر اعماقها . انما يتعلّق الحفر بما تأتبه المجراري والرياح من الرمل اما من السواحل عند مهب الريح واما بحروف الانهار من اعالي الجبل

والذين فحصوا عن اعماق الخور المنسوب للضخ بقرى بيروت وجدوا ان معدل قعر البحر في الكيلومتر الاول بين ثمانية ابواب الى عشرين باعاً انكليزياً ١٥ . والباع الانكليزي متر ٨٢ ستمتراً اعني من ١٦ متراً الى ٣٦ م . اما غور جونية فأعمق فان قاع البحر على مسافة خمسمائة متر من الساحل يبلغ عشرة ابواب اي نحو ١٨ متراً كما ورد في خارطة الكومندان الانكليزي مونسيل التي سبق تعريفها في مقالنا عن خواص لبنان وبارز . هذا الخليج عينه على مسافة نحو ثلاث ساعات من الشاطئ قد وجد اقصى غور سبيل القياس في الساحل النيفتي وهو يبلغ ١٠٨٦ متراً . واذا قرّبت من الساحل بارز . برج مالح جنوبي جبيل كانت نتيجة السبر ٤٣٠ باعاً انكليزياً . وكذلك الجهة التي هي ازاء مصبّ نهر الكلب فانها بعيدة القعر . ونذكر انما قبل بضع سنوات اذ كانت تجول على الطراد الافرندي شغري لم يمكنه ان يرسو هناك لقصر سلاسله التي لم تبلغ القعر . وفي الواقع ترى الخرائط البحرية تجعل عمق هذا المكان ٢٢٠ باعاً انكليزياً . وبخلاف ذلك بينا طرابلس وخورها المتسع فان عمقها قليل يتراوح بين ستة وعشرة ابواب ما لم تيسر الى بعد كيلومترين او ثلاثة

(١) راجع خارطة لبنان البحرية والادغام فيها بالابواب الانكليزية وهي تدل على اعماق

البحر

كيلو مترات من الساحل وهذا ما يضطر السفن البخارية بأن تبعد عن الشاطئ وإذا ما أراد أهل الأمر أن يحتفروا مرسى لهذه المدينة فلا بد لهذا المشروع من نفقات طائلة لقلة هذا العمق كما سبق

أما مدخل ميناء بيروت فقاع مباحه ١٥ متراً . وهذا العمق لا يرى وراء السد الكبير إلا على نحو مئة متر منه وإن سويت شمالاً إلى مسافة كيلو متر وجدت غر البحر بالم ٢٩٠ باعاً بينا العمق في جون الحضر على الخط نفسه وعلى مثل بعده من الساحل لا يزيد على ٢٥ باعاً إلى ٣٣ - وفي ذلك تأييد لقولنا عن الأعماق المختلفة التي ترى عند الصخور الساحلية وعند السواحل الرملية

✱

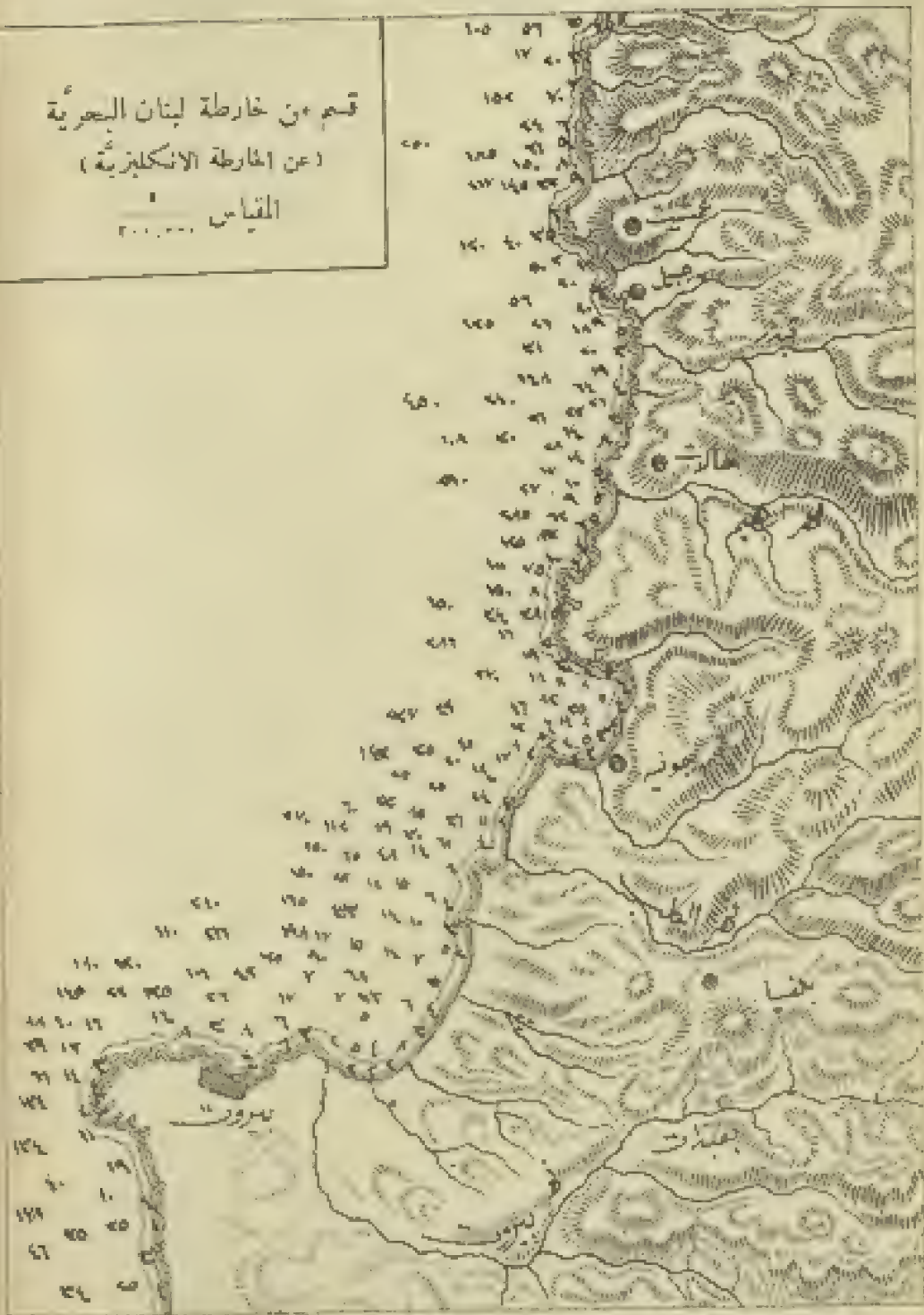
واعلم أن تبخر المياه في كل البحر المتوسط سريع جداً . وهو على سواحل فرنسا وساحل جنوة لا يقل عن ستيمة كل يوم في فصل الصيف ويجعل ما يتبخر منه في أشهر الصيف الثلاثة ٦٠ ستيمة . أما سواحل الشام فلا مراء بأن تبخر مياهها اعظم لارتفاع ميزان حرارتها . وقسم من هذا الماء الذي يفقد بحراً يعود إليه بالأمطار النادرة التي يجاد بها وبالأنهار التي تجري إليه وهي بالنسبة إلى ما يجف منه ثلث كميت . ولولا اتصال بحراً بيوغاص جبل طارق ومنه بالأوقيانوس لقلت مياهه حلوة وزادت ملوحتة واضمح كبحر لوط في طبعه ألا أن الأوقيانوس يمد بمياهه وهي أقل منه ملوحة ويعوض له خسائره فيتوازن البحران

واعلم أن مياه الأوقيانوس تأتي بحراً تجري عظيم يتدف على وجه البحر المتوسط إلى مسافات بعيدة . وكذلك يحدث على طول السواحل مجار أخرى منها المجرى الذي يتدف إلى سورية رمل مصر وطين أياها (١) . وحتى الآن لم يحسن العلماء معرفة خواص هذا المجرى ورجهته وقوته كما أنهم يجهاون أموراً كثيرة . شولة بالمجاري البحرية وعلاقات الأوقيانوس ببحر المتوسط . وبما أفادنا بعضهم بخصوص المجرى الوازي لساحلنا أن قوته تبلغ في كل ٢٤ ساعة عشرين كيلومتراً سيرة من الجنوب إلى الشمال . وهي أفادة زوياً

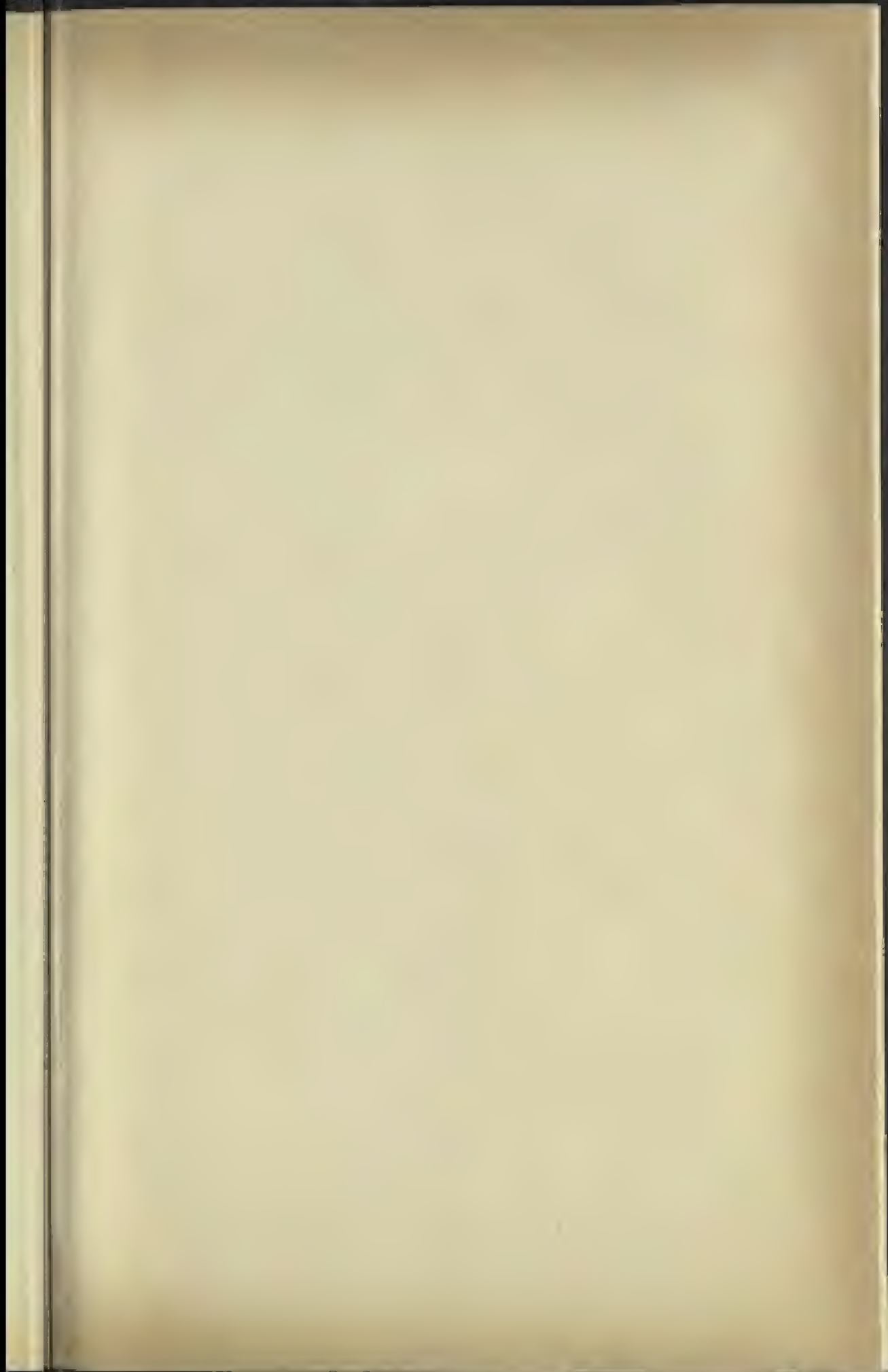


قسم من خارطة لبنان البحرية  
(عن خارطة الانكليزية)

المقياس  
٢٠٠٠٠٠







على علالتها إذ لم يمكن تصحيحها. والمجاري البحرية في البحر المتوسط من الظواهر التي ليست ذات شأن عظيم كما هو الواقع في البحار الواسعة وذلك خلوة من المد والجزر ومن الانهار الزاخرة والأخوار العميقة المتصلة بالبواغيس الضيقة (١)

ومن يفحص مياه بحرنا لم يجد فقط ثقلها النوعي اعظم من المياه العذبة بل تحققت أيضاً ان ثقلها وهو (١.٠٢٩) فوق ثقل الاوقيانوس (١.٠٢٨) ماستر. والظاهر ان سبب ذلك حرارة الشمس التي تقتض من مياه بحرنا اكثر مما تأتي به الانهار. فما بقي من الماء يزيد ثقله لوفرة املاحه التي لا تتبخر. ولا مر في جهاتنا السورية اوضح لان انهارنا لا تعني البحر بموادها لندرة مياهها. وعليه فاذننا نظن ان ملوحة بحر الشام تتجاوز ٣٨ ماستراً وهو معدل بنية البحر المتوسط. وتعليلة قلة المياه النهرية العذبة كما سبق ثم ابتعاد جهاتنا عن بواغيس جبل طارق حيث يأتي من الاوقيانوس مجرى من المياه اقل ملوحة. وامل قوة هذا المجرى لا يظهر اثرها في جهاتنا السورية. ولنا على ذلك بعض التعويض بالكسبات الوافرة من الماء العذب التي يصبها النيل في بحرنا فتأتينا بمجرى ساحلي مع ما يأتي من الرمل

قلنا ان المد والجزر قليلان لا يكاد يحس بهما الناظر. وسببهما في ساحل الشام يختلف بين ثمانية وعشرة سنتيمترات. وحقة المد والجزر نتيجة اثرها اليها في مقاتنا عن مجاري الانهار في لبنان وهي انسداد هذه الانهار بما يترام في مصبها من الرمال فيضطر الاهلون بان يتقلوا مراسي مدنهم الى مسافة ابعد على الساحل كما ترى في مرسيلية بالنسبة الى نهر الرن وفي الاسكندرية بالنسبة الى النيل. وهذا مما حدا بالفيلسوفين ان يبنوا مدنهم على مسافة من الانهار

\*

قد قيل ان الحياة تظهر خصوصاً بالحركة. وليس في الطبيعة كائن احيا من البحر. وحياة هذه قلوب يعمل غير منقطع لاجلها بتأثير في البرود التي لا يزال يغير هيئاتها وذلك على نظر منا. ويذكر القدي ما قلناه سابقاً عن اعمال الانهار التي نسبنا

(١) راجع ما كتبه في المجاري الساحلية كالتبرونر (Kaltbrunner : Manuel du Voyageur, 438 - 439)

لها خراباً وعمراناً وهذا يصبح أيضاً في البحار . ثم تشهد بعض النصوص التاريخية التي  
ألمنا إليها على وجود جُزُر صغيرة بازاء بيروت او على مقربة منها . والدليل على ذلك  
ما ورد في القرن الخامس المسيح في قصائد الشاعر نونس المعروف بالديونيزيوك  
(Dionysiaques) فإنه وصف بيروت وصفاً يدل على نظر العيان وزيارتها بالمدينة  
الجميلة الجزائر (Ezropolis) . وكذلك جاء في تواريخ الفرنج ان ديورا اقيم في احدى  
جزائر بيروت (ZDPV, X, 310) فوجود بناه كهذا لا يكون الا اذا اتت  
الجزيرة بعض الاتساع . ثم ان خرائط مرسومة في ذلك العهد تشهد ايضاً على وجود  
جزائر مجاورة لبيروت (ZDPV, XXI, 116) . فكل هذه الادلة تبين صحة  
الامر بلا محال . فتوى كيف توارث هذه الجزائر ؟ أياها في الارض او ذللة ؟  
هذا ليس بمحال . ولعلها خربت فيما خرب في الزلزال الذي ذكره المقرئ في تاريخ  
المماليك (Ed. Quatremère, I, 1<sup>re</sup> partie, 145) حيث قال « ان سبع  
جزائر من بلاد الفرنج في الساحل خسفت وتوارث في غمر البحار » . وقد بقي من  
هذه الجزائر صخور تعلو سطح البحر اعظمها شأنًا جزائر الحمام في رأس بيروت وآثار  
المياه فيها ظاهرة وهناك معبر خرقته الامواج في وسط صخورها وهي لا تزال تعمل فيه  
ريثاً يتم بها عمل المياه فتتوارى بقايا هذه الجزيرة في قاع البحر  
وما يقال في تدمير المياه أظهر للعيان في الرؤوس الصخرية فان اسفلها عرضة  
للمجاري المائية التي لا تزال تنخرها . وانما عمل البحر فيها يختلف في السرعة على  
حسب وجهة الامواج وتركيب الصخور وصلابتها . وبذلك يعلو نثر الصخور الساحلية  
وهيبتها الثقوسة كما ترى في رأس بيروت . وكذلك الانوار والكهوف والحنايا  
المستديرة التي تحكم صنعها مياه البحر فيقضي بحسبها العجب

## ٢

## أكشبة الرمل

ومما ينوط بدرس المياه الساحلية في لبنان أكشبة الرمل التي تتراكم على الشواطئ  
بفعل البحر . وترى هذه الكشبان على سيف بحرها المتوسط وهي قليلة الارتفاع  
لضيق دائرتهم وقلة ما يجري فيه من المد والجزر فلا تستطيع الرمال ان تجد مداها



من الحركة والانتشار. أما تكونها فيحدث عادة في الشواطئ الرملية القليلة الانحناء. فتسبب الرياح دقائقها وتنقلها من مكان الى آخر حتى اذا وجدت في طريقها حاجزاً من صخر او نبات تجمعت حوله ولا تزال تنمو شيئاً فشيئاً الى ان تصبح على شبه ريوقة. ثم تهب الرياح وتلعب السواني في اعالي هذا الكثيب التي لا تسببها امواج البحر فتؤدي رمالها اليابسة وتنقلها الى ما وراء هذا التل فيتكون منها تل آخر وهلم جرا. اما الامواج فتتقاطع سفح الكثيب الاول وتنقل اليه رمالاً جديدة تعلو وتتكوم فتعمل الرياح فيها كما فعلت سابقاً. وهكذا لا تزال هذه الهضاب الرملية في حركة دائمة تتقدم الى الامام دون انقطاع. ويكون امتدادها بأن تجري الى حيث تجد نثراً من الارض او عائقاً فتتجمع حوله رمالاً جديدة مستندة الى اعطاف الاكشبة السابقة. وهي لا تلبث بعد حين ان تولد آكاماً اخرى فتتصب على شبه سلسلة من التلال المتحركة يفصل بينها ألخاب وادوية ضيقة مستطيلة (١)

على ان الآكام الرملية التي تروى في سواحل بحرنا الثقيل الحالي من العجز والذليست كالكثبة البعارة الواسعة. كما ان لا اثر لهذه التلال في السواحل الوطنية المتحركة من المواد الصلبة او الصلبة التي لا تحركها الرياح والامواج بسهولة كفعالها بالرمال وانما تتكون فيها سدود من الحصى التي تنقلها الامواج على بعضها الى ان تصقل بالاحتكاك وربما تتكونت اكواماً دون التلال الرملية علواً واتساعاً

وان سرحنا البصر في سواحل بلادنا وجدنا مصداقاً على قولنا ان لا يوجد من هذه النشور الرملية الا في بعض نقط مملوءة تفرج فيها الامواج والرياح مما كمثل اشباه جزائر صور وبيروت وطرابلس. وكثبان الرمل لا تتكون في كل هذه الجهات من جهة الشمال بل من الغرب حيث الشواطئ السفلى الرملية فتسببها الرياح الغربية المتواصلة فتتراكم بفعلها. وهذا مما يلوح خصوصاً في نواحي بيروت فسرى ثقت توارد الرمل الذي يزحف بحمله ورجله ويغطي سهولاً مخصصة تغوص في وسطها بيوت واشجار لم ينظر الناظر غير اعاليها. وكذلك طوق العجالات فان الرمال تغلوها بحيث لا تعود تصلح للسير

(١) راجع ما كتبه روجكو في كيفية تكون هذه الاكشبة في كتابه «الارض» ص ٢٤٦

على ان لهذا الداء دواء اذ يمكن ان يجعل حذو لعمل الرمال بالزراعة ونصب الاشجار التي وحدها تقوم بازاء هذا العدو الزاحف تقوى على خداته ودقائقه . ومن العجيب العجيب ان في هذه الرمال مع يَبَوسِتها قوة محصية ومائية كافية لغذاء بعض النباتات التي لا تؤذيها الرياح البحرية الشبعة ملحاً بل تمتد جذورها الى اعماق بالغة تستص الطوبة التي تحتاج اليها حياتها . فمن ذلك بعض النباتات الزاحفة الطولية الاعضان على شبه الجبال كاللوب قراها تمتد على وجه الارض كشبكة تربتها بزهودها واوراقها . ومن النباتات الرملية اشجار الميموزا والصبيير وبعض الشجيرات المشوكة وكلها يرذ غارات الرمل ويمنعه عن ان يتعدى طوره

لكن هذه الوسائط ربما قصرت عن ادراك الغاية او بطلت منافعتها كما يجري فكثير من النبات الغض الذي يأكله الماعز فلا بد من اتخاذ احتياطات اعظم بنصب اشجار تقوى على السراحي وتسد الطريق في وجه الرمال . وهذا ما قامت به الدولة الفرنسية في احدى مقاطعاتها التي كثرت فيها الرمال وهي مقاطعة غسكونية المجاورة للاوقيانوس فان الرياح مع الامواج البحرية كانت تسفي عليها كمية من الرمال كادت تسببها كالكفن بعد ان غمرت قسماً من قراها . فادارت الحكومة تلافي هذا الامر فباشرت بنصب غابات الشجر منذ نصف قرن وهي لا تزال جارية في العمل وحتى تنجزه عملاً قليل فصارت كشبان الرمل في بلاد غسكونية مررداً الثروة بعد ان كانت آفة متلفة . فان غابات تلك المعاملة الواقعة جنوبي غربي فرنسا تعتبر اليوم كفتى لها لسا يستثمر منها من الحطب وما يستخلص من الوائع الراتنجية وهي تساوي في السنة مئة الوف من الفرنكات . أما الغابات نفسها فيشتملها العارفون بخمسة وعشرين الى ثلاثين مليوناً . ومن الفوائد التي احرزتها تلك الجهات بفضل الغابات اعشاب وافرة ينبت في الرمل الرطب وهي تصلح للمواشي . وكذلك قد تلاشت المستنقعات التي كانت في تلك الانحاء لان جذور الشجر امتصتها شيئاً فشيئاً الى ان يبست وصار الهواء بفتاتها نقياً طيباً واضعت الغابات على هذا النمط زينة وشفاء معاً

وهنا فليسبح لنا ارباب الامر ان نستلث انظارهم الى رمال بيروت التي يمكنها ان تخصب مدينتنا وتربتها اذا ما عملوا فيها ايدي الزراعة . واول ما ينبغي فعله ان لا يخصص للبدوان وللرياح ان يربوا فيها مواشهم . فان رمال بيروت في الربيع تأتي



حي من الكلام وبعض الائمة التي يمكنها ان تنمو وتزكو لولا يتجول فيها هؤلاء.  
الرعاة يقطعانهم فيحولونها الى رمال جزاء. تتلاعب بها الرياح وتنتشرها على انحاء  
المدينة في بعض فصول السنة بدلاً من ان تكون بقعة خضراء غضراء تروق العين  
بنضارتها وتخصبها بثروتها

والنفع من ذلك ان تفسد انصاب الصدور فان هذا الشجر كما حَقَّقْتُهُ الاختبارات  
التواليه شرقاً وغرباً انجم دواء لهذا الداء واقرى عامل على رد غارات الرمال . ومن  
ثم لا يؤخذ ان الانسان غير نفسه ان تفاخى في استعمال هذه الواسطة القويمة النال  
التي من شأنها ان تصالح تها مدة وهو السبب الاوحد في ما يجري من اخلل في توازن  
قوى الطبيعة المتسقة وفقاً لنظام العناية الصمدانية

ويؤيد قولنا ما كتبه في هذا الصدد كل الذين بحثوا عن تكون الأكنية  
الرمليّة فانهم يتفقون في القول بان هذه اللال حديثة النشأة وان في مكانها كانت  
سابقاً تمتد الاحراج والغابات فلما قطعت اشجارها استولت عليها الرمال . وهذا قول  
عمومي يصح في السواحل الاوربيّة كما في شواطئ بحرنا . ومن تصفح التواريخ  
اليونانية او اللاتينية لا يجد ذكراً لهذه الروابي الرملية الى عهد القرون الوسطى بل  
تراهم على عكس ذلك يشيرون الى الغابات القائمة مكانها او في عمارتها

ان في نصف الطريق التجارية بين صيدا وبيروت في المجل المعروف بنبى يونس  
بناية قديمة تراكت عليها الرمال فلم ير منها الا قبتها البيضاء . وهي بناية اسلامية بلا  
شك تدل هبتها على اصلها وزمنها . فتكون الرمال تواردت عليها حتى كادت تغمرها  
بظرف بضعة مئات من السنين . وكذلك اذا سرت شمالاً الى نهر الفسدير على مسافة  
نصف ساعة جنوبي خلدة بلغت موضعاً يدعى القصر كان يقرب محلة تعطينها الرمال في  
عهدنا . والرجح ان ذلك حدث بعد الاسلام فيكون عمل الرمل فيها حديثاً . وفي نقط  
اخرى من الساحل عند رمال بيروت آثار تدل على عمران سابق وحادثة عهد الرمال

وقد زعم بعض الكتبة ان اصل بيروت من غابة صنوبرها وان معنى اسمها  
الصنوبر . وهو قول ضعيف والرأي الأسد ان اشتقاق اسمها من البئر ومعناها مدينة  
الآبار . لكن في هذا الزعم نفسه دليلاً على قدم غابات صنوبر بيروت وقد افردنا لذلك  
مقالة مستقلة (راجع المشرق ١ [١٨٩٨] : ٩٣٩ - ٩٤١) حيث اوردنا عدة شواهد على قولنا



فلترأى فأنها تثبت أن قسماً من شبه جزيرة بيروت كان مزديناً بغابة من الصنوبر وبقيت هذه الحال إلى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك الشريف الإدريسي إذ قال إن « غابة صنوبر بيروت اثنا عشر ميلاً في التكسير تتصل إلى تحت لبنان » وهذه المسافة الواصلة لا تدع مكاناً للرمال كي تُرى اليوم ما لم يُقَلَّ أن هذه الغابة كانت تشغل السهول التي فيها اليوم مزارع الزيتون وهي المعروفة بصحراء الشويفات . وهو قول بعيد لأن هذه المزارع كما يظهر قديمة أيضاً ردد ذكرها فيما لدينسا من سجلات وتواريخ القرون المتوسطة . ويكفي لرد هذا المزعم أن القناة الرومانية المعروفة اليوم بقناطر زبيدة لم تُشَـغَد غالباً إلا لسقي هذه المزارع الواقعة في ارباض البلدة . وبقيت غابة بيروت زاهرة غنياً بعد الإدريسي فإن صاحب تاريخ بيروت ( ص ٥٢ ) ليس فقط يذكر ما كانت عليه سهول بيروت من الحصب والريع بل يروي أن اصحاب الامر ابتنوا من صنوبر المدينة عمادة لمخارية اسطول صاحب قبرس وقد وصفها بما حرفة : « قيل إنه لم يُعَـهَد قط عمارة مثلها عظماً وسرعة وكثرة صنّاع وقوة عزم » . ومع هذا الوصف البالغ للعمارة لم تنفد الغابة لأن المسافرين الذين زاروا بلاد الشام في القرنين الخامس عشر والسادس عشر يذكرونها بيد أنهم لم يجدوها في اتساعها السابق . وعندما أن الرمال أخذت منذ ذلك الحين أعني بعد تجهيز عمارة بيروت في أواخر القرن الرابع عشر أن تتعدى طورها . لأن ما قُطِع من الصنوبر لم يُعَوَّض عنه بفرس اشجار غيرها ودرجاً قطعوا منها غيرها بعد ذلك كما فعل محمد الجزائر ( ١ ) . ومن ثم لم تجد الرمال ما يتعرض لها في بيرها فتراكمت إلى أن وصلت إلى حدها المعروف في زماننا وهو امر يوسف له وتسمى أن اصحاب المردّة يتلافون الامر وقد يبتأ لهم ما وراء هذا الاصلاح من القوائد والارباح الطائلة مع ما يتجم منه من الزينة للبلد والتنظيف للهواء .

٣

### ارتفاع الساحل البحري

أن ساحل فينيقية منذ ابتدا . طور العالم الرابع لم يزل يرتفع شيئاً فشيئاً إلى الازمنة

المعروفة بالتاريخية . وهذه نتيجة أبحاث جيولوجية مقررّة أثبتتها حضرة الاب زموغن في كتابه رسم لبنان الجيولوجي (١) فلتخص هنا أدلته مع إضافة معلوماتنا الشخصية .  
قد اتسعت في مئة لتنا عن مجاري لبنان النهرية في وصف السدود التي ترى في مصب كل أنهار لبنان وأثبتنا أصلها بفعل مياه البحر والأنهار معاً - وهنا لا نرى بدءاً



رسم جيل نقلاً عن السيوري

١ المرفأ ٢ بناية المرسى ٣ بقايا برج ٤ سور البلد ٥ كنيسة مار يوحنا ٦ اقلية

من زيادة عامل ثالث لظهور هذه الحواجز ألا وهو اندسار المياه البحرية عند ارتفاع

(١) راجع Zumoffen : Esquisse géologique du Liban, 52-57

الساحل الذي يتوالي الاعصار تارةً تدريجاً وتصاد . ومن الشواهد على ذلك انك ترى على طول الساحل سلسلة من الصخور تطفو الآن فوق المياه البحرية طفوياً يختلف تحديد ارتفاع هذه الصخور في اعلاها مسطحة دلالة على فعل الامواج فيها اذ كانت غائصة في المياه . وفي امكنة اخرى ترى كتيبات من الحصى المصقول باحتكاك المياه على بعد من الامواج او على نشور لا تبلفها حتى في الانواء الشديدة . فوقها دليل على ارتفاع السواحل مع ما يصحبه من تنهقر المياه

وزد على هذه البينات العمومية دلائل اخرى تستفاد من فحص بعض السواحل اللبنانية . فمن ذلك ان الصخور التي بُليت عليها صيदा في سالف الاعصار قد ارتفعت كما يلوح ذلك من قلعة المياه في مرسى تلك المدينة . وكذلك امام المدينة عينها جزائر وصخور يرى مثلها امام صور وطرابلس وكلها حديثة العهد متراكمة من الرمل المتلاصق المتصلب والمعجون بالاصداف البحرية وهي كانت سابقاً في قعر المياه فلما تحدرت المياه ظهرت هذه الصخور متصاعدة فوق سطح البحر

ولنا شاهد آخر على قولنا في المراسي الفيليقية فان ما يرى فيها اليوم من الصخور ثم من تراكم الرمال انما هيبة الاول ارتفاع الساحل . وان اعترض احد علينا بقوله ان السفن الفيليقية القديمة لم تكن تحتاج الى غور عميق من المياه اذ يفيدنا التاريخ بانها كانت تشبه بقوارب كبيرة مسطحة كذهبيات مصر التي يمكنها ان تصعد النيل الى حدود الاقصر . اجابنا بأن الامر معلوم ولكن هيئات ان تصدق اليوم اوصاف المؤرخين للمراسي الفيليقية القديمة وهم يباهون في ذكر رجها واعنيها للسفن انما اليوم فلا تكاد هذه المراسي تشمل اكثر من احدى سفننا التجارية كما انها لا تقبى المراكب من الرياح وانواء البحر . وانما تلتجئ اليها فقط بعض السفن الشراعية الخفيفة . فلولا ارتفاع الساحل لما أمكن تعال هذا الامر وان قيل ان هذه المراسي ما لبثت بالصخور والاطلال على عهد الامير فخر الدين المعني . قلنا ان هذا الواقع قد تناقله قوم من الكتبة الجديين ولم يسندوه الى مورخ ثقة . فلو صح لما سكبت عنه كتبة زمانه او احد القناصل والتجار الاجانب الذين كانوا يتاجرون في بلادنا على عهد . والارجح عندنا ما قلنا وهو سبب طبيعي ثبت اليوم بالبحث الصحيح ومن ثم لا نرى سنداً لما ترويه العامة عن فخر الدين انه غمر مرسى صيدا بالاطلال والصخور



هذا وقد اشرنا غير مرة الى قول الجيولوجيين بان بيروت كانت في الاعصار  
الفايرة جزيرة تحيط بها المياه بحيث كانت هذه المياه توصل خليج الحضر بوادي شحرور .  
أما اليوم فبين هذين الطرفين سهول ممتدة ليس لوجودها تعليل آخر إلا ارتفاع تلك  
الامكنة . وكذلك قد وجدت في امكنة شتى ضرب من الحصى البحري المصقول  
والصدف منها على طريق الشام عند المطعم المعروف بلوكندة المطران ومثلها على  
منعطف الاشرفية عند مار ديمتري وهذه الامكنة تتراوح بين عشرة امتار الى ١٠  
متراً فوق سطح البحر فلا شك ان وجود هذه الآثار البحرية دليل على ان المياه  
كانت تغمر تلك المجالات ثم انحدرت بارتفاع ذلك المواقع

وعما سبق لنا قوله في مقالتنا عن مجاري لبنان الشهيرة ان سطح المياه عند مصب  
نهر الكلب كان سابقاً على منه اليوم وأيدنا رأينا بآثار السكك المصرية والاشورية  
والرومانية وكلها تروى في نقط تلو الطريق الحالية . ولا نظن ان الامم القديمة فتحت  
هذه الطرق في تلك المآثر الصعبة لولا انها كانت مضطرة الى ذلك بما وجدت من  
العوائق الطبيعية في سدها ولاسيما ارتفاع المياه البحرية والنهرية معاً . وهكذا يجوز  
شرح نص اسطرابون حيث قال ان نهر الكلب يمكن خوضه بالسفن وقد مر . وزد  
على ذلك ان في الطريق الرومانية التي هالك بقايا اصداف بحرية وحصى مدلوكة  
ملتصحة ببعضها . وهو دليل على بلوغ البحر الى تلك النشور في الازمنة السابقة  
للتاريخ . وعليه فتستق الاذلة على الطورين معاً . أما كون الطريقة المصرية فوق  
الطريق الرومانية والطريق الرومانية اعلى من الحالية ففي ذلك دليل ظاهر على ان  
تحدّر المياه وارتفاع الساحل كان تدريجياً بمرور الزمان

وكذلك ترى بين نهر ابراهيم وجبيل وبين جبيل والبتون نجى من الاصداف  
البحرية على علو عشرة امتار من سطح البحر حالياً . وذلك مما يثبت ايضاً قولنا عن  
ارتفاع الساحل

ثم اننا في مطاوي كلامنا عن أنفة ( راجع الجزء الاول ص ١١٦ ) ذكرنا لما  
خندقين عظيمين بُقرا في رأسها الذي بقرب موقع البلدة . واليوم اذا اعتبرت قعر هذين  
الخندقين اللذين يفصلان رأس أنفة عن السبى وجدت باسماً لا يتصل اليه البحر . وعندنا  
ان الامر كان على خلاف ذلك في عهد الفينيقيين وهم الذين قاموا بهذا العمل

العظيم ونحتوا الخندقين ليبلأها ماء البحر ويردوا بها غارات العدو من الجهة الشرقية عن المدينة التي كانت حصناً حصيلاً فان يبوستها اليوم تدل على ان الساحل ارتفع فلم تعد المياه البحرية تتصل بهذين الخندقين وكل هذه الأدلة والآثار التي ذكرناها قد جمعناها من امكنة شتى على الساحل الفينيقي مباشرة من مصب نهر القاسية الى نهر الى نهر وهي تبين على ان الساحل الفينيقي ليس فقط في الازمنة السابقة للتاريخ لكن بعدها ايضاً لم يزل على تصاعد متوالٍ والبحر على تقهقر وتحدور. وفي كل ذلك تتحقق السنته التي وضعها الحائق عز وجل فان البحر لما كان يطحن ويهني فيدمر بياحه الساحل حار لذلك فعل انعكاس من جهة الساحل بأن ارتفع واعتلى فظهرت الحكمة الاصطناعية التي جعلت للطبيعة سنته توازن القوى لا تتعداها. وفي درس الجغرافية ما يكشف لنا القناع عن هذه الحقائق والسنت التي فيها نظام الخليفة كلها

١٣

## السواحل اللبنانية

ألغنا في خلال درسنا لرسم الجبال اللبنانية الى السواحل الفينيقيّة قلنا ان من خواصها وحدة سياقها وجرها على خط مواز لجبل لبنان اللهم الا رؤوس قليلة كراس بيروت ورأس الشقعة التي تشذ نوعاً عن هذه الخطّة الموسميّة. وهذا فصل نفرد به لدرس تلك السواحل مباشرة بالشمال

\*

فان اطلقنا رائد الطرف الى هذا القسم الشمالي وهو الواقع بين مصب النهر الكبير ورأس الشقعة وجدناه بالمانة انه يخالف بقية الساحل في خطّه المتساوي. وما ذلك الا لسبب اختلاف يطرأ على وجهة الجبل كما سبقت اليه الاشارة في بحثنا عن رسم لبنان فترى الساحل يستدير على صورة هلال من حد مصب النهر الكبير الى الصغور المتواصلة التي تطفو فوق سطح البحر عند ميناء طرابلس وهو الجون المعروف بجون عكار. ولا غرو ان هذا الجون كان اضحى خليجاً كبيراً بعيد الغور بين جبل



النصيرية ولبنان لولا أن مياه النهر الكبير مع نهر عكاك والنهر البارد حالت دون ذلك بما جرفته من التربة التي ملأت تلك البطحاء فلما لم تجد هذه العوامل القوية كفوا يتصدى لها بعض المجاري البحرية أو مد البحر وجزره فطفت فعلها وكومت جروفها في تلك الوهاد التي كانت جديرة بأن تكون خليجاً ذات شأن أثير وفوائد اقتصادية جنة . إذ أن البحر كان يستطيع أن يمتد إلى داخل سورية ويصير لها بمثابة قناة بحرية أو كخليج قورتس يقرب البلاد الداخلية لاسيما وادي العاصي المنصب إلى المعاملات التجارية . وما أدراك أن هذا الخليج لو وجد لم يؤثر في تجارة بلاد آسية الغربية (١) فيحول إلى طرابلس كل الحركة التجارية وينزع عن صيدا . وصور سيطرتها البحرية

وجنوبي هذا الجون بين ميناء طرابلس وسفح الجبل سهول خصبة تكونت بما جرفه اليها من التربة نهر قاديشا على طول ممر الاجيال جارياً بذلك مجرى الانهار الثلاثة السابق ذكرها . وبفعلها اتصلت بالبحر الصخور التي بُنيت فوقها ميناء طرابلس وتحولت البقعة الى شبه جزيرة على شكل مربع غير متساوي الزوايا . والرمال قد سطت على الجانب الغربي من هذا المربع كفعلمها في غربي بيروت والسبب واحد غير أن رمال بيروت اوسع منها مجالاً واوفر كمية

وان سرت جنوبي هذه شبه الجزيرة رأيت الساحل يقترب من الجبل مستديراً على شكل جون آخر يحدّه جنوباً رأس الناطور . والدائرة الساحلية كلها جبال متواصلة لا يفصلها عن البحر سوى قطعة ضيقة من الرمال التي قدفتها الامواج . ثم يأتي ما وراء رأس الناطور خور صغير يليه رأس أنفة وهو دون رأس الناطور كثيراً لكنه اغرب منه صورة . وهو عبارة عن قطعة ارض مستطيلة طولها ١٠٠ متر في عرض عشرة امتار فقط ينصلها عن البر خندق تفره في الصخر الاصم على ما يظهر قدماء الفينيقيين . وذلك ان الفينيقيين كما لا يخفى كانوا من ارباب البحر فوجدوا في هذا الرأس ما يرغبون فيه لتقائهم البحرية اعني مرفأين تلتجى اليهما جنوباً وشمالاً سفنهم فتأمن من الانواء مع قربهما من الجون الشمالي ومن الخليج الجنوبي الذي بدؤه عند رأس أنفة منتهيها إلى رأس الشقرة



وفي وسط هذا الخليج الجنوبي المستدير على شكل نصف دائرة غير منتظمة سهول تكوَّنت من جرف الانهار لا يقل عرضها عن كيلومترين إلا أن المياه المنحدرة من الاودية المجاورة قد استنقعت في قسم منها لا تجده في مصبها من الرمال المراكمة الحاجزة بينها وبين البحر . وأما ترقى الفلاحة في تلك الانحاء قد زاحم منذ امد قريب تلك المستنقعات فحصرها وعلَّاه يديدها وبلاشيها لأن الزراعة تجرد في تلك القرية المتركبة من الواد الصلصالية والكلسية ما يصلح لنسوتها ووفرة مائتها . وعلى ظننا ان ناحية شكَّا سوف تُضحي من اخصب جهات لبنان وقد فتحت لها حديثاً طريق مسلوكة تصلها بناحية البترون والقائمات الجنوئية ريثما قبلها السكك الحديدية ويحدد هذا السهل في جنوبه ذلك الرأس المستطيل المرتفع على شبه جدار هائل يزيد رأس الشتعة الذي يشرف على البحر بعلو ٢٠٠ متر ونيّف . ومن نظر الى هذا الجبل الشاهق من جهته الشمالية اخذه الانذهال من غرابة صورته فيحسبه كدائرة عظيمة راسية في الرق مجهزة في مقدمها بعها ضخم كأنها على وشك الخروج لتسخر عباب البحر . وعند جنوبي غربي هذه الدائرة الغربية من جهة نهر الجوز سهل حشوش يفصلها عن البحر بمسافة لا يتجاوز عرضها نصف كيلومتر وتربة هذا السهل جيدة لولا ان قلّة الماء لا تسمح بتوفير مزرعاتها كسهل شكَّا . أما من جهة الجنوب فإن رأس الشتعة يشرف على وادي نهر الجوز ولا يفصله عن هضاب لبنان الشرقية الا اخاديد عميقة خُدت في تربة متركبة من الحواري وقطع الصوان شأن الجبال التي تتوسط بين ناحية الكورة والبحر . وبين تلك الاخاديد مسلك يُحد من اصعب مسالك لبنان واشدها خطراً لانه كثير الزاب تغوص الرجل في ارضه الوعثة صيفاً وتلج في طين الزرج شتاء .

فترى مما تقدّم ان رأس الشتعة كمكعب مرتفع معتدل من كل جهاته قريب من الشكل المربع المستطيل طوله مسير ساعة وعرضه نصف ساعة ومعدل علوه ٢٥٠ متراً ترى في قمته قرية حامات البالغة ٣٠٠ م . ومساحتها في اعلاه مستوية ذات آكام قليلة الارتفاع وهو ينحني انحناء خفيفاً من الشرق الى الغرب مع بعض الاودية غير العميقة من تلك الجهة يعرف اكبرها بوادي الغرب . ومياه الشتاء تجري في فصل الامطار منحدرة من تلك الاودية الى البحر . وليس ثمة ينابيع ماء والتربة قليلة

الخصب كثيرة الحجارة اللهم إلا بعض البطائح قريباً من دير النورية حيث الثرى قد خصب بما تساقط فيه من اوراق الشجر وبقايا النبات

وليس رأس الشقة متفرداً بما يخص به من الهبة الغربية فقط بل به تنوط مسألة أخرى تاريخية يُقتضى حلّ مشكلها زبد تعيين الطريق الرومانية التي كانت تمرّ هناك وتصل بطرابلس . وهي طريق لاشك في وجودها وقد وجدنا منها آثاراً باقية فوق حثوش على رأس الشقة . فنرى من أي جهة كانت هذه الطريق تنحدر الى سهل شكراً ؟ ومثلاً لا يُنكر ان منعطف هذا الرأس من جهتيه الشمالية والجنوبية لا يمتثل طرقاتاً مساوكة لعودتهما . أمّا عتبة المسيلحة فانها كما سبق غير مطروقة شتاءً وصعبة المسلك في بقية فصول السنة . فهل ياترى قد درست آثار الطريق القديمة بطوارى الحدان لاسيما بفعل الزلزلة التي حدثت على عهد يوستينانوس فذلك . رأي زنتيه ولا نعلم ما فيه من الصحة . وأما عرضناه انظر العلماء دون بت الحكم فيه

أما اسم رأس الشقة عند الاقدمين فهو كما أُلغنا اليه سابقاً « ثيويروسيون » ومعناه باليونانية وجه الله . ودُعي ايضاً « ليثويروسيون » اي « وجه الحجر » وفي هذين الاسمين على الأرجح اشارة الى اسم الاله الفينيقي القديم . وفي جنوبية الغربي قرية صغيرة تدعى حتى الان وجه الحجر وبهايك به اشارة الى اسمها السابق . والحجارة كما لا يخفى كانت من معبودات الاقدمين . ولنا في صور مثال على ذلك لأن معنى الصور الصخرة كما هو معلوم وصور ايضاً من الكلمة السوريين (١) وما هو اصرح من ذلك ان عرب الجاهلية كانوا يعبدون الها باسم الحجر . فيكون مدلول ثيويروسيون وليثويروسيون ووجه الحجر اعني الاله الحجري . وقد كنّا في ما مرّ ارتأينا ان هذا الرأس هو ما دعاه الاسوديون « بعل الرأس » أمّا فنكار فقد زعم ان بعل الرأس هو مضيق نهر الكلب ولا نعلم على أي سند يؤيد زعمه . وابعد من ذلك زعم حضرة الاب لا شرج في كتابه عن الديانات السامية ان بعل الرأس هو رأس الدامور . والوطنيون يدعون رأس الشقة وكان بخارة الفرنج يعرفونه باسم « رأس وجه » فصغوره ودموه كايوج ( Capouge ) وكابوني ( Capponie ) وكاب ننج

( Cap ponce ) وكاب روج ( Cap rouge ) كما اشرنا الى ذلك سابقاً . وزعم  
ريشان انه دُعي باسم كاب مادون ( Cap-Madonne ) . فيكون في هذا الاسم  
اشارة الى ديو سيدة النورية . وكان الملاحون يهايون هذا الجبل ويتخفون الرياح  
التي تهب في جوارحه . ولذلك ترى في دير النورية نذوراً للملاحين نذروا بها عند  
الانواء وقاموا بوفاتها . وقد اختبرنا نحن ايضاً غير مرة في اسفادنا قوة الرياح في هذه  
الجهات بحيث كانت مراكبنا البخارية نفسها تشرع بفعلها فاذا ما اقتربت منها تحركت  
بحركة غير مألوفة

\*

ووجهة الساحل من مصب نهر الجوز وناحية البستون تعود الى خط الجنوب  
الغربي تابعة في سيرها ووجهة قطب الجبل الاصلي بكل دقة كما يتحصل من مجرد  
النظر الى خارطة جبل لبنان . اما تركيب الساحل فيتراوح بين الصخور والبطشع  
الرملي المختلفة السعة

واذا جاوز الساحل مدينة جبيل استدار على صورة خليج واسع قريب القعر  
مركزة عند نهر ابراهيم ونهاية استدارته عند رأس المعامتين (١) وهذه استدارة الساحل  
توازي استدارة قطب الجبل الاصلي وتغيره عند جبل النيطرة وذلك يمتضي قاعدة  
راحة اثبتناها سابقاً في رسم جبل لبنان . وكذلك خود جونية فان استدارته توازي  
ما حصل لقطب الجبل من الانواء بين النيطرة وصنين شرقاً . وصنين يبرز هناك على  
صورة مثلث له على الساحل زاويتان وهما رأس صربا ورأس نهر الكلب . وهو  
يؤثر في وجهه الساحل الذي يعدل من الجنوب مائلاً الى الجنوب الغربي

ورأس نهر الكلب احرى به ان يُعد كدعامسة للبنان وهو يحدد النهر جنوباً  
ويدخل في البحر . وان اعتبرته في جهته الغربية من جهة البحر وفي جهته الشمالية من  
صوب النهر وجدته منتصباً كجدار قطع عمودياً والامواج تلاطم اسفله . وصخوره  
تلامس البحر وهي كثيرة الخاريب متقطعة منخرودة مقعرة وذلك بلا شك من عمل



البحر فيها في الازمنة الغابرة اذ كانت مياه البحر المتوسط تغمرها لعلو سطحه فوقها . ولما هبطت المياه وصارت الصخور باردة عملت فيها العوامل الجوية مواصلة لعمل المياه . ثم كان لابد من نحت هذه الصخور لتسير فيها طرق الساحل فتقوت طرق متعددة . منها طريق العجلات التي تجري قريباً من البحر وهي تدور حول رأس النهر وفوقها السكة اللبنانية الحديدية تجري على خطر موارٍ لطريق العجلات . واذا رقيت الى نحو ٣٠ متراً فوق سطح البحر وجدت الطريق الرومانية منقورة في الصخر على عهد مرقس اوريليوس تشهد عليها كتابة جميلة تُرى حتى يومنا عند الجسر الحديث وهذه الطريق يوصل اليها بدرج منحوت في الصخر وهي تستدير مع عطفات الجبل . وفي ذروة هذه الصخور اقدم الطرقات الساحلية وهي التي سلكها الاشوريون والمصريون بجنودهم تدل عليها أنصاب عديدة فيها كتابات مسمارية وهيروغليفية . وقد مر ذكرها

ثم تجد في لبنان وادياً مشعاً بسين جبلي صين والكنيسة يوازيه خليج مار جرجس او خور الحضر . ويبدأ هذا الوادي حديثة مستديرة شرقاً يجاريها اكبر الروس الفينيقية وارجحها اعني رأس بيروت . وقياس جهة هذا الرأس الشمالية مباشرة بالصخور القائمة فوقها المسلخ الى الرية التي تعلوها المارة لا يقل عن ستة كيلومترات وثلاث هذه المسافة تشغلها البنايات البيروتية . فيكون مقام هذا الرأس مما يجدي خصوصاً بيروتنا حسناً ويجعل وضعا من ابداع موقع المدن الساحلية . وطبقات هذا الرأس السفلى تتدكّب من صنف من الطباشير كثير التفشّث يجسع اقسامها ملاطاً من الطران . وامواج البحر قد نفذت الى هذه الصخور وتشتت اوساطها وتركبت سقفها بلا دعائم تسندها . ولذلك ربما تداعت هذه الصخور وهبطت وانخفضت بفعل تلك العوامل الخسافاً لا يكاد يصدق به من لم يماينه . ومما يشهد على ذلك صخور ترى في وسط البحر وليست هي الأبقايا جزائر فصلتها هذه العوامل الشديدة عن الساحل . ولنا شاهد حسي على قولنا في جزيرة الحمام جنوبي رأس بيروت . وهناك أيضاً كهفان شهيران تكوّنا على هذا النمط عين . ولا شك ان سقفها يسقط عملاً قليل كما جرى للكهوف المجاورة التي تُرى اليوم على شكل نصف دوائر او على صورة جسور طبيعية الى غير ذلك من الهيئات الغريبة التي سبق لنا الكلام فيها

وفي جنوبي غربي هذا الرأس تمتد رمال بيروت التي يبلغ معظم طولها سبعة كيلومترات في عرض كيلومتر ونصف . وقد بيّنا في ما مرّ تركيبها وأصلها البحري وهي تحف على بيروت من الجهة التي تنتهي عندها الصخور ولعلها تنحدر بفاراتها حدائق المدينة لولا أن غابة الصنوبر تردّ قسماً منها

وجنوبي شبه جزيرة بيروت يعود الخط الساحلي الى استقامته المألوفة لا يخالفها سوى بعض ركاب الصخور تنصب من مسافة الى اخرى اخضها رأس الدامور عند نهر الدامور ثم رأس جدره في وسط الطريق بين نهري الدامور والأولي ثم رأس الرميصة بقرية من الأولى وهذه الرؤوس الثلاثة تحزن تجاورها وفي أثرها أخيراً رأس صرند بين صيدا والبيطاني على نحو نصف الطريق بينهما وبعد هذا الرأس لا يخالف الساحل الخط المستوي الى نهر القاسية

\*

قد لحظ قراءنا في ما سبق أنا من وصف الساحل الفينيقي أنما لم نأت بذكر الجزر وعدم وجودها مما يزيد في وحدة اتساق هذا الساحل . على أنه في مرفأ طرابلس من جهتها الجنوبية الغربية عدة جزر تدعى أكبرها النخلة وهي تبلغ نحو مئتي متر بارتفاع وقد فكرت الحكومة السنية غير مرة بنقل الحجر الصحي والبضائع المؤونة إليها ومع قلة الجزر في سواحلنا قد توقرت الصخور البحرية وهي كانت سابقاً متصلة بالساحل لاسيما بالرؤوس البحرية . وكثير منها لا تطفو فوق المياه وفي مصادمتها خطر متواصل للسفن التي تلامس نواحيها وخصوصاً اذا جرت قريباً من الرؤوس المذكورة

ومما سبق يلوح جهاراً بأن السواحل الفينيقيّة لم تعدّها الطبيعة لتجارة البلاد والسكنى قوم من البحّارين اذ لا شكّاد تجد عندها مرفأ صالحاً كما أنه ليس فيها نهر داخلي يمكن خوضه . هذا فضلاً الى استقامة خطها الساحلي الذي تكثر فيه الرؤوس والصخور دون خلجان او اخوار تأوي اليها المراكب ودون جزيرة قسّلت اليها انظار البحّارين

ومع كل ذلك ترى التاريخ يشهد لعظم تجارة الفينيقيين واتساع نفوذهم ووفرة مقايضاتهم . أفليست مناقضة بين هذين الأمرين ؟ لا لمعري لأنّ لفينيقية موقعاً خصّت

به دون غيرها وذلك لتوسطها بين جهات الممالك الشاهانية ووقوعها في طرف آسية غرباً فتجتمع بين الشرق والغرب . وان قيل ان جبل لبنان حاجز شاهق يحول دونها اجبتا ان لهذا الجبل في شماليه وادياً عميقاً وهو وادي النهر الكبير يمكن القوافل ان تسير في بطانه فلم يسهُ الفينيقيون عن طريقه مع ما طبعوا عليه من التفنن في ترويض الصنائع التجارية . فان اهل فينيقية ادركوا ما خص الله به من حسن الموقع مواطنهم فكثروا وجدوا التحسين شروعاتها والتعويض عما ينقصها . ولذلك جزوا في مسالكها الطبيعية وفتحوا لها مرائي صنائعية كافية لسفن تلك الاعصار وهي زوارق مسطحة قليلة العمق كان يكفيها ما لا يكفي في زماننا للسفن المتوسطة الكبير

ومن فحص المدن الفينيقيّة وتبحر في وضعها السابق استدل على ان اصحابها كانوا من مهرة البحارين كما نعرف قوة اجشعة الطائر بملو طيرانه وسرعة جريه . وما لا ريب فيه ان البحر كان موطن الفينيقي وكان لا يرى في البر الا مقاماً مؤقتاً يبني فيه كالطائر عشه لتأوي اليه حيناً فراخه ثم يعود ذاك البحر فيخوض مجاري البحر بارتياح كما تجد السمكة راحتها في غمر المياه

وهذا ما حمل الفينيقيين على ان يستخيروا لسكنائهم الالسنه والرووس الداخلة في البحر وان قل ماؤها الشرور او بعدت عن مصب الانهار اللهم الا بعض مستعمراتهم كبروت التي توفرت المياه في آبارها فاشتتت منها اسما . واستوطنوا بعض جزر كصور وصيداء اللتين كانتا سابقاً في جزيرتين . اما الغالب على المدن الفينيقيّة فبنائها على الرووس البحرية وذلك لسببين يسان البحارة عادة الاول ان السفن تكون وراء هذه الرووس في مأمن من تراكم الرمال الذي يحصل قريباً من مصب الانهار والثاني ان المياه تكون ثمة ابعد غوراً من امكنة سواها . والدليل على حسن اختيارهم لهذه المواقع ان مقام المدن الساحلية لم يتغير منذ نحو اربعة آلاف سنة ولم تنشئ الشعوب التي خلفت الفينيقيين مدناً غير ما سبقهم اليها الفينيقيون وان كان بعض المدن القديمة قد انحط شأنها انحطاطاً كبيراً

\*

هذا وقد بقي علينا البحث عن امر آخر له علاقة مع وصفنا السابق لسواحل



لبنان . نريد الكلام عن المرفأ التي تفتح للمدن الساحلية ممالك تجارية مع باطن البلاد وتقرّب الوسائل لمواصلة الاطراف القاصية والجمع بين الالهين وان اعتبرنا اول مدينة من فينيقية الشمالية اعني طرابلس الشام وجدناها خالية من المرفأ مع ان الطبيعة قد خصت طرابلس بما يجعلها من أهم المدن . فان مرفعها قريباً من وادي نهر الكبير ومركزها المتوسط بالنسبة الى جهات سورية لاسيما قربها من وادي العاصي واتصالها بالبقاع والنحاء دمشق لما يتجد بينهما من السهول الجامعة بين اقصاهما فان بُني لها مرفأ واتصلت بها اسلاك السكك الحديدية اضحت إحدى حواضر بلاد الشام بل جاز ان تكون مرفأ حلب وهي اخرى بذلك من بيروت والحائل الكبير دون ايتنا . ذلك المرفأ في طرابلس لا تكون الامر مستحيلاً بل لا يقتضيه من النفقات الباهظة . ومما لا ينكر ان الصخور الطافية على وجه البحر من جهة الغرب يسهل استخدامها لصيانة هذا المرفأ من الريح الغربية التي يكثر هبوبها في سواحلنا . وكذلك يمكن ان يُسند الى هذه الصخور شمالاً حاجز يقوم في وجهه الامواج الشمالية . لولا ان ابتناؤه يقتضي مبالغ عظيمة لتمد قعر البحر من جهة الشمال وهو يبلغ ضعف عمق بيروت اعني ثلاثين متراً ثم ان شاطئ البحر على طول كيلومترين قليل الماء فيستلزم لاصطناع مرفأ اعمالاً ترابية مهتة . وقد فكرت الحكومة السنية غير مرة باصلاح مرفأ طرابلس . فمن ذلك ان صاحب الدولة فحسي حسن باشا وزير الخارجية وضع للحكومة السنية تقريراً يبين فيه ضرورة ابتناؤ مرفأ طرابلس وقدر النفقات لهذا المشروع بنحو ١,٥٠٠,٠٠٠ فرنك . وعادت إحدى الشركات الوطنية الى النظر في هذا الامر سنة ١٨٨٩ وبجئث عنه وعن السكة الحديدية بين طرابلس وحمص لا بين المشروعين من العلاقة اللازمة فكانت نتيجة البحث انه يلزم لذلك ١١ مليوناً من الفرنكات ولعلّ ضعف هذا المبلغ لا يفي بالرغوب وان نظرنا الى البترون وجدنا ان وضعها الجغرافي لا يناسب فتح مرفأ فيها لوقوعها قريباً من رأس الشقعة وفي سفح مشارف لبنان الشاهقة . وزد على ذلك ان شطأها كثير الصخور . وان صح قول المؤرخ مالالا ان الزلزلة التي حدثت على عهد يستيان أجدت البترون مرفأ فذلك قول لا يمكن بيان صحته اذ لا نجد اليوم له اثرأ بل نستحيل الدلالة على مكانه

ولجبل مرفأ صغير طوله مئتا متر في عرض مئة متر (١) وليس من حاجة الى توسيع نطاقه لقلة الحركة التجارية فيه ولعدم اتصاله بالأراضي الداخلية أما جونبة فقد مرّ الكلام عنها سابقاً فلا نعود اليه . وكذلك نضرب الصفح عن بيروت ولها المرفأ المعروف الحديث النشأة الكافي لتجارتهما الحالية . فلم يبق لنا تمام هذا الفصل سوى البحث عن مرفأ لصيداء.

يلوح أن مدينة صيداء القديمة كانت جزيرة كما كانت صور رصيفتها وكان لها مرفأان أحدهما في جنوبها والآخر في شمالها . وكان الأول يُدعى بالمرفأ المصري وقد تراكمت فيه الرمال التي سفلها الرياح الجنوبية الغربية من جرف النيل فانسد بحيث لا يمكن استعماله . أما المرفأ الشمالي فاحسن وضعاً تصونه صيانة كافية الصخور التي تمتد حوله . إلا أنه صغير طوله ٦٠٠ متر وعرضه مئتان ولا تدخله إلا المراكب الشراعية ولما عاد الى صيداء قسم من حياتها التجارية في القرن السادس عشر كانت السفن ترسو شمالي هذا المرفأ في نوح من البناء مفتوح من الطرفين ووراء جزيرة صغيرة من الصخور التي فوقها كان بُني قصر قديم . وكانت السفن في مأمن من الرياح الصرصر التي تهب من الجنوب الغربي إلا أنها كانت معرضة للرياح الشمالية ونبت هي دونها خطراً . والرسو في هذا المكان صعب جداً لأن قعر البحر هناك صخري لا تناسب فيه الراسي فضلاً عن أن القلوس كانت تغني بالاحتكاك . ألا أن هذا المرفأ كانت تحميه قلعة مبنية على صخر بحري بإزاء البلدة وهي متصلة بالجزر بحجر متعدد القناطر (٢) . أما اليوم فليس هذا المرفأ بكافٍ للسفن البخارية لقلة عمقه ولذلك ترسو بعيداً من الشاطئ.

وبقي هذا المرفأ مع خله الى غاية القرن الثامن عشر مودداً تتقاطر اليه السفن التجارية . وكانت تجارة دمشق تنصرف اليه ، ثم بطل بفعل الزمان . وعندنا أن هذا المرفأ قد سدته العوامل الطبيعية . وإن قيل أن لصيداء مرفأ داخلياً يمكن اصلاحه

(١) راجع رسمه ص ١٥١

(٢) راجع كتاب المسير ماسون (Masson) عن التجارة الفرنسية في البلاد الشرقية

اجبنا أن الأمر ليس به سهل مهما قاله السيولورته في كتابه عن سورية (ص ٩٨).  
أما المرفأ الشمالي السابق وصفه والمصون بقاعة البحر والجسر ذي القناطر فإن أراد أحد  
اصلاحه عجز عن ذلك ان لم يضع حجرية موازية للشاطئ يبلغ عرضها ٦٠٠ متر ليكون



صورة مرفأ صيدا.

١ المرفأ الشمالي ٢ قلعة البحر ٣ بقايا الرصيف القديم ٤ المرفأ الجنوبي • جزر صخرية



ثمة عرق المياه ستة امتار ثم يقتضي ابتناء سد يستند الى القلعة ومع كل ذلك يكون هذا المرفأ عرضة للرياح الشمالية . وعليه فأننا نرى مع الانكليزي لوفت كامرون ( Lovett Cameron ) ان هذا المرفأ لا يكون موافقاً للتجارة ما لم تُنفق عليه النفقات الطائلة (١) . اما البلاد الداخلية المتصلة بصيداء فقليلة الحصب . ولا أمل في جعل هذا المرفأ فرضة لدمشق اذ ان بين صيداء ودمشق حواجز من الجبال كما بين دمشق وبيروت . وعندنا ان هذه النفقات لو صرفت على طرابلس لكان الريح اوسع والنفع اعم وافه اعلم

## ١٤

## لمحة اقتصادية

## في مجاري المياه اللبنانية

قد ذكرنا غير مرة في ما سبق من كتابنا ان لمجاري المياه في لبنان عوائد جنة ودوراً مهماً في اقتصاد الاهلين . الا ان كلامنا هذا كان منبثاً في مطاوي الجائنا السابقة ولمعلّم لم يستلقت اليه انظار القراء . فرأينا العود الى هذا الموضوع احد اعظم شأنه ولذلك افردنا له فصلاً مفرداً نبين فيه ما تحويه هذه المياه من الكنوز الدفينة التي جعلتها العناية الالهية في ايدي الوطنيين ومن ثم نبحت اولاً عن المبادئ العمومية التي يستند اليها هذا البحث ثم نتبع مجاري المياه فرداً فرداً لنترى ما يستفاد من كل منها وذلك خصوصاً على ثلاثة وجوه : إما بالري لتسقي المزدروعات التي تلبس دون الماء . وإما بتحريك ادوات المعامل بدلاً من النعم واصناف الوقود . وإما بنقل الماء الشروب الى المدن الكبرى المحتاجة الى مناهل يستقي منها السكان

## ١

## المبادئ العمومية

قد اتاح الله لبلاذ سرورية قوى طبيعية عجيبة لو استفاد منها الاهلون لوجدوا فيها موارد ربح لا تغني لولا ان هذه القوى تذهب سدى وتتلاشى دون فائدة بحيث يصح القول انه ليست الطبيعة تقدر عن خدمة الانسان وانما الانسان هو المقصر في استخدام قوى الطبيعة مع قرب مناخها . ولاحق يقال ان مجاري المياه اللبنانية كافية لان تحول بلادنا الى بقع زاهية يسعي شركات زراعية او تغنيها بالمعامل الصناعية فيقتات من ارباحها الوف من السكان الا انها تنحدر في الغالب الى البحر بلا فائدة او تستنقع في البطاح الموبسة لا يستثنى من هذا الحكم الا نهر او نهران يستغرف اللبنانيون مياههما لري المزدريات . اما نتيجة هذا التهامل فبنست النتيجة اذ ترى الارض في فصل الشتاء مغمورة بالمياه المفرطة المضررة بالزراعة وبالصحّة العمومية معا وفي الصيف تنقص المياه وتنضب الى ان تيبس البقول ويتلف اهل بعض المعاملات عطشا مع قطمانهم

ومائدة المياه ظاهرة في الزراعة لا يحفل ضرورتها احد . بيد ان قليلين يدركون غلة ذلك وبأي طريقة تعمل المياه في النبات

ان عمل المياه في الفلاحة يكون خاصة على وجهين مختلفين : الاول برودته والثاني بتركيبه الكيميوي . وذلك ان الماء اذا نفذ في الارض لطب حراتها واجلأ نحو النبات ولولا السقي لركا قبل اوانه ويبس دون ان ينال من الغذاء ما هو ضروري لنموه الثاني . ويصيب ما يصاب الولد اذا نشأ وكبر قبل السن الطبيعي فرئسا اذاه ثموه الى ان يئس . فكذلك النبات لا يأتي بشمر او يكون ثمرة قليلا فانها . وقد ادرك العامة هذه الحقيقة في بعض امثالهم الشائعة فقالوا عن البذور النامية بسرعة وافراط « طريل بلا غلة » لعلمهم بان الزكام الظاهر ليس بدليل على كثرة الاثمار

اما كون الماء يغيد النبات بتركيبه الكيميوي وجوهره فذلك لانه يساعد النبات على تحليل المواد المغذية وتركيبه منها اجزاء الكربونية وعلى امتصاص الاملاح المعدنية من الارض بما يجدي به النبات من الرطوبة . ولعل فعلة لشدة اقوى بما يجرفه في

سيره من التربة ويسحب من بقايا النبات والاجرام المختلفة . وهذه المواد الجروفة تحتوي عناصر محصية اذا ما رسبت واختلطت بالتربة الزراعية اصلحتها وصارت لها بمثابة السماد وربما بلغت كمية هذه التربة التي تجرفها الانهار الوف الوف من الطنات . قال اليزاي ووكلو في جغرافيته ( ج ٢ ص ٦٧٨ ) : ان نهر دورانس احد انهار فرنسا الجنوبية يجري في السنة نحو ١٨.٠٠٠.٠٠٠ طن من التربة الجروفة وذلك ما يساوي مكعباً جهاته ٢٢٠ متراً رسبت على سطح مقياس في طبقة سمكها سنتيمتر واحد فكان متسع الارض التي يخصبها في السنة مئة الف هكتار . وهذه التربة الجروفة معدة احسن بإعداد لسوء النبات تستخلص جذوره منها كمية من الازوت المغذي اكثر من كمية ١٠٠.٠٠٠ طن من سماد القواف المعروف بخصبه . فلا غرو اذا كررنا مع الطبيب الشير داوريشلي : « ان الطين الذي تجرفه المياه اثن من رطل الذهب » . وامل ذلك ما دعا قدماء السوريين بان يسموا « نهر الذهب » ( *Nezher-e-Zohab* ) بعض الانهار التي تجري في بلادهم كنهري بردى في دمشق ونهر جرش ما وراء الاردن والنهر الذي كان يجري بجوار مدينة لوقاس ( وهي مدينة لم يحدد موقعها حتى اليوم ) فليت شعري من يمكنه ان يشك ما انت يدركه هذه المياه من الكنوز الزراعية منذ مئتين من السنين . أفليست هي حقيقة اثن من معادن الذهب التي تفنى كنوزها بعد مدة قليلة ؟

ولنا في النيل مثال قريب عن منافع هذه الجروف التي تسحبها الانهار فان هذا النهر العظيم في فصل الفيضان يدحو كل يوم ما يفيد عن الف الف كيلومتر من المواد التطرونية ويصبها في البحر وهو مع ذلك يخصص في طريقه مسافات قدرها ملايين من الفدادين . ومع اننا لانعلم بالضبط بطريق التحليل الكيموي ما تحتويه المياه السورنية من الثروة المعدنية الا انه لا مردور انما غنية بها وكفاك دليلاً ما يستفاد بالمقاييس . فان الاختبارات الجيولوجية في اوربة بينت ان معدل ما يدخل من نيترات البوتاس في متر مكعب من مياه العيون والانهار الجارية في الجبال المركبة من الطبشير يبلغ ١٣ غراماً اما النسبة فتختلف بين ستة غرامات الى ستين غراماً ومعلوم ان عنصر الطبشير هو الغالب على جبالنا فلا بد ان تكون نسبة نيترات البوتاس في مياهنا اقرب الى ستين غراماً لارتفاع درجة الحرارة عندها . فترى من ذلك ما تكسبه السهول المركبة عادة من الصالحات اذا اختلطت فيها هذه المواد الطبشيرية لان الصالحات



أما تخصب العناصر الكلسية التي تحملها المياه . ومن ثم ينبغي على الاهلين ألا يفقدوا شيئاً من هذه الكنوز ولا يدعوها تسقط في البطائح او تنصب في البحر دون فائدة هذا وأنا نعلم ان كل المياه لا تصلح لتدسيم التربة لأن ذلك منوط بتركيبها ألا أنها كلها تطفئ الحرارة بطاوتها وتفيدها نداوة وتريدها خفة وتسهل فلاحتها للناس والمهائم ثم تحلل العناصر الخصبة فتنفذها في بطن الأرض وتقسبها اقساماً متساوية وتريد مرافقتها وغلاتها على قدر ارتفاع درجة الحرارة حتى ان التربة يمكنها ان تأتي في السنة الواحدة بفلتين متواليتين بدلاً من غلة واحدة غير مستوفاة في الاراضي اليابسة وذلك دعماً عما يطراً على الهواء من التقلبات الجوية . فهذا المعوي نفع جليل لا يوازيه آخر فكهم رأينا من الزرع المغقودة أما قلّة الامطار او تأخر وقوعها بعد ان امتصت حرارة الصيف نداوة الترى . وخلاصة القول ان السمي النظم هو الذي يزكي المزرعات ويبرد لظى القيظ بطراوة مناسبة لكل قطر ويغني التربة بالسهاد بجائاً ويحافظ العناصر فيخصبها بلا نفقات ويكثر غلاتها بلا تعب ويأتي اخيراً بالثروة والراحة (١)

ولهذه الانهار في غير بلادنا نفع آخر لم نحصل نحن عليه وهو خوض هذه الانهار وركوبها بحيث تصير كطريقة للمواصلات التجارية . وقد حُرمتنا ذلك لاسباب منها قلّة مياه هذه الانهار او بالاحرى هذه الجداول واختلاف كثيتها في فصول السنة . اجل ان بعض هذه المجاري كالنهر الكبير والبيطاني كثيرة المياه في ينايرها ورووس عيونها ألا انها تجري في المضائق وبين الجداول والصخور التي تعيق مسيرها فلا يمكن ان تحوّل الى مجار مستقيمة السير متساوية العمق مستوفية لشروط الملاحة وقد شبهها الاقدمون

بضواحي السباع الثمرسة الطباع من اسد وذئب (٢) لشدة جريها ولذفاعة مياهها فبعد هذه المقدمة هلمّ نبحث عن كل نهر بانفراده لنستدل بوضعه عن القوائد التي يمكن نوالها من مياهه من حيث الرجوه الثلاثة التي سبق ذكرها اعني الري وتجريك المعامل وتزويد المدن بالمياه

(١) راجع كتاب الاديب ودع مدور المعون سورية الزراعية (La Syrie agricole) P. 74, 84-85

(٢) دعا الاقدمون نهر الكلب باسم نهر الذئب (λύκος) والبيطاني نهر الاسد (λέωντος) (راجع كلامنا السابق (ص ٢١))

## كيفية الانتفاع من الانهار اللبنانية

فلنباشرن بالانهار الجنوبية وأولها ( الليطاني ) وبنا ان هذا النهر يجري باديء  
 بده في السهل فلتبحثن عن جريه في البقاع وخصوصاً عن ضفته الغربية لأن الضفة  
 الشرقية لاحقة بالجبل الشرقي ثم تنبعه الى مصبه في البحر  
 ليس نهر الليطاني قبل بلوغه العلقه إلا مسيلاً قليل المياه بطي السير لا يفيد  
 الزراعة افادة تذكر فيستفيع في السهل وانما يضيحي مجراه حيثما ما وراء معاقمة زحمة  
 حيث ينصب فيه البردوني والبردوني نهر غزير لا تقطع مياهه صيفاً وشتاء تعدّه التلوج  
 الغراء المتجمعة في قم صين وهو كافٍ ليس فقط لان يحرك الطواحين التي ترى اليوم



نظر الليطاني قريباً من قرية برغن



في طريقه ولكن يمكنه اذا بُقيت له قلعة حسنة ان يزود بالماء الشروب كل مدينة زحلة ومماقتها اعني ٢٥,٠٠٠ نفس . وهو على خلاف ذلك لا يستعمل الا كمجرى لاوساخ المدينة فتري مياهه الزلاية عند معينها تنصب متعكرة سوداء في الليطاني . فبالت شجري وهكذا كنفقد كلوز هذا النهر الذي لا يقل طول مسيره عن ٢٤ كيلومتراً ؟

واذا سرت ونهر الليطاني جنوباً وجدته يزداد ويقوى بما يجري اليه على طفتيه من السواعد كشتورا ونهر عين جار ومياه قب الياس وعين قلعة المضيقي الى غير ذلك من الجداول الصافية المتحدرة من لبنان ومن الجبل الشرقي الغنية بالاراد الكلسية . وهذه المياه لو اتخذت لستي سهل البقاع لنعنت تربته الصالحة واصبحت لولا ان هذا النهر يبلغ حينئذ في طرف السهل الجنوبي الغربي مضيقاً بعيد القور مرتفع الضفتين بحيث لا يمكن الاستفادة منه لا للزراعة ولا للصناعة . وبعد اجتيازه في هذا القور العميق يندفع بقوة عظيمة وهو عند مخرجه يدعى بالقاسية ثم لا يزال جارياً حتى ينفذ في البحر ولو سعى بعض اهل الهمة لامكنهم ان يستفيدوا من مجراه فيسقوا الضواحي القاحلة التي بين صور ومصب هذا النهر فيكسبوا الزراعة مساحة تبلغ ستة كيلومترات طولاً في عرض كيلومترين يتف ويحولوها الى بقعة كثيرة المرافق طيبة الاثمار كقيمة صيداء المشهورة بغصبا وهي اوسع منها خمسة او ستة اضعاف . وما خلا السقي يجوز ايضاً استعمال هذه المياه للمعامل الصناعية بان تحصر وتجعل على شبه شلالات متحدرة

\*

(الزهراني) هو من اطول الانهار اللبنانية مسيلاً ومياهه قليلة لاسيما في فصل الصيف . واذا بلغ الجهات السفلى اذار نحو ثلاثين طاحوناً وسقى بعض الحقول . لكن كثيراً من مياهه لا تأتي بائدة فلو استعملت لستي السهل المنبسط عند مصبه لأضحت حدائق صيداء ثلاثة اضعاف ما هي اليوم وزادت ارض الفلاحة نحو الف هكتار بدلاً من الارض البوار التي تروى هناك قاحلة باسفة لا يزكو فيها ذرع الأهم الألقا قليلة السعة تأتي بغلات ذابرة

واعلم ان مسيل الزهراني عند اقترابه من البحر هو دون سهل صيداء فاذا عزل



الاهلون على استخدام مياههم ينبغي لهم ان يبتنوا لها قناة في علو الوادي فيقتسمونها على مقتضى حاجات ارباب الفلاحة . وحري بهذه المياه وان كانت اقل من مياه الاولى ألا تترك سدًى ولا تحمل فتتجمع في مستنقعات وبنية . وكان الرومان قد ادركوا نفعها فوضعوا للزهرا في قناة عند عينه تراها منقودة في الصخر وهي تتصل بقناة أخرى مبنية بالحجارة المسطحة تتبع الوادي وتدور حول الجبل متواصلة بصيداء . ومن المرجح ان اهل صيداء قديماً كانوا يشربون من مياه هذا النهر فيفضاؤونها على مياه الاولى ولذلك لم يأنفوا من كثرة التفقات جلبها من معينها (١)

(الاولى) من الانهار التي يقدر نفعها الاهلون . كيف لا وهو غزير المياه يستلقت اليه الانظار بوفرة مادته . وقد عرف الشيخ بشير جنبلاط في اوائل القرن التاسع عشر ما لهذا النهر من الجدوى فاتخذ له قناة جعلها عند نبعه الباروك فجلب الماء الى المختارة وقسمها من ثم بين القرى المجاورة فاحالها الى جنات غناء تشبه غور دمشق الشهير بنحسها . وفي وادي بسري قناة اخرى قديمة تجمع المياه لمنفعة اهل صيداء فيستخدمونها لسقي البساتين وشرب السكان . ثم تنفذ في قناة تحت الارض وتسيل الى البلد حيث يستفيد منها الصيداويون لخدمة نحو ٨٠ بناية عمومية من مساجد وكنائس وحمامات ونعم الى ٩٢ مأسورة فتسقي كل احياء البلدة . واذا اضيفت الى ذلك عدة طواحين تديرها المياه عرفت غاية ما يناله الاهلون من الاولى . الا ان هذه المنافع بالنسبة الى غزارة النهر قليلة اذ لا يستفيدون الا من ثلث مياهه فيضيع منه ثلثان في البحر . ولو شاء الصيداويون لأمكنهم ان يربحوا من هذا النهر فوائد جمة بنفقات قليلة فيخذوا المياه المفقودة لعامل شتى ولتوسيع نطاق بساتينهم التي هي مورد ثروتهم

(الدامر) يصح فيه قولنا عن الاولى . فان هذا النهر كثير المياه غير ان معظم مياهه تنصب في البحر بلا نفع . وان امكن النظر في الخدم التي يودعها وجنتها قليلة بالنسبة الى وفرة مادته فانه في سيره الاعلى وعلى مقربة من مصبه يدير عدداً من الطواحين . أما بين هذين الطرفين اي من جسر القاضي الى السهل فانه يسير في وادٍ

عميق ضيق لا يمكن تجهيز الطواحين عنده . وقد كان الأمير بشير عمر الشهابي ابني قناة من نهر الصفا احد سواعد الدامور وجو ماءه الى بيت الدين فانتفع به اهلها واهل دير القمر . وهذه القناة لا تزال حتى اليوم تواصل خدماتها لسكان تلك الناحية . ثم ان مياه الدامور تسقي ايضاً مزارع الثوت في جهات العلقة وتجعل أرباضها كرياض فيحاء . وحداث غناء ينذر مثاها في بلاد الشام . على ان كل ذلك قليل بالنسبة الى ما يمكن تحصيله من هذا النهر فالو وسمت قنواته لاستطاع اصحاب المعامل ( انكر اخين ) ان يولدوا من تحدر مياهه قوة كهربائية كافية لتدوير دواليبهم وان يسقوا السهول الرحبة التي بين العلقة وخلدة . وقد زادت اليوم منافع المياه منذ نجرت طريق العجلات بين بيروت وصيدا . فاحد عدد السكان ينمو وهم يحاولون الارتقاء بالزراعة الا ان مساعيهم سوف تجبط اذا لم تتوفر كمية المياه التي يحتاجون اليها

( نهر بيروت ) يأتي بالمنافع المنتظرة منه فانه يحرك الطواحين العديدة ويسقي السهل كله ولذلك ترى مسيلة يابساً في وقت الصيف من الجمر الذي بنىء المرحوم رستم باشا . واذا بلغ الى البحر منه شيء . فذلك من فضلات القني بعد سقي المزروعات وهذه القنوات غير محكمة تسيل منها المياه وتنسبط في سهل بيروت ونطلياس ولا تلبث ان تتحول الى مستنقعات تنبعث منها الجراثيم الوبيئة المسببة للحثيات الملائية . ولو بُنيت هذه القني ببنية كافية لتحدرت الى البحر . هذا ولا يذكر ان المزارع في هذه السنين الاخيرة قد اتسعت فتحسنت بذلك احوال الجو . وقلت الحثيات نوعاً . وأملنا ان الزارعين يفرغون الجهد ويضاعفون العناية في اصلاح ما بقي من الحقل لتزيد بذلك ارباحهم ويتلاشى كل خطر على الصحة العمومية

وفي القسم الاول من كتابنا " تسييح الابصار " ( ص ٢٨ - ٢٩ ) وصفنا القناة التي غني ببنائها القدماء لسقي سهل بيروت وجلب المياه العذبة للبلدة . ومن اعتبر مشروعهم هذا اخذه العجب من حسن نظرهم واصابة رأيهم وكفاهم فضلاً ان مياههم كانت تجري الى بيروت بقناة منقطعة بصفائح الحجارة فتأتيها صافية باردة يتهنأ بشربها السكان دون خطر من الجراثيم المعدية

( نهر انطلياس ) استفاد منه مدة احد افاضل الوطنيين لانشاء معمل ورق اضطررته الظروف الى تركه ومياهه تدير بعض الطواحين الا ان تسعة اعشارها لا



تجدي نفعاً فتذهب سدًى وتنصب في البحر بعد قطعها مسافة قليلة

\*

(نهر الكلب) ان مياه هذا النهر تؤدي خدماً عديدة كسقي المزدريات وتدوير الطواحين، ألا ان فائدتها العظمى هي بيروت وترويض أهلها بالمياه الطيبة بفضل شركة المياه المعروفة التي ذكرناها غير مرة في مطاوي أبحاثنا السابقة. ومياه نهر الكلب تخزن ليس بعيداً من منبعها فتجري في قناة مكشوفة فتقع تعريج الوادي وتوربه حتى تقرب الى نحو عشر دقائق من مصب النهر في البحر فتتدفق في القلة التي يملؤها دير مار يوسف البرج وتجري المياه في سرب يؤدي بها الى الضيعة. وقد جعلت من مسافة اخرى كوى قوت في عطف الجبل لرحض القناة اذا دعت اليه الحاجة ومن الضيعة ترى القناة مكشوفة حتى تبلغ اخيراً معمل الشركة حيث ادواتها الدافعة ومضافها قريباً من محطة الضيعة وفي المعمل دقاس مائي يدفع الماء في القساطل التي تعبئة الى بيروت. واذا قلت المياه في فصل الصيف اتخذوا آلة بخارية جهزوها منذ بضع سنوات لوقت الحاجة. ولهذه المياه احواض عديدة في تل مار مقري تتجمع قبل ان تقسم على احياء المدينة. وامتياز هذه الشركة كانت الدولة العلية منحة للمهندس الفرنسي السيروتين الذي نال ايضاً من تعطفاتها امتياز ابنة الرفأ سنة ١٨٨٢ ثم تشكلت شركة المياه كما هي اليوم سنة ١٨٧٦ وأنجزت بعد مدة الاعمال التي بوشر بها قبل ذلك العهد سنة وعرفت منذ ذلك بشركة مياه بيروت - Beyrouth Water works Company limited ولما انتهى حديثاً زمن الامتياز الممنوح لهذه الشركة جددته على شروط اشترطتها عليها الحكومة السنية منها ان تخفض اجورها وان تمنح مجاناً كل يوم ٢٥٠ مقراً مكعباً من الماء وان تنقص قسط البلدية الى ١٥٠٠ فرنك واذا استهلكت ديونها مع دفع الفائدة يكون ثلث الارباح لبلدية بيروت

هذا وان الاطلاع على احوال هذه الشركة لأمر صعب جداً فلا يمكننا ان نعلم عن مدخولاتها ومصاريفها الا شيئاً قليلاً استفدناه من تقرير بعض الانكليز. من ذلك ان الشركة كانت ربحت في سنة ١٨٨٩ ١٤٣٢٨٧ فرنكاً وان عدد المشتركين كان ١٥٦٣ وليس لدينا تفاصيل لما قبل هذه السنة. ودونك جدولاً اخذناه ايضاً من

مصادر انكليزية يبين اجمالاً حالة اعمال الشركة من السنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٦



السنة	المدخول	المصروف	الربح الخالص	الاشتراكات	الاشتراكات السقي
١٨٩٠	٢٠٢,٦٩٥ ف	٧٨,٦٧٤ ف	١٢٤,٠٢١ ف	١٩٨٢	١٣٧
١٨٩١	٢١٢,٤١١ ف	٨١,٧٥١ ف	١٣٠,٦٦٠ ف	٢١٩٠	١٢٥
١٨٩٢	٢١٤,٨٦١ ف	٨٧,٨٠٤ ف	١٢٧,٠٥٧ ف	٢١٤٦	١٤٢
١٨٩٣	٢٢٢,١٦١ ف	٩٦,٥٢٤ ف	١٢٥,٦٣٦ ف	٢٢٢٢	١٤٢
١٨٩٤	٢٢٤,٠٦٢ ف	٩٦,٢٩٢ ف	١٢٧,٨٦٩ ف	٢٤٨٠	١٥٠
١٨٩٥	٢٥٢,٢٤٧ ف	١٢١,٥٦٤ ف	١٣٠,٨٨٢ ف	٢٨١١	١٤٧
١٨٩٦	٢٥٠,٢٨٠ ف	١٢٠,٩٦٠ ف	١٢٩,٣٢٠ ف	٢٨٩٦	١٥١

والشركة رأس مال قدره ١٤٤٠٠٠ ليرة انكليزية ويظهر من ترقى اعمالها وزيادة عدد مشتركيه واسراعها في تجديد الامتياز الممنوح لها ان امورها على قدم من النجاح هذا فضلاً عن ارتفاع اسعار الاقساط . على ان الشركة قد تحملت نفقات في جلب المياه خصوصاً لاجرة العمالة التي تحسبت في اليوم كما تحسب للعامل في لندن (٦ شينات) وثقب السرب في تل دير مار يوسف البرج الذي بلغ الاربعين في المئة من مجموع النفقات . وزد على ذلك ما صرفته في عدة دعاوي

والشركة تستطيع ان تسلم في بيروت متراً مكعباً من الماء في الثانية والاشتراكات تتزايد يوماً فيوماً الا ان كثيراً منها لا تتجاوز ربع المتر المكعب فليس من ورائها ربح يذكر . وفي بيروت الان ثلاثة احواض قريباً من تل مار مقري اقدمها الحوض الاسفل محتواه ٢٨٠٠ متر مكعب وقد بني حوض آخر قريباً منه مضمونه ٣٠٠ متر مكعب والحوض الثالث هو الاعلى مشموله ١١٠٠ متر والشركة تفكر في ابتاء حوض رابع فيكون للشركة عند قطع المياه ما يكفي لتعويض البلد مدة ١٨ ساعة . واعلم ان الآلة البخارية التي جيزت في الضيعة وكثرت نفقاتها يبلغ معدل شغلها في السنة نحو ٢٠ يوماً فقط عند نقص المياه

وفي الضيعة ثلاثة ارباع الماء الذي يحرك الرافس تنصب في البحر . أما الماء المستعمل لري السهول المجاورة فربحه لا يُعبأ به لان الزراعة هناك ليست بخصبة وذلك ان الريح البحرية لا توافق زراعة التوت والليمون فلا يبقى الا قصب السكر والبقول . واعلم ان المياه في الضيعة تسقط من علو ١٨ متراً فقوتها كافية لتحريك الآلات اللازمة لتزويد بيروت بالكهرباء .

ومجمل القول ان مياه نهر الكلب تنفع خصوصاً اهل بيروت وهي ايضاً تُدير طواحين عديدة وقسمي بفتحها البساتين الواقعة شمالي النهر . ومع ذلك ينصب منها في البحر نحو نصفها فتذهب فائدته

\*

(نهر ابراهيم) هو شهر غزير المياه ومع ذلك ما كنا نراه يفيد شيئاً الا انه يدير بعض الطواحين ويستقي بعض الحقول . ومن ثم انجذبت الافكار الى عقد شركة لاستخدام هذه القوة الضائعة . وقصدنا ان تستقي البقع الواقعة شمالي النهر وجنوبه وان تجلب الماء للشروب لجليل وعمشيت وما يليها والمأمول انها تنجز العمل قريباً . وكان في حسابها اتخاذ القناة القديمة التي كان الرومان يجلبون بها مياه النهر الى جبيل . الا ان هذه القناة التي بُدئ من اعمال الهندسة الخطيرة كفتاة بيروت قد استولت عليها يد الحراب بحيث يصعب الانتفاع منها

ويؤخذ من بحث سابق للمشروع المذكور ان ميساء النهر في معظم فصل القيظ لا تقل عن ٢٤٠٠٠٠ متر مكعب في اليوم اعني مقيمين واربعه ستمترات في الثانية . ومما تقصده الشركة فتح قناة كافية جلب ٢١٥٠٠٠ متر مكعب كل يوم لتسقي بها ما يمانه :

١	٦٠٠ هكتار من الثوت يقتضي لكل هكتار في اليوم ٤٨ متر مكعباً من الماء	٢٨,٨٠٠
٢	١٥٠ هكتاراً اخرى استقي حقول من الثوت ومزروعات يلزمها في اليوم لكل هكتار ٩٠ متر مكعباً	١٣,٥٠٠
٣	١٠٠ هكتار من مزروعات البقول والمفصرة تحتاج في كل يوم لكل هكتار ١٢٢ متر مكعباً	١٢,٢٠٠
٤	٥٠ هكتار من مزروعات قصب السكر يقتضي لها لكل هكتار ١٨٠ م مكعباً	٩,٠٠٠
٥	٢٠٠ هكتار من مزروعات قصب السكر يقتضي لها لكل هكتار ١٨٠ م مكعباً	٣٦,٠٠٠
٦	استخدام كدبة من الماء لتوليد القوة المحركة عند مصب النهر	١٤٥,٠٠٠
		٢١٥,٠٠٠

وصاحب البحث الذي اخذنا عنه هذا الحساب يرى ان مدخول السقي في السنة يبلغ نحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك . ومأمولة ان يكون ميهط المياه عند مصب النهر من علو ستين متراً فتتساقط قوة كافية لدفع ١٤٥,٠٠٠ متر مكعب من الماء كل يوم وهي قوة

توازي الف حصان بخاري . وزد على ذلك شيئاً آخر غير متواصل يُستعمل في اوان السقي تكون قوة المحرك ٢٥٠ حصاناً بخارياً . فاذا بيع محصول كل حصان بخاري متداوم يبلغ ١٥٠ فرنكاً ومحصول الحصان البخاري غير المتواصل بشمن ٧٥ فرنكاً اناف الربح على ١٥٠,٠٠٠ ف . ومن ثم يزيد مدخول هذا المشروع اجمالاً على ١٥٠,٠٠٠ ف وذلك فضلاً عن مدخول الماء الجلوب لجبيل وعمشيت وهو مبلغ زهيد لا يُعبأ به .

اما نفقات هذا العمل فيشتتها المثلثون نحواً من ١,٧٠٠,٠٠٠ فرنك ولعلها تبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ اذا حُصبت المصاريف الطارئة . اما النفقات السنوية لاستثمار هذا العمل فتكون بالتقريب ٥٠,٠٠٠ ف في السنة . فلو افترض ان الربح لا يتجاوز نصف المؤمل اعني ٢٠٠,٠٠٠ فقط بدلاً من ٤٥٠,٠٠٠ فيكون الربح الخالص عشرة في المئة (١) لكن هذا التقرير نظري . افتراء ينطبق مع الواقع ؟ لا نظن وذلك لاسباب اولها ما سبق الاشارة اليه ان جلب المياه الى جبيل وعمشيت ليس من وراءه ربح يُذكر لقلّة سكّان تلك النواحي . فيبقى سقي المزروعات المصاحبة لمصبّ النهر . فان صاحب التقرير المذكور آنفاً يحسب نحو الف هكتار من التربة الجيدة المقصود سقيها فلمعمرى هذه مساحة كبيرة لا نعلم اين رآها . فاذا ابتعدت قليلاً عن ضفتي النهر وجدت الاراضي لا تصلح للزراعة وهي محجرة متقطعة بالادوية وليس ثمة بقعة منبسطة ولا سهل ذو تربة زراعية وانما تلقي فقط قطعاً منها متفرقة قليلة السعة . فاذا اُنشئت قناة في تلك الجهات ذات الحزون والبطون بلغت النفقات مبالغ جسيمة . وعلاوة على ذلك ان كثيراً من ارباب الفلاحة يابون الاشتراك ويستقلون مصروفه . وعندنا ان الاولى ان تُتخذ التني البسيطة القليلة النفقات فتُجلب المياه الى البقع اليابسة الواقعة جنوبي النهر . وقد بلغنا ان الشركة الجديدة المعقودة بهيئة حنا افندي البويري وامين افندي عبد النور مهندس لبنان جرت على هذه الطريقة فانشأت قناة عرضها متر واحد في عمق ٥٠ سنتيمتراً وقد نُجز منها الى جهة بيروت ٨٠٠ متر ولا نشكر ان القوة المحركة البالغة ١٢٥٠ حصاناً بخارياً ذات بال جديدة بالاعتبار

(١) راجع تقريراً في استخدام عمر ابراهيم تاريخه ١٩١٦ ك ١ سنة ١٨٩٢ وضعه المهندس كوايه ( Ed. Coignet )



ألا أنها سواء الطامع لا تأتي بمزايدة كبيرة أبعد مقامها ولو كانت هذه القوة على جوار مدينة كبيرة مثل بيروت لا يمكن استخدامها للتطوير الكهربائي. وكذلك تصلح هذه القوة لتسيير عجلات الترامواي اللبناني بالكهرباء. إلا أن شركة الترامواي لم تفكر في هذا الأمر حتى الآن ولعلها لن تفعل قبل سنين طويلة. وخلاصة القول يصعب الآن الاستفادة من نهر ابراهيم لا يحول دون ذلك من العقبات

وقد أسمعنا قليلاً في البحث عن نهري النكلب و ابراهيم اللذين يمثل الأول ما فازت به الهمم وبمثل الثاني ما يمكن فعله قليلاً ويكون الانهيار التي هي احسن موقعاً من نهر ابراهيم فإن للمياه شروطاً جغرافية لا بد أن تستوفيها لفائدة الانتفاع بها ولذلك ترى ميوناً غزيرة في لبنان تجري دون عائدة لوقوعها في وسط الجبال وبمجرد أن عن المراكز المأهولة. وهذا ما علل الاضراب عن ذكرها في هذه العجالة عن مجاري لبنان (نهر الجوز) هذا النهر ربما نضبت مياهه صيفاً عند مصبه. وعليه فلا نظن أنه يمكن استعماله في غير سقي البساتين وتحريك الطواحين كما يفعل به اليوم

وليس الأمر كذلك في نهر قاديشا (ابو علي) فأنس كافي ليس لستي سهول طرابلس فقط بل لتشغيل عدة معامل صناعية لو اراد ذلك ارباب الصناعة. وبما يسهل هذا المشروع قرب النهر من مدينة كبيرة غنية بالمحاصيل الأولية ولديها الوسائط الكافية بتصرف بضائعها ومحصولاتها

ثم يأتي بعد نهر قاديشا (نهر البارد) و (نهر عكار) ولا ينبغي عليها أمل كبير وذلك لقلة مياه الأول ولوقوع الثاني في مسيل عميق ضيق. أما النهر (الكبير) فأنه خطير الشأن كما رأينا. فان تحققت آمالنا وعاد لوادي مكانه من الاقتصاد ازدهرت تلك السهول الخصبة واغنى السكان بأرباحه الطائلة

واعلم أن السواحل الفينيقيّة لم تكن فقط في القرون الغابرة مراكز لتجارة العالم بل أيضاً مواقع مهمة لمرافق الزراعة وأعمال الصناعة. فثال القدماء بهذه الموارد الثمينة أرباحاً طائلة. وعندما أن هذه الثروة لا تعود الى ايدي ابنائهم اذا حاولوا احياء الزراعة والفنون الأبسط استخدم القوى الطبيعية التي قسمها الخالق على بلادهم لاسيما الكتوز المائية المغرورة في جبالهم. وبما جئنا لو استطعنا بهذه السطور ان نستلفت الحواطر الى هذه الأمور النافعة او حركنا الهمم لمباشرة بعض هذه الاعمال الشريفة

## الاحوال الجوية في لبنان

هذا بحث يصعب الخوض في غماره على طريقة علمية بالضبط والتدقيق وسببه انه ليس لدينا أرصاد قفي بالرام . اجل اننا لعالمون بان ميسازين الحرارة ومقاييس ثقل الهواء صارت شائعة في بعض النحاء لبنان لكن اصحابها يكتفون في الغالب بالنظر اليها عند الحاجة وليس من احد يفكر في تدوين درجات الترمومتر او البارومتر واذا باشر احد في ذلك لم يُعَنَ بضبط العمل او يسهله بعد حين بحيث تضع الفائدة العلمية .. وغاية ما لدينا من ذلك قوائم رصدية دُوِّنت في بعض الاماكن وهي لا تتجاوز السنتين او الثلاث سنوات وكلها مقصورة على رصد واحد في اليوم بدلاً من ثلاثة رصد فضلاً عن انها لا تدلُّ على معظم درجات الحرارة او اقصى درجات هبوط الميزان (١) فينتج من ذلك انه لتسهيل تعريف معدل الحركات الجوية وبيان درجاتها مضبوطة

وعلاوة على ذلك ان احوال الهواء في لبنان تختلف اختلافاً عظيماً لما في تركيبه وموقعه من التباين . فانه من حيث الملو يُقسم الى ثلاثة اقسام الساحل والوسط والجرد . فالساحل يشبه في آثاره الجوية البلاد الحارة . وهواء الوسط معتدل . اما الجرد فاشبه بجبال الالب ويرده كبردها . ويقسم لبنان من حيث وجهته الى منعطف شرقي يتحدّر الى البقاع والى منعطف غربي يوازي بحر الشام فان هواء المنعطف البحري ثابت في الغالب معتدل نوعاً . اما الوجهة الشرقية فعلى خلاف ذلك فانها في تقلبات هوائها من حرارة ورطوبة اقرب الى داخلية البلاد في آسية التقدم .

(١) لو اراد احد قراءنا ان يمدّ هذا الخلل ويدوّن على طريقة نظامية رصد حركات الجو خدم العلم بذلك خدمة طيبة . ونحن نؤكد له ان « المشرق » ينشر قوائمه شاكراً وأكثر ما تفيد هذه الارصاد في بشرّاي مثلاً بلاد الجرد وفي بكفياً لمنطقة لبنان الوسطى وفي زحلة والمنعطف الشرقي . ولا بدّ هنا ان نذكر بالشكر مرصداً دروا في البقاع المنشأ في كسار منذ سبع سنين فنشر الملاحظات الجوية شهراً بعد شهر بكل تدقيق في مطبعتنا . اما ساحل لبنان فلا تختلف درجات حرارته عن بيروت حيث تدوّن هذه الملاحظات



فترى من ثم صحة قول القائل بأن المسافر الذي يرتقي في سوربة من ساحل البحر الى غابات الارز في مشارف لبنان يلقى في يوم واحد من اختلاف حالات الجو ما يلقاه مسافر آخر يرحل من ضفة النيل الى شواطئ البحر الشمالي المعروف بالايض واذا استأنفنا حمارة قيظ بلاد خط الاستواء وصبارة اقاصي الانحاء الشمالية وجدنا في جهاتنا ما يتوسط بين هذين الطرفين من المظاهر الجوية

وعليه ليس بأمر سهل مع هذا التفاوت البعيد ان تخصص الوجوه التي تشمل كل جهات لبنان فحسبنا ان ثبت هنا بعض ملحوظات عمومية موجلة التفاصيل الى فرصة اخرى عند ما نبحث عن احوال الجو في سوربة فنضيف اليها ما يختص بلبنان

\*

سواء تعتبر طبقات لبنان الثلاث او منطقتيه الشرقي والغربي لا تتكاد تجد له في حصر المعنى الا فصلين وهما الشتاء والصيف او قل بالحري فصل الامطار وفصل اليبوسة . ولعل الراقي الى مشارف الجبل يشعر بالفصلين الاوسطين اعني الخريف والربيع شعوراً اوفر على قدر توقعه في الطبقات العليا وذلك تتخلف زمن الحرارة وتأخر غو الزدوع . الا ان هذه الاختلافات ليست بكافية لتمنح لبنان ذينك الفصلين المعروفين بالربيع والخريف . وعليه يمكننا القول اجمالاً بأن احوال لبنان فيما يخص فصول السنة متساوية متشابهة في كل طبقاته

اما اذا صرفت النظر الى الامطار فتجد اختلافاً يذكر بين انسام الجبل من حيث طول الشتاء فان الوجه البحري يجاد قبل المنطف الشرقي الذي تتأخر فيه الامطار وهو في ذلك اشبه بجهات سوربة الداخلية فيبتدى زمن امطاره بعد المنطف البحري وينتهي قبله . ولكن هل تكون مياه المطر اوفر في الجبل منها في السواحل ذلك امر ذهب اليه البعض ولا يبعد قولهم من الصواب فان السماء ربما امطرت لبنان دون ان تخص الساحل بقطرة من سمها . وقد يجري الامر على عكس ذلك الا انه اندر وقوعاً . اما معدل المطر فاننا لا نظن انه يختلف كثيراً بين لبنان والساحل ولعل هذا الفرق لا يتجاوز عشرة سنتيمترات الى خمسة عشر سم . وما قولنا الا على الحدس والتخمين اذ ليست لدينا قائمة نستند اليها



ومما ثبت بالامتحان ان الامطار تنقسم بين شهور السنة على قدر ابتعاد البلدان عن خط الاستواء، فتقارب فصلا اليوسنة والرطوبة . فان معدل الامطار من ايار الى ايلول ( وهو فصل اليوسنة في سورية ) يبلغ :

في رومية	٢٥	في المئة بالنسبة الى معدل مطر السنة
في برلين	٥٢	„
في بطرسبرج	٦٧	„

وهو امر مقرر ايضاً في نواحي الشام . ففي اسكندرون مثلاً حيث الحرارة اشد من بيروت بكثير ليست الامطار دائرية في شهري تموز وآب . وكذلك بلاد قيليقية المجاورة اسكندرون فان حرارتها فوق حرارة سواحل الشام ومع ذلك تهطل في صيفها الامطار بمعدل ستة في المئة فان قابلت ذلك بالشام وفلسطين وجدت من هذا القليل فرقاً عظيماً اذ لا يبلغ معدل المطر الصيفي عندنا الا سدس النسبة فقط . وكذلك قد لحظ الاهلون في شمالي غربي الشام من السنة ١٨٩١ الى السنة ١٩٠٠ ثلاثة اطوار فقط من اليوسنة دام كل منها مئة يوم . اما لبنان فاي طبقة رقيت منه تجد انقطاع المياه في صيفه يدوم اربعة اشهر بل خمسة وكذا قل عن بقية بلاد الشام وفلسطين

وكذلك اذا اعتبرنا جبل لبنان بين الليطاني جنوباً ونهر الكبير شمالاً وهو طول يبلغ ١٨٠ كيلومتراً نجد فرقاً بين امطار الجهة الشمالية والجهة الجنوبية صيفاً . والمياه المنهبة في جبال عكّار ووادي النهر الكبير من ايار الى ايلول تقل عن مطر بلاد الشقيف وعلى ضفتي القاسية (١) . فيمكن اذن القول عموماً بان كمية الامطار في المنعطف البحري على طولها متساوية كما ان الزمن الفاصل بين اشهر القحوة واشهر المطر لا يكاد يختلف

وليس الامر كذلك في الضباب فائت في لبنان اوفر جداً منه في الساحل وهذا يصح ايضاً في البرد . اما تعليل كثرة الضباب فن طبيعة الجبل اذ ان لبنان كجدار صخري عظيم يقوم كحاجز في وجه الانجرة التصاعدة في البحر مدفوعة الى داخل البلاد

بقوة الرياح الغربية . وعند هذا الجدار تتكاثف الغيوم التي ترى في اعالي الجبل بين ٨٠٠ متر و ٢٠٠٠ م علواً . وفي بعض جهات لبنان يتكاثر الضباب حتى انه يتصاعد اليها كل يوم مدة ثمانية اشهر من السنة وليس سيدها علوها فقط بل موقعها ايضاً بالنسبة الى الجبل والى الاودية المجاورة بها فان كل ذلك لما يساعد على تراكم الضباب ولا نرى هنا داعياً للكلام عن حرارة لبنان فانه غني عن القول بان الحرارة تختلف مع اختلاف علو الامكنة ثم اننا ذكرنا سابقاً ما يخص بالثلوج اللبنانية (١) اما نقاوة الهواء وصلاحيته للصحة في لبنان فذلك امر مشهور لا يحتاج الى وصف فان كل هذا الجبل قد خص بهواء جيد منعم للزوى اللهم الا الامكنة الواقعة بجوار مصب الانهار وفيها الحفريات . وكذلك لبعض القرى سعة سيرة من هذا القليل وهو امر مستغرب لاسيما ان اكثرها واقع في بلاد يابسة لا تستمتع فيها المياه . فنطالب الى الاطباء الذين في تلك الجهات ان يفيدونا عن سبب تفشي الامراض في الامكنة المذكورة . اما بنية لبنان فان صفاء جوته وجودة مياهه يقويان هيكل الجسم ويجعلان سكانه اشداء . واللبنانيون في الغالب متوسطو القامة مقولوا الاعصاب محكمو البنية والفضل في ذلك لعيشتهم في الهواء الطيب وعدم ارتقايم بالصنائع المضيكة ولهذا ايضاً لا تجد بينهم الا امراضاً بسيطة . واذا علوت الشارف ربما وجدت منهم من هو ناصع اللون ابيض . وقد مررنا كلام في ما يخص الشعوب اللبنانية واختلافها في الصودة وافينة الى غير ذلك بما لا فائدة في تكراره

## الفلاحة والاحراج اللبنانية

لا يستطيع اهل لبنان ان يرتقوا بالصناعة وحدها فهذا حكم واهن ابرزناه غير مرة في ابحاثنا السابقة والسبب ظاهر لان الصناعة تحتاج الى الماد والاسيما الى مناجم الفحم وكل ذلك نادر قليل في لبنان . ومن ثم ينبغي لاهل لبنان ان يسعوا في فلاحة الجبل وزراعتهم وعليها يتوقف مستقبل لبنان كنهى غلاته بمعاشرهم . وما

يضطرونهم الى السعي وراء ذلك وفرة السكان وغوهم سنة بعد سنة فانهم يجدون في ارضهم موارد رزق اوفر مما يظنون . وها نحن ذائق لهم ذلك في الاسطر التالية وليست غايتنا ان نكتب كتاباً مسهباً في احوال الزراعة اللبنانية وانما ندون فقط ما يثبتنا به تاريخ الجبل فان الماضي عبرة للمستقبل . ونقسم كلامنا في هذا الباب الى قسمين نخص القسم الاول بالغابات والثاني بانواع المزدروعات التي يمكن اللبنانيين ان يستدروا منها ارباحاً جزية

## ١

## الغابات اللبنانية سابقاً وحاضراً

قد اطروا الكتبة لبنان وأفاضوا في مدح غاباته الباسقة منذ الاجيال الغابرة العريقة في القدم . كما اثبتنا الامر في مقالتنا المعروفة جبال الالب ولبنان ( المشرق ١ : ٧٢١ ) وشفعنا ذلك بمقالة ثانية (١) عن ارض لبنان فوينا ما كان لغاباته من الشأن الخطير حتى ان كل الشعوب القديمة في الشرق لاسيما البابليين والقراعنة كانوا يجدون فيها حاجتهم من الخشب لابنتهم الفاخرة . ومن الآثار الهيردوتية ادلة واضحة على ان المصريين كانوا يعتبرون جبل لبنان كغابة مأسعة كثيرة الاشجار متكاثفة الاغصان لا يري السائر فيها اديم السماء لظلمها الوارف (٢) وكان الغريب لا يتجولون في هذه الاحراج لأنهم يتوجسون منها خوفاً لما يروى فيها من ضواري الوحوش كالاسود والشمورة والديبسة . وكان الاهلون قليابين وهم يرتقون بما يقطعونه من الاخشاب كما ترى في صورتنا المنقورة عن بعض الآثار المصرية القديمة . اما الاشوريون والبابليون فلم يشاروا ان تبقى هذه الكنوز في ايدي اخصائهم المصريين فلذلك ننظر اصحاب العاديات البابلية يفتخرون بما جلبوه من اخشاب لبنان لمبانيسهم العظيمة كما ان نقوشهم المنقورة في الصخور تنطق

(١) راجع الجزء الاول ( ص ١٢٩ )

(٢) اطلب : Chabas : Voyage d'un Egyptien en Syrie, p. 312 - W. M. Muller :

Asien und Europa, p. 197-198 - Joret : Les Plantes dans l'antiquité.





قدما النباتيين يقطعون الشجر

بأثرهم في صيد كواسر لبنان. مثال ذلك صورة توقنا باكتشافها في جبل اكروم شمالي  
هرمل فوصفناها في بعض تأليفنا (١)

أما قدما اليونان فلم يحسروا ان يتوغلوا في هذه الغابات التي كان البابليون  
والفرعنة نالوا من اطرافها فقط حتى قام الرومان تحت امرة پومپيوس فتعقبوا فيها  
الملتصدين من الايطوريين (٢) وضربوا على ايديهم ومنذ ذلك العهد ساد الامن واتخذ  
السكان لهم منازل ثابتة فجعلوا يقطعون تلك الاحراج لحاجتهم الى المزدروعات (٣)  
وحار عدد القوي يسود شيئا فشيئا وغرس الاهلون الكروم واهتموا بزراعة الزيتون  
فتزورت وانتشرت وتخوف اصحاب الامر من ان تتلف الغابات فوضعوا الرسوم لقطعها

(١) راجع ٥٥ p. Notes épigraphiques et topographiques sur l'Énéside.

(٢) راجع (ص ٤٩) والمشرق (٥ : ١٢٥).

(٣) راجع (ص ٢٥).

واستثنوا منها بعضها . غير أن لبنان لم يُعمر جبلاً حافلاً بالسكان إلا بعد انتشار الموارنة كما ثبتنا ذلك سابقاً (١) فكانت الغابات تنقص على قدر ما كان ينمو عدد القطيع . وفي ذلك العهد احتاج الخليفة معاوية الى عمارة فجهز سفنها من خشب لبنان في عكا وصور وطرابلس كما ورد في فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٥٣) وفي تاريخ تافانوس وتاريخ بطريرك ميخائيل الكبير (ed. Chabot. II, 445) . وكانت هذه الاساطيل تتركب من عدد وافر من السفن بلغ مجموع بعضها ١٧٠٠ سفينة شراعية . وكان اذا ذهب الانواء يقسم منها اسرع فجهز غيرها بدلاً منها لانه لم يشأ ان يكون اسطول اقل من ٥٠٠ مركب . وهو امري عدد بالغ يشهد بلسان حاله على غنى لبنان بالاجراج والغابات كما انه دليل واضح على ما فقدته بتوالي الاعصار من هذه الكنوز الخشبية . ودونك اسباباً اخرى قد سوت انتفاص هذه هذه الغابات ما عدا توفر السكان الذي سبق ذكرهم

سيأتي الكلام في فصل آخر عن معادن لبنان في القرون الوسطى . وهناك ترى ان استخراج الحديد كان شائعاً في لبنان وكانوا يسدون هذا المعدن على الطريقة المقبوبة للكتيلان وهي طريقة تقتضي احراق الخشب الكثير . وكذلك استحصار الكلس فقد اتسع نطاقه في لبنان لكثرة حجارته الكلسية والكلس لا يتبع الا بايقاد نار شديدة فذهب بذلك قسم من غابات الجبل

ثم انتشرت في لبنان تربية القز فشغلت اشجار التوت قسماً من مكان الغابات . وزد على ذلك رعية المعزى واصطراع النعم الخشبي وقلة اكثارات الاهلين لنصب اغراس جديدة فكانت هذه الاسباب كلها داعية الى تلف الغابات فاصبح الجبل اليوم مجرد اصابع لا تقرأ لناظره عين بما كان يزده سابقاً من خضرة اجواجه وارده الشهير الذي انشئت في محاسنه الاسفار الالهية

وان قيل ان اهل لبنان اصابوا بدلاً من هذه الغابات مرافق اخرى استعاضوا بها اجبتنا ان هذه الخيرات التي حظي بها القوم لما كانت مقصورة على منافع وقتية ولو فطنوا وادركوا كنه الامور لامكنهم ان يتالموا هذه الخيوط دون ان يحسروا هذه



الحاقر الجسيمة . ومن المعلوم ان اعمال الخشب تترقى يوماً بعد يوم مع ترقى المدنية فتتعدد منافعه لغايات لا يضبطها احصاء . وكلها فوائد جلية . لان من يتخذ الاثاث وامتعة البيت وادواته المختلفة ومنه يستحضر اليوم ورق الكتابة ومنه يتصاعد كل يوم . حتى ان بعض المتولين اعمال السكك الحديدية يرون ان الحديد اخص منه في عوارض هذه السكك . وكذلك ترى الكمبيوتر . بترقيها وانتشار استعمالها تقوم اليوم مقام الفحم كما ان غاز البترول ينوب ايضاً عنه في اعمال صناعية عديدة فيستخدم في تحريك الآلات في العامل والمراكب والسكك الحديدية بل في طبخ الاطعمة . وبينا ترى بقية المواد تنقص قيمتها او يتهاود سعرها تجد الخشب بخلاف ذلك يرقى سأم الصناعات ولا يستغنى عنه بحيث يمكن القول ان حرفة الخياط كحرفة السلاح اقدم ما عني به المرء في بداية كونه وستبقى الى آخر تكون . فتوى من ثم جهل الذين عبثوا بهذه الثروة فضخوها مع ان قسماً من لبنان لا يصلح في الغالب لا سوى ذلك . وقد برزوا هذه الغايات آفات اخرى نشأت عن قطعها . فمن ذلك فقد قسم كبير من القرية الزراعية التي تجرفها كل عام امطار الشتاء . ومنها نضوب عيون معينة انقطعت مياهها او قلت . وكذلك تفتت الحواجز التي كانت كسدود في وجوه الانهار عند طغيانها واستنقعت المياه في البطائح فانبعثت منها الجراثيم الويثة وذلك بدلاً من الزواجر العطرة التي تفوح من اشجار الارز والصنوبر والشربين . فان الخالي كان اقلام لبنان ليحفظه كجبارستان للمرضى وكمستشفى يعالج به اهل العاهات اسقامهم ويجددون فيه كما في جبال سويسرة صحتهم بعد ان انهكتها الاطباب او ثققلت عليها اعباء القبط فينشئوا قواهم بصفاء جوّه وطيب هوائه وشذا عطورهم وازهارهم . ولا غرو ان الزوار كانوا يتواردون اليه تترى ليسرّحوا انظارهم في مشاهد الفسانة وآثاره الفريدة المجتلة بتأخر الطبيعة كما ان المرضى منهم كانوا يستطيعون ان يتعاجلوا بالمعالجات الطبيعية التي اختبر نفعها اطباء زماننا كالعلاج بالهواء والاستحمام بالماء والنور والطبيب باللين والعنب وترويض الجسم بالرياضات القوية . ففي لبنان صلاحية لكل هذه الاسباب الصحية التي لا ينالها الاوربيون في جبال سويسرة مع كثرة ضبابها وكدورة مائها الا بان يتعرضوا لامراض شتى كوجع المفاصل والصداع . وكان امكن اهل لبنان مع هذه الحيات العميقة ان يوسعوا مصادر اوراقهم ببناء الفنادق



للغرباء وإنشاء الشركات لنقل المسافرين وغير ذلك مما يجلب لسويسرة أرباحاً فاحشة .  
وقد فقدت هذه الموارد كلها وخسر لبنان كل هذه المكاسب منذ جرد الأهليون قمة  
عن غاباتهم بل قل عن موارد سعادتهم

\*

اعلم أن تجارة الخشب قد صارت اليوم في أيدي أهل أوردبة فيكسبون منها  
مبالغ طائلة . مع أن تربة تلك البلاد لا تصلح كتربة لبنان لنمو الشجر وذلك أن  
شجرة من الصنوبر مثلاً لا تبلغ في بلاد اسوج وزوج عشرين متراً طولاً في دائرة متر  
ونصف إلا بعد ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة أما في جنوبي فرنسا فإن نحو هذه الأشجار  
تسرع من ذلك بأربعة أضعاف ولا نشك أنها في لبنان تنمو بزمن أقل من ذلك  
بسة أضعاف لحسن موقع هذا الجبل واعتدال هوائه . فترى من ثم أن اللبنانيين  
لو أرادوا أمكنهم أن يزاحموا أهل شمالي أوردبة في هذه التجارة الراجحة بدلاً من أن  
يدفعوا لهم ما لهم جلب أخشابهم

وهذا وإن تغافل السكّان والحمد لله لم يفر تماماً هذه الغابات فإن في لبنان حتى  
الآن امكنة تظلها الأحراج وتشهد على غناها القديم . وقد تكلمنا في خلال بحثنا  
عن أورد لبنان في المراكز الثلاثة التي ترهق فيها غابات هذا الشجر الثمين واستأثنا  
انظار اللبنانيين إلى ما يتهدّد غابة الباروك من عوامل الفساد

أما بقية الأشجار غير الأرض فإن طلبنا لها غابات كبيرة ليس غياًضاً صغيرة لا نكاد  
نجد منها إلا في بعض الامكنة السحيقة كجبل اكروم شمالي شرقي لبنان وهذا الجبل من  
ملحقات جبل عكّار تراه موازياً لبحيرة حمص وهو قليل السكّان وفيه غابة واسعة من  
السديان الباسق الاثنان . بيد أن أهل تلك الانحاضة يصطيدون منها الفحم فلا تلبث  
بعد مدة أن تنكف كما تلفت أخواتها في لبنان . ويأليت هؤلاء الخطّابين يكتفون بقطعها  
فيبقى أصل لأن تعود تنمو بعد سنين ألا أنهم تخطيئاً للعمل يلقون النار في أصول أكبر  
أشجارها فتجف ما فيها وتنكف دون أن يرجي لها الخضار فيضحي مثل هؤلاء كمثل  
المرأة التي لم تقنع ببيضة من ذهب كانت تبيضها لها كل يوم دجاجتها فلما طعمت بما  
هو أوفر فقدت رزقها . وكان قديماً اللبنانيين أوفر مثلاً كما ترى في الصورة التي أتيتموها  
أنفاً ( ص ١٨٣ ) فانهم كانوا يتفنون بخشب غاباتهم دون أن يستأصلوا شأفتها

وكذلك مقاطعة الهرمل فانها كثيرة الاحراج ينمو فيها خصوصاً تامم الشجر وذلك على مساحة نحو ٢٥٠٠٠ هكتار . ومع كثرة النبات ترى ايضاً امكنة عديدة خالية منه . واشجار معاملة الهرمل دون جبل اكروم في بسوقها وحسنها وهذا مما يبغض شيئاً من قدرها . والفحّامون يعيشون ايضاً في هذه الاحراج كميث رصفانهم في احراج اكروم غير انهم لا يحرقون الشجر من اصله كما يفعل اولئك

وترى في مقاطعة الضنية وفي منعطف لبنان الشرقي بين الهرمل وعينات بعض الغابات الحسنة واشجارها في الغالب متوسطة الكبر ليست متواصلة . ومن اشجارها الخاصة بها الشوح (*abies cilicia*) وهو شجر جبلي نادر الوجود في الاصقاع الشامية لا يعرف في غير جبال امكندرون ومديرية الضنية ويستحق ان يغرس في نواحي لبنان لحسنه فانه ينمو الى علو ١٥ متراً وينبت في مشارف الجبال بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر وفي غير هذه الحال لا تجد الغابات الا في بعض الودية المعترة او على جوانب بعض السيول ومنحدرات الفياض يتناثر بينها الصنوبر والسرو . اما غابات السنديان التي كانت ترى منعطف جبال جزين عند تومات نبحا فانها صارت اثرأ بعد عين . وترى بدلاً منها بقعاً سوداء تشهد على مساوي الفخامين . ونذكر هنا بعض الفياض لا لتوسعها بل لتأثيرها على غرسها واستلقاتها لنظر الاهلين منها احراج يست مري وعين زحلتا وبكاسين وبكفيا . فيا ليت اللبنانيين يأثسرون بهذه الامثال فيعيدون لجبلهم زينة السابقة

وعما يجدر بنا ذكره مزارع الزيتون . وهي كثيرة في بعض الجهات حتى ان الذي يراها يحسبها آجماً وغابات . منها مزارع الكورة التي تمتد على طول خمسة كيلومترات في عرض الف متر . واوسع منها مغارس المختارة وعماطور الا ان بينها صنوفاً اخرى كثوت والاشجار الشجرة وقد استوقفنا ابصار قرأنا على تلك الفياض البديعة المنظر التي تجاري في حصبها غوطة دمشق واجمل مواقع سورية . الا ان السهم الافوز بين مزارع الزيتون هو للشويفات فان صحراءها تبلغ سبعة كيلومترات طولاً في عرض يختلف بين كيلومتر وثلاثة كيلومترات وهي دون اغراس المختارة طولاً لكنها مرصوفة متواصلة لا يدخل فيها صنف آخر من الاشجار . ومن نظر اليها من عل خالها بحيرة كبيرة من الحفرة لتلاحم اشجارها وكلها في علو واحد فصب اكثرها



قبل ستين سنة . وكذلك مزارع قصبة زغرتا العامرة فانها واسعة جميلة وان تكن اصغر من المقارن السابق ذكرها وتختلط بما سوى الزيتون ويهم اللبنانيين ان يوسعوا نطاق هذه المزارع لا وراها من الارباح التي تبلغ اربعة اضعاف دبح الغلات . لان مدخل ما يستغل من زيتونة واحدة يساوي في السنة بين ١٥ الى ٢٠ فرنكاً ولو بيع الزيت في الخارج لاقى بمكاسب طيبة لحاجة كثير من البلاد الاجنبية اليه فان فرصة مثلاً تحتاج الى ٢٥,٠٠٠ طن من الزيت فضلاً عما تجده في مقاطعاتها . فيأتيها من مستعمراتها ٨,٠٠٠ طن لهذا النقص فيبقى ١٧,٠٠٠ طن فيمكن اللبنانيين ان يزودوها بها . وانما ذلك على شرط واحد وهو ان يتخذ الزارعون الطرائق المستحدثة لعصر الزيتون فان الزيت الطيب المستحب لا يُنال الا بالادوات الحصرية التي شاعت اليوم في اوردية (١)

## ٢

## مزروعات شتّى

نكرر هنا ما سبق لنا قوله ان الغاية من بحثنا الحاضر ليست تأليفاً في الفلاحة او في ضروب النبات التي تربي في لبنان . والمواليد النباتية متوفرة فيه لا تحصى في هذا الجبل من الدوائر المنطقية والطبقات المتباينة واختلاف التركيب الجيولوجي والمواقع من قمم وادوية وغير ذلك (٢) . والقصد من هذه النبذة ان ندون بعض الملحوظات المفيدة نسندها الى تعاليم التاريخ والى نتائج علم الجغرافية

اتنا لا نشكر ما اصاب لبنان من الخسائر بتجرده عن غاباته القديمة الا انه لا يجوز القول بان الجبل فقد خصبه وثروته الارضية بدعوى ان الزراعة اليوم لا تأتي بالارباح المأمولة . والحق يقال ان بعض العيون قد نصبت وان السيول وغيرها من دواعي الخراب سحبت بكم كبير من التربة الزراعية وبرزت صخوراً جرداء لا يمكن فلاحتها .

(١) اطلب كتاب الفاضل ودع افندي . دور في الفلاحة السورية . (Syrie agricole, pp. 206, 212)

(٢) فليراجع كتاب المسبو جوده في النباتات القديمة وله فصل في نبات بلاد الشام عموماً ونبات لبنان خصوصاً ( ص ٢٢٤-٢٢٦ )



لكن الجبل في ما سوى هذه الامكنة لا يزال طيب الثرى صالحاً للزراعة . ألا ترى مثلاً ما يناله لبنان من حاصلات انكروم والثوت والتبغ الذي تعود على اهلها بالكاسب الطائلة وقد كانت مدة من مرافق الجبل الخاصة به . وان كانت هذه موارد الثروة قد خفّت فلا تثريب على الارض اللبنانية وانما تغيّرت فقط احوال سوقها التجارية ولعل ارباب الزراعة في لبنان لم يصرفوا نظرهم الى تحسين طرق زراعتها على الاساليب المستحدثة . مثال ذلك زراعة الكرم فان لبنان يوافقها اي موافقة وترى اليوم اصحاب الشركات الاسرائيلية والالمانية في جهات فلسطين قد سبقت اللبنانيين في استثمارها

ولا غرو فان عصرنا هذا عصر التقدم وقد احاطت الفلاحة من ذلك نصيب كبير فلا بدّ اذن من استعمال الاساليب التي اختبر العلماء منافعها لنلا يذهب شطنا سدى بزاخرة الغير . فاقولك مثلاً في جند اليابان لو نزلوا ميدان الوغى وفي ايديهم القوس والنشاب لمحاربة الروس المتسلحين بالبنادق وهم يطلقون عليهم المدافع . فكذلك الفلاحة فانها اليوم ادوات تسهل طرائقها وتوفر غلاتها اضعافاً كثيرة ومع هذا ترى الاهلين لا يسمعون في اتخاذها ويجرون على آثار اجدادهم في اساليبهم المخلة التي شاعت بينهم قبل الفين او ثلاثة الاف سنة . مثال ذلك عصر الزيت فان اللبنانيين يستخرجونها في معاصرهم كما فعل الفينيقيون . أليس هذا شططاً وكيف يستطيع الاهلون بعد ذلك ان يلوموا الزراعة ويشكوا قلّة أرباحها

هذا ويؤخذ من دروسنا السابقة ان لبنان منذ الطور التاريخي لم يختلف في هوائه اختلافاً يذكر وان امطاره لم تسكن اذ ذلك بادفر منها في عهدنا معها زعم الزاعم لثبت خلاف ذلك

وغاية ما يمكن التسليم به ان الامطار مع اتساع الاحراج قدماً كانت مقسمة على كل انحاء لبنان تقسيماً نظامياً يعمّ فصول السنة فيدوم زمانها أكثر دون ان تتوفر بذلك كمية مياهها . وهذا ايضاً ضرب من الخدس لا يمكن ان يحكم بصحته قطعياً . وعليه يسوغ القول بان النبات اللبناني هو اليوم كما كان سابقاً الا اجناساً قليلة . فمن ذلك البردي ( papyrus ) الذي ينبت بوفرة حتى اليوم على مقربة من بحيرة الحولة . وعلى رأينا انه كان ينبت في الاجيال الغابرة في اودية الجبل الحارة الكثيرة

المياه وعلى ضفاف الأنهار ومصايفها وذلك لما كانت غابات لبنان بأسفة تسرح فيها  
سباع الحيوان كالأسود والذئبة وتفرح في انهارها التماسيح كما سيأتي (١)  
ومن النباتات المنسوبة الى لبنان شجرة اللبان او الكندر وهذا الرائي تراه  
مكرراً في سفار الكتبة من اهل القرون الوسطى تكتبه بلا سند وإنما هو مبني  
على وهم لقوي فزعموا ان لبنان معناه اللبان لتوافق اسمها في اليونانية (Albano)  
كلاً لم يثبت لبنان قط شجرة اللبان التي هي من خواص اليمن وضواحيه . على  
ان هذا الجبل غني بغروس أخرى واشجار نقلت اليه فساتلها بعد تاريخ الميلاد على ما  
نظن . منها الشمس المروف بالبرقوق (٢) والبرقال وقصب السكر . ومما جاءنا من امركة  
التبغ والصيبر . وقد دخل أيضاً لبنان نباتات حديثة العهد مختلفة الاجناس الا ان  
كثيراً منها بعد برهة من الدهر تضعف وتفقد خواصها الاصلية لاختلاف القرية عليها  
او بالحري لجهل الاهلين بتربيتها . وما يصح قوله اجمالاً ان لبنان يصلح لنمو اكثر  
النباتات والاشجار بحيث يضحى كحدائق غناء وبساتين فيحاء جامعة لشتات نبات  
المعمر . والسبب في ذلك اختلاف طبقات الجبل وتباين مواقع . وهذه العمري  
منحة فريدة تكرم بها الخالق على لبنان فلو انتفع بها الاهلون لأغنتهم عن  
شكواهم من عقم الجبل وضوالة غلاته

\*

وقد ذكرنا آنفاً الصيبر او التين الشوكي . وغاية ما يتفنع به الناس انهم يتخذونه  
كسياج ليوطنهم او يأكلون ثمره اللينة . ولو دروا لامكنهم ان يستعملوه لقوائد  
أخرى اعظم واجل . وما نقوله عن هذه الشجرة يصح في كثير غيرها . فمن ذلك انه  
يؤخذ على الفلاحة اللبنانية قلة اهتمام اصحابها بتربية الواشي  
ومن العلوم ان الجبال انسب الى ذلك من سواها لاسيما انه يلحق برعية الواشي  
اعمال أخرى يرتقون بها كبيع اللحم واصطناع الجبن والحليب والزبدة واللبن . وما  
السبب في قلة تهامل اهل لبنان تربية الواشي الا قلة الراعي والاعشاب فان بعض

(١) راجع الكتاب السابق ذكره (ص ٢٩)

(٢) وبدل على ذلك اشتقاقه من اللاتينية



الامكنة قاحلة جدا لا تجد فيها الطرش لما ظن طول السنة وفي غيرها تمحل التربة في فصل القبط وقبيل المراعي . فلا ي سبب لا يزرع الصيبر الذي ينبت في اي تربة كانت وهو ينبت على اشتداد الحر

ولكي يمكن الانتفاع بهذا النبات لا يبد من نزع شوكة عنه . والاولى ان يغرس ضرب آخر منه لا شوك له . واعلم ان ثمره ولا سيما اوراقه ( الواحة ) الضخمة المكتنزة من احسن ما يعلف به الحيوان . وبعض الزراعين يروونه شبيها بالجزر بل افضل منه لقوت المواشي . والجزر كما لا يخفى يشخذ في اوردية كملوفة الانعام . والصيبر اذا غرس وطلع يقطب في سنته الثالثة او في الرابعة وهو انصب . فاذا اتى على غرسه ست سنوات اتى بشعره وبقي ناميا الى السنة الاربعين فيحذر تشذب ساقه فيعود وينمو جديدا . ومجموع ما يستغل منه كل سنتين بين ٣٠,٠٠٠ الى ٣٥,٠٠٠ كيلوغرام من العلف في كل هكتار

وليس الواي هنا ان تزرع الاراضي الطيبة بالتين الشوكي بل الاراضي البور فقط التي لا تصلح لغير ذلك من المزرعات وان يغرس منه ثلاثة او اربعة صفوف حول البساتين والاملاك الواسعة بدلا من اكرام الحجارة التي تقوم في وجه السابلة واذا احتاج الناس الى علف للماشية في بعض السنين التجأوا الى هذه المؤونة القريبة المثال (١)

ويوجد غير ذلك من الاشجار التي تؤدي لاصحابها خدما مشكورة منها شجرة الخروب الذي ينبت من نفسه في لبنان (٢) وكان هذا الشجر كثيرا في لبنان حتى ان اقليم الخروب دعي به (٣) اما اليوم فلا يرى منه في لبنان الا اشجار متفرقة قليلة البسوق مع انه شجر كثير المنافع في تلك الجهات . وما يقال عن اقليم الخروب يصح في بقية اقليم لبنان فان مديرية البترون كما يشهد على ذلك المعتبرون من الشيوخ كانت غنية بهذا الشجر قبل نصف القرن واكثره اليوم قد قطع وتلف فلم يسع الاهلين ان يستبدلوا تلك الاراضي البائرة باغراس غيره . وهذا التسلل يبين للقراء ان الفلاحة

(١) راجع كتاب الاديب وديع مدور في فلاحه سورية ( ص ٢٦٤ )

(٢) كتاب جوره ( ص ٢٥١ )

(٣) وهو اسم قدم ورد ذكره في كتاب شمس الدين الدمشقي ( ص ٢٠٠ ) وفي تاريخ

يعروث لمصالح بن يحيى ( ص ٨٤ )



اللبانينة اذا ما قصرت في بعض الاحيان عن الترقى والتجسين ربما سهت ايضاً عن امثال الاقدمين وعدلت عن آكلهم المصودة . وكان اجدادنا يعرفون فضل الخرنوب ويقدرونه قدره كما يتخذ من هذا النص الذي سطره الشريف الادريسي في كتابه عن الناعمة التي هي اليوم قرية حقيية قال (١) :

« والناعمة مدينة حسنة وأكثر نبات ارضها الخرنوب الذي لا يعرف في ممر الارض مثله ندرًا ولا طيباً ومنها يُجهز به الى الشام وانه ديار مصر واليهما ينسب الخرنوب الشامي اما وان كان في الشام كثيراً وطيباً فهو بالناعمة أكثر والطيب »

فهذا الكلام شاهد لامع على ان الخرنوب كان متوفراً في الاقليم الذي دُعي باسمه وان زراعته كانت معدودة كأحد مرافق لبنان الجنوبي . فيا رعاك الله ماذا يمنع من ان يعود الاهلون الى توفير اغراسه لاسيما انه يأتي غفواً في كل الامكنة القاحلة ولا يحتاج الى عناية خاصة كما ان قلة الامطار او كثرتها لا تؤثر فيه واللبانيون بفارس هذا الشجر لا يعيدون فقط لجلبهم بعض نضارته بل يرتقون ايضاً بمحاصيله كما كان الامر في عهد الادريسي

ومما يزيد الخرنوب نفعا ان ثمره مسكري وقد اثبت الذين يعتنون بشظارة المواشي ان العلف النفع للانعام اذا دخل فيه السكر . وقد عرف قدماء العبرانيين منفعة قاطعوه الحنازير ( راجع انجيل القديس لوقا ١٥ : ٦ وكتاب التلمود ) وغيرها من الرعية . ويع ايضاً علف اليونان والرومان مواشيتهم . واليوم يدخل فرنسا في كل سنة ١٩,٠٠٠ طن من الخرنوب لحاجتها وهذه الكمية تتسوّق فرنسا من بلاد شتى ولا تقيد بها الجزائر منه سوى الف الى الف طن . ومحمول الخرنوب يختلف على حسب عمر الشجرة وحسبها ومداراتها فيجني من الشجرة سنوياً بين ٢٥٠ كيلوغراماً الى ١٠٠٠ ك من الثمر يساوي ثمنها من ١٠ فرنكات الى ١٠ ف . وفي هذه الاعداد دليل ظاهر على فوائد غرس هذه الشجرة التي لا تطلب عناء كبيراً . وان لم يقصد الاهلون منها الربيع ببيع ثمرها الا انهم يجدون فيها منافع غيرها كزعية المواشي . وثمرها كما سبق افضل علف الدواب يقوم مقام غيره من النجوع الذي يندر في بعض المواطن . وقد لحظ الاجانب فضلة قصاروا

(١) راجع وصف بلاد الشام للادريسي (ص ١٦) Gildemeister (ed.)

يقبلون عليه اقبالاً يزيد مع الاعوام وهم يستعملونه في الصباغة وفي عمل السكر ويمافون به انعامهم . والبعض منهم يختصون جوبة فيجعلونها بدلاً من القهوة (١) . وكذلك خشب صلب مسط يصبر على الزمان دهرًا طويلاً فيغرب فيه لذلك . وغاية ما يؤخذ على الخروب انه كالكزيتون لا يأتي بشيء قبل سنته العاشرة . لكن هذه الصعوبة ليس من شأنها ان تمنع من غرسه . ومن نظر الى الربيع العاجل فقد اكتسب الطائفة الآتية (٢)

ويوجد غير ذلك من النباتات التي تصلح للاراضي اليابسة نذكر منها شجر التين واللوز . ومن المعلوم ان ١٠٠ كيلو من التين اليابس ربما يعط ثباته فرنك اللهم اذا كان التين من الجفلس الحسن وجعل في علب مكبوساً كما يصنع اهل ازمير وهو من اكبر موارد الرزق لديهم (راجع الشرق ٧ : ١٠٦٠) فلو صرفنا النظر الى انقارنا لتحسين اجناسها وتهيتها لراحت الرغبة فيها وأجدت باعها ثمناً عظيماً

أما اللوز فهو من الاشجار الوطنية (٣) التي لا يُنكر فضلها . وزراعتها اسهل من سواها في لبنان لأن شجر اللوز كالكزيتون واكثر منه ينمو في الاراضي القاحلة والتربة التكتسية ومعظم لبنان تركيبة من هذا الصنف . ثم ان الشجر لا يقتضي عناية خصوصية وثمره يباع في الشجرة من ١٥ كيلوغراماً الى ١٠٠ كـ ويباع باسعار حسنة فان ثمة كيلو منه يدفع فيها من ٤٠ الى ١٢٠ فرنكاً على حسب اختلاف الاجناس فيكون معدل محصول الشجرة بين ستة فرنكات وستين فرنكاً . وهذا ما ساق الشركات الاسرائيلية في سواحل يافا الى ان تُسكّر من أنصاب اللوز فيقوم منه غابات في بعض حدائقها . ومن خواص ثمر اللوز ان تهيته لا تستدعي شغلًا لثقله وهو يبقى زمناً طويلاً

وليس الامر كذلك في زراعة اشجار غيرها التي تسارع بعض الاهلين الى غرسها كالليمون مثلاً (٤) فكل يعرف فضل ليمون صيدا . على البرتقال اليابوي وكثرة ما يأت

(١) راجع معجم الدوران للاب فيكتورو على لفظة « خروب » ج ٢ ص ٤٠٨

(٢) ومن اراد غير ذلك في هذا الصدد انليو بكتاب الاديب ودع مدور (١ ص ٢١٢)

و ٢٦٥ و ٤٤٢

(٣) طالع كتاب جورة (١ ص ٩٩٥)

(٤) راجع في المشرق (٦ : ٢٨٩) مقالة الاديب توما القدي كيبال في برتقال صيدا.



وطيب طعمه إلا أن يرتقال بأفا لزوج سوقاً عند الاتكليز . والسبب أن ثمر يافا اغلظ قشرة فيبلغ انكثارة وهو على حسن حالته بخلاف الليمون الصيداوي الذي يفسد في الطريق فيذهب رونه . ولعل لهذا الداء دواء وهو أن يخص الصيداويون قسماً من جئاتهم الغناء للشكل الياقوي فيصدرون هذا الصنف للبلاد الأجنبية . أما البلاد المجاورة أو المتصلة بخطوط نظامية كمصر وسواحل الشام والاستانة الطيبة وجنوبي روسية فيزودونها بأشكالهم الوطنية الطيبة لاسيما أن تربة صيدا تصلح لكل ضروب البرتقال ولأجناسه المختلفة . والمهم أن لا يجري الاهلون على مألوف عاداتهم المخلطة لأن ملازمة الطريقة الواحدة تؤدي بهم الى خسائر جسيمة . ألا ترى مثلاً أن بعض المراكب قطعت سيرها الى صيدا وكانت قبل أربع سنوات في فصل الآثار غمر بها لنقل محصولاتها . فلما رأت كساد سوق ليدونها كفت عن الجبي . اليها

ومن الزراعات النافعة الخطيرة الشأن شجر المشمش واشهر اصنافه صنفان معتبران هما المشمش الكلاي تكون نواته مرة والمشمش اللوزي حلو النواة . وهذا الصنف هو الافخر والالذ والفرق بينهما من حيث الثمن بعيد جداً إلا أن رغبة الفلاحين في الصنف الاول اعظم . وما هو يترى سبب ذلك ؟ قلّة انتشار المشمش اللوزي . ولو اراد الزداع لامكنهم توفير الجلس الفاخر بعباية صغيرة سهلة جداً

»

ومجمل القول ان الفلاحة اللبنانية لم تنهض حتى الآن من خمولها . وكثيراً ما نحمل الشكاوى على الطبيعة أو تركيب التربة أو العناية الصمدانية ولو كثراً من ذوي الانصاف لشكروا سهواً وغفلتاً . نعم انه لا يمكن استغلال الحبوب والجزر من اراض بحجرة أو ماحلة . ولكن ما لنا لا نوجه همتنا الى اصناف شتى ترى أكثر اهل ايتان لا يشقون إلا بالتوت ويكتفون بغيره فقط كأنهم لا يجسدون في سواه من الاشجار ما يقوم بحاجاتهم أو لا يربحهم ارباحاً مثله واوفر منه لاسيما ان بعضها لا يقتضي كالتوت فلاحه كبيرة ولا ايتان . سافات وسطوح تراب فاذا كان لدى الاهلين اصناف مختلفة زادت ايضاً مآتيهم وآمالهم . وعلى فرض أن صنفاً منها في بعض السنين لم يأت بالارباح المأمولة استمضوا عنها بما يجودونه في غيرهم . وعلى هذه الصورة يقبض الفلاحون شغلهم على كل فصول السنة ولا يدعون قطعة من اوزانهم دون فائدة



هذا وان قولنا السابق مبني كلاً على العلوم التاريخية والجغرافية والاقتصادية وذلك لا يمنع صرف النظر الى خبرة ارباب الزراعة ومراجعة الكتب الخاصة التي صنّفها العلماء في هذا الشأن مكرّزين الشناء خصوصاً على التأليف الذي وضعه الكتاب الضائع وديع اخدي مدور وقد استفدنا منه لتسطير هذا النظر في الفلاحة السورية ونسعى ان يعرب قريباً لفوائده

١٧

## ما قُتد في لبنان من قديم الحيوان

قد لحظ العلماء الباحثون عن طبائع الحيوان في الشرق ان البلاد السورية غنيّة باصناف الحيوان بحيث ترى في القطر السوري مع قسلة اتعابه من سباع الحيوان والواشي والدواب ما تجده متفرّقاً في اقطار عديدة ومناطق مختلفة من العالم وهذا اعصري من المشاهد النادرة التي لا تكاد ترى لها شبيهاً اللهم الا في المنطف الجنوبي من جبل حملايا اعظم جبال الهند بل اعظم اطوار العصور وانما نجد تليلاً لهذا الامر في موقع سورية وتركيبها الجغرافي فاذا ان استقلت غور نهر الشريعة الذي هو اسفل من سطح البحر المتوسط باربعماية متر ( وذلك امر فريد ليس مثله ثل في الارض ) ثم نظرت فقط الى هيئة لبنان تذكرت ما سبق لنا بيانه من ان هذا الجبل جامع خواص بلدان شتى متباينة كل قبايل ومن ثم يصلح ان يكون مأوى لمواليد الحيوان المختلفة

على ان غايتنا في هذه المقالة ان نتنصر على حيوان لبنان فقط وفي كثرة حيوان ما يقتينا عن ذكر بقية البلاد الشامية . لاسيما اذا اعتبرنا لبنان في ايامه القديمة اذ كانت تزين قممها غابات الكسيفة قبل ان تقطع اشجاره وتُسبَدل بالمزارع . فرائنا من ثم ان نبسط الكلام في قديم حيوان لبنان فنستقري الاصناف الحيوانية التي خلا منها الجبل مستثنين في ذلك الى شواهد التاريخ الصادقة

\*

الاسد ملك السباع فله السبق وبه نفتتح كلامنا لم ينكر احد وجوده في بلاد

الشام وأما ادعى المسيو ستانغر في كتابه الممتون فلسطين في زمن المسيح (ص ٢٢٥) انه لم يبق له من اثر في اورايل تاريخ الميلاد . وكذلك الدكتور هـ . پروتس (H. Prutz) قد زعم ان روايات كتبة الفرنج في القرون الوسطى عن الاسود من الاساطير التي لا يوثق بها (١) ووافقة في هذا رأي الرحالة الشهير سيتسن (Seetzen II, 228) فان اعتبرنا بلاد الشام اجمالا عثرنا على نصوص تثبت وجود الاسد فيها حتى في اوائل القرن السابق (٢) بل لا يستبعد وجوده حتى اليوم في بادية تدمر (٣)

أما لبنان الذي يهتأ الآن اعتباره فان الشواهد على وجود الاسد فيه عديدة على اختلاف اطوار تاريخه . لا بل قد وجدت قبل طور التاريخ في آثار هياكل اسود كانت تؤدي الى الكهوف (٤) . ومن شواهد الازمان التاريخية ما ورد ذكره في سفر نشيد الاناشيد حيث أشير الى أسد لبنان عموماً وحرمون خصوصاً قال (٨: ١) : « انظري من رأس امانة من رأس سنير وحرمون من مرايض الاسود من جبال النشور » وحيثما جاء في الكتابات الهيروغليفية قبل ذلك العهد ذكر « لبنانا » وهو جبل لبنان فان كتابها يثقل كجبل ذي احراج متكاثفة لم تمتهن بالتطلع تتجول فيها الضباع والذئبة والاسود . وكان القراعة اذا خرجوا الى مصاد سباع البهائم والاسد قصدوا لبنان او لحقه في سهول البقاع او سهول حمص ووادي العاصي حيث كانوا يتصيدون الفيلة كما سترى

وكذلك ملوك بابل واشور فانهم بعد القراعة بقرون كانوا يحاولون قنص الاسود في لبنان . لنا على ذلك دليل محسوس في نصب اكتشافناه قبل بضع سنوات جنوبي غربي حمص على مسافة نحو عشر ساعات منها في سلسلة جبال متفرعة من لبنان يفصل بينها وادي خالد واسم الجبل أكروم - والنصب في وادي حرج حيث يميل جدول ماء

(١) راجع كتابه Kulturgeschichte der Kreuzzuge, p. 332

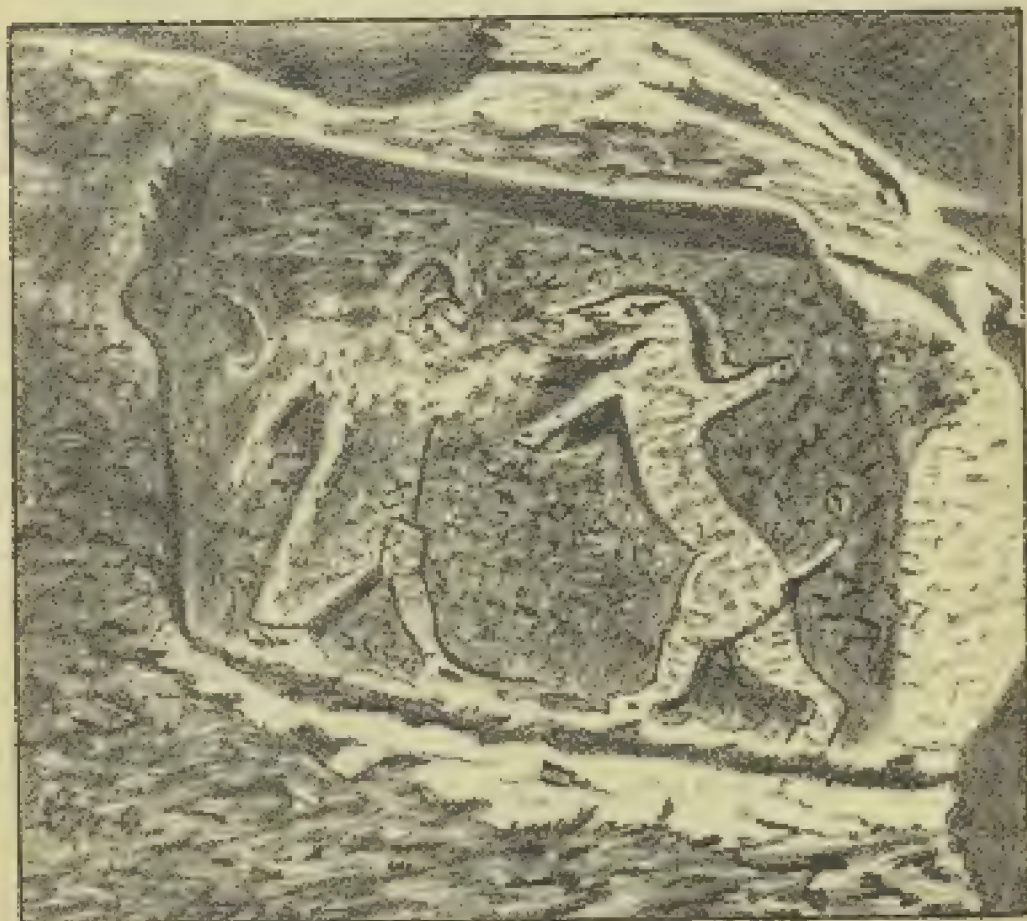
(٢) راجع الكتاب The City and the Land, 83 - وكذلك ورد في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ان الاسد كان موجوداً في انظر الثاني في عهد المرتك اي في اوائل القرن الخامس عشر ( راجع النسخة المخطوطة التي في خزانة كتبا الشرقية ( ص ١١٢٢ )

(٣) راجع مجلة العالمين 11 Juillet 1897, p. 403

(٤) راجع كتاب الاب زيمون السوي ( Esquisse géolog. du Liban, p. 63 )



يُدعى نهر السبع شكله مربع تقريباً يبلغ قياس كل جانب من جوانبه مترين ونصف ترى فيه صورة لسدر يصارعه رجل ( انظر الصورة ) والمصارع منتصب حافي الرجلين واه يبيض بيد شديدة قسّ الاسد الواسع المقعر بينما هذا ينصب قائمته ليهجم عليه . وصورة الرجل مهشمة ولا يرى السلاح الذي كان في يده والمرجح انه كان يمسكه باليسني ومع خلوه هذا الاثر من كتابة لا شك في انه من آثار الاشوريين (١)



صورة نصب اكروم

وقد اكتشف ليس بعيداً من هذا النصب اثر آخر يبين معناه والواقف عليه

(١) راجع مخطباتي الذي عنوانه Notes épigraph. et topogr. sur l'Énéside, p.

49 و٥٥ س. - رتقال بحث في هذا الاثر الجليل نشره في المجلة الكتابية, (R. B.,

1903, p. 600-604)



هو المسيو يونيون قنصل فرنسة سابقاً في حلب وجده منذ نحو عشرين سنة في وادي بريمة على مسافة نحو ساعتين من الهرمل في شمالها اعني في وسط لبنان . وهذا الاثر عبارة عن صفيحتين نصبهما ملك بابل نبوكدنصر الثاني وعليهما كتابات مسمارية وضمن احدى هاتين الصفيحتين صورة كصورة نصب جبل اكروم تشمل صراع رجل واسد . وليس الرجل سوى ملك اشور بينه كما يلوح من مضمون الكتابة . وذلك ان نبوكدنصر سكن بريمة من الدهر في رتبة وهي قريبة من الهرمل ومن جبل اكروم فلا عجب ان تكون الآثار المكتشفة في تلك الجهات بمثابة لبعض وقائع الصيد التي تولأها الملك الاشوري على مقربة من مقام عسكره . وهذا دليل باهر على وجود الاسد في لبنان في القرن السادس قبل المسيح

وان تتبعنا سياق الاجيال من بعد نبوكدنصر لانهج شواهد واضحة على صدق مقالنا والسبب ان الكتابة اليونانية والرومانية لم يردوا عن لبنان الا القدر القليل فلا غرو ان سكنا عن مثل هذه الحقائق . ولا ينقصنا مع هذا بعض الدلائل المشيرة اليها فن ذلك اسم «البوة» وهي قرية شمالي بعلبك على مسافة اربع ساعات منها واسمها القديم كما في العربية لبوا (Liboa) يشبه اسم قرية بيت لبوت (بيت لبوت) في فلسطين (١) وناهيك بهذا الاسم شاهد على وجود الاسد في تلك الجهات عند سفح لبنان . ومثل هذا اسم مدينة ليونتوبوليس (Leontopolis) اي مدينة الاسود واسم نهر الاسد (Λεόντος ποταμός) وكلاهما على سواحل لبنان وان لم يقبض العلماء بضبط نقطة موقعهما . ولا بأس اذا قيل بان في اسميهما دليلاً على وجود الاسد بجوارهما في لبنان

وزد على ذلك نصوصاً وردت في كتاب فتح البلدان (ص ١٦٧) للبلاذري ثاني بوجود الاسد قريباً من انطاكية . وكذلك جاء في كتاب الاعتبار ان اسامة ابن منقذ كان يصيد الاسود في نواحي شيز . ومن غريب الشواهد ما اثبتت قوسان الهيكل في قانونهم انه لا يجوز لهم الخروج الى الصيد ما خلا الاسود . وكان لهؤلاء الرهبان كما هو معلوم مراصك عديدة في لبنان (٢)

وما لا يترك شبهة في الامر خبر رواه صالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت عن

(١) راجع مجمع الكتاب المقدم في باب الاسد

(٢) راجع ٤٦ ٥٠ G. Schnürer: Die ursprüngliche Tempelregel, p. 146.

بعض امراء الغرب في القرن الرابع عشر للميلاد في قرية عومون الداخلية اليوم في مديرية الغرب الأقصى من عمل الشوف. قال ما حرقه (ص ١١٣ من طبعتنا) :  
 « ومن جملة مكابدهم معه (١) ان احدهم رأى اسداً قد تطرّق الى بعض الاماكن القريبة فحضره عند زين الدين بن علي وقال له ان دياً بجاور المكان الفلافي (يريد مكان الاسد) وكان غويجه بالذب عن الاسد غروراً بزین الدين وطعماً ان يحدث له الاسد حادثاً (فتوجه زين الدين لبلأ الى المكان الذي قيل له منه ولم يصحب معه احداً ومعه قوسه فكنس هناك فلما مر به الاسد علم انه مغرور بالقول الذي قيل له ورى الاسد بهم واحد معتمداً على بيت القلب فبات الاسد منه . وعاد زين الدين الى منزله وعند الصبح ارسل الى من اخبره انه دب يقول له : اذهب وانت بالذب الذي قلت عنه فانه مقتول بالمكان الذي ذكرته . قال ذلك متهمكماً »

وهذه بيانة واضحة تدل على وجود الاسود في جهات الغرب في القرن الرابع عشر وعلى الأقل بعض الافراد منها . وانما توارت اللبوث بقطع الاحراج من الجبل وانتشار ذرع التوت لصناعة الحرير

لما الاسد السوري فكان جنسه قوياً بذاته وكان اصغر قامة من اسد افريقية واضعف منه قوة وكانت لبنة صهبا . يخاطبها شعر اومد (٢) وهو كالنوع الفارسي (leo persicus)

قال حضرة الاب زيمون (٣) : ليس لحياتية انهار وسهول كاثية لمراعي كبار الحيوان ذوي الجلد الغليظ (pachydermes) ومن ثم لا يُنتظر وجود هياكل حيوانات خيطومية قديمة . لكن الكاتب عينه قد اردف هذه الاسطر بقوله انه وجدت في الكهوف السابقة لطور التاريخ في لبنان بقايا عديدة من هياكل الكوركن (rhinocéros) الذي يجانس نوعاً آخر قديماً يدعى تيكورينوس (tichorhinus) كان يرافق جبال الحيوانات المعروفة بالثوث

وفي مقالاتنا السابقة عن مياه لبنان (راجع ص ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٨) اشرنا

(١) يريدني ابي الحبش الماوين زين الدين بن علي امير الغرب

(٢) طالع : Nowack : Hebraische Archæologie, 78 : Dictionnaire de la Bible.

art. Lion

(٣) راجع كتابه : Esquisse géologique, 6٤



بعض الدلائل التي يمكن ان يُستدل بها على وفرة المياه الجارية سابقاً من عيون لبنان وانهارها. وكان يتبع من هذه المياه الجارية تساعد على نمو الزارع وخصب المراعي التي تحتاج اليها هذه الحيوانات لاسباب معاشها

وجود الفيل في لبنان امرٌ ليس تحت ريب تُقرّر صحته الدروس الشرقية. روى المسيو مسيرو في تاريخ الشعوب الشرقية القديمة (ك ٢ ص ٢٦٥) ان الفرعون تحوتس الثالث لما عاد ظافراً من ضفة الفرات تول في في (Nii) التي تظنها افامية المرافقة لقناة الضيق حيث تستقعر مياه العاصي في سهول واسعة كثيرة الادغال كثيفة الاعشاب. وكان هناك فيلة عديدة فاراد الفرعون ان ياتهي بصيدها فوكل الى جنوده بان يحدقوا بالسهل لتلا تغلات الفيلة من الصيد فكان عدد القتلى ١٢٠ فيلاً نقل عاجها الى مصر (١) فكفى بهذا العدد دليلاً على وفرة ذوي الخرطوم في سورية

ثم ان في الآثار الاشورية ما يزيد على هذا دليلاً. قيل ان العاج كان من جملة الجزية التي اداها الملوك نينوى اهل بيت عديني وابطااي وهو يوصف كحصول بلدي. اما موقع هذين البلدين فانه كان في شالي سورية في ما يوافق حالياً ولاية حلب. وكذلك ينتشر الماسكان الاشوريان تغلات فلاسر الاول واشور بانديسال بانها قتلا في تلك الجهات عدداً عديداً من الفيلة واسرا منها بعضها فنقلها الى حاضرة ملكها وكل ذلك دليل لامع على وجود الفيلة مهمة وحشية في بلاد سورية (٢)

اما داخل لبنان فليس لدينا شهادة جلية على كيان الفيلة فيه اللهم الا بعض الاسماء. كسن الفيل لقرية بجوار بيروت وخرطوم لضيعة في بلاد الشقيف لكن اشتقاق هذين الاسمين يمكن شرحه على غير طريقة. وعلى كل حال لما كان وادي « في » اي افامية السابق ذكره ملاصقاً للبنان يمكن القول بان فيلته كانت تصعد الى رأس العاصي في البقاع. فانه لمعلوم ان الفيل الوحشي يقطع المسافات البعيدة انتجاعاً للمراعي. وكانت حالة بلاد البقاع في ذلك العصر كحالة بلاد افامية. وكانت السهول المتوسطة بين لبنان والجبل الشرقي تغلب عليها البحيرات والمستنقعات وتكثر فيها

(١) راجع ايضاً تاريخ مسيرو في الصفحة ١٨ ومجمع الكتاب المقدس في مادة « فيل »

(٢) راجع كتاب حضرة الاب ويلتر اليسوي L'Asie occidentale dans les

inscriptions assyriennes, 25, 74



الروح الخصب . ولا شك ان بعض هذه الحيوانات كانت تتردد الى جهات بحيرة حمص وعيون العاصي النبعة قريباً من حرمل فكانت تتوغل في الغابات الكثيفة النامية في منعطف لبنان الشرقي لا سيما عندما اخذ عدد السكان ينمو في وادي العاصي فاضطرت القيلة ان تهرب وتطلب لها مأوى هادئة امينة

اما منعطف لبنان الغربي فلتوفر سكاته كانت احواله قليلة المناسبة لعاش هذه الحيوانات المحبة العزلة الا في القرون الغابرة قبل مائتي سنة القليلة السكوني كطرابلس وبيروت وصيدا . اذ كانت السواحل مقاماً لبعض اكواخ الصيادين . فلا بأس ان يقال ان القيلة كانت تطوف وقتئذ غابات لبنان الساحلية قريباً من الاسود والذبية وان بعضاً منها قدمت من وادي العاصي فبعت وادي النهر الكبير وجاءت ترعى عند شواطئ البحر وتروح في نهر ادونيس وفي نهر بيروت والدمور اذ كانت مياه هذه الانهار اوفر منها في عهدنا تتدفق في السهول القريبة من مصبها وتخصبها بمنتجاتها . بيد ان غو السكان لم يلبث ان يلجئها الى الحروب من وجه الانسان طلباً للاممكة المنة في شمالي سورية او بلادها المتوسطة

ثم زادت عليها المخاطر في تلك الايام ايضاً كما رأيت في ذكر صيد تحونس الثالث ومنه يستنتج ان القيلة توارت بزمن قليل وبدا جنسها في بلاد الشام . واذا تصفحنا تاريخ ملوك اسرائيل في عهد سليمان لم نجد ذكراً للقيلة الوحشية . ولعلها كانت تنامت الى جهات الشمال حتى بلغت وادي الفرات وسواعده وهنالك كان يتصيد ملوك اشور اذا ارادوا صيد القيلة كما أولعوا بصيد اسود لبنان وفقاً للشواهد الواردة في انصاب وادي نهر السبع وادي يربا

ومما وجد ايضاً في لبنان من الوحوش المفردة البقر الوحشي (aurochs) تصيده الملك الاشوري تغلات فلاسر الاول في القرن السابع لعهد داود (١) كما ورد في الكتابات المسمارية . ووجوده في لبنان مقرر ثبت . لانه لا احد ينكر وجوده في بقية جهات سورية وعيشته بين احراج لبنان انساب لطباخه ان وجود حيوانات كثيرة كالاسد والفيل في لبنان كان من شأنه ان يجعل لغاباته

هيئة غير مألوفة ولا مأنوسة ومن ثمّ قهّم لها إذا كان يشمل الرعب عند قطعها قدماء المصريين الذين كان يسوقهم الدهر أو طلب الارتاق إلى المورديها فكان الرجل من وادي النيل ألف الأماكن النبسطة والمناظر المنكشفة في بلادهم إذا قصد الاقطار الشامية يوصي بناله لاهليد حرقه من السباع (١) فلم تكن سورية في عيني سوى غابة سوداء اجتمعت بها افواجا وزرافات اصناف الحيوان الضارية كالأسد والنمر والفيل واشباهها

»

ولم يكن مشهد الحيوان في مياه الأنهر والبحيرات باضعف حركة منها في الصحراء والجبال فكان يلعب فيها فرس الماء ويبحث التمساح وقد وُصف ذلك في سفر ايوب وصفاً بديعاً فائضاً في الشعر بالغاً في التأثير فنهها يهيموت ولويانان في نص المؤلف الالهامي (٢) وقد ارتأى قوم من مفسري الكتاب المقدس ان واضع سفر ايوب اخذ معلوماته عن مصادر مصرية في وصف هذه الحيوانات المشتركة العيشة بين البر والبحر. ولما نحن فغداة وجه اسهل لحل هذه المسألة فلم يكن من حاجة لأيوب ان يتعد عن سورية لوصفها إذ كانت هذه الحيوانات موجودة فيها منذ ذلك الحين البعيد العهد

واعلم ان وادي الاردن من غريب ما شوهد على سطح الكرة بوضعه الطبيعي وتركيبه الجغرافي بحيث يتشكّل للعين انخفاض يبلغ عمقه عند منتهاه (عند بحر لوط) زهاء ٤٠٠ متر دون البحر المتوسط ففي هذا القور الذي لا مثيل له في الدنيا يسود حر شديد ابتدأه في اواخر ايار فيتراوح وقتئذ ميزان الحرارة في النهار بين ٤٠ و ٥٠ درجة من ميزان ستيفراد وينشأ في تربة ذلك الوادي الحارة نبات اشبه بنبات خط الاستواء في افريقية لا يشبه نبات سورية وفلسطين بشي.

فملي شواطئ بحيرة الحولة تنمو طاقات العري الحضر حتى يومنا والبردي نبات كان قديماً زينة مصر ومجدها ولا يرى منه الآن في كل وادي النيل اللهم الا في بلاد السودان الجنوبية. واي عجب إذا وجدنا بأرض تشبه أرض افريقية بقرتها الحارة

(١) راجع II. ٤٦ Maspéro : Histoire ancienne,

(٢) سفر ايوب (ف ٤٠ و ٤٢)



ونباتها الخاص ما نجده من الحيوان في قارة أفريقية . وهذا ما كان بلا ريب في عهد أيوب فتتخيل عهدئذ بحيرة الحولة تحرك مياهها التلسيح والافراس النهرية وهي ترح بين غياض البردي فايرب حسب التقليد قطن حوران وسكن ناحية جولان فلا غرو إذا ما شاهد من اعالي شرفات هذا النجد المثل على الحولة والاردن حيوانات البر والبحر العظيمة ووقف على احوالها دون ان يتقدم الى مصر . على ان فرس الماء في الوقت الحاضر قد خات منه نواحي الشام ولم يزل فيها التمساح وهالك البرهان :

ذكر بطليموس وبلين واسطرابون مدينة بجانب الكرميل اسمها مدينة التمساح ( Crocodilopolis ) ( ١ ) وقد اتى بلين ( ٢ ) فوق ذلك على ذكر نهر بهذا الاسم في تلك الحدود وهذا النهر العميق الماء الخامد الحركة يُظنُّ به عموماً انه نهر الزرقاء المجاور قيصارية شمالي هذه المدينة وهناك يتكوّن منه مستنقع غريب المنظر ويدعى حتى اليوم باسم يعبر عن حقيقة حاله اي مستنقع التمساح وعلى حافته تنمو بكثرة غياض البردي وغيره من الشجيرات فاسم المدينة واسم النهر يسوّغان لنا ان نحكم بوجود تلك الزخافات فيها في غابر الزمن على الاقل فضلاً عما لدينا من الشهادات الجمة قديمة وحديثة تبين نفس الشيء باستفاضة لا تبقى في العقل شكاً . . .

ففي الجبل الحادي عشر ذكر الجوّالة الفارسي نصري خسرو جنوبي الكرميل وادي التلسيح ( ٣ ) . وشهد على مثل ذلك في الجبلين الثالث عشر والرابع عشر مارين سانتو وجاك دي فيتري . فالتاني يقول : التمساح موجود في نهر قيصارية وهو يقتس الانسان والحيوان وطوائف في الغالب قدر عشرين ذراعاً ( ٤ ) ولما قرى ديسكاردوس قلب الاسد ملك النكلكرة عند نهر الزرقاء . اقتس التمساح اثنين من جنوده ( ٥ ) . ويقول برخارد الصهبوني المنسي الى رهبنة مار عبد الاحد والذي تجرّأ في سورية في اواخر الجبل الثالث عشر : ان التلسيح كثيرة في بحيرة قيصارية وانه لم يفلت هو من شرها الا باعجوبة

( ١ ) Strabon : Geogr. XVI راجع

( ٢ ) Plin. : Hist. natur. V, XVII راجع

( ٣ ) راجع الترجمة الفرنسية لشيفر ( Schefer )

( ٤ ) راجع Gesa Dei per Francos ( ص ١٠٢ )

( ٥ ) راجع Histoire de la guerre sainte ( éd. Paris ) ص ٥٣٦



وقد قال قوله من بعده كثير غيره من زوار الارض المقدسة غير أننا لا نورد  
اسماءهم لانهم رواة يروون ما سمعوا وليسوا شهود عين يحكون ما فظروا اللهم الا  
بوكوك الانكليزي سنة ١٧٧٣

\*

هذه شواهد الماضي وأما في الحاضر فلدينا اصرح الأدلة واتصدق الشهود عن وجود  
التمساح في الزرقاء بل وفي غيره من مياه فلسطين

فالأحاديث المقولة والاسانيد المروية عن نهر الزرقاء يبلغ عددها الى ما لا يحصى  
ينتهي وأولهم المرسل الاميركاني تومسون الذي كتب سنة ١٨٥٧ (١) ثم العلامة  
بياروتي (Pierotti) مهندس ولاية القدس وقد عثر في سيره نحو منبع الزرقاء على  
بقايا سائح تمساح أحضرها بقايا الرأس (٢) وفي سنة ١٨٧٧ قبض الالمانيون في حيفا  
بالوضع نفسه على انثى التمساح (٣) وقد تعدد مثل هذه الاكتشافات في السنين  
الحسنة والعشرين الأخيرة . وفي سنة ١٨٩٣ وجدوا فيه هيكل تمساح وست بيضات  
فخشي الهيكل بالتين وأرسل الى القدس

وأما البيض ففُتست واحدة منها وأُرسلت واحدة الى العلامة صموئيل ميريل  
فحصل اميركة في اورشليم وبعث بالأخرى الى باريس (٤) فهذه الاكتشافات المتعددة تدل  
على ان التمساح يعيش ويتناسل في بطاح نهر الزرقاء وغدراقه الا انه ليس بكثير  
التناسل لان سطح الارض الذي تغمره الاغردة لا يبلغ عشرة هكتارات

وهذه الزخافات موجودة في غير اماكن من فلسطين ففي السهل الكثير الرمل  
المدقع ذي الكثبان المتعددة الممتد بين حيفا وعكا مصب نهر القطع المعروف عند  
الاقدمين باسم قيسون فهذا النهر تغمر مياهه عند آخر حدوده على مسافة ثلاثة الاف

(١) راجع The Land and the Book (ص ٤٦٧) . ثم ZDPV, XIII, 340

(٢) راجع مقالة التماسيح في فلسطين للاب دي سنت اتيان (de St Aignan ص ١٠)

(٣) اطلب دليل يذكر الطبعة الرابعة الالمانية (ص ٢٦٥) ولورته (Syrie d'aujourd'hui)

(ص ١٧٤ d'hui)

(٤) راجع المجلة الفلسطينية الانكليزية (P.E.F) سنة ١٨٩٣ (ص ١٨٢ و ٢٦٠)

متر عن البحر لأنه لا يصادف هناك انحداراً كافياً وتقتصب في وجهه الرمال المتكونة عند مصبه فتحول الحواجز بينه وبين البحر فيستقعر السهل وتوسع مستنقعاته وينبت فيها النباتات وتسمى فتشبه سبلها ففي سنة ١٨٦٦ ارتاد الجوّالة الانكليزي مالك كريكور على زورق غدران نهر المقطع وبحراء الاوطان فطالع عليه بقعة من الماء تمساح وكاد يلقب الزورق فاذهله ما اتفق له مما لم يكن في الحسبان فرفأ بقاربوه الى الشاطئ فابصر عليه آثار تماسيح متعددة . وقد التفتي مرة ثانية في تلك النواحي بهذا الحيران الغار الذي لم يعد من سبيل للارتباب بوجوده في نهر المقطع (١) وحتى اليوم لم يكتشفوا على شيء منه في بحيرة الحولة ولا في بحيرة طبرية وفي حكمنا انه كان فيها قديماً وترجح وجوده في نهر الشريعة اليوم

ومما يحملنا على هذا الترجيح ما جاء في رُحل الزوار الاقدمين من القصص والاعخبار عن تكبات بعض السواح ممن ذهب بهم التماسح عند استجمامهم في الاردن

وبعض حوادث اقرب عهداً تريدنا في الامر صدقاً والى اليوم ليس من حادث او اكتشاف في الاردن كما في الزرقاء والمقطع مما يتره الحقيقة عن كل ريب وذلك متأت من عصر سمر الاردن في بحراء الاسفل (٢) ولعل التماسح موجود في النهر الاخضر جنوبي قيصارية كما وفي غيره من مياه تلك الناحية . وفي رأي العلامة لورته الذي فحص تمساحاً محشواً (مصبراً) ان تماسح فلسطين يختلف نوعاً عن تماسح النيل (٣) ومن المقرر الثابت ان تماسيح فلسطين اصغر جداً ولا يزيد طولها على متر ونصف ولا بأس منها الا على المواشي فتفتك بها احياناً

\*

وانما الدعب في هذا بيان طريق وصول هذه الزخافات الى الاقطار الشامية .  
أهي اصلية رومانية ام نقلت من خارج . فالرأي الاول قريب من الصحة على ما نرى

(١) راجع كتاب « مالك كريكور » المصنوع ( The Rob Roy on the Jordan, 398 )

(٢) راجع مقالة الاب دي سنت اتيان السابق ذكرها

(٣) راجع كتاب الدكتور لورته ( Syrie d'aujourd'hui )

وهو رأي العلامة لورته الذي ينكر كون أصلها من مصر . فالواضع التي ثبت بها وجود هذا الحيوان في فلسطين تشبه مصر بنوع نباتها فان كانت الواردات واحوال الجو والهواء واحدة في التعاريف فلم لا يتشابهان ايضاً بنوع الحيوان . فلا شيء . اذن يجوز دون وجود التسامح بل كل شيء يدعو اليه . على ان بعض العلماء يستصوبون القول بنقل هذا الحيوان الى فلسطين ورأيهم ان المصريين نقلوه اليها . ونحن نعلم ان فلسطين كانت جيلاً طويلاً في حكم القرائنة فلا يبعد ان يكون من اقام في هذه البلاد من المصريين قد احبوا جوار هذا الحيوان الذي هو من معبوداتهم فاستصوبوه

ومما نعلمه ايضاً ان رعميس الثالث بحث بالتسليح وافراس الماشية هدية الى قنلات فلاس ملك اشور (١) وربما وصل التسامح الى فلسطين لحادث نقله هذا ومما يمكن من امر هذه التأويلات والايضاحات فقد تقرر لدينا وجود هذه الزخافات في كثير من مياه فلسطين الشمالية وكل شيء يحملنا على التسليم بانها كانت اوفر عدداً في الازمنة المريقة في القدم وسواء كانت اصلياً ام منقولة فقد توالدت وانتشرت على وجه القطر

ولا يصعب علينا القول انه في عهد ما كان القيل محبوب اراج لبنان كان التسامح يعبث في مياه الجليل ومستنقعاته كاليطاني القريب من بحيرة الحولة والاردن وقد كان بلا ريب وافر العدد فيها قديماً على عهد ارب الباز . انما غر العوران واتساع الزراعة وامتداد الساكن اصبحت بعد ذلك ضربة قاضية على وجودها في تلك النواحي الندية . ولم يكن للفينيقيين حاجة في عبادتها كالاصريين ولا بد انهم بذلوا الجهود في استئصال شأفة تلك البعيرة المؤذية او في حملها على المهاجرة الى جهات اعرق في الجنوب حيث نجد منها بقايا في ايامنا





## المعادن في لبنان

نقسم كلامنا في المعادن اللبنانية الى قسمين . فالتنا نبعث أولاً عن احوالها  
الحاضرة ثم نستقري الشواهد التاريخية

## ١

## حالة المعادن حاضراً

كلامنا في هذا القسم عن ثلاثة امور : احوال الوقود ثم المناجم المعدنية ثم  
الحجارة والنوام

## وقود

١ فلنباشرن بالنفط الحجري الذي نال في عالم المعادن واعمال الصناعة مقاماً  
راجحاً لا يحتاج الى بيان . ان الذين بحثوا في بلادنا عن طبقات الارض وتركيبها  
يجسسون بان سوريّة خالية من النفط الحجري (houille) ولا يخرج لبنان عن هذا  
الحكم العمومي . على ان في هذا الجبل طبقات من البضة (grès) تتضمن  
مستودعات عديدة من الفحم الحشوي المتحجر (lignite) غير كامل التفتح لكنها  
بلغت في غورها ما هو كافٍ لاستخدامها

وهذه الاخشاب المتعففة على غربيين . فيها ما تظهر فيه تقاطيع الخشب وهو  
الخشب الحقري . ومنها ما استفهم الى ان قد قام أثر النسيج النباتي . وهذا  
الصف الثاني يكون نعمة اسود كالقير لامعاً وقريباً من الفحم الحجري . واغلب  
المناجم التي ترى فيها هذه الاخشاب المنجورة يخرج فيها البيريت (pyrites)  
الابيض (وهو مزيج الكبريت بالحديد) مع الصلصال ويصعب فصلها عنه وهما  
يجملان هذا الوقود غير صالح لاعمال الصناعة . وزد على ذلك ان فحمها اذا تكشّف  
للأواء لا يلبث ان يتشكّل وتعاود قشرة من عنصر الشب . ومستودعات هذا

الحشب التحجر في الجبل هي في الغالب قليلة الاتساع لا يتجاوز عمقها مترين . أما مواقعها في لبنان فدونك ما يستحق منها الذكر مباشرةً بنواحي الجبل الشامية  
 شاع أن في قائماتية البترون قريباً من بشرأي منجماً من المستحجرات الحشبية .  
 وليس لدينا شيء من الاعلامات المدققة في هذا الخصوص فنكتفي بالإشارة . أما  
 جهات لبنان الجنوبية فعندنا من الايضاحات ما هو اوفى بالمرام فإن في المقاطعة  
 الكسروانية في قرطبة وميروبا والنيطرة مناجم متعددة من الحجر الحشي كان  
 يهتم باستخراجها اصحاب المعامل الحربية ولعلهم يستثمرونها حتى اليوم . أما  
 منجم ميروبا فلولا بعده عن المراكز الكبرى لصلح للحاجات البقية وناب مناب  
 ضروب الوقود

واشهر طبقات الفحم الحشي المتحجر في قرنايل من مقاطعة المتن وقد صار  
 الاعتناء باستخراجها من سنة ١٨٣٥ الى ١٨٣٨ لكن قيمة هذا الفحم كانت لرفع  
 من فحم انكلترا بعد نقله الى بيروت . وكانت علّة هذه الاسعار الفاحشة قلّة وجود  
 اسباب المواصلات فيحتاج الى الدواب لنقل ما يستخرج من المناجم . ولولا هذه  
 الصعوبة لأضحى هذا العمل راجحاً لأنّ لربح معدداً فقط كانوا يستخرجون من هذا  
 المنجم مئة قنطار في اليوم . والفحم جيد رغماً عن انقطاع طبقاته وتجمداتها . وهذا  
 المنجم قليل السعة وسكك لا يتجاوز متراً

وفي المتن الاعلى مناجم فحمية أخرى متعددة يستفيد من بعضها ارباب المعامل  
 الحربية المجاورة . منها منجم مأر يوحنا الآن اختلاط فحمه بالكبريت والحديد  
 يصد عن استعماله . وفي فالوغا منجم آخر يوجد فيه جذور شجر تحولت الى هذه  
 العناصر الغريبة فاذا انكشفت للهواء صارت فتاتاً بعد قليل . وفي بزبدن منجم  
 ثالث ليس بندي شأن

وهذه المناجم الفحمية يصعب استثمارها لقلة اسباب المواصلات ولبعدها عن المراكز  
 الكبيرة فضلاً عن كونها قليلة العمق ضيقة النطاق نكث فيهما المواد الغريبة التي لا  
 يمكن إفرازها إلا بعد النفقات البالغة . فهذه العوائق كلّها تقوم في وجه العمل وتزيد  
 في صعوبته وتقلل لرباحه المأمولة

وبخلاصة القول أن طبقات الفحم المتحجر السابق وصفها لا يمكن تعدينها وأنما

يجوز استخدامها للمعامل الصناعية الصغيرة وللحاجات البيئية بشرط أن يُختار منها أجودها وتُنتج نقية حنة من موادها الغريبة

✱

وان اعتبرنا قائماتية جزين وجدنا مناجمها القصية في حالة اصلح وان عدت أيضاً الوسائل الجامعة بينها وبين المراكز الكبرى حيث يمكن يدها . نعم ان صيدا . اقرب الى جزين من قرنايل الى بيروت ببعض كيلومترات لكن صيدا . مركز قليل الشأن فتكون قطبيتها لهذا الفحم زهيدة

وهالك ما يعرف من طبقات الفحم الخشبي المتحجر في قائماتية جزين :

اذا خرجت من صيدا . في وجهة الجبل رأيت بازائك على حدود الاقنى من جهة الشرق جبلين تلتصق قمتها على شبه الخروط مع استدارة قليلة كان ارباب البحر لغرابة شكلهما يستدلون بها الى موقع صيدا . قبل شيوخ السفن البخارية . والقناتان قريبتان لا يفصل بينهما الا مهبط قليل العمق فدعينا لهذا السبب بتومات نيجا او بالتومات . وكان الاولى بان تدعى بتومات جزين لوقوع جزين عند سفحها . فان غالب اسم نيجا فذلك على رأينا دليل على خطر قرية نيجا قديماً . ومن زار هذه القرية تحققت صحة هذا القول لاسيما اذا رأى على مقربة منها تلك الغلعة المنقورة في الصخر الشهيرة بشقيف طيرون او بقلعة نيجا وقد سبق لنا وصفها ( ١ )

ويتشعب من تومات نيجا غريباً من جهة البحر يشعب توى فوقها جنوبي جزين مناجم من مستحجرات الفحم الخشبي تزيد هنا وصفها . ولا يخرج من دائرة الجبل الغربي سوى منجم واحد يلى على وجه الارض طوله ٥٠٠ متر وارتفاعه ٨٠٠ م بين قريتي مشقرة ونيجا اعني في منحدر تومات نيجا الشرقي

فان اعتبرنا اذن المنطف البحري وجدنا موقع اول منجم فحمي على مسافة ١٣ كيلومتراً فقط من صيدا . وفحمه شديد الحلاكة لامع ذو قطع جامدة يكسر كسراً ولا يتفتت وهو على وجه الارض يعاينه الناظر في واد صغير قرب المراح في علو يختلف بين ٧٥٠ الى ٨٠٠ م وهو يتصل بعين الثغوا فوق الوادي الى حد ٩٠٠ متراً وان سرت



من ثم إلى جهة الجنوب امكنتك ان تتبع آثاره متواصلة بين قريتي خنيا وزحلتا على طول ١٢٠٠ متر وهناك لا يعود يرى على وجه الارض غير ان الصلصال المختلط بمواد فحمية وشستية (schiste) يدل على وجوده في مسافة نحو كيلومتر . وفي بعض الانحاء قد استخرج منه الاحجار بعض القطاير ولم يحفروا في عمق يتجاوز سبعة امتار . اما سلك هذه الناجم فيتراوح بين ٥٠ سنتيمتراً و ١,٦٠ . وهذا مثا يدل على قاعها وعلى مسافة نحو ٣٠٠ متر شمالاً من عين التفرح حجارة من الشست حفرية تتد بين طبقتين من الحجارة الكلسية وتحتها طبقة من الفحم الحشوي المتحجر . سلكها يختلف بين ٧٠ سنتيمتراً الى ثلاثة امتار ونصف وامتدادها يبلغ زهاء الف متر وكذلك قرب الطريق المؤدية من حيطورة الى جزين طبقات أخرى من الشست المزوج بالحجر يراها الرائي على طول امتدادها تقريباً ثم تتوارى تحت قرية زحلتا وعمقها في بعض المواقع يبلغ من اربعة الى خمسة امتار . ومعدل ثخانتها اربعة امتار واستخراجها لا يستدعي شغلاً كبيراً . وهذا المنجم لا ينطيه سوى غشاء خفيف من التراب ويمكن تعدينه من الخارج دون فتح اسراب . وصلاحيته في الغالب استخراج غاز التنوير منه .

من المقرر ان اهم مستودعات الفحم الحشوي المتحجر في قاتقامية جزين واقع جنوبي غربي حيطورة على مسافة عشرين دقيقة منها وصاحب امتياز المنجم سعادة الركيز موسى دي فريج ومسافة ارض الامتياز زهاء مائتي هكتار . فمن التفاصيل التي نوردتها وابجائنا السابقة تعرف ما يمكن استغلاله من مستحجرات لبنان الحشوية . فالمنجم القريب من حيطورة لا تظهر آثاره على وجه الارض الا في بعض الانحاء . ومستودع الفحم محصور فيه عادة بين طبقتين من صلصال صلب خشن قليل السبك ويختلف سكه بين ٦٠ سنتيمتراً وثلاثة امتار فيلزم قبل تعدينه إزالة ربع التربة او ثلثها لاحتوائها على مواد غريبة غير صالحة كقطع الشست الاسود الصلصالي المزوج بالحديد والمحتوي على قليل من الفحم .

وبعد هذا العمل الاستعدادي يتوصل الى الفحم الحشوي الحقيقي وهذا الفحم يختلف نوع تركيبه فهو سريع العطب في بعض الانحاء فينتفتت بسهولة وفي غيرها حالك لامع كثيف وكلا النوعين من الوقود الجيد

أما طبقة الناحية الغربية فانها تتخذ خواص البيريت لقربها من مستودعات هذا المعدن وفحصها مخطط بتقاطع البيريت الذي يبلغ مسكه بعض مليسترات ولهذا السبب لا بد من تنقيته تنقية حسنة وإطراح كمية وافرة منه مع انه من نوع الوقود الجيد - فكل ما اوردناه يستلزم زيادة النفقة في استخراجِه

ومما يلزم قلافيه في هذه الناحية تطاير روح الزاج المتكاثر والسبب عن ضغط طبقات الردم المعرضة لحرارة الشمس الا انه يمكن ملافاة الامر ذلك بتشديد الاتنين في معامل التعدين

على ان مناجم حيطورة بل اكثر مستودعات الفحم الخشبي المتحجر في لبنان تتضئ شيئاً من العنبر المعدني الذي يتولد من صمغ الصنوبر والسرو واشباهها . فهذا العنبر اصفر كالشمس لامع ومكسره زجاجي شفاف واذا تكشفت كسره للهواء تفتت

أما طرق استخراجه فالطريقة المستعملة الى اليوم في منجم حيطورة هي الحفيرة ولا بد من فتح اسراب معها فهذه الطريقة تكمن مع بعض ضربات في اللغم من البلوغ الى عمق امتار وفي استعمالها ربح لان نفقة الاستخراج لا تتجاوز فرنكاً و ٥٠ من في الطن . ولولا ارتفاع اجرة النقل لكانت زيادة التعميق في الحفر تزيد في الربح

غير ان المنجم في الجملة يسهل طرق الاستخراج بواسطة الاسراب او الدهاليز فالمعدن بالاجمال قليل الانحنا . فنصب منه المياه اذ ذاك في الدهاليز وهذه تصبها في المسيل المجاور ولا يحتاج لتجديد الهواء . وجلبه الى القوآت المحركة وبما ان ليس فيه من الصخور الصماء الصلدة فلا حاجة الى استعمال قوة خارقة كالديناميت . فبعض دفعات من البارود في اللغم تكفي لرفع الطبقة الحرفية الموجود فيها الفحم المطلوب ولا يلزم لهذا الفحم الا استعمال الآلات المعتادة كالحفر والمول فلا يقتضي اذن لهذا العمل نقابون مخصوصون وكل هذا مما يخفف النفقة في استخراجِه

\*

فبقي علينا ان نبحث عن المعصول . فبحساب بسيط يمكننا ان نقدر بالتقريب مقدار النجم جملة اعني مقدار المعصول الصالح للوقود الممكن الانتفاع منه مباشرة وهذا امر ذو اهمية كبرى وبدونه لا يكون لتفصيلنا السابقة الا فائدة نظرية . ففتح



موقع النجم مباشرة ببعض امتار عن سطح الارض ترى طبقة بسك ثلاثة امتار ونحن نكتفي بتعديل مترين ونزيد على ذلك بأن نطرح مترًا آخر وهذا كثير — بسبب الكثيب العقيم والفحم المعزوج بالمواد القريبة التي تقلل صلاحية الاستعمال ومن بعد تنقية المستخرجات الحجرية وطرح العناصر الغريبة اذا قدرنا مساحة النجم الصالح للتعمدين ١٠٠ متر فقط يمكن استخراج حجم من الفحم قدره ١,٠٠٣,٩١٦ مترًا مكعب والحال قد شوهد في العمل ان المتر المكعب من الفحم الخشبي التحجر وزنه زهاء الطن فتكون كامل الكمية بوزن ١,٠٠٣,٩١٦ طنًا فلو فرضنا استخلاص ١٠,٠٠٠ طن في السنة فيدوم عمل التعمدين ٨٠٠ سنة

فاذا كان الى الآن لم يُبذل الجهد في استخراج منجم حيطورة مع وجود الظروف المرافقة بسبب ذلك بلا شك العوائق التي اتينا على ذكرها مرارًا والتي تحول زمانًا طويلاً دون الانتفاع من كنوز لبنان المعدنية التي على قلتها لا يسوغ لنا ان نستغف بها وزد على ما ذكرنا المباشرة الاجنبية التي تبقى اثرها الى اجيال عديدة فيلزم ان ننصف الى مناجم اوردية والعالم الجديد التي كانت دائما وتبقى زمانًا طويلاً في الاستعمال مناجم النجم الحجري الصينية التي لم تُمدن لحد الآن وهي وحدها تكفي وقودًا للعالم بامره مدة الوف من الدهور وفي الممالك المعروسة سيما في بر الااضول (١) مناجم حسنة لا بد من استثمارها مع اكتشاف غيرها من المستودعات المرجح وجودها (٢)

فالو فرضنا ان الفحم اللبناني يعادل بمجودته الفحم الانكليزي وفحم هيرقة الميثاني فانه يقتصر عنهما بالزواج في السوق السوري . فمناجم هيرقة وبلاد الغال مجديا قربها من البحر فائدة كبرى فانها تُنقل توًا من النجم الى مراكب الشحن ولا يجهد احدٌ رخص اجرة النقل في البحر (٣) فمن هيرقة ومن كديف (الكلفة) الى بيروت

(١) قد اكتشفوا في بلجكة على مناجم فحم حجري عظيمة وقد حُسب دخلها لافوف من

السنين (٢) راجع كتاب (Verney et Dailmann) والمشرق ١٩٠٢ ص ٧٧٢

(٣) وحقيقة ذلك تظهر بآل نورد — فطريقة اتصال الخطة من روسية الى موبيرة على وجهين الاول على طريق مرسيلا او جنوا ومنها بالسكة المديدية والثاني على طريق انطرس او روتردام ومنها بالنهر . فبالطريق البحري وهو اطول من طريق البحر بثلاثة اضعاف يبلغ الاقتصاد نحو خمسين فرنكًا في كل عجلة من القطار فهاك السنة المتبوعة في التجارة الخاضرة : أكثر ما يمكن على طريق البحر وقل ما يمكن على طريق البحر



لا تريد نفقات النقل على نفقات الفحم المنقول اليها من داخل لبنان على متن البغال والحبال . فتأمل .

## ٢ الخمر

يُستدلّ عند اول وهلة على ان هذا المعدن كثير في لبنان . بقي الشرق والجنوب تحيط بالجبل اراضٍ يُشاهد فيها الخمر بكثرة بقي بلاد بشارة بُري الخمر في عينيل وحريقة وفي غير مواضع من قاتقامية صور . غير ان اشهر مستودعات الخمر في قضا مرجعيون واغناها منجم حاصبيا الذي هو من املاك الخضر السلطانية . وكفاه وصفاً ان يُقال انه قد كان يُستخرج منه في اليوم ٨٠ صندوقاً ووزن كل منها ١٠٠ كيلو فمع ذلك ليس لبنان على شيء من غنى الاقضية المجاورة له ولا نعرف في الجبل الا منجماً واحداً وهو منجم ملبخ في قاتقامية جزين غير انه قليل المسادة . ولذلك عدلوا عنه بعد ان باشروا باستثمار ثقله دخله لان نفقات الاستخراج باهظة والحصول طفيف لذلك لا سبيل للمباراة مع منجم حاصبيا . أما في قضا البترون فأثار الخمر دون ذلك فلا يُعتدّ بها ولا نتيجة لها ترغب باستثمارها . أما غير ما ذكر من اصناف الوقود المعدنية كالبتروك فلا اثر له في تربة لبنان

\*

## ثانياً المواد والتقاعيم المعدنية

ليس للبحث في هذا الموضوع مجال واسع وما نوردّه في هذا الفصل دون ما قدمناه في فصل الوقود

فلنباشرن بالحديد ولولا مخافة الالتباس استعينا به سبيل المعادن بدلاً من الذهب الذي خصّ بهذه التسمية على غير حق . نعم ان الحديد من حيث اللعنان الظاهر والقيمة المجرّدة اقلّ قدرًا من بقية المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزنك وغيرها لكنه اكثر منها انتشاراً في الكون واعظم منها فائدة للانسانية ولا يضافه في ذلك الا الفحم الحجري الذي يشبه بسواد لونه وقلة نضارته ولقد يتبادر الى الذهن ان اغنى البلاد ما لا اوسعها تجارتها واغنىها صناعتها هي

البلاد التي توفرت فيها معادن الذهب ومناجم الالماس والصحيح ان اغنى بلاد الله هي ما كثرت فيها معادن الحديد ومناجم الفحم الحجري فالمعادن الثمينة انما ينتفع منها بعض الخاصة النعم بها عليهم فتفيدهم زهواً وتريدهم طمواً وان توارت عن وجه المعمور فلا يتحقق بالانسان ضررٌ كبيرٌ بل يتخلص من اكبر مُهتجٍ للاهواء البشرية . اما فقد الحديد فيحدث في الهيئة الاجتماعية اضطراباً شديداً وفي اعمال الصناعة اختلالاً عظيماً وبكفي لايسات ذلك ان الزراعة التي هي اهم الحرف واروجب الصناعات لا قيام لها بدونها

فان كان حق التقدم استحقاقه بما يؤدون من الخدم الجليلة فليس بين المعادن من يستحق التقدم والسيادة فظير الحديد

ولقد اعتاد شعراء اليونان واللاتين الاقدمين ان يختصروا تاريخ العالم ويقسموه الى ثلاثة اطوار ملتبسين كل طور باسم معدن فيدعون الاول والاقدم بالعصر الذهبي والثاني بالفضي والثالث بالحديدي فلم يؤيد الاختبار تمام التأييد اعتقاد الشعراء ولا حق التاريخ امانيتهم لاسترسالهم الى مخيلتهم الساعية وراء الصور اللامعة والتشابه الساطعة غير مبالين بتطبيقها تطبيقاً كاملاً على الحقيقة الراهنة

على اننا لو نظرنا الى استعمال الحديد المتعدد ونموه التواصل الى حد انه كاد يقوم مقام كثير من المواد كالخشب والحجر لتجربنا ان نستعي عصرنا العصر الحديدي ومن هذا الوجه يكون قد سبق الشعراء فعرفوا المستقبل وهم لا يدرون . لكنهم لم يدركوا ان الحديد يمشي مع التمدن قدماً على قدم ويسير كتفاً كتف مع النجاح الذي لا يكون بسواه . وما لا ينكر ان اكثر الاشياء استعمالاً واعظها نجاحاً الحديد والورق فالورق وهو ارق الاشياء والحديد وهو اصلها كانا العاملين العظيمين الساعدين على التقدم والنجاح ادبياً ومادياً - نعي النجاح بالنسبة والتقييد لاعلى الاطلاق تزيد النجاح الذي احتج عليه الشعراء الاقدمون كما يفعل اليوم اصحاب الفنون الجميلة وطالبو الحسن العقول . ثم ان للحديد شياً بالعصر العملي الذي ناهى نموه الغريب اي كثرة الفوائد على قلة المحاسن . فحيث اعتدى الحديد على الخشب والحجر وجوها حطما ما امكنه ان يقوم مقامهما في مقامات الفنون الجميلة فهو الخادم الذي لا بد منه وان قلت ظرافته بازاء الجاذب الفنان وهو انما يحب لقائده لا للملاحة



على أن في عصرنا الحاضر لا يحل شيء محل الفائدة . فحب الانتفاع عمل على انتشار الحديد وغو الصناعة والتجارة وهذان الفرعان قد أصبحا من اعظم العوامل في انقاذ الحديد . فن قبل مائة سنة لم تكن المراكب والآلات والسكك الحديدية ولوازم الطرجية فان كل هذه لم يكن يُعتد بها بالنسبة الى العصر الحاضر ثم اصبحت آخر الأزرعة وصناعة البناء من اعظم « أكلة » هذا المعدن . وقصارى الكلام انه ليس علينا ان نعدّد حاجتنا الى الحديد من ان نبين الحد الذي تقف عنده تلك الحاجات . فهذه التفاصيل توضح لنا على الاقل عظم شأنه فترى اننا لم نُعبرها اثنتائنا عبثاً

✱

لما معدن الحديد فهو لحسن الحظ كثير في قضيض لبنان وأتربته ويشاهد في طبقات ترّكّب من حبات متألّجة كبيض السمك أو كالعدس أو الحصى الصغير . وقد يُرى أحياناً محتلطاً ومحصوراً في كتل كلسية ملبدة أو في مواد معدنية معروفة باسم سپاث (Spath) . وهذه المواد غنية بمعدنها غزيرة (١) لأن كمية الحديد فيها من ٥٠ الى ٦٠ بالمائة ومن هذا الوجه لا يدانيه إلا معدن « مقطع الحديد » في جزائر القرب اذ تصل كمية الحديد فيه الى ٦٥ بالمائة

وهذا المعدن منتشر في أكثر انحاء لبنان وعلى سطح الجبال وفي بطن الوديان سيما في قضية البترون وكسروان والمثق وقد استُخرج منذ الأزمنة الغريقة في القدم كما ثبتت فيما بعد وكما يلوح من غرم الحُبش والنسالة المنتشرة في كثير من انحاء الجبل . ونخص بالذكر جهات عكار ودوما وبيت شباب والمشفرة والفوزل وادية المجاري النهرية مثل نهر الكلب ونهر ابراهيم . فمن هذه المعادن كانت تؤخذ مواد المسابك والمعامل الحديدية القائمة في تلك الانحاء . ولبثت هذه المعامل مستعملة الى اوائل العصر النصرم ونما يزيد اهمية المعادن اللبنانية فضلاً عن غزارتها وغنائها جودة مادتها فانها تعطي اجود الحديد الذي يُؤخذ منه افضل الفولاذ واصحها لادق الاعمال وارقيها كالآلات والمدافع وتصفيح المراكب وقد اشتهر حديد لبنان بلدونه ومرونته ولا يبعد ان منه كانت تعمل اسلحة دمشق الطائفة الشهيرة كالسيوف الشامية التي طالما

(١) ان معدن الحديد يُعتبر غنياً اذا كانت كمية الحديد فيه تتجاوز ٢٠ في المائة



أُغرم بها العارفون واثني عليها المولعون وقد قُصد اليوم سرّ اصطناعها . وثالثاً دخل الحديد الغريب الى لبنان في الجيل الماضي كانت الافضلية للحديد اللبناني في عمل أعمال الدواب وصناعة المسامير وما شاكل ذلك

على ان معادن لبنان مع غزارة مادّتها وجودتها لا تجدي نفعا مستعيراً لثمة الذرائع في استثمارها اذ ليس من وقود لتشغيل المسابك وقد مرّ بك آنفاً ان لا وجود للفحم الحجري في لبنان غير أنّه يمكن الاستعاضة عنه بالخشب كما كانوا يصنعون قديماً وذلك كان من اعظم البواعث على اتلاف الاحراج في لبنان وهالك بيانه :

قديماً وقبل اكتشاف الفحم الحجري كانت تُعالج معادن الحديد بالخطب في لبنان كما في اوردبة . فانهم كانوا يوقدون الخطب في الموائد المعدة لتذويب الحديد وصبه . وبعد الحساب وجدوا انه يلزم مائة كيلو من الخطب للحصول على ١٧ كيلو من فحم الخطب ويجب احراق مائة كيلو من الفحم لسبك ٢٦ كيلو من الحديد وذلك كناية عن اتلاف ١٧٠٠ كيلو من الخطب لاستغلال ١٠٠ كيلو من الحديد . وكان المسبك الواحد يستغرق من الخطب ما تفلّه سنوياً مساحة ٢٠٠٠ هكتار من الاحراج (١) فعلى ذلك لم تكن لتكفي اوسع الاملاك . الا ان حركة المعامل كانت اذ ذاك خفيفة لان الحاجة الى الحديد لم تكن شيئاً بالنسبة الى العصر الحاضر فالتكور القديم كان يصب من ١٠٠٠ الى ١.٥٠٠ كيلو يومياً امّا الان فانه يُسبك في اليوم زهاء ١٢٥.٠٠٠ كيلو وفي بعض المعامل ثمانية او تسعة اكوار . فاذا اتّضح ذلك ظهر جلياً الضرر الجسيم اللاحق بشجر لبنان والناجم عن مسابك الحديد القديمة وعرفت ان لا سبيل للانتفاع من معادن الجيل الحديدية على كثرتها ووفرة مادّتها

ولا سبيل ايضاً لصب هذه المعادن والاعتناء بها بنقعات قليلة الا باستحضار الذرائع الموجودة في اعظم البلاد الصناعية نظير انكارة وبلجيكا . اعني بوجود مناجم فحم حجري قريباً من معادن الحديد وقد عرفت بما مرّ بك ان لا وجود لهذه المناجم في لبنان ولا يسدّ هذا الخلل استغلال الفحم الحجري من الخارج اما يستلزم من النفقات الباهظة

(١) راجع كتاب : *Le mécanisme de la vie moderne* من تأليف Leonie G. d'Azoué

فعلية لا يستطيع لبنان مباداة البلاد الاجنبية في معادن الحديد مع سهولة استخراجها وجودة صفتها . لذلك نرى مسبك لبنان الوحيد في بيت شباب مضطراً الى استعمال الحديد الاجنبي . ولا مناص من هذا الاضطرار الا باستعمال المياه كقوة محرّكة في معالجة المعادن ولا يمكن ذلك الا حيث المعادن قريبة من مجاري المياه والينابيع القويّة كما في وادي نهر الكلب وفي جوار بيروت فهناك المعادن الجيدة

ومما يزيد الاسف أن لبنان لا يمكن ان يستعاض عن استثمار الحديد باستخراج غيره من المعادن اذ لا وجود لها . فاننا لانستكلم عن الذهب والفضة اللذين ذكرهما بعض الكتبة مثن لا يقدرون في الامور ولا يتقنون في المباحث فقد اكثروا وجودها في لبنان بجانب غيرها من المعادن كالتحاس والتوتيا ١١

فلا حاجة لنا بنقض هذه الزاعم التي لا صحة لها ولا سند . ولقد تباهى غيرهم باكتشاف مناجم الزبيب في لبنان ١٢ فالزبيب معدن ثمين ١٣ واستثماره يعود على الجبل بفائدة عظيمة الا ان هنا ايضاً تغلب الوهم على الحقيقة فبهت الاعين بدلائل وهمية كاذبة . فالزبيب المكتشف وجد بكمية زهيدة في موضعين بجانب السكة الحديدية من بيروت الى الشام اعني في عين صوفر وعين مشرح فقد كان ذلك بلا ريب موضع المعامل القديمة أيام مد السكة وما الزبيب المكتشف الا كميات وقمت من آلات المهندسين . ولقد سمعنا باكتشاف معدن نحاس في التل الاعلى . فهذه الاكتشافات لا تستلث الانظار لعدم كثافة اصحابها فقلبتا ان ننظر حكم رجال الخبرة وفحص المساطر . ونحن نسمي ان يكون ذلك صحيحاً وليتسما نستطيع تكذيب الدكتور لورته ١٤ انقل ان ليس في لبنان من المعادن ما يُعزل عليه

✱

تلك الحجارة ولوازم البناء

ان الحجارة كثيرة في لبنان ويمكن استثمارها طويلاً ونقلها الى البلاد الاجنبية

١١ راجع كتاب فضل الله فارس الى حلقه : جغرافية سوريا فلسطين ( ص ٢٢١ )

١٢ راجع الرسالة المبعوث الى البشير ( في ٢٣ ايلول سنة ١٩٠١ )

١٣ راجع للمشرق ( ٦ : ١٨٨٧-١٨٩١ )

١٤ راجع كتاب - الدول الاجنبية - المقدمة ص ١٩



ولقد تأخذ الدهشة الغريب اذ يطوف لبنان ويسرح نظره في حجارة ابنيته فهذه الحجارة الجميلة سواء كانت منحوتة او غير منحوتة تجعل لأبسط المساكن هيئة جليلة لا يألئها السائح الا في قصور وطبقة فباعثنا قليل يستحکم البناء ويحصل له هيئة صلبة ومكانة تزدري بمرور الاجيال . وحسن الحظ ليست الصلابة بالظاهر فقط بل بالحقيقة ايضا فقلما ترى على سطح المصور بلداً فيه ما في لبنان من لوازم البناء بكثرتها وحسنها وصلابتها . فلا طاقة للرطوبة والموامل الجو الاخرى على إتلافها . فهذه الحجارة الكلسية لها تقاطيع زجاجية في المواضع المنحوتة حديثاً ولونها ابيض كالمند وقد يتحول على مرور الزمان بفعل اشعة الشمس الى شي من الصفرة الذهبية اما في منحدرات الجبل السنلى وعلى الشواطىء البحرية فتكثر مقالع الحجارة الرملية وهذا الصنف لونه اصفر وحجره جيد صالح للبناء وكل المعالمت العاصرة والاماكن الآهلة بالسكان من صدد الى طرابلس مبنية بحجره . ومن خواصه انه سريع التفتت سهل النحت لدى خروجه من القلع فيتصالب في الهواء ويصلح للملاط اكثر من الحجارة الكلسية الجميلة القليلة داخل الجبل

والحجر الرملي مثقوب غالباً بشقب طويلة اسطوانية ضيقة على شكل لولب كانها صنع المخرز وربما كان ذلك من قرض الهوام الحجرية (١) مددة الاطوار الاولى الجيولوجية . وقد فات هذا الشرح فهم دينان فذهب فيه مذهبا غريباً فان اكثر مدافن جيل مخدرة في هذا الحجر فنيا كان دينان يفحصها شاهد ثقوباً اسطوانية في قبة القبور القديمة فتوهم تعليلاً لوجودها أن الاقدمين كانوا يلجأون قبل حفر المدافن الى سبر الحجر لقصد امتحانه (٢)

على انه ليس بوسعنا ان نعدد بالتفاصيل كل ما في لبنان من مواد البناء على وفرة اصنافها ولا يسعنا الا ان نذكر انواع الحجارة الجميلة المتأخرة بكثافتها وصلابتها فانها تستعمل للاعمدة والدرج وعتبات الابواب واسكفاتها الى غير ذلك من الاعمال المتعبة كصيف المرافي اذ ان امتداد طرق العربات في لبنان يسهل نقلها الى البحر . ومن اصناف الحجر الجيد ما يستخرج من القلاع الموجودة في اسفل

(١) راجع Dawson : Egypt and Syria, 79

(٢) راجع الجزء الاول ص ٦٥ و ٦٦



قرنة شهوان ويث مري بالقرب من دير مار روكس وفي غير مواضع وايضا سرت من الجبل ترى من الحجارة الصالحة للتبليط والتلبس وحجارة لعمل الكلس والرحى أما البلور فهو كثير في لبنان . وبمعكس ذلك الرخام فهو نادر الوجود في الجبل وليس من الصنف الجيد اللهم اذا استثنينا بلاد الجبّة فإن فيها مقالع رخام صالحة للصقل والحلي الحسن ونذكر اننا شاهدنا امثلة منها في بعض بيوت اهدن القديمة وكذلك في البنيان في الكرسي البطريركي الجديد . ومما يستحق الذكر مقالع الرخام الموجودة في جمهور ودير القلعة فرخامها ذو عروق حمراء (١) وفي دير القلعة ايضاً حجر صلب معتبر وفي تخوم في قضاء البترون وبعض انحاء البقاع مقالع حجرها صلب لونه ابيض يحمله الصقل لامعاً كالرخام ويؤخذ منه البلاط المصقول والاعمدة الصغيرة اللامعة (شععات) . أما الرخام الابيض الجليل من صنف رخام ايطالية والرخام السّاقى وحجر الصوان فلا وجود لها في لبنان . وما يشاهد في المدن الفينيقيّة القديمة من اعمدة الصوان مثل جبيل الخاوية على عدد وافر منها فانها منقولة من مصر

على أن حجارة لبنان لم تكن تستعمل الى السنين الاخيرة إلا في محلهما والمدن المجاورة نظير بيروت وقد راجت السوق فيها رواجاً عظيماً ومن بضع سنوات باشرت مصر بأخذ لوازم البناء من لبنان لندرة الحجر فيها وقلة صلاحيته كما ان الامر جار في مقالع لبنان القريبة من البحر مثل نهر الكلب والعاملتين فإن المراكب تستطيع ان تصل اليها وتشحنها بأقل نفقة أما المقالع البعيدة فالوسيلة لنقل صادراتها ان تكون من الصنف الاعلى كـ مقالع قرنة شهوان ومار روكس ودير القلعة وغيرها فانها تطلب الى البلاد الاجنيّة وما من مانع يحول دون اتساع تجارتها اذ ان امتداد طرقات العربات في لبنان يسهل كثيراً طرائق ايصالها الى البحر . وقد أخذت شركة ترعة السويس على ما ظن حجارة من لبنان لتوسيع اخواض بورسميد فكان العمل مرضياً والاقتصاد حسناً

فهذا كله يدعو الى التنشيط ويحمل على مواصلة العمل للاستئناس من حجارة

(١) فمن مقلع دير القلعة اعمدة الكاتدرائيّة المارونيّة وكنيسة كليتنا

لبنان ولا يخافنا ريب أن مقالع لبنان لم تُكتشف جميعها سيما مقالع الحجر الحسى والرخام العادي فإذا اتسع نطاق هذه الصنعة عادت بالفائدة على الكثيرين من الفعالة كعملة المقالع والنحاتين فتسد مسد المعادن المفقودة من لبنان

## ٢

## معادن لبنان القديمة

لقد انجزنا الكلام عن غنى لبنان المعدني والحق أولى أن يقال ليس لبنان من هذا الوجه ذا ثروة طائلة وغنى وافر . فلو ازم البناء متوفرة فيه إلا أنها ليست من أعلى درجة في الجودة . ومعادن الحديد صكيرة الانتشار في الجبل إلا أنها قليلة لعدم وجود الوقود لتشغيل السابك والمعامل . وكذلك الفحم الحسى المتعجر فإن في لبنان منه شيئاً . فإذا شئنا أن نعرف ما لهذا الوقود من الشأن والاعتبار في نفس مركزه يكفي أن تردّد في ذهننا أن اصحاب المعامل الحريّة المجاورة لاستوداعة عادت منذ تباعاً إلى الفحم الاجنبي . فوالحالة هذه ليس لأهل لبنان أن يبتسوا الآمال على استحضار المعادن ولا يبتسوا النفس بتحسين مستقبل البلاد بسببها

لكن هنا بحثاً آخر ترى هل كانت هذه الحال حال لبنان القديمة ؟ ألم يتفق للبنان ما اتفق لأراض كثيرة كانت محصية غنيّة فقرغت على توالي الاجيال واصبحت عقيمة ؟ أو لم تنزع من احماق لبنان كنوزه المعدنيّة القديمة ؟ فلهذا السؤال محل ومجال لأن ارباب البحث والاقتصاديين منذ الآن قد وجدوا بعد الحساب أن اغنى مناجم الفحم الحجري في اوروبا لا بد أن تنفذ يوماً ولا يمرّ على بعضها جيلان او ثلاثة حتى تكون قد قُدت فلم لا يصحّ ذلك في لبنان وقد ظهرت فيه آثار العمران وحركة الاشغال من نحو ١٠٠٠ سنة والادلة على ذلك صحيحة واضحة فهذه المدّة الطويلة تكفي كل الكفاة لتعطيل ما حدث في حال معادنها من التغيير والانتقال

ومما يزيد في ارجحية هذا الرأي كون لبنان قسماً من فينيقية والحال ان بلاد

فيلقية كانت من اقدم الازمان كنقطة للاشغال المعدنية وكمحور للاعمال الصناعية (١) فقد وجدوا الرفا من آثار هذه الصناعة القديمة وضروبها المتنوعة كآنية فضة ونحاس وقلز وحلي من كل الاصناف واشكال الاسلحة وادوات زجاجية وغيرها : فهذه التحف ملأت المتاحف التي غصت بها وضائق عن ان تسعها ومع ذلك لم تُصرف العناية الى جمعها ووضعها في المتاحف إلا من نحو نصف قرن وم من تحفر غيرها بادت اولم تزل مدفونة في بطون المدن الفينيقية وهي تتوقع يوماً من الدهر لتظهر للعيان

على ان هذه الحال من نمو الصنائع وانتشار الاشغال المعدنية لم تكن خاصة بعهد الفينيقين بل بقيت بعدهم اجيالاً عديدة واستمرت الى اواخر العصر المتوسط . ولم تبطل هذه الاشغال في المدن الممتدة على طول الشواطىء البحرية من مكما الى اللاذقية فكانت العمائر من نحو خمسة او ستة اجيال منكبّة على العمل وكانت تصنع مصنوعات عظيمة وتصدر صادرات وافرة . ففي اواسط الحيل الرابع للميلاد يذكر يونيور (Junior) الفيلسوف اللاتيني \* مدينتي طرابلس وجبيل الصناعيتين ومدن صيدا وصرقند وعكا الزاهرات وخص من بين هذه المدن اللاذقية وجبيل وصور وبيروت بأنها ترسل انسجتها الى جميع الارض وتقتصر صرفند فوق ذلك ارجوانها \* (٢) ولنا في الحيل العاشر شهادة المقدسي الجغرافي العربي وبما انه سوري النشأة فتكون لشهادته قوة كبرى فإنه يمدّد بين صادرات سورية المحمولة الى الخارج عن مرافئ البحر من قيصريّة الى السويدية انسجة الحرير والصايون والمرايا والزجاج والابر والسرج وآنية النحاس والحوض او الأشنان والحديد والكهرت والملح والرخام (٣) . وفي العصر التابعة يصف الادريسي والدمشقي وابن بطوطة حركة الاشغال الصناعية

(١) راجع كتاب بېرار 367 : 306 - 307 : 306 (Bérard : *Les Phéniciens et l'Odyssée*, I, 306 - 307 : 367)

376 : 409, 414, etc. Benzinger : *Hebraeische Archæologie*, 253)

(٢) وهذا نصّه بجرّف : Tripolis et Byblus, ipsae civitates industriae sunt : iterum optimae civitates Sidon, Sarepta, Ptolemais . . . Laodicea, Byblus, Tyrus, Beritus omni mundo linteamen emittunt, Sarepta vero purpuram praestat.

(٣) راجع في تأليفه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » وصف سورية (ص ١٥١ - ١٨١)



في مدن سورية والسياح الغربيون الذين سافروا في سورية في ذلك العصر يؤثرون الشهادة نفسها (١)

•

والحال هل يحظر على بال ان هذه الصناعة وفيها للمعادن حظاً صالح تتخذ لوازمها الأولية وموادها الضرورية من الخارج لا غير. أما نحن فلا نخال ذلك لان في مثل هذه الحال لا تأتي الصنوعات بأرباح طائلة الى حد أنها تتحمل الى جميع الجهات. فالاعمال المعدنية في فرنسا مع ما هي عليه من جودة الطرق وكمال الاساليب لا تستطيع مجازاة اشغال البلاد المجاورة لها وعلّة ذلك انها مضطرة الى ان تستجلب من الخارج قسماً من معادنها. فنستنتج اذن ان الصناعة الفينيقية وهي اقدم الصناعات كانت تتخذ مواد اشغالها من محليها وجبال بلادها وبغير عبارة نقول انه يلزم التسليم بان مستودعات معادن لبنان كانت قديماً اوفر عدداً واغزر مادةً واكثر نوعاً مما هي اليوم. وليت شعري هل يمكن اثبات هذه النتيجة بشواهد تاريخية

أما ايضاح ذلك عن الحديد فايسر شي. عندنا بل لا حاجة الى ذلك وقد اثبتنا وجوده في ايامنا فلماذا لا نفيض في ايراد الشهادات بل نقتصر على بعضها. على ان بين هذه الشهادات شهادة هي اعظمها اهمية واشدها اعتباراً تدل على ما كان لتجارة الحديد من الشيوع والشأن في قديم الزمن. ففي الجبل السابع قبل الميلاد كانت العبارة «با ان برت» تستعمل في اللغة المصرية للدلالة على الحديد (٢) ومعنى هذه الكلمة حرفياً «بضاعة بيروت» فنستنتج اذن من استعمال هذه الكلمة ان شغل الحديد كان شائعاً في بيروت وانه كان بجوار هذه المدينة معادن يستخرج منها الحديد بكثرة وكما انه من لفظة «بضائع باريس» سوف يستدل المؤرخون في المستقبل أن بضائع الزينة والتبرج كانت تُصنع في باريس. فهكذا قل عن الكلمة المصرية التي اوردناها فانها تشير الى أن وادي النيل وذلك لا اقل من ٨٠٠ سنة قبل المسيح

(١) راجع كتاب واي (Rey: Colonies francaes, 211) واما عن بيروت فراجع ميد (Heyd) تاريخ تجارة المشرق. الترجمة الفرنسية ص ٤٥٦ و ٤٥٩ و ٤٢٠ و ٤٨٨ الخ  
(٢) راجع المجلة الآسيوية (١٩٠٤. 1, 155 - ١٥٦) (Journal asiatique, 1904. 1, 155 - ١٥٦)

ألف الحديد اللبناني المصنوع اليه من مرفأ بيروت الى حد أن أهله لم يميزوا بين اللغطين اعني « الحديد » و « صناعة بيروت » . وكمثل ذلك جرى في اللغة العربية الفصحى الهندي والشرقي فانهما اصبحا مرادفين للسيف وقد كانا في الاصل يدلان على السيوف المصنوعة في الهند وفي « مشارف » البلقاء شرقي بحيرة لوط . وقد كان زمام تجارة الادوات البيتية وآنية الحديد والقلز والنحاس في الجيل التاسع قبل المسيح بايدي الفينيقيين في سوق مصر عينه (١) . والمقدسي (٢) يأتي على ذكر معادن الحديد في بيروت الموجودة في عصره . وبعده بجيلين يقول الشريف الادريسي اثناء كلامه عن بيروت : « وبقرية منها جبل فيه معدن حديد طيب جيد القطع يستخرج منه ان كثير ويحمل الى بلاد الشام (٣) » . وقال ابن بطوطة (٤) : « ان الحديد يُحمل من بيروت الى مصر » فهذه الشهادات معتبرة فانها تدلنا على غو صناعة الحديد في لبنان حتى اواخر الجيل الرابع عشر . واما ما قدمنا من تفاصيل نقل الحديد وحمله الى الخارج فيدل ليس فقط على رواجه في سوق مصر بل يرجح ايضاً على ان اسلحة دمشق كانت تُصنع من معادن لبنان كما اوردها آنفاً

ولقد يُشتف من وراء هذه الشهادات ما التحق باخراج لبنان من الضرر الجسيم بسبب تلك الصناعة التي نستطيع ان تتبع حركتها مدة الف سنة . فمواقف المسابك كانت بمثابة لجة التهمت غابات الارز العظيمة

\*

على انه ليس بعد الحديد معدن شاع ذكره بين صادرات الصناعة الفينيقية القديمة نظير النحاس . والعجب في ذلك ان هذا المعدن لم يبق له اليوم أقل اثر في لبنان كما سبق لنا ذكره ففي هذا سر غامض على المؤرخين ويستأفت انظار الجيولوجيين الذين يحولون ابصارهم عن كل شهادة لا يجدونها مسطرة في بطون الارض فلنباشر بايراد التوداة شهادة اولاً : فانه مذكور في سفر الملوك الثاني (٨ : ٥-٨)

(١) راجع كتاب مولر ( W. M. Müller : Asien und Europa, 306 )

(٢) في كتابه السابق ذكره ( ص ١٧٤ )

(٣) I. 133, (٢)

(٤) طبعة جيلديستر

ان داود اخذ من ملك صوبه نحاساً كثيراً جداً . فاين محل صوبه المذكورة ؟ من المرجح انها كانت قائمة في سهل البقاع وذهب بعض علماء عصرنا على انها نفس المدينة المدعوة « مات نحاسي » في كتابات تل المارفة ( ١٥٠٠ قبل المسيح ) ثم سماها اليونان ( ١ ) فيما بعد كلسيس . فما اغرب هذا الاتفاق فلفظة كلسيس معناها في اليوناني نحاس وفي مات نحاسي كل يرى كلمة نحاس . وعليه اذا صح ان صوبه وكليس ومات نحاسي ما هي الا ثلثة اسماء لسمي واحد فيكون المقصود بها المحل المشهور بمادنه القائم في جوار لبنان

غير ان الآراء متضاربة في تعيين موضع كلسيس فقال بعضهم انها معلنة - رحلة ورجع غيرهم ونحن من رأيهم ( ٢ ) انها عين جار في اسفل الجبل الشرقي المقابل للبنان ( ٣ ) - فعلى كل حال ليست المسافة بين الموقعين بعيدة اثنا على حل هذا الشكل الجغرافي يتوقف تخصيص معادن النحاس القديمة للبنان او بالجبل الشرقي الذي يقابله

ثم اننا نرى الكتابات المصرية والكتابات الاشورية قبل التوراة تشير الى وجود كميات عظيمة من النحاس في لبنان او في ما يحاوره ومنها ٨٤,٠٠٠ كيلو من النحاس اخذها رمانيار الثالث ملك الاشوريين من ملك دمشق فهذه الكمية الوفرة الموجودة في محل واحد تدل على انها من صادرات المحل وليست من الخارج وانما نجد فضلاً عن ذلك في كتابة تحوتس الثالث ذكر « نحاس اسيري أتى به فرعون مصر من بلاد راتانو بزر وانتصار ( ٤ ) وراتانو كما هو الشائع في كتابتها الان هي الناحية التي يستقيمها الليطاني وقد سبق لنا تفصيل ذلك ( ٥ )

على ان هذا النهر ينبغي ان يعتبر تابعاً للبنان لانه يجري على شراطيه او يمر في اراضيهِ - اما العلامة ينسن ( Jensen ) فانه لا يقف عند هذا الحد بل يزعم ان

( ١ ) راجع كتاب Buhl : Geogr. des alt. Palaestina, p. 115

( ٢ ) راجع ( الصفحة ٤٠ )

( ٣ ) Pauly - Wissowa. Encyclop., III 2091

( ٤ ) راجع كتاب Müller : Asien und Europa. 126, 127

( ٥ ) راجع ( ص ٢٢ و ٢٣ )



رائتو او لاتفو من لساني لبنان نفسه او لا اقل من ان تدل على ناحية الايطالي (١)  
 وفضلاً عن ذلك فالكتابات المصرية تسمي عادة فينيقية باسم « داهي » وتجعل  
 بين صادرات هذه البلاد ليس فقط الزيت والعسل والخمر كما لا يذهل انه انسان بلي  
 ايضاً النحاس والرصاص واصناف الحجارة المتنوعة الخ (٢) وفي غير موضع تذكر  
 آنية الحديد والنحاس كصناعة مختصة بفينيقية (٣) ومن العلوم انها كانت تملأ منها  
 اسواق اشور وبابل (٤) واسواق بلاد اليونان في اورثة واسية . افلا يسوغ لنا بعد هذا  
 كله ان نستنتج وجود معادن النحاس في جبال فينيقية ؟ ويريدك ايها القارئ فضلاً  
 تعجباً باستنتاج النتائج لئلا تبدي حكماً عن غير تروية كافٍ . ومن المحتمل ان الفينيقيين  
 كانوا يستخرجون النحاس من املاكهم في جزيرة قبرص او من « الاسيا » (٥)  
 الشهيرة بمعادنها النحاسية والمقتنون موقعها على مصب نهر العاصي ولعل اسم النحاس  
 العربي مأخوذ عن اللفظة الاشورية « الاسيا » كما ترى . وزعم غيرهم انها قبرص استناداً  
 على وجود معادن النحاس فيها وعلى رأيهم ان منها كان يؤخذ النحاس لتشغيل معامل  
 فينيقية . فانفتحت المسألة اذن جلية كما يظن . اما نحن فتخرج رأياً متوسطاً  
 فاننا نعلم مع كثير من العلماء الذين اوردنا شهاداتهم وغيرهم نظير كيبوت (٦)  
 ويلسن وغيرهما (٧) بوجود معادن نحاس في لبنان لكنها قليلة . لذلك اضطرر  
 الفينيقيون ان يستجلبوا من الخارج ما كان ينقصهم في لبنان . ولهذا السبب نفسه فقدت  
 هذه المعادن وفرغت بحملتها حتى لم يبق لها اثر على حد ما نراه في جزيرة ايليا في  
 البحر المتوسط فمعادنها الحديدية التي لا يكاد يصدق غناها الغريب لا يزال

(١) Zeitsch. f. Assyriologie. 1895, 345-346

(٢) راجع مولر (١ ص ١٨٢)

(٣) مولر (١ ص ٤٠٦)

(٤) Zeitsch. für Assyriologie. 1887, p. 36, 37 ومنها هذه العبارة الواردة مراراً في شعر

مروبروس « سيد الفينة بالنحاس »

(٥) وكانت تسمى ايضاً اميا Zeitsch. f. Assyriologie. 1895, 262

(٦) H. Kiepert : Alte Geographie, 167 راجع تأليفه

(٧) Zeitsch. für Assyriologie. 1895, 63, 363

يُستخرج حديدها منذ الفي عام (١) . أما النحاس الذي كان من اعظم صادرات هذه الجزيرة في اقدم الازمان فان ذكره قد باد منها فيما بعد  
فعليه ان نعد الشهادات المختلفة التي اوردناها اوهاماً مختلفة وأما ان نعلم  
وجود معادن غير الحديد في لبنان ومنها النحاس فلولاً هذه المعادن كما كانت وجدت  
صناع الفينيقيين المعدنية ولما كانت انتشرت انتشارها الغريب

فهوئدة مع ما هي عليه من النشاط والاستعداد النظري للتجارة والملاحة لا قتال  
انقرض بشغل المعادن نظير انكساره وذلك لخلوها من المعادن لان نجسح الملة يتوقف  
على التواميس الطبيعية التي مع كل قوتها تعجز عن مقاومة النفوذ الخارجي . وهذا مما  
يزيد فضل الجغرافية التاريخية فانها تطالعنا على بعض هذه التواميس  
فاذا اتقنا درس لبنان وطبقاته الجيولوجية سوف نجد بلا محالة براهين طبيعية  
وادلة مادية تثبت غنى لبنان الاعظم في قديم الزمان (٢)

أما الحجارة ولوازم البناء فاننا لا نعلم عنها شيئاً الا ان غوديا ملك بابل كان  
يستجلب لابلية من لبنان قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ليس فقط اخشاب الارز  
بل ايضاً الرخام الابيض وغيره من الحجارة وما زالت مارك اشور تحفر حذوه الى  
الحيل الثامن قبل الميلاد . على انه لم يذكر شيء عن صنف الحجارة المنقولة مع  
الرخام ولا عن طبيعتها الا ان ما يقتضيه نقلها الى البلاد البابلية من المشقة والنفقة  
ليعد المسافة يسوغ لنا ان نستنتج انها لم تكن من الحجارة العسادية بل من اصناف  
الرخام الجيد وانواع الحجر العالي الثمن . فلي هذا يتضح ان لبنان كان من هذا  
القبيل ايضاً اعني مما هو اليوم

لكن لا بد من ابداء ملاحظة هنا كما فعلنا اثنا كلامنا عن النحاس : ان  
الكتابات الاشورية والبابلية البالغة حد الانحياز والمتصح باقدم الازمان ليست بقاية  
الضبط والتدقيق بنوع انه لا يتيسر لنا الحكم الفصل فيما اذا كان الكلام عن لبنان

(١) Elisée Reclus : *Europe Méridionale* 432 - 433

(٢) في سنة ١٧٣٦ يؤكده السائح كراتنج الفرنسي وجود معادن نحاس بشوها قليل  
من النقطة بين عجاتون والافورة . . فهذه التلحيحات البهجة تدل على ان السائح نقل ما سمعه  
ولم يقصص بنفسه . وإلا لكان حده موضع هذه المعادن

الشرقي او الغربي وبعبارة اخرى عن لبنان الحقيقي او عن الجبل الذي يقابله .  
 فبخصوص هذه المباحثة الثانوية فلترجع التأليف التي اوردنا ذكرها في هذا العدد .  
 فيستطيع القارئ ان يتم المجامعة الشخصية ويتايل بين التعليقات التاريخية التي جمعناها  
 عن غنى لبنان المعدي في الزمن القديم

## النتائج التاريخية

### من درس اعلام الاماكن اللبنانية

ليس بين المطلعين على اساليب علم التاريخ في عصرنا من يجهل فائدة البحث عن  
 درس اسماء الاماكن فاستاذن قبل الخوض في الموضوع بتعداد منافعها بما يمكن من  
 الاجازة لتدرك معناه الحقيقي وارتباطه الجوهري بتاريخ لبنان وجغرافيته . فبوصفنا  
 هذه الفوائد نستدرك ما لعله يطرا على بال القارئ من سوء التفاهم . ليس غرضنا  
 في هذه المقالة لغوياً تكن تاريخياً محضاً وجغرافياً صرفاً اذ لا نقصد البحث عن اسماء  
 المواضع اللبنانية من حيث تركيبها اللغوي ومعناها الاصلية بل جل ما نتوخاه ان  
 نستخرج من درس هذه الاسماء ومن سياقها وتقسيمها على سطح الجبل نتائج تؤدي  
 بنا الى معرفة ماضي لبنان

اعلم ان درس اصل الاسماء المكائنية اعظم ظهير واكبر نصير للتاريخ لان  
 اعلام المكان ترجع الى اقدم اصول اللغة اذ المتبادر الى الذهن ان الرجل اول ما  
 يبدأ به تسمية محل اقامته باسم يعرفه ويخبره . لذلك ترى اعلام المواضع ابقت لنا  
 ذكر حوادث ومواقع لا نجد لها اثرًا في اعظم التواريخ اسباباً واكثرها



تفصيلاً (١) . وقد يتفق ان اعلام المكان وحدها تذكرنا بما جرى لبعض الشعوب من الحروب وما طرأ عليها من الحوادث السياسية والدينية . فكذا كل موضع دخل في تركيب اسم دير وقصر وبرج ومجدل (٢) يدل على انه كان ثمة دير او قلعة ولو كانت غير الدهر قد درست ذلك البناء ولم تبقى له الا طلائع ولا رسماً وربما كنا لا ندري اصل الاماكن اللبنانية ولا نعرف قدم عهدنا اذا ما عثرنا على اعلام فينيقية او آرامية استطعنا ان نستدل على ان اصل تلك المواضع يتصل بالمهد الذي كانت فيه تلك اللغة شائعة في لبنان . واذا وجدنا موضعاً مدعواً باسم احد الآلهة القديمة كنعانية كانت او بابلية فلنا ان نستنتج انه سبق التاريخ المسيحي وانه وجد في عهد كان الاشلون يعبدون تلك الآلهة . وعائده فدرس اعلام المكان يقوم مقام ما اغتشته الادلة الكتابية ويدعم التقاليد المحلية وبدونه لا نستطيع سبيلاً الى تحقيق المنصوصات المهمة الحالية من الحجة والقارية عن البرهان فضلاً عن انه يجدينا علماً عن اقدم الآثار التاريخية وافضل الاسانيد ويسوغ لنا ان ننسب تلك الدلائل الى قرون سبقت اختراع الكتابة وتحديد اللغات على خط علمي منظم . فمن المعلوم ان الانسان سبق الى تطلق قبل الكتابة واول ما استعمل في كلامه تسمية المواضع التي تكتنفه باسماء الثابتة . وقد فقد شيء كثير من تلك الاسماء الاولى وهذا مما يجئنا على بذل الجهد وصرف العناية الى جمع ما بقي من تلك الاعلام والاستفادة منها ما امكن فسواء كانت تلك الاسماء لمسيات دائرة او وضعية فانها تعين على احياء الحوادث الجغرافية التي باد ذكرها

٢ . وتساعد اعلام المكان على معرفة آثار الشعوب الذين عثروا البلاد وخلفوا اسما . هم في بعض الاماكن . ومثلاً بينا في الجائنا المتقدمة عن اصل الاسم اللبنانية القديمة ان اللغة التي تسمت بها الامكنة هي اشد دلالة واوضح برهاناً على الاحوال السابقة من الكتابات عينها . فابكتابات باللغة اللاتينية وقس عليها اليونانية انما تدل على ان تلك اللغة التي كانت هي الممؤلة عليها في الاحكام الشرعية وليست اللغة الشائعة

(١) ان بروتر ( Prutz : Kulturgesch. der Kreuzzeit, 397 ) يبيد لمسئل هذه الملاحظة عند الكلام على الالفاظ العربية الداخلة في اللغات الأوروبية أثناء القرون المتوسطة

(٢) مع فروعها « مجدول ومجدلون ومجدليا »

١٠٠٠ من الشعب، وعلى عكس ذلك أسماء المواضع فإن الشعب لا يضعها إلا في لغة يفهم معناها فينتقي في لغته اسماً يطابق المعنى بدلالة على مميزات ذلك المكان المأهول حديثاً. وقد يتفق أن يختلف شعب شعباً آخر فيغير الاسم القديم باسم أحدث يدرك معناه، مثال ذلك جبل قريب من جزين يسمى «جبل طورا» وهو مركب من اسمين عربي فيرياني وكلاهما الجبل فمثل هذه التسمية المكررة تدل على وجود شعبين (١)

٢٠ نظامنا اعلام المكان على نظمات الشعوب وعبادتها وعوائدها القديمة كالاسماء التي تضاف مثلاً الى سوق وجسر، وذلك بما ان تكون السنون والاندور طوت الحوادث التي دعت الى تلك التسمية مثل «سوق الغرب» في قضاء الشوف وليس الآن هناك سوق

٣٠ نسوغ لنا ان تقف على حالة الارض السافرة ونطلع على العولرض الجغرافية من مناجم وغابات وغدران بادت حتى لم يبق لها اثر الا طراً عليها من التغيرات الجيولوجية والاقتصادية والاجتماعية. ولما نرى حاجة الى ايراد امثلة على ذلك

٤٠ وبما ان جميع الاعلام الكائنة بالامساقل كانت في الاصل اسماً جنس لا اسماء علم فيكون درسها جزءاً مكتملاً لمعجم اللغات القديمة ومساعداً على احيائها فمن هذا القبيل تكون اسماء المواضع احسن طريقة في دراسة اللغات وافضل وسيلة للتوصل الى ابعدها اصولها

٥٠ تبين لنا ما كان في اقدم الازمان للاحوال الجغرافية والطبيعية من التأثير في عقول اجدادنا (٢) وتكفي وحدها للدلالة على اهمية الينابيع والانهر لاسيما في الشرق حيث الماء من الشروط التي لا بد منها لتتقدم العمران. ناول ما استوطن البشر بجوار الينابيع وضواحي الانهر واقدم المدن عهداً مدينة نشأت على مجرى المياه. فلما مدينتا بيروت الأ مدينة الينابيع والآبار كما يتخذ من مدلول اسمها الفينيقي

٦٠ تظهر لنا ما كان للجيال من التأثير في الرجال الذين حتى عبدوها في الاصل

(١) وفي صلبه جبل (Hana) يدعى احياناً «جبل جبل» (mont Gibel) فيكون

اسمين اعجمي فيري ومعنى كليهما الجبل

(٢) راجع مجلة الشركة الانانية في فلسطين (ZDPV, 1904, p. 94)



كألهة على حد ما حدث في لبنان وجبل حرمون (جميل الشيخ) ورأس الدفعة  
والصكرمل والجبل الاقوع كما سبق لنا بيانه

بقي علينا ان نذكر التنبيه بان بحثنا الحالي يكون جغرافياً محضاً اي اننا تقتصر  
على ان نخلف من اسماء الاماكن في لبنان أدلة تكشف لنا عن جغرافية لبنان  
التاريخية في الزمن القديم . واما ما تعلّق بالمباحث اللغوية كالتغيرات التي توالى على  
اسماء الامكنة فاننا نحيل القراء الى الكتاب الذي ألفه الدكتور كيمبير (Kampff)  
(meyer) في هذا الموضوع وعنوانه « الاسماء القديمة في سورية وفلسطين الحالية » (١)  
حيث يبحث عن هذه المشاكل بدقة وحداقة وسعة اطلاع كما هو دأبه في كل تأليفه

\*

ولكي يمكننا ان نفهم من هذا البحث جميع الثمار التي نستفيد منها ونحصل على جميع  
الفوائد التي يتضمنها كان لا بد ان نعطي على لوائح كلمة لجميع اسماء الامكنة  
الوجودة الآن في لبنان مع الزدوم وتناسيم المقاطعات والاحراج والبنابيع والادوية .  
وفوق ذلك كان ينبغي لنا ان نبحث في الكتابات القديمة عن الاسماء المسكونة التي  
قدت وقصارى الكلام كان يازم ان يكون لدينا فهرس تتضمن اسماء المواضيع فقط  
كاللغة التي وردت في مجلة الحفريات الفلسطينية (P.F.F) (٢) بلاد فلسطين بل  
مجموع شامل لادواف لبنان ورومه على غط المجموعات الكتابية المولدة لجميع  
الكتابات القديمة (٣) . فلا حاجة الى القول انه لا يوجد نظير هذه اللوائح والفهارس للبنان  
لما لانتة روبنسون وعالي سميث فلا تحلو من فائدة (٤) الا انها غير محكمة الوضع فضلاً  
عن انها ناقصة . فالذي يسعى بعمل لائحة قتي بالمطلوب يخدم العلم خدمة جليلة ويمكنه  
ان يبني جداول على تقسيم قائمات الجبل ومدبرياته متبعاً التعليقات التي ألغنا اليها  
قبل الآن ثم يجمع التاليد والاسانيد المحلية التي تتعلق باسماء الامكنة، والشرق مستعد

(١) راجع المجلة ذاتها (ZDPV, XV et XVI)

(٢) المشروع حسن الا انه غير كامل ولا يمكن ان نتقدم دائماً على روايات المؤلفين الانكليز

(٣) راجع مقالة العلامة جوليان التي عنوانها « الحاجة الى مجموع الاعلام المكتوبة في العالم

القديم » (Beitrage z. alt. Gesch. 1902, II, p. 1)

(٤) وهي منشورة في (Biblical researches in Palestine, vol. III)



انشر هذه اللائحة مع الشكر لمن يتفضل عليها . وكنا نود لو نشرت سالامة جبل لبنان تودع فيها اسماء الاعلام الكنائية . فيستخذ لهذه الغاية كتلة « دليل لبنان » للشور في ادارة جريدة لبنان فان فيه لائحة لمجلات الجبل الحالية الا انه ينبغي ان يكتمل ما فيه من النقص مع التمييز والتفريق بين القرى والمزارع واضافة بعض دلائل ونحن لم نقف على كتاب في هذا الموضوع جامع للفوائد نظير تاريخ بيروت الذي نشره في المشرق حضرة الاب لويس شينغو ثم طبعه على حدة . فهذا التأليف الجليل لم يقابل اذها الجبل بالقبالة التي هو حقيق بها لاسيما من حيثهم تاريخ لبنان وجغرافيته . فانه قد يسد خلل اللوائح الوصفية الى حد ما . وأخص فوائد هذا الكتاب بل اهم ما يتضمنه من الايضاحات قائمة في وفرة اسماء لبنان الجغرافية المذكورة فيه كاسماء القرى والاملاك وايضاحات عن حدود المقاطعات القديمة وغير ذلك مما لم يرد ذكره الا في هذا الكتاب . فاننا لا نجد التواريخ الكبيرة تذكرت كثيرا لبنان كما اهمته تأليف الجغرافيين الكبار فاذا اتوا على ذكر هذا الجبل فانهم يذكرونه عرضا دون اسهاب ولا تفصيل . ثم ان كثيرا من المجلات القديمة بادت برمتها ولم يبق من آثارها الا اسمها الذي لم يزل منسوباً الى عقل او خريف لا شأن لها ولا اعتبار . ففي تاريخ بيروت نجد كثيرا من هذه الاسماء المندثرة كليم « رمطون » مثلاً . وكأنه الصك الاول الشاهد لوجود عدد من قرى لبنان ان لم يجر القول بان فيه قد دون تاريخ ميلادها . فيجدر بنا ان نثني اطيب الثناء على ناشره ولا يسعنا الا ان نحض طلاب العلوم التاريخية والجغرافية على الاهتمام في مطالعته ونحن نتعهد لهم باللذة والفائدة مما قد جئنا منه فوائد شتى ولا نزال نواظب على مطالعته استزادة لجوداه

٢

واول ما نجد في بحثنا عن اسماء المراضع في لبنان تغلب اللغتين السريانية والعربية عليها . اما العربية فانها تدل على حداثة عهد الساكن والمنازل لان هذه اللغة خلفت اللغة الآرامية من عهد قريب كما اشرنا اليه في بحثنا عن لغات لبنان القديمة (١)

وفي أول وهلة تستعوذ علينا الدهشة ويشعلنا العجب لقلة ما نشاهد من الاسماء الكنعانية او الفينيقية البعثة مع ان اهم الامم التي استوطنت لبنان واقدمها كانت تنطق بهذه اللغة . وليس الكلام عن اسماء مدن الساحل نظير صيدا وبيروت وجبيل وغيرها اذ لا مشاحة في ان اصلها بالفينيقية وتسميتها كافتة لان تطلعت على حالة الفينيقيين الاولى (١) وانما ما كان منها في داخل لبنان فضل مجدل وفروعها مجدل ومجدليا (٢) ثم البيرة (٣) وعرامون (٤) وغيرها بما يأتي ذكره .

فهذه الاسماء لقدم عهدا عانت مشقة عظي في صبرها على صروف الدهر . ولو امكننا تجريدنا من قشرتها الارامية او العربية التي تحجب صورتها فتجعلها مجردة لوجدناها اوفر عددا واقرب الى المعرفة ومثالي ذلك البيرة التي مر ذكرها فانها تظهور لأول وهلة انها كلمة عربية لشبهها بافظ البئر وهكذا قل عن كثير من الاسماء التي اولها عين او بيت او كفر . فهذه الالفاظ لا تختلف بالعبرانية والارامية والفينيقية وقد نقلت كما هي الى العربية (٥) . فاشدة الشبه بين اللغات الثلاث يحصل غالبا القلب والتبديل في صيغ الكلمات فيصعب اذ ذاك معرفة الصيغة الفينيقية الاصلية كما في كفر تبنيث بجانب النبطية حيث نجد اسم تبنيث الدائر الشهيرة في تاريخ فينيقية . وفي شالي يديوت جدول ماء كان يدعى باسم الاله «موت» وهو اله الجحيم بلوتون (Pluton) عند الفينيقيين . فلما اُقيمت فيها بعد الديانة الفينيقية واعمال اساطيرها وأغفلت اسماء آلهتها أبدل موت بموت وأضيف اليها اداة التعريف فتألفوا «نهر الموت» وزاد الشعب على ذلك فاختلق حكاية حرب هائلة جرت فيها الدماء مدارا . فهذه سنة العوام في اشتقاق الكلمات فانهم يفسدون صورها شيئا فشيئا ثم يجدون لها معنى في لغتهم فيخدعون انفسهم ويختلقون قصصا وحكايات لتفسير الوهم الذي توهموه وسوف نورد امثلة جديدة في سياق كلامنا على هذا النحو . لكننا نأسف على ان بعض المؤرخين

(١) راجع تاريخ الفينيقين (Pietschmann: Geschichte der Phönizier, 129)

(٢) اطاب المجلة الاسورية (ZDMG, 1871, p. 442)

(٣) راجع Kamollmeyer, ZDPV, XVI, 20

(٤) راجع كتاب العلامة كلارمون فانو (Recueil d'Arch. Or., VI, 70)

(٥) راجع كتاب الآثار العبرية للعلامة نواك (Nowack)



ينخدعون هذه الترهات فيتمردون لنا كأدلة حقيقية اختلاقات الشعب الوهمية  
 اما بقية اللغات كاللبنانية واللاتينية فانها قليلة في اسماء المواضع اللبنانية فليس  
 في هذا ما يدهشنا بعد النتائج التي توصلنا اليها بالبحثنا عن اشتقاق الالفاظ في لبنان  
 ولا يصعب التسليم بهذه الملاحظات اذا سرحنا الطرف في خريطة لبنان شمالاً ووسطاً  
 وجنوباً في المنحنيات البحرية والتعديرات الجبلية فيستقر لنا الاندخال لما رى من كثرة  
 الاسماء السريانية جرفاً مثل كُفْر وكُفُور وشير وتصغيرها العربي شوير بمعنى الصخر  
 وغيرها مما لا يحصى عدده مثل نيجا وشقيف وكُفْرْحَا وداريا ودرشمين وكل كلمة  
 تألفت من « واش » كناية عن راس وعن « طور » اي الجبل الخ . والاسماء التي  
 تنتهي بصيغ اواخر الكلمات السريانية مثل آيا (أَيْمَل) وآنا (أَيْمَل) واون (أَيْمَل)  
 علامات الجمع والتصغير . وكفى بهذه المجموع وحده شاهداً على ان لبنان ارض  
 ارمنية ان لم يشهد بذلك التاريخ . فهذا الموضوع لا يكاد يُبلغ كنهه او يُستبر  
 غوره اذا اردنا التوغل فيه . فهناك بعض امثلة زيادة على ما اوردنا فمين طور اهي  
 حَمَّ (عين الجبل) ودرشما فالح حَمَّ (راس الماء) ودير قرقنة وهو  
 اليوم دير للملكيين هو دير الجعينة (حَمَّ حَمَّ) وبيت مري (حَمَّ حَمَّ)  
 بيت السيد وترعون (كَمْوَحَل) الابواب وجزين (حَمَّ حَمَّ) الكروز  
 وبين هذه الاسماء السريانية ما يستلقت نظراً خاصاً وهي الاسماء الكثيرة في  
 لبنان المبتدئة بحرف ب (ب) اختصار (حَمَّ) بيت وهو اختصار قديم مختص  
 بلغات سوريّة . وقد ورد نظير هذا الاختصار في اللغة النيبتيّة (في التلعود وفي اسماء  
 قريبا من الفلسطينية المذكورة في التوراة ومنها بيشان ١٢٥٥ = ١٢٥٥ التي ترى  
 حتى اليوم قريبا من نهر الاردن جنوبي بحيرة طبرية ١)

وذكر كتبة اليونان مدينة في جزيرة العرب قريبة من البحر الاخر باسم  
 (Baloxipia) وغني عن البيان انها بيت شمس حَمَّ حَمَّ ويكتبونها ايضاً ٢)

١) راجع المجلة الاسبوعية الألمانية (ZDMG, 1860, 6: 1 ; 1873, 325) ثم كتاب منة  
 فينيقية (Mission de Phénicie, 85) ومقالة الدكتور كينيدي (G. Knapffuey)  
 ZDPV, XV, 87, 111 ورجل فينيقي الى حوران (Wetzstein: Reichenstadt  
 ZDMG, XXVII, 325 راجع ٢) über Hauran, 110



(Izidoxylus) وهذا يؤيد كلامنا . اما امثال ذلك في لبنان فكثيرة نورد منها بكيفاً (حده حافلاً) اي البيت الصخري وهي مركبة من حده وحافلاً صخر ومثلها بكيفاً في اقليم الخروب ومحمدون وبياقوت اي بيت حمدون وبيت باقوت (١) وقس على ذلك برمانا ويزمار وبتار وغيرها مما سوف يرد ذكره

وقد يسوغ لنا ان نحكم على القور والبديهي ان بلادنا نظير لبنان غزير الينابيع ومناخها يقتضي وجود المياه لا بد من ان يكون لغنصر الماء دخل في تركيب اعلامه . وصحة هذا الحكم تظهر بالمشاهدة فقد استمال انكارنا اسم قرية ميوميه (وليس « ميه وميه » كما يكتبها دليل لبنان ) قريباً من صيدا . في اقليم التفاح فاعتقدنا ان الكلمة الفينيقية الدالة على الماء داخله في تركيب هذا الاسم ويقابلها في العبراني « ميه » فحكمنا بقدم عهد القرية وبوجود ينبوع ماء مشهور كان سبب تسميتها بهذا الاسم . غير ان الاعلامات كانت في اول الامر سلبية . فلما جئنا متأخرًا في نواحي صيدا لم نعلم على معين ماء في وسط ميوميه لكننا شاهداً في سفح القرية ينبوعاً من اجود ينابيع تلك الاطراف القاحلة واعنيها . ففي حين مرورتا كان جميع الاهلين في قلق واضطراب لان بعض اصحاب المطامع سعوا بحفر المياه التي يستقي منها الناس والحداثي المجاورة فوجدنا تأمناً تلك المياه الحسنة الخارجة من بطن الارض ادركنا سبب تسمية ميوميه بهذا الاسم الفينيقى

ثم في لفظة ميروبا الماء الغزير ورشياً رأس الماء . فنظهر للعيان كلمة صَحْل السريانية اما الاسماء التي تبدأ بكلمة عين فهي اكثر من ان نحصر (٢) وهذا دليل آخر على تأثير المياه وفضلها في تسمية المساكن والاماكن . وهنا نبدي نفس الملاحظة التي ابديناها على الباء المختصرة من « بيت » وذلك ان عين تختصر احياناً فتلفظ عين فعين علورا تلفظ « عطلورا » وعين دارا « عدارا » واليونان يسمونها عندريس (Andaris) . وهذا ما يدل على أن عادة ابدال عين بعين هي قديمة وأما هل ان عندريس من لبنان فراجع الجزء الاول (١١٢) وكذلك قرية عبال (٣) في ناحية الشوفين فاصلها عين بال .

(١) نسبة الى حمدون وبياقوت ولا نعلمنا التاريخ من اخبارها شيئاً

(٢) اننا نحدد ذكر الاسماء التي تبدأ بساقية وغدير

(٣) يظهر ان عبال ويميل في بلاد بشاره من اصل واحد وفي الشهر ١٢ كانون الاول

وقس عليها مواضع اخرى من سورتي نحو «عنجار» «عين جاز» في البقاع وعند «عين دقت» في مكار وعين دور في فلسطين وهي تلفظ وتكتب اليوم «اندور» (١). وقد تدغم النون بالحرف الذي يليه نحو «عاطور» واصلا «عين ماطور» (٢).

\*

اما الاسماء العربية المحضة فهي كثيرة ومعروفة ولا حاجة الى ايراد امثلة عليها ويكفيها ايراد اسم «الجديسة» لكثرة انتشاره والاسماء التي تتألف من «واس» و«ظهر» و«وادي» و«دير» و«دوير» واشباهها وكثيرا ما يتفق ان اللغتين تشتركان بالاسماء اللبنانية كما رأينا في الامثلة المقدمة فخططان وفتحجان امواج الماء بالراح بحيث تشترك الكلمة العربية بالسريانية او تتألف صيغة الجمع والتصغير العربية بكلمة من صيغة ارامية ويسهل تلمس ذلك من الامثلة التي سبق لنا ايرادها. وفي بعض الاسماء كما في «انف» يمدد الفصل بين اللغتين فلا تعرف السريانية هي ام عربية وقد اقبلت لنا اعلام الاماكن آثارا شتى تدل على مرور العرب والآراميين بلبنان بخلاف بقية الشعوب التي ورد ذكرها في الفصل الذي بحثنا فيه عن سكن لبنان من الامم القديمة فنرد الى القراء ليطالعوا خاصة المقالة التي دار الكلام فيها على اللغتين فاننا ايقنا فيها على ذكر اسمين جغرافيين يتصل عهدهما بهذا الشعب على ما نظن. اما الفراعنة فمع طول عهد استيلائهم على فينيقية لم يهتسوا باستعمارها ولم يعنوا باقامة الآثار فيها لكنهم كانوا يعمدون تدبير شؤونها الى عمال وطينين مكثنين بوضع مراقبين عليها (٣). اما جنودهم فيها فكانت قليلة وكانوا من المتطوعين (٤) فضلا عن ان قسما كبيرا من لبنان لم يدخل تحت حكمهم زماما طويلا. لانا نعلم ان املاك الفراعنة في فينيقية ايام رمسيس الثاني كانت تنتهي عند نهر الكلب اما الرومان فلا نستطيع ان نعزو الى لغتهم إلا اسم غوسطيا التي عورضت

١٩٠٤ يذكر مراسل من قبل ان الرسائل المبعوثة الى قريش ترسلها ادارة البريد غالبا الى عبال

(١) راجع Kampffmeyer, ZDPV, XVI, 53

(٢) راجع تاريخ بيروت (ص ١١١) والمجلة الفلسطينية ZDPV, XV, 111

(٣) راجع الجزء الاول (ص ٧١) كتابات تل العمارنة

(٤) راجع كتاب مكس مولر W. Max Müller, : Die Ägypter als Eroberer



«أغوستا» (Augusta) نسبة إلى أغسطس ونحن نسلم بهذا الاشتقاق لكن باحتراز .  
وبين غسطا وديوبيا مزرعة صغيرة تُدعى طبرية فهل لا تُرى تشتق من اسم طياربوس  
تظهر طبرية الجليل الشهيرة ؟ وإن صح هذا التأويل فمن يكون طياربوس . هذا !  
قد زعم حنرة الخوري غبريل صاحب تزيين الموارنة ( ص ٥٧٦ ) أنه الإمبراطور  
طياربوس البيزنطي لكن هذه الشهادة ليست بكافية إذ لم يذكر ذلك أحد من  
المؤرخين القدماء

ثم أننا لا نعد من أصل لايني اسم «اسطبل» في إقليم النجاص ولا المحلات العديدة  
التي تبدأ بقصر ورج فان هذه الأسماء وإن كانت في الأصل مشتقة من اللاتيني إلا  
أنها قد دخلت في اللغة العربية من عهد بعيد حتى أصبحت كأنها أصلية ومثلها  
الكورة اسم أحد الأقطاع في لبنان فأصلها يوناني «*κωρύκη*» أي الناحية . والفري  
قريباً من شكاً فلا يبعد من أنها تشتق من لكاسة اليونانية «*κόπασα*» ومثلها اللاتينية  
*horreum* وكلاهما بمعنى المهري والمخزن ومن الأسماء التي يمكن نسبتها إلى اللغة  
اليونانية طبرجا وجربتا (١) . أما طاميش فلأباً من أرخاميش «*Ἀρχαμίσ*» وهي إلهة  
لوثيين كما أن جونية يُحتمل اشتقاقها من اليوناني «*γυνή*» أي الزاوية . وأما البترون  
والقاسيون جزوي طرابلس فانهما من الأسماء السامية صغفهما اليونان في لغتهم وجعلوها  
منها كما صيروا جبيل «*جيبيلوس*» وكذلك دلفه في كسروان شبه لفظها «*δαφνί*»  
وهي شجرة القار كما أن ثوروس (قريباً من كسبا وشطين) هي «*κωρύκη*» . لكن  
رأى يتساهل كثيراً فيرى الأصل اليوناني في عدد أسماء لبنانية تظهر دللتها وريفون  
وعجلتون مع أن أصلها السرياني لا شبهة فيه . وفي رأيي أن كل الأسماء اللبنانية  
المنتهية في لين وأون وأوش مثل عرفين وريفون وحوش هي يونانية الأصل . لهذا  
الزعم لا يستحق أن نعيره التفاتاً . وبالجملة ليس في لبنان أكثر من عشرة أسماء

(١) راجع الجزء الأول (ص ٢ و ٥٨ و ٦١) ما قلناه عن الطليلس فإن اشتقاقها من  
اليوناني هو من الأمور المشككة . وقد ذكر الشريف الإدريسي مثالي مبداء بلدة باسم قاسون  
ثم يعرف من أسماء شتّى وأنها عُرف «*عقان*» القرية من بحر الأولي . وكذلك قلنا من  
الرسالة على خريطة العرسارية شرقي البترون هي تصحيف قرثون

(٢) راجع كتابه بلدة فينيقية (١٩٤٠، ٢٤٨، ٢٢٩ ٢٣٨) Mission de Phénicie



مكانية يسكن ردها الى اثار يوناني فهذا العدد اليسير لا يكاد يُعبراً له بالنسبة الى الاعلام اللبنانية المتعددة التي ثبتت سامتياً

اما اكثر الاسماء توغلاً في الابهام فهو اسم كسروان فمن العلوم اننا نستخلص منه بلا غناء اسم العلم كسري ولكن كيف نقتره ؟ ومن هو كسري هذا ؟ وكيف وقع لاسم على هذه القاطعة اللبنانية ؟ يقول قائل انه اسم احد متقدمي المردة وليس ذلك جواباً شافياً لأن المردة كما افاد التاريخ توحوا عن لبنان ولم يختلفوا فيه سلاطهم . وكذلك لا نسام بالثقيل الذي يرد " قب لياس " ( في البشاع ) الى قبو لياس . وهو زعيم اخر من زعماء المردة في قوتهم . وليس قب لياس في ديارنا شدة وضوحاً او بالبري اقل ابهاماً من انطلياس (١) والسيو غوراني في تأليف حديث له (٢) يسلم برأي من يرجع هذه الاسماء الى المردة ويؤمن بانهم اتوا الى لبنان من بلاد الفرس لكن قبل العهد الذي يذكروه توفان المورخ اليوناني وهم الذين دعوا كسروان باسم ائوابه من بلادهم . لكن التاريخ لا يذكر شيئاً من امرهم ما خلا توفان وهذا المورخ اليوناني يخالف كل مخالفة رأي غوراني في عهد دخولهم لبنان . اما نحن فلا يسعنا الا ان نشاطر سيادة المورخ يوسف دريان رأيه وياوح لنا انه دحض بسديد براهينه زعم العالم الايطالي دحطاً منجماً . وعندنا ان اشتقاق اسم كسروان مشكل لم يجأ احد الى الان

اما اللغة الفونجية فلم يبق منها في لبنان الا ما قل وقد ذكرنا انهم يسكنون المنطقة ( Le Monestre ) ويطبقون اسم ( Franche-garde ) على قلعة يُقال لها الان المنطرة وهي بجوار صيدا . ويدعون قلعة نيجال القريبة من جزين ( Cavea de Tiron ) ويسكنون قلعة الشقيف جنوبي النبطية ( Beaufort ) . ولم يبق من هذه الاسماء الا الاسم الاول الذي صحتوه ونقلوه الى اللغة الفرنسية وكذلك اسم دير

(١) قرأنا في ذخائر لبنان لجانب ابراهيم بك الاسود : « كلمة اسم لياس لا تخلو ان تكون متعوجة اما من انطون وابلياس واما من اعطش ايلياس واما من ايقونة لياس وهذا الاخير هو الأرجح » (كذا)

(٢) راجع : *Gubernatis : Rassegna Nazionale, Marchetti e Maroniti*

البلند فهو منقول عن كلمة (Belmont) كما اثبتنا ذلك في موضعه (١)  
وقد رأى حضرة الاب ابراهيم حنفوش في «خربة السويس» تلميحاً الى الشعب  
السويسري (٢) فنحن لا نحال التسليم بهذا التفسير ممكناً لان السويسريين لم يعرفوا  
في اقطارنا فضلاً عن ان اطلاق اسم السويس على الشعب السويسري كان بعد ذلك  
العهد . ومن المحتمل ان اسم «روس الفرنج» (في قضاء جزين) و «جوف  
الفرنج» بجوار تنورين من آثار ذلك العصر غير اننا لا نستطيع ان نثبت بهذا المعنى  
حكماً جازماً

واما اسم جرمق (بناحية جبل الريحان) الذي ورد ذكره اثناء كلامنا عن  
الجراجمة فانه يحلّد اسم الجراجمة وهو شعب ارامي (٣) تذكره كتبة العرب وهم  
لا يفرقون احياناً بين الجراجمة والجراجمة فهؤلاء الجراجمة ليس لهم اثر في اساءه المواضع  
اللبنانية وذلك دليل على انهم اجتازوا لبنان اجتيازاً ولم ترسخ فيه اقدامهم  
ومن الاسماء التركية اسم الزوق وهذا الاسم من الاعلام المكانية الموجودة معاً  
في كسروان وفي عكاك (٤)

اما النتيجة التي نستمدّها مما قدّمناه في هذا الفصل فهي عجز اللغات غير السامية  
وقصورها عن التأثير في تسمية الامكنة اللبنانية العجيبة بوحدة نوعها . وهذا مما لا  
تشاهده الا في اقل من البلاد اما اوردية فانه تجد في اساءه مساكنها اشكالاً والواناً

(١) تزيح الابصار (١٤٦٠: ١)

(٢) المرقى (٢٦٨: ٥)

(٣) او فرقة من الاشوريين الاقدمين او «هم اهل الموصل في الزمان القديم» (القفندي

١٤٢٠: ١) راجع Chwolson: Die Ssabier, II, 497 وبقوت في معجم البلدان (٦٤: ٣)

يوسى الى وادي جرمق على مقربة من صيدا وهو وادي جبل الريحان . ثم قابل بين نصي ابن  
الغبيه المحدثاني قال الاول (ص ١٧ سطر ٣٠) : «الروم ملكانية يقرأون الانجيل بالجرمقانية»  
وقال الثاني (ص ١٢٦ سطر ١٦) وشرح قوله اصعب لان الكلام قبيح عن روم اوردية : «الروم  
كلهم ملكانية يقرأون الانجيل بالجرمقانية» . فمن يتقدّم بنا بشرح معنى الجرمقانية فليدنا  
فضلاً وجسلاً ومن المقرّر ان ليس المراد بها السريانية اذ ان الجرمقانية على قول ابن الغبيه لغة  
روم اوردية الطنسية

(٤) Robinson : op. cit. 189



\*

أدنا قد يلنا في سياق الكلام عن دخول النصرانية الى لبنان قبل الهجرة بثمانيئة سنة ما عانت من المكابرة ولاقت من المصاعب حتى استتب لها الامر وتوطدت دعائمها ١٦ ولم يتم انتشار النصرانية على الوثنية قبل اواخر القرن السادس واولئل السابع وذلك بفضل الشعب الماروني واسماء المساكن تؤيد هذه النتيجة التي لا سند لها الا الادلة التاريخية

انه لامر شائع في جميع البلاد النصرانية أن تُسمى المساكن باسماء القديسين فشيوع هذه العادة يظهر ما لعبادة القديسين من الشأن والاعتبار عند بني جلدتهم ويبرهن لنا اهمية الابدية الدينية التي نشأت حورها المدن الحطيرة . فمن هذه المدن كانت اتيان في فرنسة وسان لورس في المالك المتحدة وسان باولو في البرازيل . فمما يقضي بالمعجب ان الاسماء الكثافية التي تنسب الى اسم قديس قليلة جداً في لبنان نعرف منها مار شينا في الزاوية ومار ماما في بلاد البترون اما في بلاد عكار فان رويانن يذكر في لوانجه ٢١ مار ليأ وهو اليوم خربة . وتزيد عليه اسم مزوعة مار توما ٢٢

اما الاسماء التي تتألف من دير ودوير فهي اكثر شيوعاً نكتها اقل مما ينبغي ان تكون في بلاد اغلب سكانه نصارى . وثمة ذلك على ما نطق انحصار الطائفة المارونية زماناً طويلاً في شمال لبنان فانها لم تجاوز حدود نهر ابراهيم كما اثبتنا في هذه المراضع الا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ونحن نعلم ان كثيرين يرفضون حتى الان التسليم برأينا . فما علينا الا ان نوضح للمناظر ان تسمية الاعلام الموضوعية لا تعطي لهم دلائل قنائل رايهم . فقد ظهر من الابحاث التي نشرها حضرة الاب ابراهيم حوروش في المشرق عن اديرة كسروان القديمة انها متأخرة عن الجيل الخامس عشر . فأي تفسير لهذا الشذوذ غير تفسيرنا . ثم علينا ان نعتبر ان الاديرة الكبيرة كانت قديماً

(١) تزييح الابصار ( ١٧٤١-١١١٣ )

(٢) راجع تأنيفة (ص ١٨٢)

(٣) وهذا الاسم مذكور في لائحة الغنائم التي بها حضرة الحوري بولس طعمه وقال ان

اعلوا اليوم مسلمون



ندرة في لبنان لأن العيشة الرهبانية فيه كانت في بادئ أمرها تقوم في الخسوة والعزلة  
 شأن المالك والزهاد فأكثرت الأديرة الكبيرة سيما جنوبي نهر ابراهيم بنيت بعد تأسيس  
 الرهبنة البلدية . وهذه بعض الاسماء التي تبدأ بدير : دير القدر ودير قوبل ودير بابا  
 ودير دريت وقد ورد ذكر جميعها في تواريخ الفرج في القرون الوسطى (١) وفي تاريخ  
 بيروت (١٩٢-٢٨٢) . فلهذه القرى سبقت عهد القرن الحادي عشر وأماها قامت على  
 انقاض اديرة مبنية قبل الاسلام . وما يحتملنا على هذا الاستدلال وجود تلك الأديرة  
 بناحية لم يستوطنها غير الدروز قبل القرن السابع عشر . وقد يعن لنا أن في هذه  
 الناحية موضع الدير الذي اقامه في لبنان القديس رثولا وقد ورد ذكر هذا القديس  
 في كلامنا عن ابتداء النصرانية في الجبل (٢) . وهما نحن نورد بعض أسماء مما  
 يبدأ بدير غير ما ذكرنا . ففي منحنى لبنان الشرقي دير الاحمر (شال غربي بعلبك)  
 ودير طحنش على منحدر جبل الباروك الشرف على البقاع ودير دالوم ودير جانين في  
 بلاد عكاك (٣) ودير الزهراني في وادي النهر المذكور

ولقد تبين لنا من ابحاثنا المتقدمة عن العاديات اللبنانية أن لبنان بلد تأصلت  
 فيه المبادات الوثنية ورسخت اصولها وانتشرت فيها المياكل والابنية التي تحيي ذكر  
 الديانات السامية . فاسماء الاماكن تدعهم شهادة العاديات وتوضحها على متواليها (٤)  
 فبعضها نذكر جلياً امر تلك الانتاخذ الدارسة وغايتها وبفضلها نكمل نقص  
 التاريخ ولايضاح ذلك نشهد بعض امثلة مما يحضر الحاضر على سبيل الاتفاق :

فإن كنا نجعل انتشار عبادة الإلهة الفينيكية ثابت في لبنان فالاعلام الكاثنية  
 نطلعنا عليها فمن تلك الاعلام كفر ثابت الواردة في تاريخ بيروت (٥) وعشتايت جنوبي

(١) راجع المجلة الفلسطينية ( ZDPV, N, 276, 277 ) اما تفسير اسم دير النهر في  
 مصنفات اخبار الاعيان (ص ٢٩) فهو الى العراة اقرب منه الى المكانة والعداد على ما لاح لنا

(٢) راجع الجزء الاول (ص ١١٢-١١٤)

(٣) وغيرها في تلك الناحية . راجع رويشون ( ١٨٣-١٩٠ )

(٤) راجع ابحاث غلدسيير ( Goldziher : Moham., Studien, II 334 336 )

(٥) لعالم بن يحيى (ص ٢٢٦)

شرقي صيدا، ١١ وعينت على منحى لبنان الشرقي على سفح قومات نبطا الى الشرق.  
ولست نثبت وحدها الالهة السامية التي عاش ذكرها في الجبل  
كننا الى اليوم نشبه بوجود إلهة كان الاراميون يؤذون لها اكراماً خصوصاً  
ويدعوها شيا، وقد استلقت اليها الانظار بمقالاته حضرة الاب سبستيان روثال (٢) فقد  
اكتشف بمذقه المعروف اسم هذه الالهة في « كورشيا » قريباً من بيروت « وبيت  
شاما » (على طريق رحلة الى بعلبك) « وشامات » في بلاد جبيل ونحن نضيف الى ما  
تقدم اسم « بعاشيه » (في القرن الاعلى) فهذا الاسم الذي يبدأ ببعل هو عندنا من  
اغرب الاسماء الاولى والاصيلة في لبنان (٣). فكل يعلم أن الالهة كانت تعبد في  
الهياكل السامية ازواجاً فكل من الالهة كان بازائه ما يقابله ذكر أو أنثى وحتى  
اليوم لم يكن مقابل شيا لها معروفاً وان كان يسوغ الاستدلال على وجوده بالاستقراء.  
اما الآن فقد اكتشفت حديثاً كتابة يونانية شمالي سورية فيها ذكر الاله (Σάμω) (٤)  
فهذا الاله لا نحاذر الا زوج شيا الذكر لأن بعاشيه لا تعني إلا بعل شيا اعني  
مقابلها الذكر لأن لفظ البعل عند الساميين اذا جاء منفرداً كان يدل على كيب الالهة  
ويشير الى اله محلي او خصوصي اذا اضيفت اليه صفة كما نراه واقعاً

ثم ان قرية درب السين (وعلى الاصبع درسين) (٥) شرقي صيدا بمقربة منها  
نذكرنا باله آخر هو الاله سين او القمر المكموم خاصة في بلاد بابل ومسا بين النهرين  
وكان له في حران هيكل مشهور ومنها امتدت عبادته الى سورية لأن حران كانت  
مبينة على طريق القوافل التي كانت تتعاطى الاتجار في تلك الاصقاع

وفي سورية الشمالية مواضع يدل اسمها على انتشار عبادة القمر. فن ذلك  
كفر باسين في جبل سمعان (عربي حلب) وبحوار افامية القديمة موضع آخر يدعى بهذا  
الاسم. فلفظة باسين تتركب من با وسين: والتأويل بيت سين اي مسكن او هيكل

(١) راجع Guérin, Galilée, II, 516 وقد اعلنت هذه البلدة في الخريطة الفرنسية

لبنان وهي غير كاملة في الجنوب (٢) راجع المشرق (٧: ٢٤١-٢٤٥)

(٣) وقد قال بعضهم انه تصحرف « بعل شمين » اي بعل النوازل وهذه التسمية شائعة

عند بني سام راجع اخبار الامم (ص ٢٦)

(٤) راجع Bulliet, corresp. hellénique, 1902, p. 182

(٥) ZDPV, VII, 115



الاله سين . وكان العرب في الجاهلية يعبدونه ايضاً (١) ولعل هذه العبادة نقلتها عنهم الى لبنان قبيالة الايطوريين وهي عشيرة من عشائر العرب سكنت قديماً في لبنان كما سبق لنا اثباته

ونرى ايضاً في لفظة «كفر قاهل» شمالي الكورة اسم قاهل ومعناه القدير وهو من اسما الجلالة عند العرب الاقدمين (٢)

وما ننهنا اليه في بعشيه ودرسين ينطبق ايضاً على اسم دار بعشتر . فهذه اللفظة كما سبق شرحها في غير موضع (الجزء الاول ص ١٣٧) ما هي الا بيت عشتر اي هيكل عشترت . وعشترت هذه من معبودات البنانيين الخاصة ولذلك كان اليونان يسمونها الى لبنان فدعوها «Αἰθρῶν» (٣) فالجزء الاول من الكلمة جري عليه من الابدال ١٠ جري في لفظة درسين التي كانت في الاصل دارسين فحولها الشعب الى درب السين (٤) ولم ينتبه الى أن الباء الابتدائية هي اختصار بيت ثم قدم على بعشتر لفظة دار ومدلولها البيت ولا عجب في هذا إذ أن في العامة ميلاً فطرياً يحسبهم على وضع معنى للالفاظ القديمة التي يفوتهم ادراك سرها . وبناءً على هذا المبدأ كتب العامة «مجد البعنا» (٥) (ضيعة في الجرد الشمالي) وكان حقها أن تكتب بمجدل بعنا . وهكذا قل عن «مجد المعوش» والصحيح «مجدل معوش» وجري الشعب على هذه الطريقة لأنه لم يكن يعرف أن بمجدل هي لفظة كنعانية قديمة ومعناها قلعة فنقلها الى لفظ عربي متشابه

ومن المرجح أن اسم بزيلا المجاورة لدار بعشتر هو ادغام بيت عزيز . وعزيز هذا كان الها عند الساميين تحصل عبادة بمساعدة الشمس (٦) وكان له مزيد الاكرام في

(١) قابل ايضاً اسم جبل طوربنة 29-31 Grunne : *Mohamoud*.

(٢) Grunne, 39. *op. cit.* راجع

(٣) راجع الجزء الاول ص ٤٥ ونجد هناك صورة عشترت ص ٤٦ . Clermont.

Ganneau : *Rev. Archéol. Orient.*, III, 188

(٤) ما زالت ( *Mission de Phénicie*, 512 ) فيريد أن تحذف الباء ويكتب الاسم

درب السين . غير أنه من الضرورة ابقاء الباء كما يستدل من اسم كفر ياسين الشائع في شمال سورية

(٥) وهكذا كتبها صاحب دليل لبنان

(٦) راجع ( *Revue Archéol.*, 1903, p. 129-130 )



الرها وفي حمص كما يستدل من ان كتابات البشائية العديدة التي قرأنا فيها اسم  
 « 𐤀𐤁𐤁𐤁𐤁𐤁 » (١)

لما الاعلام المركبة التي اول جزءها « عبد » ثانيا اسم الهي عادة ولذلك لقبوا هذه  
 الطائفة من الاناطة بالاجاء الالهية . وعندنا ان عبدلي (من بلاد البقرون) تخصص  
 اسم الله ولغة بصيغة المضافة ايلو في اللغة البابلية او في العبرانية بدلا من الصيغة  
 السريانية او العربية المشبعة والقديمة . ومما يؤكد هذا التأويل هو انها لا تلفظ عبد الله  
 بالفتح والاشباع بل عبدلي **عبدلي** بكسر الدال المضافة او بالاشمام

وقد اطلعتنا كتابات تل العزنة على شدة نفوذ بلاد بابل في اقطارنا الشامية .  
 فلا عجب اذن ان وجدت شيئا من آثار الديانة البابلية في سورية وقد شاهدنا مثالا على  
 ذلك في ادخال عبادة الاله سين . وقس عليه الاله البابلي نبو (وفي العربي نبا)  
 فاقنا نجد اسمه في « قصر نبا » شمالي (حالة على منحني لسان الشرقي (٢) . ولا بدع  
 ان اورنا كيتذكرا بابلي اسم « كفر غرود » في بلاد جبيل وهي خربة وقد ذكرها  
 عدة من علماء الانرج (٣) ونحن لم نشاهد هذا المصطلح كما اننا لم نشاهد « قلعة تدمر » .  
 فلهذا نكتفي بالإشارة اليها ولا نريد على استيها تأويلا . على اننا نرى قرى  
 كثيرة ومزارع عديدة تسمى باسم الالهة القديمة فمن هذه القرى بدادون (في الغرب  
 الشمالي) فانها تتكون من ب = بيت والصيغة السريانية أون الزيدة في اواخر الاسماء .  
 ا) داد ولة قديم ابني سام ونجدته في لفظة دده (الكورة الشمالية) كما نجد في  
 مفرديق (الكورة الوسطى) اسم الاله صادق (٤) . وفي « مراح كيون » في اقليم  
 الناع يظهر اسم (احد معبودات الشعوب الشامية وقد كان معروفا عندهم  
 باسم كيون (٥) . قال ابو العلاء العربي :  
 اذا عظموا كيون نظمت واحدا فكان له كيون اول ساجد

(١) راجع تأليفنا في آثار حمص *Notes sur Hamâ, passim*

(٢) وطلها « كفر نبا » في جبل سمعان غربي حلب . وجاء في « ذخائر لبنان » (٣ ص

١٢٥) ان نبا اسم امير عربي . وهو تفسير قصي

(٣) راجع مجلة قديمة (ص ٢٠٢)

(٤) راجع Winckler, op. cit. 473, 483

(٥) راجع Winckler, op. cit. 409

ألا أن أكثر الآلهة شيوعاً عند الكنعانيين والفينيقيين هو البعل فلم يكن ممكناً أن يُعزل اسمه في تسمية الأماكن اللبنانية ولنا دليل في اسم بعشيه ومثله شاليل في بلاد الشيف (١) . وكبعل قريباً من الفينة (كسرون) . وكفروبال في وادي فيدار . وسبيل ويسبيل (٢) شمالي قضاء البترون . وعشبال بدلاً من عين بعل (٣) في الشوف . فهذه الاسماء لا تزال محافظة على اسم زعيم آلهة الفينيقيين  
 أما صالبا فلعلها الكلمة الكنعانية « *šl* » وهذه الكلمة ليس معناها صورة وصنم فقط بل هي اسم أحد الآلهة السامية السُنى صاليم (٤) فيكون إذن معنى صاليم (في المتن) بيت صاليم أي بيت الصنم أو هيكل الآله صاليم  
 ومن العبادات التي شاعت كثيراً في سرورية هي عبادة الشمس وإلى هذه العبادة ينسب اسم « عين الأسد والشمس » في إقليم الحروب . وما يزيد هذا الاسم أهمية هو تفضيحه لاسم اله آخر وهو الآلهة الأسد الذي اظهرت وجوده لأعيان كتابة اكتشفت حديثاً في جبل سلعان (٥) يُقرأ منها اسم الآلهة الأسد باليوناني ( *Asura* ) . وفي بعلبك كان آلهة جنابوس « *Leuzaios* » يُعبد بصورة أسد . وتُمثل الآلهة بصورة أسد كانت عادة شائعة في سورية (٦) . وقد تحدثنا النفس بأن نعزو إلى تلك العبادة الاسدية (٧) اسم مدينة الأسد ( *Asontópolis* ) ونهر الأسد ( *Asontos potamos* ) وكلاهما على منحدر لبنان الشرقي (٨) بين نهر الليطاني ونهر الكلب لكن مركزهما لم يُعرف تماماً (٩)

(١) راجع V. Guérin, *Galilee*, II, 530, 541

(٢) ولغتها الحالي لا يناقش رأينا في شيء فالعبادة جارية في جميع بلدان على (العلام التي لا يهم معناها الوضحي بأن يحدث تبديل في لفظها أولاً ثم في صكاتها

(٣) راجع أخبار الأعيان ( ص ٢١ )

(٤) راجع Winckler, 473

(٥) راجع Bullet. corresp. hellénique, 1902, p. 182

(٦) راجع مجموع الآباء اليونان لمن (Migne, PP. Gr., 331, c. 1292)

(٧) راجع مقالة الاب روتزفال بهذا الخصوص : (33 - 48) *Revue Asiat.* 1905

(٨) وكان اللبنانيون الوثنيون يذكرون لأهتهم مقدمة صور الأسد (Mission de

Phénicie, 397)

(٩) راجع مقالنا عن أسماء آخر لبنان القديمة

واما ما يتعلق بعبادة الشمس مقابل « بيت شمس » وهو من الاعلام الكثيرة الشيرع في فلسطين (١)

ومثلها العبادة للاله رمآن (٢) التي شاعت في طرفي العالم السامي في بلاد اشور كما في بلاد العرب وفي جميع البلدان المتوسطة بينهما . فمن تلك العبادة دُعيت اماكن عديدة باسماء تدخل في تركيبها لفظة رمآن نحو عين الرومانية وبرمآن ولعلها بيت الاله رمآن . وثنا أغفل على مدى الزمان اسم هذا الاله حُصبت هذه التسمية نسبة الى شجر الزمان وليس له وجود في تلك القصة وقد ينبغي ان يكون ذلك في بعض الاماكن بشرط ان لا تكون في مواقع باردة لا يعيش فيها الزمان . وليس لنا ان نهمل اسم « كهرمي » الغريب وقد يمكن ان يكون اسماً حياً لأن « عم » من صفات الالهة عند بني سام الاقدمين (٣)

فهذه هي الآثار المهيئة التي ابتها العبادات الوثنية في اعلام المساكن البنائية وهي كلها عبادات سامية وهذا طبيعي في اراض سكانها ساميون . واما ما اخص بالعبادات اليونانية والرومانية فيدل عليها اسماء بلوني وطاميش ولعلها مشتق من اسعي ابولون وارتاميس او ديانة ( Diane ) . لكن هذا الاشتقاق لا يتجاوز حدود التخمين وقد يمكننا ان نتساءل بطاميش دير ارتاميس ( ومنه : أوله صمد ) في حوران وهو مذكور في كتابة سريانية من الجيل السادس (٤) . وظن البعض انه ورد لابلون ذكر آخر في اثنان وهو اسم مغارة بالقرب من صيدا يدعونها مغارة « ابلون » وهذا الاسم مصغف والصواب « مغارة طبلون » وهو اسم مكاني نجهل اصله لكننا لا نطفيه متعلقاً بعبادة ابلون اله الرومان . وقد اورد في الجزء الاول ( ص ١٤١ ) اسماً غريباً في باب « وجه الله » الذي كانت تسمي به اليونان رأس الشقعة وكذلك اسم ضيعة « وجه الحجر » القائمة على ذلك الرأس فاسم وجه الحجر من آثار عبادة قديمة والمكان يدعى باليونانية ( Θεσπεσίαν ) او ( Αἰσπεσίαν )

(١) راجع ملجم انوراء ٣٦٩ Winckles

(٢) راجع كتاب حفرة الاب لاكرانج ( Lagrange ) في المذيلات السابعة ( ص ٩٢-٩٣ )

(٣) Winckler, 480

(٤) ZDMG, 1875, 436



وكلاهما ترجمة الاسم العربي فقد كان بين طوائف العرب صنم اسمه حجر وكان  
للإيطوريين موصكز على هذا الرأس من أهم مراكزهم يقال له جيبهارا فلعلهم هم  
الذين ادخلوا تلك العبادة إلى لبنان (١)

وفي بعض كتابات دير القاعة ذكر الله يدعى (Apsidarios) وقد استلقت هذه  
الكتابة لظنار المستشرقين أي استلقت قسما لولا عما عساه أن يكون ذلك الإله  
المجهول إلى هذا الحين وابن هيكلة. فإذا حذفنا آخر الكلمة «nos» الدالة في  
اللغة اليونانية على النسبة بقي «Apsid» وبهذه الطريقة نحصل على اسم المحل  
النسب إلى هذا الإله. وقد يجئنا عن حقيقة هذا العلم فنحن على فكرة بادية بهذه  
اسم رمطون التي ورد ذكرها مراراً في تاريخ بيروت (٢) لصالح بن يحيى وهي قرية  
من كفرمتى بينها وبين نهر الدامور. فرمطون هي اليوم خربة ولا ريب أنها كانت  
قديماً ذات بال وشأن كما يستدل من نسبة الرمطوني الذي عُرف بكثيرون من أسراء  
العرب فهذا الاسم يشابه الاسم اليوناني ولا فرق بينهما سوى أن ال التعريف داخلة  
على الاسم اليوناني بخلاف العلم العربي الحالي منه

الآن في الأسماء اللبنانية المكانية اسماً آخر يوافق كل الموافقة لحل هذا  
المشكل وهو اسم القرية عرمتى أو عرمتى في ناحية جبل الزيتون (٣) وبقية منها مزار  
إلى ذلك الذي قبال في أكرامه متالوة الناحية ومما هو إلا الإله العبود قديماً في  
عرمتى والإله (Apsidarios) المذكور في كتابة دير القاعة

قسماً مؤيدك من التفاصيل يدين عظم قدر العبادات الوثنية في لبنان والمصاعب  
الكثيرة التي ناصبتها النصرانية حتى توصلت إلى نصر الحق على الباطل وبها تدرك  
معنى كثرة الأبنية الوثنية في لبنان. فدرس الأعلام المكانية يظلمنا على أن  
العبادات الوثنية كانت مع الأبنية المنخفضة بها أو مرعداً في قديم الزمن وأنه لم يبق  
من أثرها إلا أسماء بعض المواضع فإذا ما حصلنا على لوائح وصفية وافية بالمطالع  
امكننا أن نضيف زيادات كثيرة على ما قدّمنا

(١) اطلب بحثاً فنيقية لبنان (Mission, 402)

(٢) راجع مثلاً المصنفات ٧٦ و ٨١ و ١٢٢ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٨٠ و ١٨٥

(٣) ويوجد موضع آخر يدعى عرمتى في جبل النمرية

واعلم ان فائدة درس اعلام الاماكن لا تنحصر في معرفة عبادات المشركين فقط فان الجغرافية والتاريخ يجنيان منه اعظم جدوى. فمثال ذلك «خربة صيدون» في قفقاسية جزين تحمي وتحفظ ذكر صيدون وهي صيدا وتدل على ان نفوذ ام المدن الفينيقية امتد الى داخل الجبل

وقد نبت بعضهم الى ان فريدس وهي كلمة فارسية شائعة الاستعمال في سورية تدل عموماً على حظائر صيد قديمة للوك الفرس (١) وهي عادة مواضع تكثر فيها المياه ومن ثم الغابات والطرائد شيان يستلزم احدهما الاخر. وما من موضع احق بهذا الاسم من فريدس الباروك فهناك سهل بهيج تسقيع ينابيع الباروك الغزيرة يشبه في تنظيمه وترصيفه حظيرة صيد كبيرة وعلى اكفافه ارز الباروك (٢) هو بقية من الغابات القديمة التي كانت تختلف اليها حيوانات متنوعة

وفي بطران من قضاء الكورة آثار عديدة من قبور واحواض كبيرة كلها منحوتة بالصخر قد وجدت بينا اخوة تدعى اشمونيت فرجع كونها انقراض هيكل اشمون الاله الفينيقي (٣) الذي يعلّق على الاله اسكولاب اله الطب عند اليونان. وكان التضاريس القدماء ارادوا تقديس ذلك المكان فاقاموا هناك معبداً باسم القديمة اشموني اضحي اليوم خراباً والاهل يكرمونه وقد اعتادت النساء اللواتي يشمن بالأم في الصدر ان يمسحن موضع الوجع بما مصبوب على حجر من حجارة العيد القديم. ونشروني عند الشرقيين لم السبعة الغنية الشهداء المذكورين في سفر المكابيين لكن الكتاب المقدس لا يذكرها اسماً واعلم الشرقيين اشتقوا اسمها اشموني من العبرانية *ashmonai* اي الثامنة لانها قتلت بعد اولادها السبعة

قد ابنا غير مرة ان لبنان يتناثر بساتنه الزاخر وغاباته الكثيفة. اما اليوم فمن يصرح الطرف في ذرى هذا الجبل ويراه اجرد في اكثر اماكنه قليل الاحراج والاشجار نسب

(١) راجع الجزء الاول (ص ١٢٤)

(٢) اقلب المشرق (١٩٧٢: ١)

(٣) راجع المجلة الاسيورية ١٩٧١ (١٩٧١: ٤٩٩ etc. ZDMG. 1903)



الينا التحس والمباينة وارتقاب بصدق ما روينا من الأدلة القديمة . غير أن تسمية الأماكن تشهد بكثرة الأشجار والنبات في لبنان قديماً . ومن ذلك المساكن المسماة « غابة » أو « غابات » والتي يدخل في تركيبها اسم شجرة كالاعلام الآتي ذكرها : « سندية وبأوط وصفصافة وجوز وحور ودلبة ودلبتا وزغورد ورمانة وخروب ولوز ولوزة وبطام ومشمش وزيتون » مع اشتقاق هذه الأسماء وفروعها وتصغيرها وإضافتها الخ . فاسم نهر الدامور أو كما يدعو اليونان تلميراس يتضمن اسم النخل الذي يقال له بالقيصرية تايير ( تمر ) ويدل على قدم هذا الشجر في لبنان ( ١ ) . وبعض هذه الأشجار كانت بالإنسة في الكثفة حتى تسقط بها المقاطعات والأقاليم على نحو : « جبل الزمجان وأقليم التفاح وأقليم الخروب » كما يأتينا ذلك فيما سبق من مقالاتنا عن الزراعة والأحراج في لبنان .

ومما يقضي بالعجب هو أننا لا نرى في جملة النباتات الداخلة في الاعلام اللبنانية اسم الارز سيد الأشجار في لبنان . فعلة ذلك أن الأهلين بادروا في أول امرهم الى قطع غابات الارز واستغلال خشبها بأثمان غالية حتى تجاوزوا في عملهم كل حدود التقوي والفظنة كما سبق لنا إيضاحه ( ٢ ) فالأرباح الفاحشة هي التي عرضت أشجار الارز الى العيث بها وخريبها حتى لم يبق منها إلا القليل وهذا القليل لم يسلم من تعدي الإنسان الأغفل القدم المنيع التي نبت عليها مع أن الارز يؤثر الموضع العالي الممتدة الهواء فلا يكاد ينبت في موضع ينقص ارتفاعه عن ثمانية أو سبعة أمتار والمراكز المأهولة نجد أكثرها قائماً في الوسط . على أن الشرائع الرومانية ( ٣ ) المختصة بالأحراج كانت تلاشت أو كادت حينما شرع العمران يتأصل حقيقة في لبنان اي في عهد وصول الوارثة اليه وقد كان اقتلاع الأشجار بلغ مبلغاً عظيماً حتى لم يبق أحراج تستحق الاعتبار إلا في الصرود العالية . فمجرد وجود هذه الشرائع والكتابات

( ١ ) راجع غرامطيق اللغة الفينيقية للعلامة شرودر فصل عام الدولة الانثنية سابقاً في بيروت ( P. Schroeder : Phœnix, Sprache, 185 ) وكتاب جور ( Ch. Joret : Les Plantes dans l'antiquité, 369 ) ثم ( Clermont-Ganneau : Rev. arch. orient., ٧, 128 )

( ٢ ) راجع الجزء الاول ( ص ١٢٩ )

( ٣ ) راجع الجزء الاول ( ٩٢-٩٣ )



العديدة المنصوصة فيها وهي تُرثي على المانة كما يوضح لنا جلياً الحاجة الماسة الى تلك الوسائل لوقاية الاشجار وبما ان هذه الكتابات ليس لها وجود الا في لبنان فيسوغ لنا ان نستنتج ان غايتها انما كانت حماية ارز ذلك الجبل

ومهما كان من الامر فكثرة المواضع اللبنانية التي تُسمى باسماء الاشجار او بما يرجع اليها من الحرف والهن كمعصرة ومعاشر دليل على ان لبنان كان ارضاً سادت فيها الزراعة بخلاف سواها من الصنائع كشغل المعادن مثلاً . فالاسماء العلمية لها اهمية كبرى من هذا القبيل فانها تؤيد نتائج بحثنا السابق . فانا لا نكاد نصادف في جميع لبنان اسماً يلحق الى تلك الصانع الا اسم « معادن » في ناحية المنيطرة و « القزل » على السفح الشرقي وهي لفظة سريانية معناها مسبك او معمل حديد

وهذه الملاحظة نفسها تتناول الينابيع المعدنية او الحارة فكثيراً ما نجد في اسماء الاماكن لفظة عين . اما اسم حمام او ما هو معناها فلا وجود له البتة . ويؤيد ذلك علم طبقات الارض فانه يبين لنا ان الطبيعة لم تتخذ على لبنان بوفرة المعادن كما ضئت عليه بالينابيع المعدنية والمياه الحارة اذ ليس فيه صخور بركانية

واما ما يدل على وجود الحيوان من اسماء المواضع اللبنانية فليس بالواضح التحريج فاعل استي « مدينة الاسد » و « نهر الاسد » اثار ذكرهما يشيران عند جغرافي اليونان الى وجود الاسد قديماً . واليوم لا نعرف من الاعلام الحاضرة المشتقة من اسم الحيوان الا اسم بنمرة اي بنت غمرة وكفرنيس . اما سن الفيل قريباً من بيروت وخرطوم في بلاد الشقيف فلا يكفينا الدلالة على ان الفيل وجد قديماً في لبنان لو لم تكن هناك غير ذلك من الادلة التي اوردناها في ابحاثنا السابقة (١)

واعلمة يخطر على بال كثيرين من القراء اننا اسهبنا في هذا الموضوع . ويقول قائل : ما الفائدة من جميع هذه الافتراضات الوهمية ومن هذا التحريج اللغوي وما المنفعة من هذا الدرس بالمكروكوب والتنقيب عن بقايا المتحجرة في بطن التفة

(١) راجع مقالنا المشونة : « ما فقد لبنان من قدم الحيوان »

والتاريخ التي لا سبيل الى احيائها ؟ فلقد احبنا على هذا الاعتراض في افتتاح مقالنا وفي سياق كلامنا ونهيب عليه الان لآخر مرة .

ان كل من تروى في مطالعة المقالات التي ادرجناها مشد ظهور المشرق عن احوال لبنان القديمة وتاريخه وجغرافيته لا بد له من ان يكون لاحظ ما لاحظناه نحن النفساء وهو اننا نعرف ماخبي لبنان بنس المعرفة اذا لم نعلم إلا على الشهادات والادلة الكتابية التي تولى ان لا سيما اذا كان مدار الكلام على ما تقدم عهد .  
فالحقيقة ان هذه الشهادات جميعها من كتابات مرسومة على الحجارة والدة في كتب المؤرخين والجغرافيين وآيات من مؤلفي الكتب المقدسة او غيرهم من الكتبة بلغات المشرق والغرب لا تتناول إلا بعض صفحات

لكن ما قولنا عن بقايا الابنية القديمة المتفرقة على سطح الجبل ؟ فانها عجايب بكما لا تنطق ببذ شفة ومن النادر ان نجد بين انقاضها جزءا من كتابة او عبارة طامعة في كتاب تفصح عن تاريخ بنائها وادائها والغرض منها . ومن طالع الجزء الاول من «تاريخ الابصار» عرف ذلك حق المعرفة

فماذا ندري وماذا نعلم عن مساكن لبنان القديمة ؟ نسري ان ذلك يكاد ان لا يكون شيئا . فلو استثنينا مدن الساحل فاننا لا نجد ذكرا لموضع ما عول في لبنان قبل التاريخ المسيحي . ومن بعد التاريخ المسيحي لا نصادف كتابا يصف اماكن لبنان قبل القرنين الحادي عشر والثاني عشر . فجل قصدا كان اذا ان نعوض بعض التوضيح عن مكتوبات التاريخ ونسب ملاحظتنا المتقدمة ذلك الحقل فاذا لم نتوقف الى سدو جميعه فلا اقل من ان نسب بعضه وما لا يعلم حكاية لا يترك جاء فان العلم بالبعض خير من الجهل بالكثرة

فكم من موضع في الجبل ليس له ذكر في كتاب وليس فيه شيء من العاديات حتى ولا لحد منقور في صخر يدل على مرور الانسان فيه . فهذا مما يحطنا على ان نانس من اشتقاق اسم الزا لاضيع وان نستمذ من دراسة اصول اللغات القوائد التي ضن علينا بها التاريخ والنصوص المكتوبة . فان كان العلم يونانيا او لاتينيا فيسوغ لنا ان نستدل من ذلك على ان الموضع الذي يدعى بهذا الاسم يشمل تاريخه لعمود شيوخ هاتين اللغتين في سوربة . وان كان الاسم يدل على عبادة وثنية فترجع انه



من عهد انتشار تلك العبادات في الجبل اعني في الاربعة الاجيال الاولى للمسيح او قبل ذلك لاسيما ان كانت تلك الاسماء توجع الى عبادة فينيقية او آرامية او اشورية. فتلك نتيجة ابحاثنا وهي على ما نظن من الاهمية بكان اذ تفتح طريقاً لمعرفة تاريخ نشأة المساكن وهي في بيان الحقيقة بثابة لا تقل كثيراً عن الأدلة الكتابية

لما اولئك الذين لا يعرفون الا على الآثار المكتوبة فيبقى عليهم ان يستنبطوا انه لم يكن في داخل الجبل من مراكز مأهولة قبل التاريخ المسيحي الا ما ندر لان التاريخ لا تذكر قبل الجبل المأشور الا ثلاثة أسماء مسماة صريحاً باسمائها اورددها اسطرابون (١) وهي جيجارتا ويوزوما وصنان

فلا ننكر ان العمران لم يبدأ حقيقة في لبنان قبل عهد الرومانيين غير انه من المأمور ايضا انه كان في لبنان اكثر من ثلاث قري قبل التاريخ المسيحي فمن اراد الوقوف على الحقيقة فليطالع ما كتبناه في مقالاتنا عن كيفية استعمار لبنان وعن سكانه الاقدمين الا اننا في عرض هذه الابحاث لم نتوصل حينئذ الى نتائج معينة وادلة غير وافية بالمرام. لما الدليل الصريح على ان لبنان لم يكن غالياً من السكان في قديم الزمان كما يوحي سكوت التاريخ والكتابات قلنا نجده خاصة في اعلام المواضع التي خصناها وبيننا ان بعضها فينيقية وبالتالي متقدمة على التاريخ المسيحي زمن طويل

على ان هذه النتائج وغيرها من الدلائل التي لا حاجة الى العودة اليها تتيج هنا ان كان من حاجة وتعذرنا فيما اذا كنا توقفنا طويلاً واسهبنا كثيراً في مثل هذا الموضوع الذي مع ثقته فضل الحداثة والابتكار فيما يخص لبنان على الاقل وغاية ما نتحناه ان يستنهض بحثنا هذا الضعيف القلم العاليه لاجل حادثة قديمة اذ ذلك نفسا لاننا بأسطورة السابقة مهتداً السبيل الى ذلك وفتحنا باباً بطرقه بعدنا من هو اقدر منا



## خاتمة الكتاب

فمننا وعند هذه الامنية نقف بعد استيفان القرّاء الافاضل الذين بكل لطف  
ومجامة رافقونا في سياحاتنا الطويلة في ماضي لبنان . على اننا لا ندعي اننا في مقالاتنا  
التقدمة وفينا بالطلوب او استيفان المادة واستفرغنا الموضوع فاننا نقادر لبنان ونحن  
نعلم ان مسائل كثيرة فالتنا دون ان نتعرض لها ومشاكل شتى تركناها او لم نحلها  
حلاً مرضياً

دعني ان يأتي بعدنا من هو اسعد منا فيتعذرها ويحكم فيها حكماً نهائياً او  
يوضحها احسن مما اوضحنا - ونحن نشتم في الختام ان ما بذلناه من الجهد والكد  
يرفع طوقاً من الثقاب الذي يحجب عنا ماضي لبنان ويحجب ذوي الفضل واعمال العالم  
نلي ان يحدوا احدونا ويكملوا ما بدأنا به فيظهروا للعيان فضل هذا الجيل الشهير  
الذي اذاعت مديحة الكتب المقدسة وهو لا يزال من ابداع محاسن واجمل مشاهد  
سورة الخالية



# فهرس

## تسريح الابداع في ما يحتوي لبنان من الآثار

### الجزء الثاني

صفحة

١	اسم لبنان وسعة نطاقه في التاريخ	الفصل الأول
٢	في التوراة	
٧	عند اليونان ورومان	
٨	عند كتيبة العرب	
١٠	ما تستفيد سورية من لبنان	الفصل الثاني
١١	المنافع الجغرافية	
١٢	في الملك النابطي	
١٣	اعتدال الجوى	
١٥	انهار لبنان : منافعها واسماؤها	الفصل الثالث
١٦	منافع انهار لبنان جغرافياً واقتصادياً	
١٩	اسماء انهار لبنان قديماً وحديثاً	
٢٣	سكنى لبنان في قديم الزمان	الفصل الرابع
٢٩	الأمم البائدة في لبنان	الفصل الخامس
٣٠	الكنانيون	
٣٢	اليونان	
٣٨	الابطوريون	
٤٠	الرومانيون	
٤١	المرزة	
٤٥	الجزاجمة	
٤٨	العجم	
٤٩	انتشار الامة المارونية في لبنان	الفصل السادس
٥٠	انوار قبل دخولهم لبنان	

صفحة

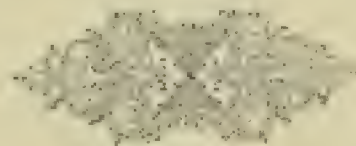
٥٢	مغامرة الموارنة الى لبنان	
٥٧	الموارنة في لبنان بعد الجبل الخامس عشر	
٥٨	بحث جفراني في سيرة القديس مارون الثالث	الفصل السابع
٥٩	وصف مقاطعة كوراجية وقورسية	
٦٣	مدينة قورس	
٨٠	دير مار مارون	
٩٣	في لغات لبنان القديمة	الفصل الثامن
٩٨	رسم خرائط لبنان	الفصل التاسع
١٠٧	بحث في انهيار وأغوار لبنان	الفصل العاشر
١٠٩	أودية لبنان	
١١١	منطقة الثلوج المتخلدة في لبنان	
١١٢	وصف قسم لبنان	
١١٥	المناظر والنباتات الشبيهة	
١١٧	النقطة التي عندنا تنقسم إلى قسمين ونباتات	
١١٨	مياه لبنان ورسم مجاريها	الفصل الحادي عشر
١٢٠	رسم عين لبنان	
١٢٠	كيف تكونت عين لبنان	
١٢٠	ألف عين لبنان	
١٢٥	تاريخ المياه في الامراب	
١٢٧	رسم المجاري النهرية في لبنان	الفصل الثاني عشر
١٢٧	أودية النهرية	
١٢٧	المصاب والحدود النهرية	
١٣٥	الانهار العامة	
١٣٨	الانهار وحدود المقاطعات	
١٤٠	مياه لبنان البحرية	الفصل الثالث عشر
١٤٢	المناظر البحرية السورية	
١٤٣	إغاني البحر في الشواطئ اللبنانية	
١٤٦	جزر دانية بآلة بيروت	
١٤٦	أكثية الرمل	
١٥٠	ارتفاع الساحل البحري	



صفحة

١٥٤	السواحل اللبنانية	الفصل الرابع عشر
١٥٧	سهل شكا	
٥	وصف رأس الشفة	
١٥٨	رأس نهر الكلب	
١٦٠	حصن مركز المدن القديمة	
١٦٢	الرافق القديمة : طرابلس والبيروت وجبل وصيدا	
١٦٥	لمحة اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية	الفصل الخامس عشر
١٦٦	المياه السوية	
	كيفية الانتفاع من الانهار اللبنانية : البقاعي والرهاني	
	وناربي والدانول ونهر بيروت ونهر الكلب ونهر ابراهيم	
١٦٦	ونهر الجوزة وادي عتي والبارد ونهر عكار والنهر الكبير	
١٧٣	حركة مياه نهر الكلب	
١٧٥	تسرع مياه نهر ابراهيم	
١٧٨	الاحوال الجوية في لبنان	الفصل السادس عشر
١٨١	الزراعة ولاخراج اللبنانية	الفصل السابع عشر
١٨٣	الغابات اللبنانية سابقا وحاضرا	
١٨٨	مزدروعات شتى	
١٩٥	ما فقد في لبنان من قديم الحيوان	الفصل الثامن عشر
١٩٦	الديج في لبنان	
١٩٩	الذيل	
٢٠٢	السماع	
٢٠٧	المعادن في لبنان	الفصل التاسع عشر
٢	حالة المعادن حاضرا	
٢	اولا : الوفود - الفحم الحجري	
٢١٣	الحديد	
٢	ثانيا : المواد والمخامير المعدنية	
٢	الحديد	
٢١٧	ثالثا : الحجارة والوازم البناء	
٢٢٠	معادن لبنان القديمة	
٢٢٢	الحديد	

صفحة	التحسس	الفصل العشرون
٢٢٣	التشائج التاريخية من درس اعلام الاماكن اللبنانية	
٢٢٧	منافع هذا البحث	
٢٣١	الاعلام السريانية	
٢٣٣	تفسير حرف الباء الداخلة على الاعلام اللبنانية	
٢٣٥	الاعلام النورية	
٢٣٦	البيرونية واللاتينية	
٢٣٧	الفرنسية	
٢٣٩	العبرانية	
٢٤٠	وشيوخ العبادات الوثنية في لبنان	
٢٤٢	والملك الباقي في لبنان	
٢٤٦	المعدني في لبنان	
٢٥٢	خاتمة الكتاب	



## فهرس الاعلام والمواد

التي وردت في جزئي كتاب تفسير الابصار على ترتيب حروف المعجم -  
والحروف الرفيعة تدل على صفحات الجزء الاول، لم يتقدمها عدد ٢ الاسود الدال  
على الجزء الثاني مع ما يتبعه من الاعداد الرفيعة

- اسكندر ساويرس ومآثره في لبنان ١٠٤  
اشجار لبنان ١٨٣: ٢-١٩٥  
الاشوريون وآثارهم في لبنان ١٠-١٢ الفهم  
١٩: ٨١-٩٤: ٢-٩٤  
الاعلام المكتوبة في لبنان وقوائمها التاريخية  
٢٢٧: ٢-٢٥١ الاعلام الآرامية ٢٢٢-٢٢٥  
العربية ٢٢٥ اللاتينية واليونانية ٢٢٥-٢٢٦  
الفرسية ٢٢٧ الاعلام الصراغية ٢٢٩-٢٤٠  
الاعلام الدالة على الوثنية وألفتها ٢٤٠-  
٢٤٧  
اغريبا ومآثره في بيروت ٢٥-٢٦  
أفقا وهيكلها وآثارها ٤٩-٥١، ١٠٨، ١١٢-  
١١٤: ٢-٢٨  
الفيان أو أمانيان السيد احد طلبة بيروت ١٠٧  
ماكولينا شهيدة جبل ١٠٥  
الأمم البائدة في لبنان ٢٩٤: ٤-٤١  
امونير البيروتي في عهد القراطة ٧٩  
اميا الفينيقية ٧٦: ٢-٥٢  
امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع وعائلتهما في  
لبنان ٧٣-٨١  
اميون ٧٦ آثارها ١٤٤  
الطباس ٤-٥ نهر الطباس ٤: ٢-١٧٥  
أنفة ١٥١-١٥٢  
امدن وكينيتها مار جرجس ٨٢، ٨٥، ٨٦
- \* ١ \*
- الآراميون في لبنان ٢٩: ٢-٢٨ في القورسية  
٦٠-٦١، ٦٧-٧١ الفهم ٢٨، ٩٤-٩٦  
١١٥، الاعلام الآرامية في لبنان ٢٢٢-  
٢٢٥  
ابراهيم (عمر) نهر ادونيس ٦-٧: ٥٨-  
٥٩: ٢-١٧٥-١٧٧  
اثنودورس القديس في بيروت ١٠٦  
الاجراس والواقس في لبنان ٤١  
الاحراج والعمارات اللبنانية ١٨١: ٢-١٩٥  
الاحوال الخوية في لبنان ١٧٨: ٢-١٨٢  
ادريانوس القيصر وآثاره في لبنان ١٧  
١٠٢،  
ادم (الهدون) وكينيتها ٨٤ و ٨٨  
ادم (جبل) وآثارها ٦٨-٦٩ و ٨٤  
كينيتها ٩٠  
ادونيس او غوز وعبادته في لبنان ٢٨-٤١، ٤٢  
و ٤٩، ٥٥-٥٨، ٥٩، ١١٢  
ارز لبنان ١٢٤، ١٢٤-١٢٤  
ارسمس العابد الليثاني ١٠٦، ١٠٩  
الاسد في لبنان ١٩٥: ٢-١٩٩  
الأسراب اللبنانية وبيعها ١٢٥: ٢-١٢٧  
اسماء الامكنة اللبنانية وقوائمها التاريخية ٢:  
٢٢٧-٢٥١



- كتبستها مار ماريا ٦٢، ٦٣ آثارها ١٢٢ - بلاط وآثارها ٦٨  
 ١٢٢  
 الاول (خبر صيداء) ١٨: ٢، ١٩، ١٧١  
 الايطوريون في لبنان ٢٢ - ٢٤ : ٢ : ٢٤  
 ٢٩ - ٤٠  
 \* ب \*
- الباليون واكارهم في لبنان ١٠ - ١٢ لنتهم في  
 لبنان ٧٢ - ٧٤ : ٢ : ٦٤ - ٦٤  
 بيلوس (اطلب جيل)  
 البقرون وآثارها ١٢١ - ١٢٢  
 بحديدات وآثارها ٧٠ كتبناها ٨٤، ٨٧، ٨٨  
 البحر : مياه لبنان البحرية ٢ : ١٤٠ - ١٥٤  
 مظهر البحر السموية ١٤٢ اكنبة الرسل  
 البحرية ١٤٦ الرغاب الساحل البحري  
 ١٥٠ - ١٥٤  
 برج او طبرجا وآثارها ٥٧ - ٥٨، ١١٩  
 برثومة ابو بوردوة (القلمة اللبنانية) ٢٢، ٢٤  
 ٢ : ٢ : ٢٥  
 البردي في لبنان ١٨٩٢ - ١٩٠٠  
 برزرا وآثارها ١٤٤ : ٢ : ٢٢٢  
 بكتنا ١١٧ : ٢  
 بشاره (بلاد) وحضرها ٢١٢  
 بشراي وكنائسها ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧ جيسة  
 بشراي ١٢١ - ١٢٢  
 بشلي ١٢٦  
 بطرس الرسول في بيروت ١٠٢  
 البمل وعبادته في لبنان ١٥ - ١٦، ٤٢ - ٤٦  
 ٦٨  
 بطشيه واسمها ٢ : ٢٤١  
 البقاع وموقعها ٢ : ٤  
 بقر الوحش في لبنان ٢ : ٢٠١  
 بقسية وآثارها ١٢٨  
 بكفيا وكنيسة مار جديدا ٨٩ اسمها ٢ : ٢٤٢
- البكتمند (دير) وآثاره ١٥٤ - ١٥٦ : ٢ : ٢٤٨  
 بشونة ١٢، ٢٩  
 بيبسوس فانتج سورية ولبنان ٢٢، ٢٤ : ٢ : ٢٥، ٢٩ - ٤٠  
 بمقبل البير وفي اسقف قيسارية الشوب ١٠٧  
 بوركنو (الاب اليسوي) وكتاباته عن آثار  
 لبنان ٢٨ - ٢٩  
 بيت خشبو ٢٩  
 بيت شاما ٢ : ٢٤١  
 بيت حري ودير القلمة ١٤ - ٢١  
 بيروت : خرها ٤ بيروت العتيقة ١٤ اسمها  
 القدي ١٦ - ١٧، ٢٦، ٢٦، ٢٦، ٢٦ في عهد الرومان  
 ومدرستها ٢٦ - ٢٨، ٢٨، ٢٨، ٢٨ في عهد  
 الفراعنة ٧٤ - ٨١ دخول النصرانية فيها  
 ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٢٠، ١٢٠، ١٢٠ مشاهيرها ١٠٦ - ١٠٧  
 ١٠٧ قناصا ٢٩ - ٣٠ ضواحي بيروت  
 وجزائرها قديما ١٧٢ : ٢ : ١٨
- ت \*
- تاريخ بيروت لصالح بن يحيى وفوائده  
 ٢٢١ : ٢  
 تانيت الالهة اللبنانية ٢ : ٢٤٠  
 تاودور بطرس مترجم حياة القديس مارون  
 ٥٨ : ٢ - ٥٩ ترجمة حياته واعماله في قورس  
 ٦٤ - ٧٠  
 تداوس الرسول في بيروت ١٠٢  
 ترنج ١٢٦  
 الفرکان في لبنان ٢ : ٥٧  
 تزياريس (اطلب الله)  
 تل العارنة ومعلومات آثارها عن لبنان في  
 القرن الرابع عشر قبل المسيح ٢١ : ٢٢ - ٨١  
 التساسح في سورية وفلسطين ٢ : ٢٠٢ - ٢٠٦

حدتوت وكنيستها وآثارها ٨٦-٨٧، ٨٩-٩٠، ٩٠

حدث الطيبة وكنيستها ٨٤، ١٢٢

الحديد ومناجمه في لبنان ٢ : ٢١٢-٢١٧، ٢٢٢-٢٢٢،

حرمون (جبل) ٢٤ : ٢ : ٥ : ٥٠، ٢٢٠

حصن سليمان ١٥

حماة وآثارها الخشبية ٣ : ٤٠-٤١

الحجر ومناجمه اللبنانية ٢ : ٤١٢

حشوش ١٤٩-١٥٠

حيطورة وشجر فحمها ٢ : ٢١٠-٢١٢

الحيوان وما فقد منه في لبنان ٢ : ١٩٥-٢٠٦

### \* خ \*

خرائط لبنان وانتقادها ٣ : ٩٨-١٠٧

الخروب في لبنان ٢ : ١٩١-١٩٢

الخشب للتجفيف ومناجم الفحم في لبنان ٢ : ٢٠٧-٢١٢

### \* د \*

دار بشتار وآثارها ١٤٢ اسمها ٢ : ٢٤٢

دامل وكنيستها ٨٤

الدامور ونورها ٢ : ٢٠، ١٧٢-١٧٢

درب العين واسمها ٢ : ٢٤١

دقة ٢٨

دوما وآثارها ١٠٧، ١٢٧-١٢٨

دير القلعة وآثاره وحياته ١٢-١٣

دير مار مارون ١١٠ شهادته ١١٨-١١٩

### \* ر \*

رأس الشقفة (جبل) ١٤٥-١٤٨ : ٢ : ١٥٦-١٥٨

رشكيدا وكنيستها القديمة ٨٥، ٩١

رشباً واسمها القديم ٢ : ٢٢٤

شوز (اطلب ادوليس)

توقيل الاول في ٢ : ٥٥

تولا وكنيستها ٦٠، ٩١، ٩٢

تومات نبعها وقلعتها ٢ : ٢٠٩، ٢٢٠

### \* ث \*

الثالوث الواسطي في لبنان ٤٥

ثاودوسيوس الكبير ولبنان ١١١، ١١٢

### \* ج \*

جبة بشرى ١٢١ : ٢ : ٥٢

الجبل الشرقي او جبل الشيخ وجبل حرمون ٢ : ٧٥٥-٢٢٠

جبييل وآثارها القديمة ٢٨، ٦٠-٦٣، ١٤١

٦٣-٦٦ نواويسها ٦٦-٦٧ بلاد جبييل ٦٧-

٧٢ جبل في عهد الفراعنة ٧٢-٧٩ دخول

النصرانية فيها ١٠١-١٠٢، ١٠٥ جبييل

الشقيقة او البيلوس ٧-٨، ١٤

الجراجمة اصلهم وسكنهم في لبنان وحروهم

٢ : ٤٥-٤٨

جرينا وآثارها ٧٠

جرجس (القدس) وكرامته في لبنان ٨

جرمق والخرامقة ٢ : ٢٢٨

جزين ومناجم فحمها ٢ : ٢١٠

جون عكاك ٢ : ١٥٤-١٥٥

جونية ومصر يا ٨٥٥ اقوال العرب في جونية ٦

بيجرنا او جيفرتا (القلعة اللبنانية) ٢٢

١٤٩-١٥١ : ٢ : ٢٥

### \* ح \*

حاصبيا وحسرها ٢ : ٢١٢

الحشيون في لبنان ٢ : ٢٩١-٢٩٢

الحجارة اللبنانية ومقاطعها ٢ : ٢١٧-٢٢٠

٢٢٦،

<p>الربانية واول ظهورها في لبنان ١-٦ في القورسية ٧٨-٧٩ الرومان : سكنتهم الساحلية ١, ٥ آثارهم في لبنان ١٠, ١٥, ١٨, ٢١, ٢٤, ٤٩, ٥٦, ٦٥, ١٢٢, ١٤٩ : ٢ : ٢٦-٢٨ ٤١-٤٠ رب أدنى وابنة ازمرو القبيطين في عهد القراغة ٧٩-٧٥</p>	<p>ش * ش * شاعات وذكرها ٢ : ٢٤١ شيطين وكنيستها ٨٨ شط العرب ٢ : ١٢٧ شعور وشاغور ٢ : ٢٢٤ الشقي (قلعة) ٣ : ٢٢٧ شككا ٢ : ١٥٦ الشمس وعبادتها في لبنان ٢ : ٢٤٤</p>
<p>س * ص * الصغير او الثين الشوكي ١٩٠-١٩١-١٩٢ صربا وجونية ٨-٥ صغار وكنيستها ٨٥, ٦٠ الصليبيون وآثارهم في لبنان ١٢, ٩٧, ١٢٢, ١٢٤, ١٥٢, ١٥٤-١٥٦ صدين (جبل) ٢٤-٢٥ صور وصيداء في عهد القراغة ٧٥-٨١ صور : مغارة وتبع الظلماس ٤ مدخل مغارة انطلياس ٦ جمر المائتين ٨ مدخل مغارة جعيتا ومنبع نهر الكلب ١٠ بطن مغارة جعيتا ١٢ رسم هكل البعل في دير القلعة وآثاره ١٦ قناة نهر بيروت ٢٨ قلعة مراب ٢٧ آثار غنية واشتنة ٢٨ الزهرة اللبنانية ٤٤ قلعة فقرا ٥٤ برج ٥٩ مسكوكات بولند الباع ١٥٥ صورة احد غزاة الحشيشين ٢ : ٢٢ صورة المشغري البعلبي في دير القلعة ٢٧ خارطة اسنوايون ٩٩ رسوم لجاري المياه ١٢٠-١٢٢ السد عند نصب نهر ابراهيم ١٢٤ خارطة لبنان البحرية ١٢٤ رسم جبيل ١٥٠ صورة مرفأ صيدا ١٦٤ منظر البطاني قريبا من قرية برفش ١٦٩ صورة نصب اكروم ١٢٧</p>	<p>ز * ز * زبدة (قناطرها) ٢٩ زغرنا ١٥٠ الزهرا في (نص) ٢ : ١٧٠-١٧١ الزهرة وعبادتها في لبنان (نصب عثروت) هكل الزهرة في القنا ٥٠-٥١ و ١٠٨ الزيتون ومزارعها في لبنان ٢ : ١٨٧-١٨٨ الزيتونة (بحيرة) ٤٨</p>
<p>س * س * ساحل ٥٦ ساحل لبنان البحري ٢ : ١٥٠-١٥٤ السواحل اللبنانية ١٥٤-١٦٥ سكراپ الاله في لبنان ٧١-٧٢ الربانية (القلعة) في لبنان ١١٥ في بلاد قورس ٢ : ٦٧-٧١ : ٩٤ ٩٨ سكنا ١٢٧ السوقيون وآثارهم في لبنان ١٠, ١٢, ٢٢ : ٢ : ٢٤, ٦٠ سمر جبل وكنيستها ٩١ آثارها ١٢٢-١٢٥ سمعان السمودي القديس ولبنان ١١٦ سن القيل ٤ : ٢ : ٣٠٠ سنان (القلعة اللبنانية) ٢٢, ٢٤ : ٢ : ٢٥ سنير (جبل) ٢٤-٢٥ سورية : فتح الرومان لها ٢٢-٢٦ ما قتيده من لبنان ٢ : ١٠-١٥</p>	<p>س * س * ساحل ٥٦ ساحل لبنان البحري ٢ : ١٥٠-١٥٤ السواحل اللبنانية ١٥٤-١٦٥ سكراپ الاله في لبنان ٧١-٧٢ الربانية (القلعة) في لبنان ١١٥ في بلاد قورس ٢ : ٦٧-٧١ : ٩٤ ٩٨ سكنا ١٢٧ السوقيون وآثارهم في لبنان ١٠, ١٢, ٢٢ : ٢ : ٢٤, ٦٠ سمر جبل وكنيستها ٩١ آثارها ١٢٢-١٢٥ سمعان السمودي القديس ولبنان ١١٦ سن القيل ٤ : ٢ : ٣٠٠ سنان (القلعة اللبنانية) ٢٢, ٢٤ : ٢ : ٢٥ سنير (جبل) ٢٤-٢٥ سورية : فتح الرومان لها ٢٢-٢٦ ما قتيده من لبنان ٢ : ١٠-١٥</p>



\* ط \*

طاميش (دير) ١٤ اسم ٢ : ٢٣٦  
طرابلس والصراية فيها ١٠٢ - ١٠٤, ١٠٦  
مقامها ٢٤ : ٢ ساحلها وإخارها ١٢٦  
طليليوس الشهيد اللبناني ١٠٤

\* ع \*

عاديات ضر الكلب ١٠ - ١٢  
العاقورة وكنيستها مار بطرس ٩٢  
عبادات وآثارها ٦٦ - ٧٠  
عبدله وكنيستها ٨٤, ٨٧, ٩١  
العجم في لبنان ٤٨ : ٤٩ - ٤٦  
العرب في لبنان ٢٢ : ٢٠ - ٢١  
جزرته ٣ : ١١٧  
عشخروت او الزهرة الإلهة اللبنانية ١٧, ٢٨  
٢٩ - ٤٤, ٤٥ - ٥٠, ٥١ : ٢ : ٣٩  
مكتبا في مراسلات تل المارة ٧٥  
عشيت ٦٦

عنطورا ٢ : ٢٢٤, ٢٢٤

عيناتا ٣ : ١١٧

عين صوفر ٣ : ١١٧

عيون لبنان وتشكوتها ١١٨ : ١٢٠ - اختلافها  
في جرجا وكنيستها ودرجات حرارتها  
١٢٥ - ١٢٠

\* غ \*

الغابات والاحراج اللبنانية سابقا وحاضرا ٢ :  
١٨١ - ١٩٥

غريغوريوس العجائي في بيروت ١٠٦

غزير ٢٦

غوسطا ٢٨ اسمها ٢ : ٢٢٥

غينة وآثارها ٢٨ - ٢٩

\* ف \*

فثقا وفلثها ٢٦

الفحم ومناجمه في لبنان ٢ : ٢٠٧ - ٢١٢  
الفراسيون : خارطة ضباطهم للبنان ٢ :  
١٠١ - ١٠٢

فقا وفلثها او ميكلها ٥٢ - ٥٧

الفلحة والاحراج اللبنانية ٢ : ١٨١ - ١٩٥

الفيل في لبنان ٢ : ٢٠٠ - ٢٠١

فنيقية واحوالها في عهد القراغة ٧٥ - ٨١

الفينيقيون وآثارهم في لبنان ١٥ لغتهم ٢٥

ديانتهم ٤١ - ٤٦, ٤٧ بحارهم ومنجرهم

٧٦ - ٧٧ : ٢ : ١٥٠ - ١٦١

\* ق \*

القاسية (ضر) ٢ : ٢١

قرايل ومناجم فحشها ٣ : ٢٠٨

قزحيا وديانة القدماء ٩٢ و ١١١

القطين وكنيستها ٩٢

القلمة ( اطلب در القلمة )

قلعة الحصن ١٢٥ - ١٢٦

قلعون ١٥٢ - ١٥٥

قناطر زيدة ٢٩

قنوين وكنيستها وديرها القديم ٩٢, ١١١

القورسية ووصفها ٣ : ٦٢ - ٦٣ اطلها ولغتهم

٦٧ - ٧٠ انتشار الصراية فيها ٧٣ - ٧٤

المبشة الرهبانية في القورسية ٧٤ - ٧٨

قورس قاعدة القورسية ٦٢ - ٦٦

القيادرة في لبنان ١, ٢٥, ٢٢

قيس الماروني المؤرخ ٢ : ٥٥

\* ك \*

الكركدن في لبنان ٢ : ١٩٩

كبروان وسكانه ٢ : ٥٧ - ٥٨ اسم

٢٢٧

كفر يامين واسمها ٢ : ٢٤١

كفرتيفت ٢ : ٢٢٢

كفرحانا ٢ : ٢٢

أفريقي وكتبتهما ١٤ آثارها ومدرستها  
١٢٨-١٣١  
كفر شبلان وآثارها ٨٨-٨٩، ٩٢، ٩٧،  
١١٩  
كفر شبلان رأسها ٣ : ٥٤١  
الكلب (خولوسكوس) ٨ : ١٢، ٥٢ : ٣ :  
١٤٨-١٤٩ جود نهر الكلاب وعادياصة  
١ : ٨-١٣ رأسها ٣ : ١٥٨-١٥٩، ١٧٣-  
١٧٥  
كلبكس (حل لبنان) ٧ :  
كنائس لبنان القديمة وخواصها القديمة ٨١-  
٩٩ تنظيم الكنائس في لبنان ١١٥  
الكنساريون في فينيقية ١٧٤ : ٣ : ٩٤  
الكنيسة وآثارها ١٤٣ أصلها ٣ : ٢٢٦  
كوساينة وموقعها في سورية ٥٩-٦٣  
كبيروت (عقري ورشرد) : غربتها  
لبنان ١٠٠، ١٠٦، ١١٢

## \* ل \*

اللاتينية (اللغة) في بلاد الشام ٢٤-٢٥، ٢٧  
لاونبوليس (مدينة فينيقية) ٥  
لبنان وامواله في القرن الرابع عشر قبل المسيح  
وفقا لرسالات من المزارنة ١٣-٨١ كنائس  
لبنان القديمة ٨١-٩٩ دخول النصرانية في  
١٠٠ اول مبشرين ١٠٠ تراجم النصرانية  
والوثنية في لبنان ١٠٤ مبادئ العبث  
الريانية في لبنان ١٠٩ ترقى النصرانية في  
القرن الرابع ١١٢ تنظيم الكنائس في لبنان  
١١٤ انتصار النصرانية خاتمة على الوثنية  
في لبنان ١١٦ لبنان واداره ١٢، ١٣٤-١٤٣  
اسم لبنان وسعة نطاقه في التاريخ ٣ : ٥-  
١٠ لبنان الشرقي ولبنان الغربي ٥-٧  
فوائد لبنان لبلاد الشام ١٠-١٥ منافع

## \* م \*

ماحوز (عين) ٥٨  
مارون (مار) القاسك : بحث جغرافي في سيرته  
٢٣-٥٨٢ مولده ونشأته ومكان تنسكه  
وموته ٧٦-٧٩ مقام دير الشهيد وما جرى

فيه ٨٠-٩٢ منازعات البعافية والموارنة :

٥١-٥٢

ماغوراس (نهر بيروت) ١٧٢, ٢٠, ٤ : ٢  
المثاونة في لبنان ٢ : ٤٨ - ٤٩, ٥٢  
المراقف اللبنانية ١٦٣-١٦٥  
المردة في لبنان واصولهم ٤١-٤٥  
مرج وكتبتهما ٨٦ آثارها ١٢٢  
المسيح (السيد) في لبنان ١٠٠-١٠١  
المسيلة وآثارها ١٤٤

المشعري (الاله) في لبنان ١٦, ١٨, ٢٠  
المشعري البعلكي في لبنان ٢٧-٢٨  
المشعش في لبنان ٢ : ١٤٠, ١٤٤  
المشفقة وآثارها ٤٩-٤١  
الصاب والسدود النهرية في لبنان ٤ : ١٢٢  
المصريون وآثارهم في لبنان ١١-١٢  
معاد وآثارها ٧١-٧٢ كتبها ٨٥, ٨٧  
المعالمين ٧, ٢٨ : ٢ : ١٣٩  
معرب وقلمتها ٢٧-٢٨  
مفارة الزاغب عند العاصي ١١٠-١١١  
المكشون في لبنان ٢ : ٥٤  
منجج ٢ : ٦٢, ١١  
المنيرة ٢ : ٢٢٧

الموارنة اصولهم وانتشار اسمهم في لبنان ٢ :  
٤١-٥٨ مناصبتهم للبعافية ٥١-٥٢ الموارنة  
والصليبيون ٥٥-٥٦

موسى الحبشي ١١٢-١١٣

المونوليون في وادي العاصي ١٢٠  
المياه اللبنانية ومجاريها ٥١-٥٢ : ٢ : ١١٨-  
١٢٩ منافعها ٨, ١٥-١٦ مياه لبنان  
البحرية ١٤٠-١٥٤ لمحة اقتصادية في  
مجاري المياه اللبنانية ١٦٥-١٧٧

مرويا واسمها ٢ : ٢٢٤

مبه ومبه ٢ : ١٢٤

ن \*

ناوس وميكلاها ١٤٢ اسمها ٢ : ٢٢٥  
النحاس في لبنان ٢ : ٢٢٦-٢٢٧  
النصيرية في لبنان ٢ : ٤٨-٤٩ : ٥٧ جبل  
النصيرية (برجيلوس) ٢ : ١٠٨  
النورية (السيدة في رأس الشقعة) ١٤٥-١٤٦  
نوهرا (الشيد) ١٠٥-١٠٦  
نهر - انوار لبنان : نهر بيروت (ماغوراس)  
٤, ٥٢ : ٢, ٢٠, ١٧٢ نهر انطلياس ٤١٩  
١٧٢ : نهر الكلب (الطب الكلب) : نهر  
ادونيس او نهر ابراهيم (الطب ابراهيم) : نهر  
الاسد او القبطاني (الطب القبطاني) : نهر  
القاسية ٢ : ٢١, ٤١ نهر العاصي وثبته  
٥٢ نهر الاولي (الطب الاولي) : منافع انوار  
لبنان جغرافية واقتصادية ٢ : ١٥-١٦ رسم  
البحاري النهرية في لبنان ١٢٧-١٢٢  
الصاب والسدود النهرية ١٢٢ انوار لبنان  
العامة ١٤٥-١٤٢ لمحة اقتصادية في الانوار  
البنانية ١٦٥-١٧٧ الزغاري ١٧٠ الاولي  
١٧١ الدامور ١٧١ نهر بيروت ١٧٢ نهر  
الموت ٢٢٢ نهر انطلياس ١٧٢ نهر الكلب  
١٧٢ نهر ابراهيم ١٧٥ نهر الحوز ١٧٧ نهر  
قاديشا (ابو علي) ١٧٧  
نيجا وقلمتها ٢ : ٢٢٢

ه \*

الهرمل ٢ : ٢٦  
هيرووس الكبير في بيروت ٢٨  
هبلانة (القديسة) وآثارها ١٠٨

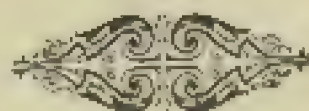
و \*

وادي جرمي ٢ : ٢٢٨

وادي فرحاً ٩٢, ١١١



يوحنا قم الذهب ولبنان ١١٥	وادي غسق ١٤٧, ١٥٠
يوقيان الملك واثرة ١١٢	وادي شهر الكبير ٣ : ١١٢-١١٤, ١٢٠
يوليوس قيصر في الشام ٣٥	وجه الحجر وقلمها ٢٢, ١٤٦ ; ٢ : ١٥٧
اليونان وآثارهم في لبنان ١١, ٦٥, ٦٨, ٧١	❖ ي ❖
١٢٧, ١٤٧ ; ٢ : ٢٤-٢٩	البنقوية (البدعة) في لبنان ١١٧-١١٨ ; ٣ :
اليونانية (اللغة) في الشام ٢٤-٣٥ ; ٣ :	٥١-٥٢
١١٥	اليسوتة بجزتها وآثارها ٤٦-٤٩ ; ٣ :
	١١٧



	Pages.
Animaux disparus du Liban.	195
Minéralogie du Liban.	207
Combustibles, minéraux, pierres.	"
L'ancienne métallurgie libanaise.	220
La toponomastique du Liban.	227
Elle est presque exclusivement sémitique.	231
Éléments arabes.	235
Noms propres d'origine occidentale.	236
L'élément chrétien tient peu de place dans la toponomastique libanaise.	239
Elle atteste en revanche la diffusion des anciens cultes sémitiques.	240
Nombreux toponymes, empruntés au règne végétal.	247
Le règne minéral est faiblement représenté.	249
Utilité de ces recherches, complémentaires de l'an- cienne histoire du Liban.	250
Conclusion.	252



	Pages.
Les Grecs.	34
Les Ituriens.	39
Les Romains.	40
Les Mardaïtes.	41
Les Perses.	45
Les « Garâgima ».	46
Expansion de la nation maronite au Liban.	49
Débuts de la nation maronite.	50
Les Maronites émigrent au Liban.	52
"    "    au Liban à partir du XV <sup>e</sup> siècle.	57
Étude topographique sur la vie de S <sup>t</sup> Maron, le solitaire.	58
La Cyrrestique.	59
La ville de Cyrre ( <i>Kzîzîr</i> ).	63
Le couvent de Saint Maron près d'Apamée.	80
Langues anciennes du Liban.	93
Cartographie " "	98
Orographie " "	107
Ponts naturels " "	116
Hydrographie " "	118
Les sources.	"
Hydrographie fluviale.	127
Embouchures et « terres » des fleuves.	132
Les fleuves « travailleurs ».	135
Fleuves « frontières ».	138
Hydrographie maritime.	140
Les profondeurs le long du rivage.	142
Anciennes îles près de Beyrouth.	146
Forêt de Pins " "	149
La côte maritime du Liban.	154
Le massif du « Râs as-Saq'a ».	156
Les ports de la Phénicie : Tripoli, Batroun, Gêbel. Saïda.	162
Hydrographie économique du Liban.	165
Laiqâni, Zahrâni; Awli; Dâmoûr; Fleuve de Beyrouth; Fleuve du Chien; Fleuve Ibrahim; Nahr al Gauz; Qadîsâ; Nahr al - Bârid; Nahr 'Akkâr.	169
La compagnie des eaux du Fleuve du Chien.	172
Utilisation des eaux du Fleuve Ibrahim.	175
Le climat du Liban.	178
Agriculture et sylviculture au Liban.	181
Les forêts du Liban jadis et aujourd'hui.	182



	Pages.
Commencements de la vie monastique au Liban : Qannûbîn.	
Qazhayâ,	105
Organisation de la Hiérarchie ecclésiastique au Liban.	110
Triomphe du Christianisme.	112
Batroûn.	117
Samar Gebail.	119
Qal'at al-Hosn.	121
Doûmâ.	122
Kafar Hay et S. Jean Maron.	124
Bešarreh.	137
Les Cèdres.	129
Distriet de Koûra.	137
Dâr Ba'sstîr, Bizîâ, Nâoûs.	
Amioûn.	138
Mosailahâ.	139
Cap « Râs as-Saq'a » = Thécouprosopon.	140
Hannoûs.	142
Gigarta.	144
Antâ.	146
Qalamoûn.	148
Dair al-Balmand.	

## DEUXIÈME PARTIE.

### GÉOGRAPHIE ET ÉTHNOGRAPHIE

#### DU LIBAN.

Le Liban : étymologie et extension géographique à travers les âges.	3
Le Liban : dans la Bible.	4
» dans la littérature classique.	6
» chez les écrivains arabes.	8
Rôle géographique du Liban en Syrie ; ou ce que la Syrie doit au Liban.	10
Cours d'eau du Liban : leurs noms anciens et modernes.	16
Comment fut peuplé le Liban.	23
Races disparues du Liban.	29
Les Hittites.	»

## AU LECTEUR.

---

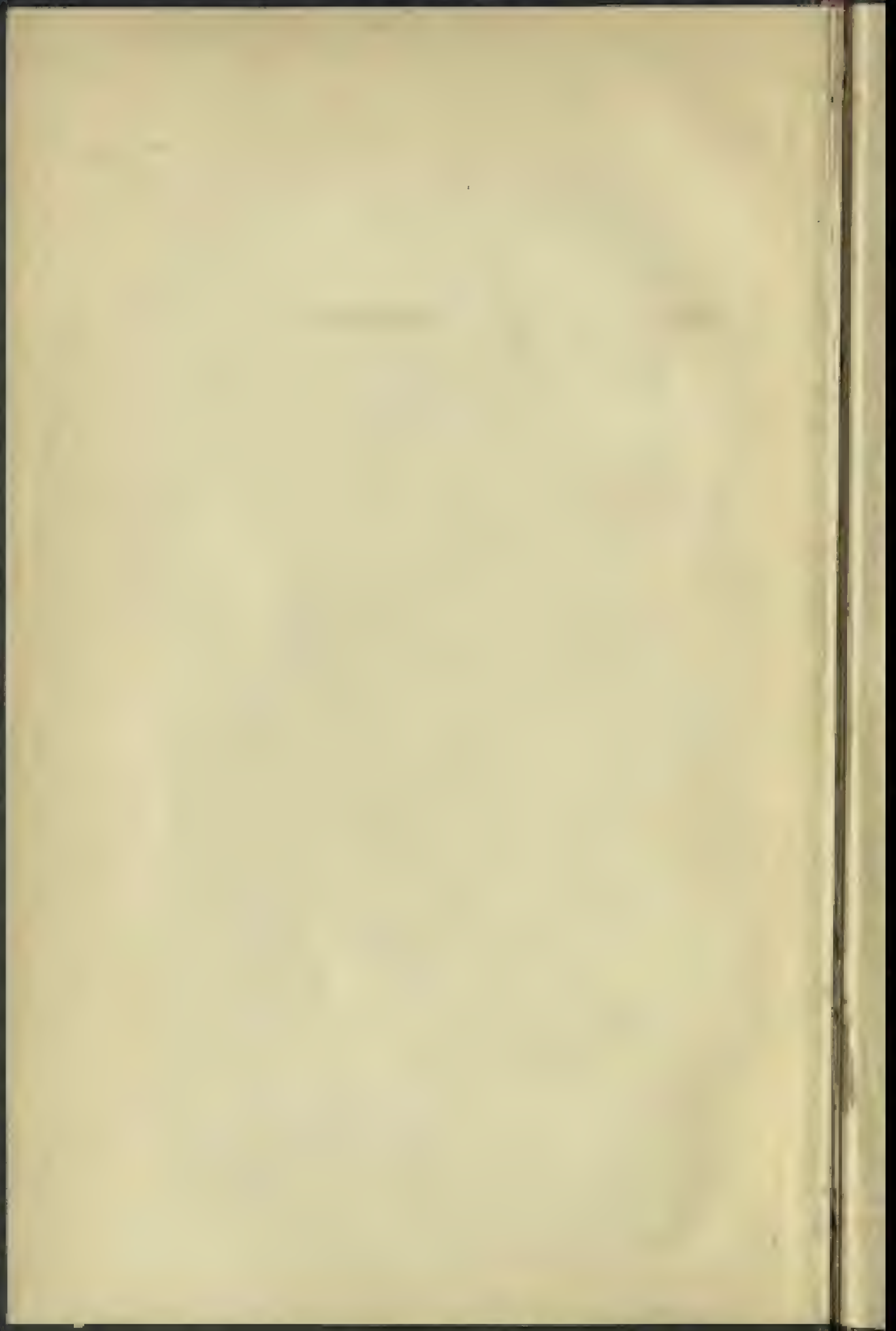
Les études, réunies dans ces deux petits volumes, ont paru dans la revue arabe *Al-Machriq* (1898-1906). Dans le premier on s'est proposé de vulgariser parmi les lecteurs orientaux les conclusions les plus certaines, concernant l'archéologie et l'histoire ancienne du Liban. Sans prétendre épuiser la matière, l'auteur l'a enrichie d'observations personnelles, recueillies sur place. La seconde partie, consacrée à la géographie et à l'ethnographie du Liban, contient la substance de plusieurs cours, professés à la Faculté orientale de l'Université de Beyrouth (1904-1905). On en trouvera le sommaire dans l'index français. Les sigles et abréviations sont celles depuis longtemps en usage parmi les orientalistes. Les autres références renvoient à des ouvrages trop connus pour qu'il soit nécessaire d'en dresser ici la liste et les titres complets.

La langue archéologique étant encore à créer en arabe, on voudra bien tenir compte de l'imperfection de l'instrument, mis à notre disposition. Peut-être nous sera-t-il donné un jour de revenir à ces matières en un idiome de l'Occident !

Dans cette seconde édition, faite en l'absence de l'auteur on s'est contenté de corriger les fautes d'impression et de retoucher quelques passages, à cause des modifications survenues depuis la 1<sup>re</sup> édition. On y a ajouté une Table analytique par ordre alphabétique.

*Beyrouth, 15 Juin, 1914.*

---





# LE LIBAN

NOTES ARCHÉOLOGIQUES, HISTORIQUES, ETHNOGRAPHIQUES  
ET GÉOGRAPHIQUES

Par le P. H. LAMMENS S. J.

Extrait de la Revue « **AL-MACHRIQ** »

## SECONDE PARTIE

GÉOGRAPHIE ET ETHNOGRAPHIE DU LIBAN

*2<sup>e</sup> édition, revue et augmentée d'une Table analytique*



BEYROUTH

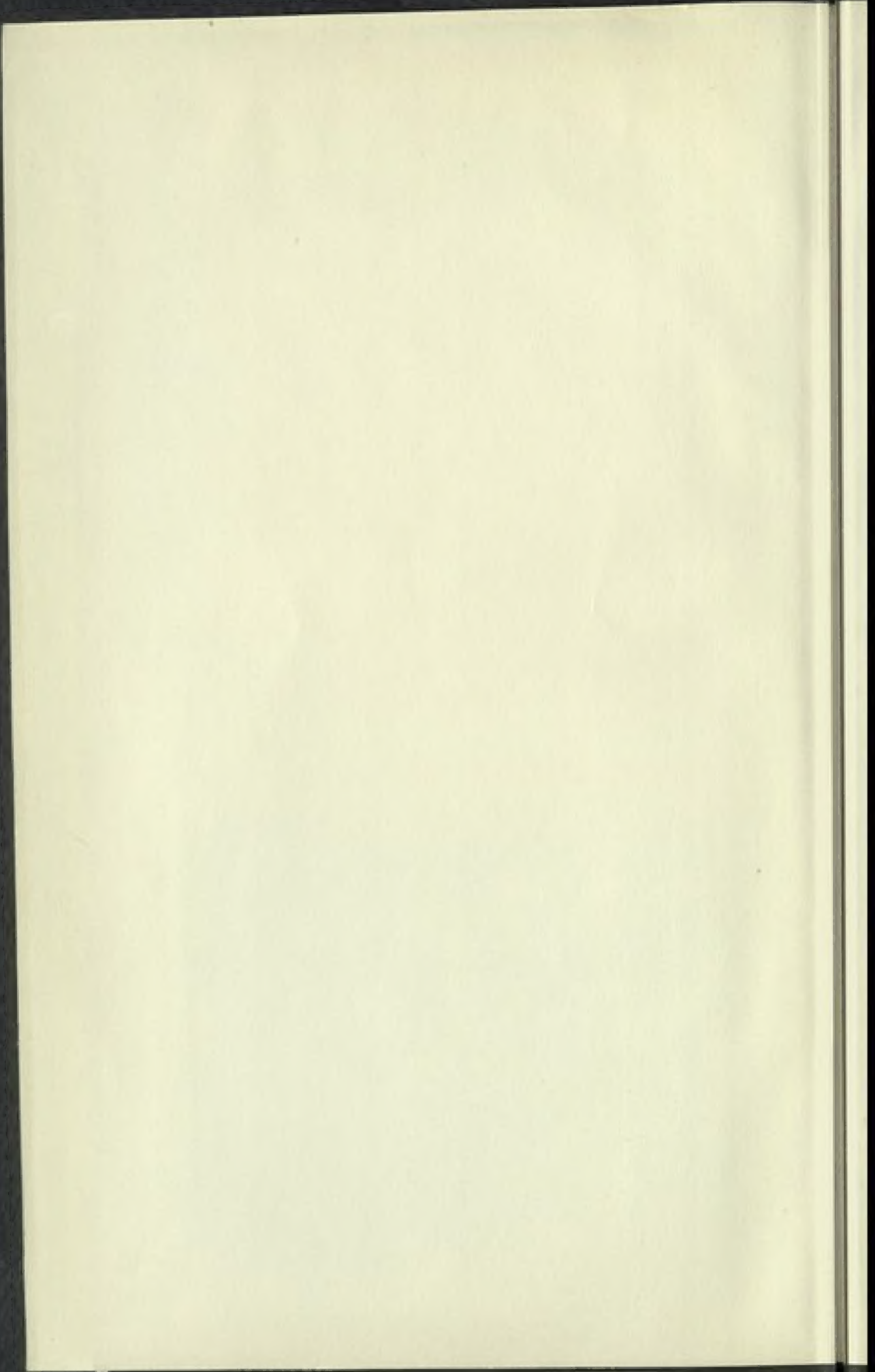
Imprimerie Catholique

1914









CLOSED AREA

## DATE DUE

[illegible]

**CLOSED AREA**



CA:913.3944:L23tA:v.1:c.1

لامنس. هنري (الاب)

تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01200246

CA:913.3944:L23tA

v.1-2

CLOSED AREA

لامنس

تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الابا

CLOSED AREA

CA

913.3944

L23tA

v.1-2



م

تسبی  
فہرست  
طبقات

SHS

Y

4

2